المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



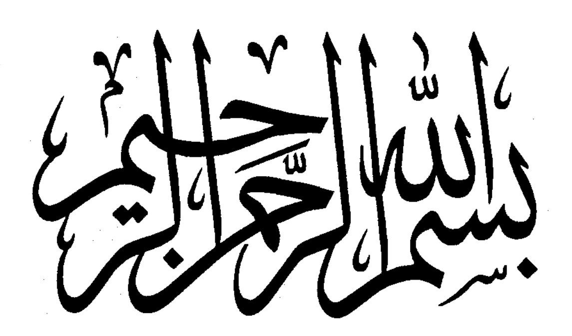
مجلة الجامعة الإسلامية

مجلة علمية محكمة
تصدر عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

العدد ١٣٢ - السّنة ٣٨ - ١٤٢٦هـ

رقم الإيداع ١٤/٠٠٩٢
تاريخه ١٤١٤/١/٢٢هـ

موقع الجامعة الإسلاميّة www.iu.edu.sa
بريد الإنترنت iu@iu.edu.ds


بسم الله الرحمن الرحيم

قواعد نشر البحوث العلميّة في مجلّة الجامعة

أ – أن تكون جديدة؛ لم يسبق نشرها .

ب– أن تكون خاصّة بالمجلّة .

ج– أن تكون أصيلة؛ من حيث الجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.

د – أن تُراعىٰ فيها قواعد البحث العلميّ الأصيل ، ومنهجيّته.

ه– أن لا تكون أجزاء من بحوث مستفيضة، قد تمّ نشرها للباحث، ولا أجزاء من رسالته العلميّة في (الدّكتوراه) أو (الماجستير) .

و – أن لا يزيد عدد صفحاتها عن مائة للإصدار الواحد، ولا يَقِلُّ عن عشر صفحات، ولهيئة تحرير المجلّة الاستثناء عند الضّرورة .

ز – أن تُصَدَّرَ بنبذة مختصرة - لا تزيد عن نصف صفحة - للتّعريف بها .

ح– أن يرافقها نبذة مختصرة عن صاحبها ؛ تبيّن عمله، وعنوانه، وأهمّ أعماله العلميّة.

ط– أن يُقَدّم صاحبها خمس نسخ منها .

ي– أن تُقَدّم مطبوعة وفق المواصفات الفنّيّة التّالية:

١– البرنامج وورد XP أو ما يماثله .

٢– نوع الحرف Traditional Arabic

٣– نوع حرف الآية القرآنيّة decotype Naskh Special

٤– مقاس الصّفحة الكلّي : ١٢سم × ٢٠سم (بالرّقم)

٥– حرف المتن: ١٦ أسود .

٦– حرف الهامش : ١٤ أبيض.

٧– رأس الصّفحة : ١٢ أسود .

٨– العنوان الرّئيسيّ : ٢٠ أسود.

٩– العنوان الجانبي : ١٨ أسود.

١٠– الأقراص تكون من النوعيّة الجيّدة، ويكون حفظ الملفّات علىٰ نظام DOC.

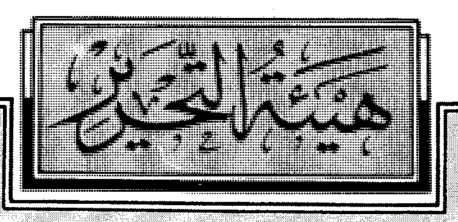
ك – أن يُقَدّم البحث - في صورته النّهائيّة - في ثلاث نسخ؛ منها نسختان علىٰ قرصين مستقلّين ، ونسخة علىٰ ورق .

ل– لا تلتزم المجلّة بإعادة البحوث لأصحابها ؛ نشرت أم لم تنشر .

عنوان المراسلات : تكون المراسلات باسم رئيس التّحرير:
(ص ب ١٧٠ المدينة المنوّرة هاتف وفاكس ٨٤٧٢٤١٧
البريد الإلكتروني iu@iu.edu.sa)

مجلة

الجامعة الإسلامية



الموادّ المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء أصحابها

مُحْتَوَيَاتُ الْعَدَدِ



خَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ

إعْدادُ :

د. عِمادِ بْنِ زُهَيْرِ حَافِظ

الأُسْتَاذِ الْمُشَارِكِ فِي كُلِّيَّةِ القُرْآنِ الكريمِ فِي الْجَامِعَةِ



المقدّمة

الحمد لله الذي جعل القرآن الكريم نوراً وهدىً ورحمةً، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، دعا عباده إلى تدبّر كتابه بكلّ بصيرة وفكرة، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمداً عبد الله ورسوله، بيَّن لأمّته ما أنزل إليه بوافر العلم والحكمة، ﷺ وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره .

وبعد: فتتمّة لِما عزمت أمري عليه وشرعت فيه من تتبُّع السور والآيات القرآنية التي ورد حديث النبيّ المصطفى ﷺ بذكر فضلها؛ رغبةً مني في إظهار عظمتها وبيان معانيها وأغراضها؛ كان هذا البحث في خواتيم سورة البقرة [(١)].

- هذا وقد جعلت عنوان البحث «خواتيم سورة البقرة؛ فضلها وبيانها»، وقسمته إلى فصلين: الفصل الأول: فضل خواتيم سورة البقرة. وفي هذا الفصل مبحثان: المبحث الأول: في مكان وزمان نزولها وإيتائها الرسول ﷺ . المبحث الثاني: في أجر قارئـــها وثوابه .

والفصل الثاني: بيان خواتيم سورة البقرة. وجعلت في هذا الفصل أربعة مباحث: المبحث الأول: سبب النّزول. المبحث الثاني: في المناسبة. المبحث الثالث: بيان الآية الأولى. المبحث الرابع: بيان الآية الثانية .

ومن بعد كانت خاتمة البحث.

وأخيراً أسأل الله عزّوجلّ أن يفيد من هذا العمل الفائدة المرجوّة وأن يتقبّله مني ويجعله ذخراً لي يوم مصيري إليه. آمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّ اللهم وسلّم وبارك على نبينا وسيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) وقد سبق هذا البحث بحثان في هذا الشأن وهما: الفضل والبيان لأعظم آية في القرآن (آية الكرسي)، وتأمّلات في سورة الواقعة.

الفصل الأول:

فضل خواتيم سورة البقرة

تقديم:

لخواتيم سورة البقرة فضل عظيم بيَّنه وأخبر عنه رسولنا محمد ﷺ من خلال أحاديثه الشريفة. ولقد رأيت فيها أنّ هذا الفضل دلّ عليه ما ورد منها في بيان مكان وزمان نزولها وفي كيفية إيتائها النبي ﷺ، ودلّ عليه أيضاً ما ورد منها في بيان أجر قراءتها وتلاوتها. لذا فإني سأتناول الكلام عن فضلها تبعاً لهذه الأوجه على مبحثين فيما يلي:

المبحث الأول: مكان وزمان نزولها وإيتائها النبي ﷺ

المطلب الأول:

في إيتائها النبي ﷺ عند سدرة المنتهى ليلة المعراج

مما يدلّ على فضلها أنّه أوتيها رسول الله ﷺ ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وهو في ذلك الزمان الشريف والحالة العليّة بالقرب من العلي الحكيم سبحانه، فلا ريب أنّ تخصيص إيتائها للنبي ﷺ دون سائر آيات القرآن الكريم في ذلكما المكان والزمان الشريفين – لدلالة واضحة على فضلها وأيّ فضل؟!.

وقد ورد في هذا الشأن ما رواه الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لمّا أسري برسول الله ﷺ انتُهي به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما يُعْرجُ به من الأرض فيُقْبَضُ منها، وإليها ينتهي ما يُهْبَطُ به من فوقها فيُقبَضُ منها. قال: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾[1] قال: فَراشٌ من

(١) سورة النجم: الآية (١٦)

ذهب. قال: فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة وغُفِرَ لمن لم يُشرك بالله من أمته شيئاً المُقْحِمات»[1].

والشاهد في هذا الحديث قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً (أي حين بلوغه سدرة المنتهى): أُعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة وغُفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقحمات، فإنّه ﷺ أعطي خواتيم سورة البقرة حين بلغ سدرة المنتهى مع فرضه تعالى للصلوات الخمس ومع حكمه عزوجل بالمغفرة لمن لم يشرك به شيئاً، وحسب هذا الأمر دالّ على فضلها ولله الحمد والمنّة.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (دار الفكر – الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م) ج٣ ص٢-٣. وفي قوله: «وهي في السماء السادسة» قال النووي: «كذا هو في جميع الأصول «السماء السادسة» وقد تقدّم في الروايات الأخر من حديث أنس رضي الله عنه أنها «أي سدرة المنتهى» فوق السماء السابعة، قال القاضي (عياض) كونها في السابعة هو الأصح وهو قول الأكثرين وهو الذي يقتضيه المعنى وتسميتها بالمنتهى. قلت: ويمكن أن يجمع بينهما فيكون أصلها في السادسة ومعظمها في السابعة، فقد علم أنـــها في نهاية من العظم.. » أ.هـ [صحيح مسلم بشرح النووي ج٣ ص٢]. وفي قوله: «وغُفِرَ لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقحمات» المقحمات هي: الذنوب العظام الكبائر التي تهلك أصحابها وتوردهم النار وتقحمهم إياها، والتقحُّم هو الوقوع في المهالك، والمراد بغفرانـــها أنّه لايخلّد في النار بخلاف المشركين، وليس المراد أنّه لا يعذّب أصلاً، فقد تقرر في نصوص الشرع وإجماع أهل السنة على إثبات عذاب بعض العصاة من الموحِّدين. (انظر: شرح النووي ج٣ص٣). والله أعلم.

وأقول: وهو كقوله تعالى ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً**﴾ النساء ١١٦. فالله تبارك وتعالى يغفر الذنوب الكبائر لمن تاب منها ما دام أنه لم يشرك بالله، ومن لم يتب منها فهو تحت مشيئته تعالى فمن شاء غفر له وهو الغفور الرحيم.

المطلب الثاني: في نزولها من كنْز تحت العرش

ومما يدلّ على فضلها كذلك أنّ الرسول ﷺ أوتيها من كنْز تحت عرش الرحمن – سبحانه وتعالى – لم يُعط أحد منه قبله ولا يعطى منه أحدٌ بعده. فقد روي بسند صحيح عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فُضِّلنا على الناس بثلاث: جعلت الأرض كلها لنا مسجداً وجعلت تربتها لنا طهوراً، وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وأوتيت هؤلاء الآيات آخر سورة البقرة من كنْز تحت العرش لم يعط أحد منه قبلي، ولا يُعطى منه أحد بعدي»[1].

ولاريب أنّ كونها أخرجت من كنْز تحت العرش فيه دلالة على عظم قدرها وقيمتها وشدة العناية بها وتقديسها وفضلها على غيرها من الآيات وأن حظت بهذه المكانة العالية الرفيعة محفوظة في كنْز تحت عرش الرحمن سبحانه وتعالى .

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ج٥ ص ٣٨٣؛ ورواه البيهقي في سننه ج١ ص ٢١٣؛ ورواه النسائي في السنن الكبرى – كتاب فضائل القرآن (٤٧)، باب (١٩) الآيتان من آخر سورة البقرة – حديث (٧٩٦٨) ج٧ ص ٢٦٠، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، وصححه الألباني في كتابه السلسلة الصحيحة ج٣ ص٤٧١. وقال: هذا إسناد صحيح على شرط مسلم. وقد رواه الإمام مسلم في صحيحه ج٥ ص٤ بدون ذكر: (وأوتيت هؤلاء الآيات آخر سورة البقرة..) إلخ؛ بل فيه عن حذيفة أيضاً قال قال النبي ﷺ بنصه: «فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء، وذكر خصلة أخرى». وقال النووي في شرحه: قال العلماء المذكور هنا خصلتان لأن قضية الأرض في كونها مسجداً وطهوراً خصلة واحدة، وأمّا الثالثة محذوفة هنا ذكرها النسائي من رواية أبي مالك الراوي هنا في مسلم قال: وأوتيت هذه الآيات من خواتيم البقرة من كنز تحت العرش و لم يعطهن أحد قبلي ولا يعطاهن أحد بعدي. ا. هـ. ج٥ص٤-٥.

المطلب الثالث:

في إنزالها من كتاب كتبه الله تعالى قبل خلق السموات والأرض

وممّا تميّزت به خواتيم سورة البقرة أنّها أنزلت من كتاب كتبه الله تعالى قبل خلق السموات والأرض، فقد روي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله تبارك وتعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولا تقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان»(١) . ولاشك أنّ هذا الأمر دالّ على فضلها وتميّزها عن غيرها من آيات القرآن الكريم .

المطلب الرابع :

في إرسال الله تعالى ملكاً– لم ينـــزل إلى الأرض قطّ– للبشرى بها

ومن فضلها أنّ الله تعالى أرسل ملكاً من ملائكته الكرام لم ينـــزل قط إلى الأرض فنـــزل من باب من السماء لم يُفتح قط فأتى النبي ﷺ فبشّره بأنّها نور لم يؤته نبيّ قبله وأنّه لن يقرأ بحرف منها إلاأعطيه. ذلك أنّه قد روي في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فُتح اليوم لم يُفتَح قطّ إلا

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ج٤ ص ٢٧٤؛ ورواه الترمذي في سننه ج٥ ص١٥٩–١٦٠، كتاب فضائل القرآن (٤) حديث (٢٨٨٢) وقال: حديث حسن غريب، ورواه الحاكم في مستدركه ج١ ص ٥٦٢. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره عليه الذهبي. والحديث ورد من طريقين كما بيّنهما صاحب فضائل سور وآيات القرآن الكريم أحدهما إسناده حسن والآخر حسن لشواهده، وقد صحح الأول منهما ابن حبّان ج٢ ص ١١٠. (انظر: فضائل سور وآيات القرآن الكريم (القسم الصحيح) لمحمد بن رزق طرهوني، ج١ ص ١٨٧).

اليوم فسلّم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبيٌّ قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته»[(١)] .

فهذا الحديث الشريف بيّن فضل خواتيم سورة البقرة من عدة وجوه:

أحدها: أنّها اقترنت في البشارة بإيتائها النبي ﷺ مع فاتحة الكتاب وهي أعظم سور القرآن الكريم، وهذا بلا ريب يدلّ على فضلها .

ثانيها: أنّه حين البشارة بها فُتح باب من السماء ما فتح قط من قبل، وهذا دالّ على خصوصية النازل وتميّزه وأهميّته، وهو بلا ريب مشير إلى فضله.

ثالثها: نزول ملك من السماء اختصّ عمله بالبشارة بها يدل أيضاً على عظيم أمرها؛ لأنّ البشارة بشيء يدلّ على عظمه ورفعة شأنه وكبير سرور المبشَّر به .

ورابعها: وصفها هي والفاتحة بنورين، وهو وصف عظيم، ووجهه أنّ كلّ واحد منهما نور يسعى بين يدي صاحبهما، كما أنـــهما ترشدان إلى الصراط المستقيم كما يرشد النور بضوئه السائر في طريقه فيبيّن له الطريق ويهديه إلى برِّ الأمان، وهي بلا شك تبيّن لقارئـــها وتـــهديه لسلوك سبيل النبي الكريم محمد ﷺ وسبيل أصحابه –رضي الله عنهم – من الإيمان الحقّ والإسلام الخالص لله تعالى والانقياد له وطلب مرضاته ومغفرته ورحمته وابتهالهم إلى الله عزوجل ورجوعهم إليه في جميع أمورهم[(٢)] .

---

(١) رواه مسلم في باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة حديث (٢٤٧)، ج٢ ص٤٥٨ [طبعة دار الشعب] مع شرح النووي.

وقوله: (نقيضاً) أي صوتاً شديداً كصوت نقض خشب البناء، وقيل صوتاً مثل صوت الباب إذا فُتح. (انظر: فتح الملهم شرح مسلم للديوبندي ج٢ ص٣٥٥).

(٢) انظر: المفهم لما أشكل من صحيح مسلم للحافظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ج٢ ص ٤٣٤.

وخامسها: أنّ الملك قال فيها وفي الفاتحة: «أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك» أي لم يؤت ثوابهما الخاصّ؛ وإلاّ فلا خصوصيّة لأنّ غيرهما من الآي لم يؤته نبيّ قبله كذلك. وهذا دالّ على فضل خواتيم سورة البقرة بأنّ ثوابها الخاصّ لم يؤته نبي قبله عليه الصلاة والسلام [1] .

وسادسها: ما جاء في قوله: «لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته». ويحتمل هذا الكلام احتمالين، فإن أراد بالحرف الطرف منها وكنّى به عن الجملة فالمراد على هذا: لن تقرأ بجملة منها إلا أعطيت ما تضمّنت إن كانت دعاء أُجبت وإن كانت ثناء أعطيت الثواب. والاحتمال الآخر وهو أن يراد بالحرف حرف التهجّي فمعناه على أنّ ما ترتّب عليه من العشر حسنات محقّقة القبول؛ وإلاّ فلا خصوصية لأنّ حروف غيرها كذلك[2]. ولا مانع للجمع بين الاحتمالين فكلاهما صحيح وينطبق على ما ورد من الفضل في شأن هاتين الآيتين الكريمتين. وهكذا فهذه الوجوه الستة تدلّ بجلاء على فضل خواتيم سورة البقرة ولله الحمد والمنة .



---

(١) انظر: إكمال إكمال المعلم لأبي عبد الله محمد بن خلفة الوشتاني ج٢ ص ٤٢٢.

(٢) انظر: فتح الملهم ج٢ ص ٣٥٥؛ إكمال إكمال المعلم ج٢ ص ٤٢٢.

المبحث الثاني: في أجر قارئها وثوابه

وفي فضل هاتين الآيتين الكريمتين ما دلّ عليه الحديث الصحيح من أجر قارئـــها وثوابه حيث روى البخاري في صحيحه عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري[1] قال: قال النبي ﷺ: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»[2] فإخباره ﷺ أنّــهما تكفيان من قرأهما شاهد على فضلها بذكر هذا الأجر والثواب لقارئـــها .

ولكنّه ﷺ لم يخصّص – ههنا– كفايتهما لقارئهما عن أيّ شيء؟ وإنّما جعلها عامة مطلقة، ولذلك فقد اجتهد شارحوا الحديث في بيان تلكم الكفاية، وأحسب أنّ أجود أقوالهم وأولاها بالصواب ما استند على ما بيّنه الرسول ﷺ في أحاديثه الأخرى التي سبق الحديث عنها في المبحث السابق، ولا ريب أنّ أحسن ما يُبيَّن به كلامُه ﷺ هو حديثه نفسُه. وحاصل تلك الأقوال أنّ هاتين الآيتين تكفيان قارءهما من كلّ سوء من شرّ الشيطان وأعوانه وأوليائه من الجنّ والإنس، وتكفيانه كذلك ما حصل له بسببهما من الثواب والأجر وإجابة دعائـــه عن طلب أيِّ شيء آخر، وهي تكفيانه أيضاً فيما يتعلّق بالاعتقاد لما

(١) هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة، وقيل بن عسيرة بن عطية بن خُدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج أبو مسعود البدري – وهو مشهور بكنيته، و لم يشهد بدراً، وإنـــما سكن بدراً، وشهد العقبة الثانية، وكان من أحدث من شهدها سناً، وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد، وسكن الكوفة وكان من أصحاب علي رضي الله عنه واستخلفه على الكوفة لماسار إلىصفين (أسد الغابة: ج٣ ص ٥٥٤).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ج٩ ص٥٦، كتاب فضائل القرآن (٦٦)، باب فضل سورة البقرة (١٠) حديث (٥٠٠٩)، ورواه مسلم أيضاً في فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة حديث ٢٤٨-٢٤٩ (طبعة الشعب) ج٢ ص ٤٥٨.

اشتملتا عليه من الإيمان والأعمال إجمالاً [١]. فهي تعمّ هذا كلّه بإذن الله تعالى، إذ قوله ﷺ: « كفتاه » مع حذف المفعول ليشمل ويعمّ كلّ ما يتحصّل بهاتين الآيتين، ولاحدّ لفضل الله وكرمه تعالى .

-ولي أن أضيف إلى هذا الحديث في هذا الشأن ما ورد في الأحاديث بالمبحث السابق، ففيما رواه النعمان بن بشير رضي الله عنه أنّه ﷺ قال في حديثه عن خواتيم سورة البقرة: «ولا تقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان»[٢] ولاشك أنّ هذا من أجر قارئها وثوابه في أنّ داره لايقربها شيطان مدة ثلاث ليالٍ فيعمّ داره الخير ويصرف عنه الشر بسببها .

– ثمّ في رواية ابن عباس رضي الله عنهما وأنّ جبريل قال للنبي ﷺ: «أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته» [٣]. والشاهد ههنا قول جبريل: لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته. وقد بيّنت سابقاً معنى هذه الجملة بأن يعطى قارئ خواتيم سورة البقرة من إجابة دعائه فيها ومنح ثواب ثنائه بها، وما يترتّب من قراءته لحروف كلماتها من الحسنات المحققة القبول، و لاشك أنّ هذا كذلك دالٌ على أجر قارئها وثوابه. وبهذه الإضافة اللازمة يتمّ الكلام عن هذا المبحث وبه يتمّ الفصل الأول في فضل خواتيم سورة البقرة. ولله الحمد والمنّة .

---

(١) انظر: شرح النووي لمسلم ج٢ ص ٤٥٨، فتح الباري ج٩ ص ٥٦؛ عمدة القاري ج ١٦ ص ٢١٢ – ٢١٣؛ إرشاد الساري ج٧ ص ٤٦١، إكمال إكمال المعلم ج٢ ص ٤٢٢؛ فتح الملهم ج٢ ص ٣٥٥؛ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ج٢ ص ٤٣٥.

(٢) انظر الحديث وتخريجه في متن الصفحة الثامنة وهامشها.

(٣) انظر الحديث وتخريجه وشرحه في الصفحات ٨، ٩، ١٠.

الفصل الثاني:

بيان خواتيم سورة البقرة

تقـــديم :

في هذا الفصل الثاني والأخير أتناول بيان هاتين الآيتين الكريمتين – بإذن الله تعالى – عبر أربعة مباحث:

المبحث الأول: سبب النّزول

لقد كان في نـــزول خواتيم سورة البقرة فرج على المؤمنين وتخفيف من ربـــهم ورحمة بعد شدّة وحرج وعنت، ودلّ على هذا ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لـــمّا نزلت على رسول الله ﷺ ﴿لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير﴾[1] قال: فاشتدّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثمّ بركوا على الرّكب فقالوا: أيْ رسول الله كُلّفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنـــزلت عليك هذه الآية ولانطيقها. قال رسول الله ﷺ: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، قالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلمّا اقترأها القوم ذلّت بها ألسنتهم فأنزل الله في إثرها ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون..﴾ الآية، فلمّا فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنـــزل قوله عزوجل ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ قال: نعم..

(١) سورة البقرة: الآية (٢٨٤).

﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا﴾ قال: نعم. ﴿ربنا ولاتحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ قال: نعم.. ﴿واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ قال: نعم» [١].

وفي رواية أخرى له (أي لمسلم) بلفظ مقارب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لـمّا نـزلت هذه الآية ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أوتخفوه يحاسبكم به الله﴾ قال: دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء فقال النبي ﷺ: قولوا سمعنا وأطعنا وسلّمنا. قال: فألقى الله الإيمانَ في قلوبهم فأنـزل الله تعالى ﴿لا يكلف الله نفساً إلاوسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾. قال: قد فعلت. ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا﴾. قال: قد فعلت. ﴿واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا﴾ قال: قد فعلت» [٢].

ويظهر من خلال هاتين الروايتين أنّه لما نزلت الآية التي أخبر الله فيها أنّه محاسبٌ عباده على ما يخفونه في أنفسهم اشتدّ ذلك على المؤمنين وداخلهم الحرج وشقّ عليهم الأمر؛ إذ إنّ هذا مما يشقّ ويصعب على الإنسان تجنّبه، فإنه قد تمرّ به أوقات ضعف فتحدِّثه نفسه بأمور قد لا يتكلم بها أو يفعلها، ولذلك فإنّ الله تعالى رفع من بعد عنهم المحاسبة بما تحدثهم به أنفسهم ما لم يتكلموا أو يعملوا به رحمة بهم وتخفيفاً عليهم ودفعاً للحرج والعنت عنهم فأنـزل سبحانه ﴿لايكلف الله نفسا إلاوسعها...﴾الآية .

وفي مثل هذا أيضاً جاء حديث المصطفى ﷺ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدّثت به أنفسها ما لم يتكلّموا

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب تجاوز الله تعالى عن حديث النفس، حديث رقم (١٨٥)، ج١ ص ٣٣٠ – ٣٣١.

(٢) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس، حديث ١٨٦ ج ٣٣٢.

أو يعملوا به» [1]. ومثله أيضاً في حكم الهمّ بالسيئة فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «قال الله عزوجل: إذا همّ عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة، فإن عملها كتبتها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، وإذا همّ بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه، فإن عملها كتبتها سيئة واحدة» [2].

ولهذا كانت هاتان الآيتان (خواتيم سورة البقرة) فرجاً على المؤمنين ورحمة وتخفيفاً، بل وذكر الله تعالى فيها دعاءهم، واستجابته إيّاه كما ورد في الروايتين السابقتين بقوله عزوجل: نعم أو قد فعلت، فلله الحمد والمنة .



(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان – باب تجاوز الله عن حديث النفس، حديث ١٨٧، ج١ ص ٣٣٢.

(٢) رواه مسلم: كتاب الإيمان – باب تجاوز الله عن حديث النفس، حديث ١٩٠، ج١ ص ٣٣٣.

المبحث الثاني: في المناسبة

المطلب الأول: مناسبتها للآية التي قبلها مباشرة

لمّا نـــزل قول الحق تبارك وتعالى ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ وأشفق منها المؤمنون، ثمّ تقرر الأمر أنـــهم قالوا سمعنا وأطعنا وثبت أنـــهم رجعوا إلى الله بالتضرّع إليه ورجائه والخضوع له؛ فحين ذلك مدحهم سبحانه وأثنى عليهم بقوله ﴿آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون﴾ إلى آخر السورة.. وقدّمه بين يدي رحمته ورفقه بهم، فجمع لهم بين التشريف بالمدح والثناء وبين رفع المشقّة في أمر الخواطر، ولاريب أنّ هذا من ثمرة طاعة الله – عزوجل – والانقياد له والانقطاع والتضرّع إليه[1]. وهذه المناسبة ظهرت – بلا شك – من معرفة سبب التنزول ولله الحمد والمـــنّة .

ومن وجهة نظر أخرى مناسبة لاحت للفخر الرازي إذ قال: ((لـــمّا بيّن الله تعالى في الآية المتقدمة ﴿لله ما في السموات وما في الأرض﴾ كمال الملك وكمال العلم وكمال القدرة لله تعالى، وذلك يوجب كمال صفات الربوبية أتبع ذلك بأن بيّن كون المؤمنين في نـــهاية الانقياد والطاعة والخضوع لله تعالى، وذلك هو كمال العبودية، وإذا ظهر لنا كمال الربوبية وقد ظهر لنا من المؤمنين كمال العبودية، فالمرجوّ منه سبحانه وتعالى أن يعمّ المؤمنين بفضله ورحمته وجوده وإحسانه وأن يمنّ عليهم برحمته وعنايته في يوم القيامة))[2]. أقول: وهذا ما ورد في الحديث بيانه بعد الدعاء والابتهال بقوله سبحانه: نعم. أو: قد فعلت .

---

(١) انظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي ج٢ ص ٣٦٣؛ تفسير الثعالبي ج١ ص ٢٣٦ – ٢٣٧.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٧ ص ١٢٨. وانظر: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ج٣ ص ١٤٣.

المطلب الثاني: مناسبة خواتيم سورة البقرة لفاتحتها

ولهذا الختام الكريم لسورة البقرة مناسبة للآيات التي افتتحت بها، وهذا من علوّ وعظمة كلام الله تبارك وتعالى وحسن نظمه وسبكه، إذ إنّه مع طول السورة يجيء الختام متوافقاً ومناسباً للافتتاح!! وقد حكى أبو حيان الأندلسي (صاحب البحر المحيط) أنّه تتبّع أوائل السور الطوال وخواتمها فوجدها متناسبة ومتوافقة. بحيث لا ينخرم منها شيء، وقال: «وذلك من أبدع الفصاحة حيث يتلاقى آخر الكلام المفرط في الطول بأوّله، وهي عادة العرب في كثير من نظمهم يكون أحدهم آخذاً في شيء ثمّ يستطرد منه إلى شيء آخرثمّ إلى آخر هكذا طويلاً ثمّ يعود إلى ما كان آخذاً فيه أولاً»[1] .

وبعد فيظهر هذا التوافق وتتبيّن في هذا المقام المناسبة بأنّه لّما بدأ الحقّ سبحانه كلامه في أوّل السورة بوصف المتقين ومدحهم بقوله: ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومّما رزقناهم ينفقون. والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون. أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ [2]. لما بدأ ذلك في أول السورة بيّن في آخرها أنّ الذين مدحهم ووصفهم بتلك الصفات الحميدة هم أمّة وأتباع النبي الكريم محمد ﷺ فقال سبحانه ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾، فناسب هذا النصّ القرآني وهو المراد بقوله تعالى في أول السورة ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾، ثمّ قال ههنا في آخرها: ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾ وهو المتناسب مع أوّلها في قوله ﴿ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾، ثم قال ههنا: ﴿غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ وهو المتناسب مع قوله في أول السورة

(١) تفسير البحر المحيط: ج٢ ص ٣٦٣ – ٣٦٤.
(٢) سورة البقرة: الآيات (٢ –٥).

﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾، ثم حكى عنهم ههنا كيفية تضرّعهم إلى ربهم في قولهم ﴿ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ...﴾ إلى آخر السورة، وهو المتناسب مع ما ورد في أوّلها ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ [١] .

ولصاحب نظم الدرر، كلام لطيف ههنا في هذا الشأن إذ يقول: ((وأمّا مناسبتها لأوّل السورة رداً للمقطع على المطلع؛فهو أنّه لـمّا ابتدأ السورة بوصف المؤمنين بالكتاب الذي لاريب فيه على الوجه الذي تقدّم ختمها بذلك بعد تفصيل الإنفاق الذي وصفهم به أوّلها على وجه يتصل بما قبله من الأوامر والنواهي والاتصاف بأوصاف الكمال أشدّ اتصال))[٢] .

فسبحان من نظم كلامه وأحسنه ووافق وناسب بين أوله وآخره وأطرافه ووسطه ﴿لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ [٣] .

المطلب الثالث: مناسبتها لعموم السورة

وكما أنّ الختام ناسب الافتتاح فكذلك هو قد ناسب عموم ما حوته السورة الكريمة، ذلك أنّ الله – تبارك وتعالى – لـمّا ذكر في السورة العديد من الأحكام التشريعية والقصص والمواعظ وما تخلّل ذلك ممّا هو عونٌ على تلك المقاصد التي شملتها السورة انتقل بعدها إلى تعظيم رسوله والثناء عليه وعلى المؤمنين بقوله ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ...﴾ الآية. فأثنى عليهم في إيمانـــهم بجميع الذي ذكر إيماناً خالصاً اقتضى امتثالهم لما جاء به من عمل، ومن أجل هذا قال ابن عاشور: ((فالجملة استئناف وضعت في هذا الموقع لمناسبة ما تقدّم، وهو انتقال

(١) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٧ ص ١٢٧ – ١٢٨.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ج١ ص ٥٥٣.

(٣) سورة فصلت: الآية (٤٢).

مؤذن بانتهاء السورة؛ لأنّه لـــمّا انتقل من أغراض متناسبة إلى غرض آخر هو كالحاصل والفذلكة فقد أشعر بأنّـــه استوفى تلك الأغراض»[1] .

وبهذا تنتظم لخواتيم سورة البقرة مناسباتـــها للآية قبلها ولأول السورة وافتتاحها ومن ثمّ لعموم السورة وموضوعاتـــها. ولله الحمد والمنة .



(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ج٣ ص ١٣١ – ١٣٢. وانظر: تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٤، تفسير الآلوسي ج٣ ص ٦٩؛ حاشية الصاوي على الجلالين ج١ ص ١٣٦.

المبحث الثالث: بيان الآية الأولى

المطلب الأول: بيان قوله تعالى: ﴿آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون﴾

يخبر الله تعالى في هذا المقطع الأول من الآية الكريمة أنّ رسوله محمداً ﷺ صدّق فأقرَّ بما أوحي إليه منه تعالى من الكتاب وما فيه من حلال وحرام ووعد ووعيد وأمر ونهي وغير ذلك من سائر ما فيه من المعاني التي شملها وحواها[1].

وهذا الكلام من الله –عزوجل– وإن خرج مخرج الخبر؛ فإنّه يتضمّن مدحاً وثناءً على النبي ﷺ بما أخبر من إيمانه، وفيه أيضاً إشارة إلى الاقتداء به وبالمؤمنين الذين اتبعوه واهتدوا بهدي ربهم [2].

أمّا قوله تعالى ﴿والمؤمنون﴾ فيحتمل أمرين: أحدهما: أن يتمّ الكلام عند قوله ﴿والمؤمنون﴾ فيكون المعنى: آمن الرسول والمؤمنون بما أنزل الله إليه من ربه، ثم ابتدأ بعد ذلك بقوله ﴿كل آمن بالله وملائكته..﴾ والمعنى: كلّ واحد من المذكورين فيما تقدّم وهم الرسول والمؤمنون. وثانيهما: أن يتمّ الكلام عند قوله تعالى ﴿بما أنزل إليه من ربه﴾، ثم يبتدئ من قوله ﴿والمؤمنون كل آمن بالله...﴾، ويكون المعنى: أنّ الرسول آمن بما أنزل إليه من ربه، وصدّق المؤمنون أيضاً مع نبيّهم بالله وملائكته وكتبه ورسله [3]. وعلى كلا الوجهين فإنّ المراد والحاصل واحد وهو الإخبار من الله تعالى أنّ الرسول ﷺ آمن بما أنزل إليه من ربه وأنّ المؤمنين أتباعه في ذلك الإيمان، لأن إيمانهم بالله وملائكته وكتبه ورسله

---

(١) انظر: تفسير الطبري ج١ ص ١٠٠.

(٢) انظر: النكت والعيون للماوردي ج١ ص ٢٩٩.

(٣) انظر: تفسير الطبري ج١ ص ١٠١؛ تفسير الكبير للفخر الرازي ج٧ ص ١٢٩؛ تفسير الآلوسي ج٣ ص ٦٧.

(أركان الإيمان) هو إيمان بما أنـــزل إليه من ربه بلا شكّ. ولذلك فإني أرجِّحُ الوقف على قوله تعالى ﴿والمؤمنون﴾، ويكون على هذا الوجه قوله تعالى ﴿كل آمن.. ﴾ جملة مستأنفة من مبتدأ وخبر، ويسوغ الابتداء بالنكرة كونـــها في تقدير الإضافة. ولذلك قال الآلوسي في ترجيح هذا الوجه: ((بأنه أقضى لحق البلاغة وأولى في التلقّي بالقبول، لأنّ الرسول ﷺ حينئذ يكون أصلاً في حكم الإيمان بما أنـــزل الله تعالى والمؤمنون تابعون له ويا فخرهم بذلك))[١] .

• فوائد ولطائف :

الأولى: إنّ في تقديم الرسول ﷺ على المؤمنين لأنّ إيمانه هو المتقدم وإيمان المؤمنين متأخِّر عن إيمانه، وإذ هو المتبوع وهم التابعون له في ذلك. كما أنّ فيه تعظيماً له ﷺ بمدحه على أنّه أكمل المؤمنين إيماناً بربه عزوجل، وفي ذات الوقت فيه ترغيبٌ لغيره من أمته في هذا الوصف .

الثانية: إنّ في إفراده عليه الصلاة والسلام وحده في ذكر إيمانه دون المؤمنين من أجل التفريق بين الإيمانَيْن؛ فإنّ إيمانه ﷺ عن مشاهدة وعيان وأمّا إيمان المؤمنين فإنّه عن نظر واستدلال أو حجة وبرهان [٢]. وفي هذا قال أبو السعود: ((وتغيير سبك النظم الكريم عمّا قبله لتأكيد الإشعار بما بين إيمانه عليه السلام المبنيّ على المشاهدة والعيان وبين إيمانهم الناشيء عن الحجة والبرهان من التفاوت البيّن والاختلاف الجليّ كأنـــهما مختلفان من كلّ وجه حتى في هيئة التركيب الدالّ عليهما))[٣] .

الثالثة: إنّ في اقتران المؤمنين بالرسول ﷺ والإخبار عنهم جميعاً بخبر واحد

(١) انظر: تفسير البحر المحيط ج٢ ص ٣٦٤؛ نظم الدرر للبقاعي ج١ ص ٥٥٣؛ تفسير البيضاوي ج١ ص ٢٧٢.

(٢) انظر: تفسير البيضاوي ج١ ص ٢٧٢.

(٣) تفسير أبي السعود: ج١ ص ٢٧٤.

شرفاً عظيماً للمؤمنين من جهة وإفادة أنّه ﷺ مشارك لأمّته في الخطاب الشرعي من جهة أخرى [١].

الرابعة: يلاحظ أنّ الله تعالى ذكر الرسول ﷺ ههنا بطريق الغيبة، وذكره هناك في أول سورة البقرة بقوله تعالى ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾ بطريق الخطاب، وقد ناسب هذا المقام ذكره بطريق الغيبة لـما أنّ حقّ الشهادة الباقية على مرّ الدهور والأعصار أن لايخاطب بها المشهود له[٢].

الخامسة: إنّ في إيراده ﷺ بعنوان الرسالة المنبئة عن كونه صاحب كتاب مجيد وشرع جديد – دون تعرّض لاسمه الشريف – تعظيماً له وتمهيداً لما يذكر بعده من قوله ﴿بما أنزل إليه﴾، وفيه أيضاً مزيد توضيح لاندراجه في الرسل المؤمن بهم عليهم السلام [٣].

السادسة: في إجمال ما أنـزل إليه لتحقيق كيفية إيمانه إجلالاً لمحلّه ﷺ وإشعاراً بأنّ تعلّق إيمانه بتفاصيل ما أنـزل إليه وإحاطته بجميع ما انطوى عليه من الظهور بحيث لا حاجة إلى ذكره أصلاً [٤].

السابعة: إنّ في التعرّض لعنوان الربوبية في قوله تعالى ﴿من ربه﴾ مع الإضافة إلى ضميره ﷺ تشريفاً له وتنبيهاً على أنّ إنزاله إليه فيه تربية وتكميل له ﷺ. وفي هذا يقول الآلوسي: «وفي تقديم الانتهاء على الابتداء مع التعرّض لعنوان الربوبية والإضافة إلى ضميره ﷺ ما لايخفى من التعظيم لقدره الشريف والتنويه برفعة محلّه المنيف»[٥].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن السعدي، ج١ ص ٣٥٢.

(٢) انظر: تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٤؛ تفسير الآلوسي ج٣ ص ٦٩-٧٠.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٤؛ تفسير الآلوسي ج٣ ص ٧٠.

(٤) انظر: تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٤.

(٥) روح المعاني للآلوسي: ج٣ ص ٦٧.

الثامنة: وأختم هذه الفوائد واللطائف بسؤال طرحه أبو يحيى زكريا الأنصاري وأجاب عليه، وهو قوله: «إن قلت: أيّ فائدة في هذا الإخبار أي ﴿آمن الرسول﴾ مع أنّ الأنبياء في أعلى درجات الإيمان؟ قلت: فائدته أن يبيِّن للمؤمنين زيادة شرف الإيمان، حيث مدح به خواصّه ورسله، ونظيره في سورة الصافات أنّه ذكر في كل نبيّ ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾»[1] .

المطلب الثاني: بيان قوله تعالى: ﴿كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾

بالاستناد على ما سبق ذِكْرُه من رجحان الوقف على قوله تعالى ﴿والمؤمنون﴾ الذي يقتضي عطف (المؤمنون) على (الرسول)؛ فإنَّ قوله تعالى ﴿كل﴾ بتنوينه الذي ناب عن الضمير يرجع إلى ﴿الرسول﴾ و ﴿المؤمنون﴾ أي كلُّهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله[2] .

–وفي قوله تعالى ﴿وكتبه﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف: ﴿وكتابه﴾ على التوحيد وقرأ الباقون على الجمع ﴿وكتبه﴾، وحجة من قرأ ﴿وكتابه﴾ أنّ الكتاب هو القرآن فلا وجه لجمعه، وفي حجة أخرى قال ابن عباس رضي الله عنهما: الكتاب أكثر من الكتب. وقال أبو عبيدة: أراد كلّ كتاب الله بدلالة قوله تعالى ﴿فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق﴾[3]، فوحَّد إرادة الجنس، وهذا كما يقول القائل: كثُر الدرهم في أيدي الناس، يريد الجنس كلّه. وحجة من قرأ ﴿وكتبه﴾ التناسب بين ما تقدم وما تأخّر، فما تقدّم ذكر بلفظ الجمع وهو قوله ﴿كل آمن بالله وملائكته﴾ وما تأخّر ﴿ورسله﴾ فكذلك ﴿وكتبه﴾ على

---

(١) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لأبي يحيى زكريا الأنصاري، تحقيق محمد علي الصابوني: ص (٧٤).

(٢) انظر: تفسير أبي السعود: ج١ ص ٢٧٤؛ تفسير النسفي، ج١ ص ١٤٤.

(٣) سورة البقرة: الآية (٢١٣).

الجمع ليأتلف الكلام على نظام واحد، هذا مع أنّه أراد جميع الكتب التي أنزل الله تعالى [١] .

● فوائد ولطائف :

الأولى: تكرير الإسناد في قوله تعالى ﴿كلٌّ آمن ...﴾ لما في الحكم بإيمان كلّ واحد منهم على الوجه الآتي من نوع خفاء يحتاج إلى التقوية والتأكيد، أي كلّ واحد منهم آمن بالله وحده من غير شريك له في الألوهية والمعبودية [٢] .

الثانية: وفي توحيد الضمير في قوله تعالى ﴿آمن﴾ مع رجوعه إلى كل المؤمنين لـما أنّ المراد هو بيان إيمان كلّ فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع كما اعتبر في قوله تعالى ﴿وكل أتوه داخرين﴾ [٣]، وهو أبعد عن التقليد، أي كلّ واحد منهم آمن على حياله [٤] .

الثالثة: يلاحظ – ههنا – أنه لم يذكر – سبحانه وتعالى – الإيمان باليوم الآخر مع ذكره له في قوله عزوجل ﴿ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين...﴾الآية [٥] وذلك لاندراجه في الإيمان بكتبه، فإنّ اليوم الآخر هو مما جاءت كتب الله بإثباته والدعوة إلى الإيمان به، وهذا – أيضاً – من الإيجاز الذي هو من صنوف البلاغة القرآنية، وخصوصاً أنّ الثواني (الكلام

---

(١) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٥٢-١٥٣؛ النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج٢ ص ٢٣٧؛ الكشف عن وجوه القراءات السبع لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: محي الدين رمضان، ج١ ص ٣٢٣.

(٢) تفسير أبي السعود: ج١ ص ٢٧٤.

(٣) سورة النمل: الآية (٨٧).

(٤) انظر: تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٤؛ تفسير الآلوسي ج٣ ص ٦٧-٦٨، فتح القدير للشوكاني ج١ ص ٣٨٣.

(٥) سورة البقرة: الآية (١٧٧).

المكرّر) كثيراً ما يختصر فيها[1] .

والرابعة: إنّ في وجه الترتيب بين ما ذكره الله تعالى من أركان الإيمان غاية الفصاحة والحكمة الإلهية، إذ جعل الإيمان بالله أولاً؛ لأنّ معرفة الحق – سبحانه – هي الأصل، فوجود الخالق القادر على جميع المقدورات العالم بكل المعلومات الغنيّ عن كل الحاجات هو أمر يقرّ به كل عاقل، وإذ لايمكن – كذلك– الإيمان والتصديق بالملائكة والكتب والرسل إلا بوجود الإيمان الحق بالله تعالى؛ فلذلك كان هو المقدّم على كلّ أركان الإيمان. أمّا الإيمان بالملائكة فجعل في المرتبة الثانية لأنـــّهم هم الوسائط بين الله وعباده، ثمّ جاء الإيمان بالكتب وهو الوحي الذي يتلقّاه الملكُ من الله تعالى ويوصله إلى رسله وأنبيائه، وهو كمثل استنارة سطح القمر من نور الشمس؛ فذات الملك كالقمر وذات الوحي كاستنارة القمر، فكما أن ذات القمر مقدّمة في الرتبة على استنارته فكذلك ذات الملك متقدم على حصول ذلك الوحي المعبَّر عنه بهذه الكتب، فلهذا السبب كانت الكتب متأخرة في الرتبة عن الملائكة، ومن ثمّ جاء الإيمان بالرسل في المرتبة الرابعة وهم الذين يقتبسون أنوار الوحي من الملائكة، فهم تأخّروا في الرتبة عن الكتب من أجل هذا المعنى.[2] والله أعلم بمراده .

المطلب الثالث: بيان قوله تعالى: ﴿لا نفرّق بين أحد من رسله﴾

يخبر الحق تعالى ههنا عن المؤمنين أنهم يقولونَ ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾، ففي الكلام محذوف دلّ عليه الكلام وهو: يقولون، فتقدير الكلام: كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله يقولون لانفرق بين أحدمن رسله، وهو كقوله تعالى ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب. سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى

(١) انظر: تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٤؛ تفسير الآلوسي ج٣ ص ٦٨.

(٢) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ج١ ص ٣٦٤؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٧ ص ١٣٠.

الدار﴾[١]؛ فالمحذوف يقولون وتقديره: يقولون سلام عليكم[٢].. والمراد من كلامهم هذا أنّهم لايفرقون بينهم بأن يؤمنوا ببعض منهم ويكفروا بآخرين بل هم مؤمنون بصحة رسالة كلّ أحد منهم .

–وغاية قولهم هذا ومقصوده من وجهين:

الوجه الأول: إثبات النبوة والرسالة بشكل عام، إذ الإيمان ببعض الرسل دون بعض ينقض هذا الإثبات ويخلّ به .

الوجه الثاني: إثبات النبوة والرسالة لنبينا وسيدنا محمد ﷺ، وذلك بالتعريض في هذا القول بتخطئة أهل الكتاب الذين كفروا به وردّوا دعوته، وشأن المؤمنين أن يؤمنوا برسل الله وأنبيائه جميعاً، فهم قد جانبوا الحق بإنكارهم نبوة رسول الله ﷺ وكفرهم به وبما جاء به[٣]. وفي هذا الوجه قال الآلوسي: ((وقيّدوا إيمانهم بذلك تحقيقاً للحقّ وتنصيصاً على مخالفة أولئك المفرّقين من الفريقين (اليهود والنصارى) بإظهار الإيمان بما كفروا به فلعنة الله على الكافرين)) [٤] .

في القراءات: قرأ يعقوب بالياء في قوله تعالى: ﴿لا نفرق﴾ أي قرأ: ﴿لا يُفرّق﴾، وقرأ الباقون بالنون ﴿لا نفرّق﴾ [٥] . وقراءة يعقوب على أنّ الضمير عائد على ﴿كلٌ آمن بالله﴾ [٦]، أي: لا يفرّق الله تعالى بين أحد من رسله .

---

(١) سورة الرعد: الآيتان (٢٣ – ٢٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري ج٣ ص ١٠١، تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٥. ويحتمل أنّ النون في قوله تعالى: ﴿ لانفرق ﴾ للجلالة، أي آمنوا في حال أنّنا أمرناهم بذلك لأننا لا نفرق، فالجملة على هذا المعنى معترضة. (انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٣ ص ١٣٣).

(٣) انظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج٢ ص ٣٦٥.

(٤) روح المعاني للآلوسي: ج٣ ص ٦٨.

(٥) النشر في القراءات العشر لابن الجزري: ج٢ ص ٢٢٧.

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور: ج٣ ص ١٣٣.

- **فوائد ولطائف :**

الأولى: من كمال ثنائه - عزّوجلّ - على عباده المؤمنين أن جمع لهم في هذه الآية الكريمة بين إخباره عن حالهم وبين حكاية قولهم ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾ وذلك جمعاً لهم بين القول والعمل والماضي والمستقبل، ولا ريب أنّ هذا غاية الثناء والمدح، ولله الحمد والمنة [1] .

الثانية: لم يتعرّض النصّ القرآني - ههنا- لِذِكْر نفي التفريق بين الكتب؛ وذلك لأنّ نفي التفريق بين الرسل يستلزم نفي التفريق بين الكتب، كما أنّ الأصل في تفريق المفرِّقين هم الرسل؛ وكفرهم بالكتب متفرِّع على كفرهم بهم[2] .

الثالثة: إنّ التفضيل الذي جاء في قوله تعالى ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض..﴾ الآية[3] إنّـــما هو في مزايا أخرى فوق الرسالة، ولا تعارض مع قوله تعالى ههنا ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾ [4] .

الرابعة: من البلاغة القرآنية ههنا أسلوب الالتفات، فإنّه بعد أن كان سبحانه يتكلّم بالغيبة عن المؤمنين التفت في الكلام وانتقل إلى أسلوب المتكلّم عنهم بتقدير أنّه مقول قول محذوف دلّ عليه السياق كما بيّنت ذلك آنفاً [5] .

الخامسة: قال الله تعالى: ﴿بين أحد﴾ ولم يقل بين آحاد؛ وذلك لأنّ (أحد) يتناول الواحد والجمع، وهي المختصة بالنفي وما أشبهه؛ إذ هي للعموم، ولذلك دخلت (مِن) عليها كقوله تعالى ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ [6] .

---

(١) انظر: النكت والعيون للماوردي ج١ ص ٣٠٠.

(٢) انظر: حاشية الجمل على الجلالين ج١ ص ٢٣٧.

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٥٣).

(٤) انظر: تفسير المراغي ج٣ ص٨٥.

(٥) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٣ ص ١٣٣.

(٦) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ج٢ص ٣٦٥؛ فتح القدير للشوكاني ج١ ص ٣٨٤. والآية =

السادسة: قوله تعالى: ﴿من رسله﴾ إظهار في محلّ الإضمار، أي فلم يقل لا نفرق بين أحد منهم كقوله في نفس السورة ﴿وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم﴾ الآية [١]. وكقوله في سورة آل عمران ﴿وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ [٢]، وذلك لاحتمالين: إمّا للاحتراز عن توهّم اندراج الملائكة في هذا الحكم، وإمّا للإشعار بعلّة عدم التفريق بينهم، وهي أنّهم أصحاب رسالة من الله تعالى [٣] .

المطلب الرابع: بيان قوله تعالى ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾

يخبر الله – تبارك وتعالى – مادحاً عباده المؤمنين في هذا الجزء الأخير من الآية في امتثالهم لأوامره ونواهيه إثر حكاية إيمانهم، فقولهم (سمعنا) ليس المراد منه السماع الظاهر؛ لأنّ هذا لا يفيد المدح لهم، بل المراد أنـــهم سمعوا بآذان عقولهم أي عقلوه وعلموا صحّته وتيقّنوا أنّ كلّ تكليف جاءهم من عند ربهم فهو حق واجب القبول. فغاية قولهم سمعنا هو رضاهم وقبولهم بما جاءهم من شرع الله تعالى، فهو السماع النافع الدافع إلى العمل والامتثال ومثله قوله تعالى ﴿إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ [٤]. والمراد: لمن سمع الذكرى بفهم حاضر وقبول، وعكسه قوله تعالى ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾[٥]، ومثله أيضاً قوله سبحانه وتعالى ﴿يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصرّ

= في سورة الحاقة رقم (٤٧).

(١) سورة البقرة: الآية رقم (١٣٦).

(٢) سورة آل عمران: الآية رقم (٨٤).

(٣) انظر: فتح القدير للشوكاني ج١ ص ٣٨٤.

(٤) سورة ق: الآية (٣٧).

(٥) سورة الأنفال: الآية (٢١).

مستكبراً كأن لم يسمعها﴾ الآية [١]، ولهذا المعنى من الرضا والقبول قالوا بعدها (وأطعنا) أي امتثلنا [٢]. وقد عبّر ابن كثير عن ذلك كلّه بقوله: «أي سمعنا قولك يا ربنا وفهمناه وقمنا به وامتثلنا العمل بمقتضاه» [٣].

● فوائد ولطائف :

الأولى: إنّ قول المؤمنين (سمعنا وأطعنا) ينبئ عن شخصية المؤمن الملتزمة بعموم ما جاء به النبي ﷺ من الكتاب والسنة وأنّه دوماً سمّاعاً قابلاً مذعناً ومنقاداً لأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ، ولهذا قال السعدي في تفسيره: «هذا التزام من المؤمنين عام لجميع ما جاء به النبي ﷺ من الكتاب والسنة، وأنـــهم سمعوه سماع قبول وإذعان وانقياد» [٤]. وعلى هذا فإنّ قولهم (سمعنا وأطعنا) مقالة ينبغي أن يتمثّلها المؤمن كلَّ حياته، وفي هذا الشأن قال الثعالبي أنّ هذه الجملة (مدح يقتضي الحضّ على هذه المقالة وأن يكون المؤمن يمتثلها غابر الدهر) [٥].

الثانية: إنّ في قوله تعالى ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾ تعريضاً بالتوبيخ والردّ لأولئك الذين قالوا (سمعنا وعصينا) من اليهود وأشباههم، وقد أخبر الله تعالى عن قولهم هذا في آيتين إحداهما بسورة البقرة بقوله عزوجل ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ...﴾ الآية [٦]، وثانيهما في سورة النساء بقوله سبحانه ﴿من الذين هادوا

(١) سورة الجاثية: الآية (٨).

(٢) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٧ ص ١٣٧؛ البحر المحيط لأبي حيان ج٢ ص ٣٦٦؛ تفسير ابن كثير ج١ ص ٣٤٢؛ حاشية الصاوي على الجلالين ج١ ص ١٣٦؛ روح المعاني للآلوسي ج٣ ص ٦٩؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج٣ ص ١٣٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ج١ ص ٣٤٢.

(٤) تفسير السعدي: ج١ ص ٣٥٢.

(٥) تفسير الثعالبي: ج١ ص ٢٣٧.

(٦) سورة البقرة: الآية رقم: (٩٣).

يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليّاً بألسنتهم وطعناً في الدين﴾. الآية [١] .

الثالثة: يذكر ابن عاشور في وجه مجيء الفعلين (سمعنا وأطعنا) بلفظ الماضي دون المضارع فيقول: «إنّما جيء بلفظ الماضي دون المضارع ليدلّوا على رسوخ ذلك لأنـــهم أرادوا إنشاء القبول والرضا؛ وصيغ العقود ونحوها تقع بلفظ الماضي نحو بعت واشتريت.. إلخ»[٢]. وهذه لطيفة تنبئ عن غاية الدقّة في الفهم من ابن عاشور رحمه الله .

الرابعة: إنّ في تقديم السمع على الطاعة مراعاة لكون الوسيلة تتقدم على الغاية؛ فإن التكليف طريقه السمع والطاعة غايته وهدفه [٣] .

الخامسة: إشارة إلى ما ذكرته في تقديم الحديث عن قوله تعالى ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾ بأنّه بعد أن حكى الله إيمان المؤمنين حكى عنهم بعده امتثالهم لمقتضاه فللفخر الرازي كلام مفيد ولطيف في ذلك حيث قال: «إنّ كمال الإنسان في أن يعرف الحقّ لذاته والخير لأجل العمل به، واستكمال القوة النظرية بالعلم، واستكمال القوة العملية بفعل الخيرات، والقوة النظرية أشرف من القوة العملية. والقرآن مملوء من ذكرهما بشرط أن تكون القوة النظرية مقدمة على العملية، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام ﴿رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين﴾ الآية [٤]، فالحكم القوة النظرية وألحقني بالصالحين كمال القوة العملية، وإذا كان هذا فإنّ الأمر في هذه الآية كذلك فقوله ﴿كل آمن بالله وملائكته

(١) انظر: حاشية الصاوي على الجلالين ج١ ص ١٣٦؛ والآية بسورة النساء رقم (٤٦).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور: ج٣ ص ١٣٤.

(٣) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ج٢ ص ٣٦٦؛ روح المعاني للآلوسي ج٣ ص ٦٩؛ فتح القدير للشوكاني ج١ ص ٣٨٤.

(٤) سورة الشعراء: الآية (٨٣).

وكتبه ورسله﴾ إشارة إلى استكمال القوة النظرية بهذه المعارف الشريفة، وقوله ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾ إشارة إلى استكمال القوة العملية الإنسانية بهذه الأعمال الفاضلة الكاملة›› ثم قال رحمه الله: ‹‹ومن وقف على هذه النكتة علم اشتمال القرآن على أسرار عجيبة غفل عنها الآخرون››[1]. ولقد صدق فيما قال .

المطلب الخامس: بيان قوله تعالى ﴿غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وهذه الجملة الكريمة تتمة للجزء الأخير من الآية إذ يخبر سبحانه وتعالى فيها عن حال المؤمنين بعد قبولهم ورضاهم بما أمر وقيامهم بطاعته، يخبر عن سؤالهم المغفرة والرحمة واللطف إثر ذلك لما يخشونه من التقصير في حقّه – عزوجل– أو لأنّ عبادتهم التي قاموا بها وأعمالهم التي عملوها وإن كانت فيما يحبّ؛ ولكنها بالنسبة إلى جلاله وعظمته تقصير ونقصان [2]، وهو كقوله تعالى ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون﴾ [3]. وللصاوي في حاشيته على الجلالين إضافة حسنة في هذا الشأن إذ قال: ‹‹فالإنسان يطلب المغفرة، ولو في حالة الطاعة بسبب ما يطرأ عليها من العجب وحبِّ المحمدة وغير ذلك من الآفات التي تذهبها، فالعارف لايعتمد على أعماله أبداً، وعلامة ذلك كونه يجدد التوبة والاستغفار ولو كان متلبساً بأكبر الطاعات››[4] .

● معنى (غفرانك) وصيغتها:

الغفران: مصدر بصيغة (فُعلان) وهي صيغة مبالغة، وهي بمعنى المغفرة

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٧ ص ١٣٥.

(٢) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ج٢ ص ٣٦٦.

(٣) سورة المؤمنون: الآية رقم (٦٠).

(٤) حاشية الصاوي على الجلالين: ج١ ص ١٣٦. وانظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٧ ص ١٣٧.

والغَفْر. وأصل معناه التغطية والسَّتْر، والمراد منه ستر الذنوب والتجاوز عن الخطايا ومحوها، وإنـــما يكون ذلك بعدم الفضيحة بها في الدنيا وترك الجزاء عليها في الآخرة[١].

ولكون (غفران) صيغة مبالغة فقد قال صاحب نظم الدرر: ((وهي صيغة مبالغة تعطي الملء ليكون غفراً للظاهر والباطن، وهو مصدر محيط المعنى نازل منـــزلة الاستغفار الجامع لما أحاط به الظاهر والباطن))[٢]. ولمثله قال الفخر الرازي أيضاً: ((فأظنّ أنّ المراد من قوله (غفرانك) هو ذلك الغفران الكبير كأنّ العبد يقول: هب أنّ جرمي كبير لكن غفرانك أعظم من جرمي))[٣].

–ومعنى قولهم (غفرانك ربنا) أي نسألك غفرانك؛ على أنّ (غفرانك) مفعول به. أو المعنى: اغفر لنا غفرانك؛ على أنّ (غفرانك) مفعول مطلق. وكلا الوجهين جائزان. وقد ذهب الآلوسي إلى أنّ الأولى من الوجهين أن يكون (غفرانك) مفعول مطلق، وعلّل ذلك بأنّ في كون (غفرانك) مفعول به ما يقتضي من تقدير الفعل الخاص المحوج إلى اعتبار القرينة[٤].

هذا وقد ذهب الزمخشري إلى أنّ (غفرانك) منصوب بإضمار فعله فيقال: غفرانك لا كفرانك، أي نستغفرك ولا نكفرك. وعلى هذا الوجه الثالث تكون الجملة خبرية، وعلى الوجهين السابقين تكون طلبية. ولا ريب أنّ ما ذكره

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ج٥ ص ٢٥؛ تفسير الطبري ج٣ ص١٠٢، حاشية الصاوي على الجلالين ج١ ص١٣٦؛ نظم الدرر للبقاعي ج١ ص ٣٥٥؛ المنار لمحمد رشيد رضا ج٣ ص ١٤٥.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ج١ ص ٣٥٥.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٧ ص ١٣٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري ج٣ ص ١٠٢؛ النكت والعيون للماوردي ج١ ص ٣٠٠؛ البحر المحيط لأبي حيان ج٢ ص ٣٦٦؛ تفسير القرطبي ج٣ ص ٤٢٩؛ حاشية الصاوي على الجلالين ج١ ص ١٣٦؛ روح المعاني للآلوسي ج٣ ص ٦٩؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج٣ ص ١٣٤.

الزمخشري وجه سائغ في اللغة أيضاً [1] .

–وأمّا قوله تعالى بعد (غفرانك) حكاية عن المؤمنين ﴿ربنا﴾ فهو على سبيل النداء له تعالى، وحرف النداء محذوف، والتقدير: يا ربنا وإنــما حذف حرف النداء للدلالة على قربهم من ربّهم عزّ وجل، ولذلك قال صاحب نظم الدرر: «وهو خطاب قرب من حيث لم يظهر فيه أداة نداء، ولم يُجْرِ الله سبحانه على ألسنة المؤمنين في كتابه العزيز نداء بُعد قط» [2].

أقول: وقد تأمّلت الآيات الواردة في نداء المؤمنين لربهم – سبحانه – فوجدت ما قاله البقاعي قولاً دقيقاً، وهو مشعر – بما ذكرت – من قربهم له عزّوجلّ، كما أنّه مشعر بقربه عزّوجلّ منهم، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريبٌ أجيب دعوة الداع إذا دعان ...﴾ الآية [3] .

● لطائف :

الأولى: في وجه إضافة الغفران إلى الله تعالى بقوله ﴿غفرانك﴾ يراد منه غفرانه الذي يليق إضافته إليه لما له من الكمال والشرف والجلال؛ والذي لا يبلغ إليه العبد إلا بفضله تعالى وكرمه وجوده، فهو طلب من المؤمنين بأن يعاملهم بما هو أهله لا بما هم أهله [4].

الثانية: في ندائهم الله تعالى في مقام طلب الغفران بوصف الربوبية الدالّ على إحسانه بهم وابتغائه خيرهم ومصلحتهم استلطاف له سبحانه ومزيد طلب ورجاء لرحمته وإحسانه بهم [5] .

---

(١) انظر: تفسير الكشاف للزمخشري ج١ ص ١٧٢.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ج١ ص ٣٥٥.

(٣) سورة البقرة: الآية رقم (١٨٦).

(٤) انظر: نظم الدرر ج١ ص ٣٥٥.

(٥) انظر: نظم الدرر ج١ ص ٣٥٥.

وفي هذا يقول أبو السعود: ((والتعرّض لعنوان الربوبية مع الإضافة إليهم للمبالغة في التضرّع والجؤار))[١] .

الثالثة: إن الأصل في الكلام أن يتقدّم المنادى في النداء قبل الطلب الذي نودي من أجله، ولكنّما قدّم – ههنا– طلب الغفران على المنادى لإظهار كمال الرغبة في هذا الطلب وخلوص الطالب له وبيان غاية الأهمية في رجاء الحصول عليه من المنادى وهو الحقّ عزّوجل .

الرابعة: قدّم المؤمنون قولهم (سمعنا وأطعنا) على طلبهم الغفران من الله تعالى لما أنّ تقديم الوسيلة على المسؤول أدعى إلى الإجابة والقبول [٢]. فيُعلَم من هذا أَنّ طاعة الله تبارك وتعالى هي سبب لإجابة الدعاء ونيل المغفرة منه سبحانه .

- في وجه ختم الآية بقولهم ﴿وإليك المصير﴾:

هذه الجملة الكريمة هي آخر ما يذكره الله – عزوجل– عن إيمان عباده المؤمنين، وهو إقرارهم بأنّ الرجوع والبعث من بعد الموت إليه، ولا ريب أنّ هذا يفيده ما ذكره الله عنهم من قبل، فإنّ من إيمانهم بالله وملائكته وكتبه ورسله إيمانهم باليوم الآخر الذي أخبر الله عنه؛ وأنّه كائن لا محالة على ما أوحت به ملائكته إلى رسله وأنـــزله في كتبه؛ ولكنّما جيء به هنا على لسانهم تصريحاً به في موطن طلب الغفران منه تعالى؛ إذ هو تقرير لحاجتهم إلى هذا الغفران الذي ينجيهم يوم المصير إليه للحساب والجزاء. فقوله تعالى ﴿وإليك المصير﴾ تذييل لما قبله مقرِّر للحاجة إلى المغفرة [٣]. وإلى هذا المعنى أشار ابن جرير الطبري بقوله:

---

(١) تفسير أبي السعود: ج١ ص ٢٧٦.

(٢) انظر: تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٦.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٦؛ تفسير الآلوسي ج٣ ص ٦٩؛ محاسن التأويل للقاسمي ج٣ ص ٣٨٩؛ تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ج٣ ص ١٤٥؛ تفسير القرطبي ج٣ ص ٤٢٩.

((وإليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا فاغفر لنا ذنوبنا))[1]. وعن هذا المعنى عبّر المهايمي – أيضاً– بكلام مختصر مفيد إذ قال: ((كيف لا نستغفرك والمصير إليك))[2] .

● لطيفتان :

الأولى: إنّ في تقديم المجرور في قوله تعالى ﴿وإليك المصير﴾ إفادةً للحصر، أي المصير إليك لا إلى غيرك، وهو قصر حقيقي يقصد به لازم فائدته، وهو العلم بأنهم صائرون إليه تعالى ولايصيرون إلى غيره ممن يعبدهم أهل الضلال[3].

الثانية: إنّ في ختم الآية بقوله تعالى ﴿وإليك المصير﴾ إشارة واضحة إلى أثر الإيمان باليوم الآخر في تمام الإخلاص للطاعات لله تعالى وكمال الاحتراز من السيئات [4] . وبهاتين اللطيفتين يتم الكلام في بيان الآية الأولى من خواتيم سورة البقرة. ولله الحمد والمنّة .

❋ ❋ ❋

(١) تفسير الطبري: ج٣ ص ١٠٢.

(٢) تفسير المهايمي: ج١ ص ١٠٠.

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٣ ص ١٣٤.

(٤) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٧ ص ١٣٨.

المبحث الرابع: بيان الآية الثانية

المطلب الأول: المناسبة لما قبلها

لقد مرّ آنفاً في ذكر سبب نزول خواتيم سورة البقرة أنّه لـمّا نزلت الاية التي أخبر الله فيها أنّه محاسبٌ عباده فيما يخفونه في خواطرهم بقوله ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ اشتدّ ذلك على المؤمنين وداخلهم الحرج والعنت؛ إذ إنّ هذا ممّا يشقّ على الإنسان ويصعب عليه فقد تمرّ به أوقات ضعف وتحدّثه نفسه بأمور لايتكلم بها ولايفعل ما تؤدي إليه، ولـمّا كان ذلك أنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة والتي في بدايتها ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ رحمة وتخفيفاً على المؤمنين ودفعاً للحرج والمشقة والعنت عنهم. فعلى هذا الكلام فالارتباط وثيقٌ بما قبلها؛ والمناسبة ظاهرة وواضحة. وللفخر الرازي حول هذه المناسبة كلام لطيف إذ ذكر عن المؤمنين أنهم لما قالوا (سمعنا وأطعنا) ثم قالوا بعده: (غفرانك ربنا) دلّ ذلك على أنّ قولهم: (غفرانك) طلباً للمغفرة في ذلك التقصير، لا جرم خفّف الله عنهم ذلك وقال: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾، فقوله تعالى ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ هو بمثابة الإجابة والجزاء لهم في دعائهم بقولهم (غفرانك ربنا) [١] .

وبمثل هذا قال الآلوسي عن قوله تعالى ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ أنه «جملة مستأنفة سيقت إخباراً منه تعالى بعد تلقّيهم لتكاليفه سبحانه بالطاعة والقبول بما له عليهم في ضمن التكليف من محاسن آثارالفضل والرحمة ابتداءً لا بعد السؤال» [٢] .

---

(١) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٧ ص ١٣٩؛ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ج٣ ص ٥٥٧.

(٢) روح المعاني للآلوسي: ج٣ ص٦٩. وانظر: تفسير أبي السعود ج١ ص٢٧٧.

هذا وقد تناولت الحديث عن هذا المعنى في ذكر سبب النّزول سابقاً؛ وإنــما أحببت هنا الإشارة لذلك من أجل بيان وجه الارتباط والمناسبة لهذه الآية الكريمة بما قبلها .

المطلب الثاني: بيان قوله تعالى: ﴿لايكلّف الله نفساً إلا وسعها﴾

يبيِّن الله تعالى في هذه الجملة الكريمة أنّه لايُلزم عباده بما فيه كُلْفةٌ ومشقّة على نفوسهم؛ بل إنّه يكلّفهم ويُلزمهم بما في وُسْعهم وطاقتهم وجِدهم ومقدرتهم أو دون ذلك [1] .

ولا ريب أنّ هذا من عدله تعالى ورحمته بعباده ورأفته بهم وتيسيره عليهم. وهذه سنّته – عزوجل – أنّه لا يكلّف نفساً من النفوس إلا ما تطيق وإلاّ ما هو دون ذلك رحمة وفضلاً أو كرامة ومنّةً على عباده .

هذا ولقد جاءت الآيات القرآنية بمثل هذه الجملة في خمسة مواضع (أحدها) في نفس هذه السورة (سورة البقرة) بقوله تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلّف نفسٌ إلا وسعها﴾ الآية[2]. وجاءت الجملة في هذه الآية معترضة تعليلاً لقوله تعالى ﴿بالمعروف﴾؛ لأن الله أحال تقدير ما يجعله الوالد للمرضع ولده من أجر

(١) التكليف هو الأمر بما يشقّ، قال صاحب لسان العرب والجوهري: تكلفت الشيء إذا تجشمته على مشقة وعلى خلاف عادتك. والوُسع: الطاقة والجِدة، وهو أيضاً ما يَسَعُ الإنسان ولايضيق عليه. وقال الفراء: الوسع اسم في مثل الوُجد والجُهد. وانظر (لسان العرب ج٩ ص ٣٠٧، معاني القرآن للفراء ج١ ص ١٨٨، تفسير الطبري ج٣ص١٠٣؛ تفسير القرطبي ج٣ص٤٣٠؛ تفسير البحر المحيط ج١ ص٣٦٦؛ تفسير أبي السعود ج١ص٢٧٧، تفسير الآلوسي ج٣ ص٦٩؛ تفسير البيضاوي ج١ص٢٧٣؛تفسير النسفي ج١ ص ١٤٤).

(٢) سورة البقرة: الآية رقم (٢٣٣).

- من نفقة وكسوة ونحوهما- على ما تعارف عليه أمثالهم من الناس حسب مراتبهم وسعتهم وما لا إجحاف فيه على الوالد [١] .

و (ثانيها) في سورة الأنعام بقوله تعالى: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشدّه وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلّف نفساً إلا وسعها ..﴾ الآية [٢]. وموقع الجملة في هذا الموضع معترضةٌ – أيضاً – للاحتراس، أي لا نكلفكم تمام القسط في الكيل والميزان بالحبة والذرّة ولكنّا نكلّفكم ما تظنون أنّه عدل ووفاء والمقصود من هذا الاحتراس أن لا يترك الناس التعامل بينهم خشية الغلط أو الغفلة؛فيفضي ذلك إلى تعطيل منافع جمّة[٣].

و(ثالثها) بسورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلّف نفساً إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيه خالدون﴾ [٤]، وكذلك موقع الجملة هنا معترضة بين قوله تعالى ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وبين قوله ﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾، وفائدة هذا الاعتراض إظهار الرفق بالمؤمنين؛ لأنّه لما بشرهم بالجنة على فعل الصالحات طمأن قلوبهم بأن لا يُطلبوا من الأعمال الصالحة بما يخرج عن الطاقة، حتى إذا لم يبلغوا إليه أيسوا من الجنة، بل إنـما يُطلبون منها بما في وُسعهم، فإنّ ذلك يرضي ربهم تعالى [٥] .

و(رابعها) في سورة المؤمنون بقوله تعالى: ﴿ولا نكلّف نفساً إلاّ وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحقّ وهم لا يظلمون﴾[٦]، وموقع الجملة هنا تذييل لـما تقدّم من أحوال

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، ج٢ ص٤٣٢.

(٢) سورة الأنعام: الآية رقم (١٥٢).

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٨ ص١٦٥.

(٤) سورة الأعراف: الآية رقم (٤٢).

(٥) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٨ ص ١٣٠.

(٦) سورة المؤمنون: الآية رقم (٦٢).

الذين هم من خشية ربهم مشفقون؛ لأنه لَمّا ذكر ما اقتضى مخالفة المشركين لِما أمروا به من توحيد الدين، وذكر بعده ما دلّ على تقوى المؤمنين بالخشية وصحة الإيمان والبذل ومسارعتهم في الخيرات، ذَيّل ذلك بأنّ الله ما طلب من الذين تقطّعوا أمرهم (المشركين) إلا تكليفاً لا يشقّ عليهم؛ وبأنّ الله عذر من المؤمنين من لم يبلغوا مبلغ من يفوتــــهم من الأعمال عذراً يقتضي اعتبار أجرهم على ما فاتـــهم إذا بذلوا غاية وُسعهم[1].

و(خامسها) في سورة الطلاق بقوله تعالى: ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾[2]. وجاءت الجملة هنا معترضة تعليلاً لقوله تعالى ﴿ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله﴾[3].

وهكذا بالمرور على مواضع مثيلات هذه الجملة الكريمة في آيات القرآن العظيم يشهد المتأمّل ما دارت عليه من أمر تيسير الله تعالى ورفقه بعباده ورفع المشقة والحرج عنهم ولله الحمد والمنّة. وهذا كما قال سبحانه: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾[4]. وكقوله تعالى أيضاً: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾[5].

وأرجع إلى الجملة التي أنا بصدد بيانـــها في خواتيم سورة البقرة فأقول: إنّ بهذه الجملة الكريمة – كما سبق وبينت – انكشفت كربة المؤمنين وفرّج الله عنهم بها همّهم في تأوّلهم أمر الخواطر، ولذلك قال الطبري رحمه الله في بيانها: ((لا يكلّف الله نفساً إلاما يسعها فلايجهدها ولايضيق عليها في أمر دينها فيؤاخذها

---

(١) انظر: التحرير والتنوير ج١٨ ص ٧٨-٧٩.

(٢)سورة الطلاق: الآية رقم (٧).

(٣) انظر:التحرير والتنوير ج٢٨ ص ٣٣١.

(٤) سورة البقرة: الآية رقم (١٨٥).

(٥) سورة الحج: الآية رقم (٧٨).

بهمة إن همّت ولا بوسوسة إن عرضت لها ولا بخطرة إن خطرت بقلبها»[١].

• لطيفة :

في هذه الجملة تشريع من الله تعالى للأمّة بأن ليس لأحدٍ أن يكلّف أحداً إلاّ بما يستطيعه[٢]. ولذلك يقال في المثل: إذا أردت أنْ تطاع فأمر بما يستطاع.

• قصّـــة:

أورد القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره قصة لطيفة في معنى هذه الجملة الكريمة عن الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال: ما وددتُ أنّ أحداً ولدتني أمّه إلاّ جعفر بن أبي طالب، فإني تبعته يوماً وأنا جائع فلمّا بلغ منـــزله لم يجد فيه سوى نِحْي (زقّ) سمن قد بقي فيه أثارة (بقية) فشقّه بين أيدينا، فجعلنا نلعق ما فيه من السمن والرُبّ (الطلاء الخائر) وهو يقول:

ما كلّف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجــود يدٌ إلا بما تجدُ [٣]

المطلب الثالث: بيان قوله تعالى ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾

في هذه الجملة الكريمة ترغيب في المحافظة على مواجب التكليف وترهيب وتحذير عن الإخلال بها، ذلك أنّ الله تعالى بيّن فيها أنّ تكليف كلّ نفس مع مقارنته لنعمة التخفيف والتيسير – الدالّ عليها في الجملة السابقة – تتضمّن مراعاة منفعة زائدة وأنّها تعود إليها لا إلى غيرها، ويستتبع الإخلال مضرّة تحيق بها لا بغيرها، فإن اختصاص منفعة الفعل بفاعله هو من أقوى الدواعي إلى تحصيله، واقتصار مضرّته عليه من أشدّ الزواجر عن مباشرته. فالمراد من هذه

---

(١) تفسير الطبري: ج٣ ص ١٠٣.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور: ج٢ ص ٤٣٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ج٣ ص ٤٢٩ – ٤٣٠.

الجملة الكريمة – على ما سبق ذكره – أنّ لكلّ نفس ثواب ما عملت من الخير الذي كلّفت فعله لا لغيرها، وعليها لا على غيرها عقاب ما عملت واجترحت من الشرّ الذي كلّفت تركه [١]. وفي هذا ما رواه ابن جرير الطبري بسند صحيح عن قتادة أنّه قال: ﴿لها ما كسبت﴾ أي من خير و ﴿عليها ما اكتسبت﴾ أي من شرّ، أو قال: من سوء[٢].

● فوائد ولطائف:

الأولى: استنتج القرطبي – رحمه الله تعالى – على أنّ في هذه الجملة الكريمة دليلاً على صحة إطلاق الكسب والاكتساب على أفعال العباد. ولذلك قال أيضاً أنّه لم يطلق على ذلك لا خَلْق و لا خالق [٣].

الثانية: في تقدّم (لها) و(عليها) على الفعلين (كسبت) و(اكتسبت) إفادة للقصر في هذا المقام، أي أنّ ذلك لها لا لغيرها وعليها لا على غيرها [٤]. وهذا متوافق لدلالة اللام على النفع له؛ ودلالة (على) على الضرّ عليه. وفي هذا قال أبو حيان: ((وجاء في الخير باللام لأنّه مما يفرح به ويسرّ فأضيف إلى ملكه، وجاء في الشر بـ (على) من حيث هو أوزار وأثقال فجعلت قد علته وصار تحتها يحملها))[٥] وأوجز الصاوي حيث قال: ((عبّر في جانب الخير باللام وفي جانب الشر بعلى لأنّ اللام للمسرّة وعلى للمضرّة))[٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري ج٣ ص١٠٢؛ تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٧؛ فتح القدير للشوكاني ج١ ص٣٨٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري ج٣ ص١٠٢-١٠٣.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٣ ص٤٣١.

(٤) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ج١ ص٣٤٦؛ تفسير الآلوسي ج٣ ص٧٠؛ فتح القدير ج١ ص٣٨٤.

(٥) البحر المحيط لأبي حيان: ج١ ص ٣٦٧.

(٦) حاشية الصاوي على الجلالين: ج١ ص١٣٧.

الثالثة: الإتيان بـــ (ما) في قوله تعالى ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ لإفادة الشمول لكلّ جزء من أجزاء المكسوب أو المكتسب للنفس سواء كان ذلك عن طريق الاستقلال بذاتـــها أو الاشتراك مع غيرها[1] .

الرابعة: جاء التعبير في شأن الخير والطاعة بفعل (كسب) وفي شأن الشر والمعصية بفعل (اكتسب)؛ ذلك أنّ الحسنات هي ممّا تكتسب دون تكلّف، إذ النفس مجبولة على فعل الخير والطاعة ولا تتكلّف فيه خرق حجاب نهي الله تعالى؛ أمّا السيئات فجيء بفعل الاكتساب الذي فيه اعتمال ومبالغة، وذلك لأن كاسبها يتكلّف في أمرها ويجدّ في تحصيلها والوصول إليها، فحَسُن في هذه الجملة الكريمة مجيء التصريفين إحرازاً لهذا المعنى [2].

وفي هذا قال المراغي: ((وأضيف الاكتساب إلى الشرّ لبيان أنّ النفس مجبولة على فعل الخير، وتفعل الشرّ بالتكلّف والتأسِّي، إذ الميل إلى الخير ممّا أودع في طبع الإنسان ولا يحتاج إلى مشقة في فعله كما يشعر بالميل إلى عبادة الله لأنّ شكر المنعم مغروس في طبعه، وأمّا الشرّ فإنّه يعرض للنفس لأسباب ليست من طبيعتها ولا من مقتضى فطرتـــها ولا يخفى عليها إذ ذاك أنّـــها ممقوتة في نظر الناس وأنـــها مهينة في قرارة نفوسهم))[3].

أقول: ويؤخذ من هذا التعليل إشارتان: الأولى: كرم الله وتفضّله على خلقه حيث أثابهم على فعل الخير من غير جدّ واعتمال؛ ولم يؤاخذهم على فعل الشر إلا بالجدّ والاعتمال. والثانية: أنّ على النفس التـــزام شرع الله تبارك

(١) انظر: تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٧.

(٢) انظر: تفسير البحر المحيط ج١ ص٣٦٧؛ تفسير القرطبي ج٣ ص ٤٣١؛ تفسير الآلوسي ج٣ ص٧٠؛ تفسير البيضاوي ج١ ص٢٧٣؛ حاشية الجمل على الجلالين ج١ ص٢٣٨؛ حاشية الصاوي على الجلالين ج١ ص١٣٧؛ تفسير المنار ج٣ ص ١٤٦.

(٣) تفسير المراغي: ج٣ ص٨٦.

وتعالى لأنّ فيه السعادة والراحة والطمأنينة لها، وعليها البعد عن السيئات والمعاصي لأنّ في تحصيلها العناء والتعب والجهد والقلق وتكليف النفس بما فيه خسارتـــها وانحطاطها في الدنيا والآخرة .

الخامسة: وتدلّ هذه الجملة الكريمة بغاية الوضوح على أنّ الإنسان مرهَن بعمله، أوما يسميه البعض بفردية التبعة، فلا تجزى نفس إلا بما قدمت من الخير؛ ولا تحمل ولا تزر عليها إلا ما قدّمت من السوء والشر، فترجع إلى ربها وقد وجدت صحيفتها الخاصة بها مقيّداً فيها ما لها وما عليها ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى. وأنّ سعيه سوف يرى. ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ [1]. وبهذه الجملة يستشعر المؤمن مسؤوليته عن تصرفاته صغيرها وكبيرها وأنّه مجازى عليها بخيرها وشرّها .

السادسة: من البلاغة القرآنية في هذه الجملة الكريمة أسلوب المقابلة، فقد طابق النصّ بين (لها) و (عليها) وبين (كسبت) و (اكتسبت)[2] .

المطلب الرابع:

في بيان قوله تعالى: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾

هذه الجملة الكريمة استئناف في ذكر بقية دعوات المؤمنين الذين قالوا من قبل سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، وذلك بعد بيان الله تعالى لشأنه وحكمه في تكليفهم، وهي تصوير لحالتهم معه – عزوجل– مع ما بعدها من الدعوات في إدراكهم لضعفهم وعجزهم وحاجتهم إلى رحمته ومغفرته وعفوه وعونه والتجائهم إلى كنفه وحماه وانتسابهم إليه وتجرّدهم من كل من عداه.. وبهذا التصوير والوصف فإنّه تعالى يعلّم عباده المؤمنين كيف يدعونه وما يقولونه في

(١) سورة النجم: الآيات (٣٩، ٤٠، ٤١).

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحي الدين الدرويش: ج٣ ص٤٥١ .

دعائهم له، ولا ريب أنّ في هذا التعليم الإلهي رحمة منه تعالى بهم وفضلاً وكرماً، فهو سبحانه لم يأمرهم بالدعاء فقط ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾[١]، بل يتكرّم عزوجلّ أيضاً بأن يعلّمهم جُمَل دعائه وطريقة دعائه وهذا التعليم أيضاً يشير إلى أنّه سبحانه يحبّ أن يُدعى بهذه الدعوات لكونه الدالّ عليها، ومثلها مثل العديد من الدعوات التي جاءت في القرآن الكريم يعلّمها الله تعالى لعباده، ولذلك فإنّ أفضل الدعاء ما أخبر عنه بكلامه عزّ من قائل متكلّم سبحانه .

وافتتحت هذه الجملة من الدعاء بقولهم (ربنا) إيذاناً منهم بأنهم يرغبون ويطلبون من ربهم الذي هو مربِّيهم ومصلح أحوالهم وهم مُقِرُّون بأنـــهم مربوبون داخلون تحت رقِّ العبودية له والافتقار إليه تعالى [٢]. فهو إشعار منهم بعبوديّتهم له وافتقارهم إليه وذلّهم بين يديه؛ وأنه هو الغنيّ عنهم والمتفضِّل عليهم بربوبيته لهم ورعايته لما يصلحهم في أمور دينهم ودنياهم وآخرتهم .

وقولهم (لاتؤاخذنا) أي لا تعاقبنا؛ إذ إنّ المؤاخذة هي المعاقبة، من الأخذ؛ لأنّ من يراد عقابه يؤخذ بيد القهر، ويدلّ على هذا المعنى قوله تعالى ﴿فكلاًّ أخذنا بذنبه..﴾ الآية [٣]، وقوله تعالى أيضاً: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة..﴾ الآية [٤]. وقوله تعالى كذلك: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة...﴾ الآية[٥]. وغير ذلك من الآيات التي جاءت في القرآن في معنى المؤاخذة بأنـــها المعاقبة[٦] .

---

(١) سورة غافر: الآية (٦٠).

(٢) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ج٣ ص٣٦٧.

(٣) سورة العنكبوت: الآية (٤٠).

(٤) سورة فاطر: الآية (٤٥).

(٥) سورة النحل: الآية (٦١).

(٦) انظر:لسان العرب لابن منظور ج٣ ص٤٧٣؛ تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ج٣ ص ١٤٩.

ولسائل أن يسأل ما وجه مجيء ﴿لاتؤاخذنا﴾ بلفظ المفاعلة مع أنّ الأخذ بالذنب صادر عن فاعل واحد وهو الله عزّوجلّ؟ وقد أجيب على هذا السؤال من وجهين: أحدهما: أنّ المذنب قد أمكن من نفسه، وكان سبباً في عقابها بفعله الذنب وظلمه لها، فصار بذلك مع من يعاقبه بذنبه كالمعين له في عقابه نفسه فحَسُنت المفاعلة. وثانيهما: أنّ الله تعالى يأخذ المذنب بالعقوبة، والمذنب كأنّه يأخذ ربّه سبحانه بالمطالبة بعفوه ورحمته وكرمه؛ إذ لايجد من يخلّصه من عذابه إلا هو، فيتمسّك العبد عند الخوف منه تعالى به، فلمّا كان كلّ واحد منهما يأخذ الآخر عُبِّر عنه بلفظ المؤاخذة التي تقتضي المفاعلة من الطرفين[1] .

وقولهم (إن نسينا أو أخطأنا) معناه أنهم يدعونه تعالى أن لا يعاقبهم إن تركوا[2] عملاً من الأعمال التي فرضها عليهم فلم يعملوه أو أخطأوا في فعل شيء نهوا عن فعله بغير قصد منهم وإصرار على معصيته عزوجلّ والخروج عن أمره وتعدِّي حدوده؛ بل عن جهالة منهم وغلبة هوى بسبب ضعف بشري[3].

---

(١) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٧ ص١٤٤؛ غرائب القرآن للنيسابوري ج٣ ص١٠٩؛ حاشية الجمل على الجلالين ج١ص٢٣٨.

(٢) المراد بالنسيان هنا الترك، وهو أحد معنييه الذي جاء به القرآن الكريم، وأمثلته متعددة مثل قوله تعالى ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ التوبة: ٦٧ أي تركوا الله فتركهم، فلما كان النسيان ضرباً من الترك وضع موضعه، ومثله أيضاً ﴿كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ طه: ١٢٦، ومثله كذلك ﴿فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا﴾ الأعراف: ٥١. انظر: لسان العرب لابن منظور ج١٥ ص٣٢٢-٣٢٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري ج٣ ص١٠٤، النكت والعيون للماوردي ج١ ص ٣٠٠؛ زاد المسير لابن الجوزي ج١ ص٣٤٧؛ غرائب القرآن للنيسابوري ج٣ ص١٠٩-١١٠؛ فتح القدير للشوكاني ج١ ص٣٨٤.

● لطيفتان:

الأولى: لعلّ في إيراد الشرط بـــ (إن) إيذاناً بأنّ هذا خلاف ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن وأنّه لايقع إلا قليلاً [(١)] .

الثانية: إنّ في حكاية هذا الدعاء وما بعده بصيغة الجمع بياناً بأنّه إذا اجتمعت النفوس والهمم على شيء كان حصوله وإجابته أكمل وأرجى[(٢)].

المطلب الخامس:

بيان قوله تعالى: ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا﴾

تبتدئ هذه الجملة الكريمة كسابقتها؛ إذ يكرّر النداء من المؤمنين بقولهم (ربنا)؛ وإن كان حرف النداء يقتضي العطف على ما قبله من الدعاء. وفي هذا التكرار إظهار لمزيد التضرّع واللجوء إلى الله تعالى من جهة، وتنويه بعظم مقام الربوبية لله تعالى في حسن التربية وكمال الإحسان والرّأفة من جهة أخرى[(٣)].

وهم يسألون الله – عزّوجلّ– ههنا أن لا يأخذ ويحمل عليهم عهداً ثقيلاً فيعجزون عن القيام به ولا يستطيعونه كما حمله على اليهود والنصارى الذين أخذت عهودهم ومواثيقهم على القيام بأعمال وتكاليف شاقّة وصعبة فلم يقوموا بها فعوجلوا بالعقوبة .

وهذا المعنى هو الذي قال به عمدة المفسرين الإمام ابن جرير الطبري وأكثر المفسرين من بعده، وهو الراجح، وبه ثبتت الرواية عن ابن عباس رضي

---

(١) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ج٣ ص ١٥٠.

(٢) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٧ ص ١٤٩؛ غرائب القرآن للنيسابوري ج٣ ص١١٢.

(٣) انظر: نظم الدرر للبقاعي ج١ ص ٥٥٨؛ حاشية الجمل على الجلالين ج١ ص ٢٣٩؛ فتح القدير للشوكاني ج١ ص ٣٨٥.

الله عنهما ومجاهد والضحاك والسدِّي وابن جريج والزجاج وغيرهم[1]، ذلك أنّ الإصر في اللغة هو الثقل والشّدة. قال النابغة:

يا مانع الضَيْم أن يغشى سراقم والحامل الإصر عنهم بعد ما عزموا

فهو العبء الثقيل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه مكانه لايستقلّ به لثقله، ثمّ سُمي العهد إصراً لثقله وشدّته وعظم ميثاقه، ومنه قوله تعالى ﴿قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري﴾ [2] أي عهدي وميثاقي، ومنه أيضاً قوله تعالى ﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ [3]. قال الراغب: «أي الأمور التي تثبطهم وتقيّدهم عن الخيرات وعن الوصول إلى الثوابات، ثم قال: والإصر العهد المؤكّد الذي يثبِّط ناقضه عن الثواب والخيرات»[4].

وبهذا يتبيّن أنّ أنسب وأرجح ما يقال في معنى الإصر ههنا هو ما ذكرته. ولله الحمد والمنّة.

وقوله تعالى ﴿كما حملته على الذين من قبلنا﴾ هو في حيِّز النصب على أنّه صفة لمصدر محذوف، أي حملاً مثل حملك إيّاه على من قبلنا. أو على أنّه صفة لإصراً، أي إصراً مثل الإصر الذي حملته على من قبلنا. ومن أمثلة ما حُمِل على من قبلنا قطع موضع النجاسة من الثوب دون غسلها، وفرض خمسين صلاة في

(١) انظر: تفسير الطبري ج٣ ص ١٠٤؛ الكشاف للزمخشري ج١ ص ١٧٢؛ الدر المنثور للسيوطي ج٢ ص ١٣٥؛ تفسير القرطبي ج٣ ص ٤٣٢، زاد المسير لابن الجوزي ج١ ص ٣٤٧؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٧ ص ١٤٦؛ فتح القدير للشوكاني ج١ ص ٣٨٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية (٨١).

(٣) سورة الأعراف: الآية (١٥٧).

(٤) المفردات للراغب الأصفهاني ص ١٩، وانظر: لسان العرب لابن منظور ج٤ ص ٢٢؛ الكشاف للزمخشري، ج١ ص ١٧٢؛ تفسير القرطبي ج٣ ص ٤٣٢؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٧ ص ١٤٦.

اليوم والليلة، وصرف ربع المال للزكاة، وتحريم بعض ما كان حلالاً لهم من الطعام بسبب الإتيان بالخطيئة كما قال تعالى ﴿فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيبات أحلت لهم...﴾ الآية [١]. وغير ذلك [٢].

- لطيفة:

في قوله عزّ وجلّ ﴿كما حملته على الذين من قبلنا﴾ تعظيم للمنّة من الله تعالى على عباده المؤمنين؛ إذ في هذه الجملة تأكيدٌ لما يحمل على الشكر في تخفيف ذلك عنهم؛ وأنه قد كان من الجائز أن يحمل عليْهم الإصر كما حمله على الذين من قبلهم [٣]، ولله الحمد والمنّة.

المطلب السادس: بيان قوله تعالى ﴿ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به﴾

وهذا الدعاء الكريم مثل سابقيه يبتدئ بنداء المؤمنين لربهم سبحانه بقولهم (ربنا)، وإعادته وتكراره للنكتة التي بينتها فيما قبل. والواو بعد قولهم (ربنا).

هي لعطف هذا الدعاء على ما قبله بإلحاقه بمعناه من مسألتهم التيسير، فيحتمل أن يكون تقريراً لسؤالهم أن لا يحمل عليهم إصراً كما حمله – سبحانه – على الذين من قبلهم، وذلك بأنهم يسألونه أن لا ينـــزل بهم من العقوبات والبلاء؛ فهو استعفاء عن العقوبات التي لا تطاق بعد الاستعفاء عمّا يؤدي إليها التفريط فيه من التكاليف الشاقة التي لا يكاد من كُلّفها يخلو عن التفريط فيها، كأنه قيل: لا تكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا في المحافظة عليها، وبهذا –أيضاً–يكون التعبير عن إنــزال العقوبات بالتحميل باعتبار ما يؤدي إليها.

---

(١) سورة النساء: الآية (١٦٠).

(٢) انظر: تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٧.

(٣) انظر: نظم الدرر للبقاعي ج١ ص ٥٥٨.

ويحتمل أن يكون هذا الدعاء تأكيداً لسابقه بتصوير الإصر بصورة ما لا يستطاع مبالغة [1] .

أقول: ولا مانع من اشتمال هذا الدعاء على الأمرين كليهما إذ هما يدخلان في عموم ما لا يطاق. والله أعلم بمراده .

● فوائد ولطائف :

الأولى: روي عن قتادة في قوله تعالى ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا﴾ قال: كم من تشديد كان على من كان قبلنا. وفي قوله ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ قال: كم من تخفيف ويسر وعافية في هذه الأمّة [2] .

الثـــانية: عُبِّر بالتفعيل في قوله (ولا تحمِّلنا) لتعدية الفعل إلـــى مفعول ثاني؛ وبما يقتضيه المقام لما فيه بما يفهم من العلاج من مناسبة التكليف بما لا يطاق[3] .

المطلب السابع: بيان قوله تعالى: ﴿واعف عنا واغفر لنا وارحمنا﴾

تتمة لدعاء المؤمنين وطمعاً منهم في مزيد فضله وكرمه وإحسانه –عزّوجلّ – بهم قالوا (واعف عنا واغفر لنا وارحمنا). وأرادوا بالعفو الصفح عمّا ارتكبوه من الذنوب وإسقاط العقاب بسببها عنهم، ثمّ طلبوا المغفرة وهي ستره عليهم وعدم فضحهم بتلك الذنوب على رؤوس الأشهاد صوناً لهم من عذاب التخجيل، وذلك لأنّ العفو عن الشيء لايقتضي ستره، ولايطيب العفو إلا بترك الفضيحة، فبالعفو يُتخلّص من العذاب الجسدي و بالمغفرة يتخلّص من العذاب النفسي .

---

(١) انظر: تفسير الطبري ج٣ ص ١٠٥؛ تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٧؛ تفسير البيضاوي ج١ ص ٢٧٤.

(٢) الدر المنثور للسيوطي: ج٢ ص ١٣٥.

(٣) نظم الدرر للبقاعي: ج١ ص ٥٦٠.

ومن بعد المغفرة سألوا الرحمة منه – سبحانه – وهو غاية الإحسان منه، وهم بهذا السؤال طلبوا إفاضة الخير عليهم في الدنيا والآخرة إذ هو – عزّوجلّ– رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما [١] .

وفي هذا المعنى قال الراغب الأصفهاني: «العفو إزالة الذنب بترك عقوبته، والغفران ستر الذنب وإظهار الإحسان بدله، فكأنّه جمع بين تغطية ذنبه وكشف الإحسان الذي غطى به، والرحمة إفاضة الإحسان إليه، فالثاني أبلغ من الأول والثالث أبلغ من الثاني» [٢] .

● لطيفـــتان:

الأولى: يلاحظ أنّه لم يفتتح الدعاء في هذه الجملة الكريمة بالنداء بقولهم (ربنا) كما في الأدعية الثلاثة السابقة، ولقد أشار الفخر الرازي إلى سبب ذلك حيث قال: «إنّ النداء إنـــما يحتاج إليه عند البعد، أمّا عند القرب فلا، وإنّـــما حذف النداء إشعاراً بأنّ العبد إذا واظب على التضرّع نال القرب من الله تعالى، وهذا سرٌّ عظيم يطلع منه على أسرار أخرى»[٣] .

الثانية: في تقديم طلب العفو والمغفرة على طلب الرحمة – مع ما سبق وذكرته من قبل – قال أبو السعود: «تقديم طلب العفو والمغفرة على طلب الرحمة لما أنّ التحلية سابقة على التحلية»[٤] .

---

(١) انظر: تفسير الطبري ج٣ ص ١٠٥؛ البحر المحيط لأبي حيان ج١ ص ٣٧٠؛ غرائب القرآن للنيسابوري ج٣ ص ١١٢ – ١١٣؛ حاشية الجمل على الجلالين ج١ ص ٢٣٩؛ فتح القدير للشوكاني ج١ ص ٣٨٥.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان: ج١ ص ٣٧٠.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٧ ص ١٤٩ – ١٥٠ وانظر غرائب القرآن: ج٣ ص ١١٢-١١٣.

(٤) تفسير أبي السعود: ج١ ص ٢٧٧.

المطلب الثامن:

بيان ختام الآية بقوله تعالى ﴿أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾

وهذه الجملة الكريمة هي الختام لخواتيم سورة البقرة، ولقد ابتدأت بقول المؤمنين وهم يخاطبون ربهم – عزّوجلّ – بعد تلك الدعوات المباركات: ﴿أنت مولانا[1]﴾، وهو خطاب بكلام يدلّ على نهاية خضوعهم لله تعالى وتذلّلهم واعترافهم بأنه – سبحانه – هو المتولّي لكلّ نعمة يصلون إليها وهو المعطي لكلّ مكرمة يفوزون بها، وهو أيضاً وليّهم الذي يلوذون به ويلتجأون إليه ويتوكلون عليه في كلّ مهمّاتهم وأمورهم وإصلاح شؤونهم. ومن أعظم ما يكون من أمورهم وشؤونهم وبه صلاح دينهم ودنياهم وآخرتهم هو الظفر على الكافرين أعدائه وأعداء دينه، ولذلك هم يُتبِعون خطابهم له – وهو نعم المولى ونعم النصير – بطلب الظفر على الكافرين ﴿فانصرنا على القوم الكافرين﴾، ومن حقّ المولى أن ينصر من يتولاه ويجيره ويحوطه بعنايته ويكلأه برعايته [2].

وعلى هذا المعنى فإنّ (الفاء) في قوله ﴿فانصرنا﴾ للتعليل، فالجملة مسوقة لتعليل ما تقدّم، فإنّ كونه – عزّوجلّ – مولى الذين آمنوا سبب لطلب نصرهم منه تعالى [3]. وهكذا فقد جاء الختام شاهداً على أسمى ما يحمله المؤمنون في

(١) المولى: مفعل من ولي يلي، وهو هنا مصدر يراد به الفاعل، ويجوز أن يكون على حذف مضاف، أي: صاحب تولينا أي نصرتنا. (حاشية الجمل على الجلالين: ج١ ص ٢٣٩؛ وانظر: لسان العرب ج١٥ ص٤٠٦-٤٠٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري ج٣ ص ١٠٧؛ الكشاف للزمخشري: ج١ ص ١٧٣؛ تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٧؛ فتح القدير للشوكاني: ج١ ص ٣٨٥.

(٣) انظر: البحر المحيط لأبي حيان: ج١ ص ٣٧٠؛ تفسير الآلوسي: ج٣ ص٧١، حاشية الجمل على الجلالين: ج١ ص ٢٣٩؛ إعراب القرآن للدرويش ج١ ص ٤٥٠.

قلوبهم من الرغبة الصادقة في إعلاء كلمة الله تعالى وتمكين أمر دينه على هذه الأرض لما يتبع ذلك من إقامة الحق واستقامة الخلق بما يحقق خيري الدنيا والآخرة.. وإنّما هو الجهاد ذروة سنام الإسلام الذي جعله الله طريق النصر والعزّة والكرامة للأمّة المؤمنة.. فما أعظمها من جملة ختمت بها سورة هي من أعظم سور القرآن الكريم .

هذا وقد روى الطبري بسنده أنّ معاذ بن جبل رضي الله عنه كان إذا فرغ من هذه السورة قال: آمين. وذلك لما حوته هذه الخواتيم من الدعاء. ولا ريب أنّ المؤمن يدعو الله تعالى بهذه الدعوات المباركة التي هي من أعظم ما جاء من أدعية القرآن الكريم .

- لطائف:

الأولى: قول المؤمنين (أنت مولانا) استئناف للكلام بمثابة الاعتراف بين يدي الله تعالى بأنّه المولى ولا مولى سواه، فهو تبرّء من ولاية كلّ أحد سواه.. اعتراف خضوع وذلّة.. وهو وسيلة لإجابة دعائهم فكأنّهم يقولون: أنت ولينا ولا مولى لنا سواك، ونحن عبيدك ونواصينا بيدك فتولّ أمرنا ولاتكلنا إلى أنفسنا طرفة عين .

الثانية: ذِكرُ لفظ (القوم) للتعميم؛ لأنّ النصر على الأفراد لايستلزم النصر على المجموع، فدفع ذلك الإيهام بذكر لفظ القوم [1] .

الثالثة: وفي مناسبة مجيء هذا الدعاء الكريم بعد قوله تعالى في الآية السابقة التي بدايتها ﴿لايكلّف الله نفساً إلا وسعها﴾ ذكر البقاعي كلاماً حسناً لطيفاً إذ قال: «ولّما بشرهم بذلك عرّفهم مواقع نعمه في دعاء رتّبه على الأخفّ فالأخفّ على سبيل التعلّي إعلاماً بأنّه لم يؤاخذهم بما اجترحوه نسياناً ولابما قارفوه خطأً ولا

(١) انظر: حاشية الجمل على الجلالين ج١ص ٢٣٩؛إعراب القرآن وبيانه للدرويش:ج١ص ٤٥٠ .

حمل عليهم ثقلاً بل جعل شريعتهم حنيفية سمحاً ولا حمّلهم فوق طاقتهم مع أنّ له جميع ذلك، وأنه عفا عن عقابهم ثم سترهم فلم يخجلهم بذكر سيئاهم ثم رحمهم بأن أحلّهم محلّ القرب فجعلهم أهلاً للخلافة، فلاح بذلك أن يعلي أمرهم على كلّ أمر و يظهر دينهم على كل دين إذ كان سبحانه هو الداعي عنهم، وليكون الدعاء كله محمولاً على الإصابة ومشمولاً بالإجابة»[1].

وبهذه اللطائف يتمّ حديثي عن خواتيم سورة البقرة وأسأل الله تعالى أن يمنّ عليّ وعلى المؤمنين كافة بفضله وكرمه، وأن يتقبل منا دعاءنا وصالح أعمالنا، وأن يحقق لنا عزاً ونصراً وتمكيناً إنّه وليّ ذلك والقادر عليه. آمين .

---

(١) نظم الدرر للبقاعي: ج١ ص ٥٥٧.

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وبمنّته وكرمه وتوفيقه تكتمل المهمّات، وبعد:

فما أطيب الحياة وأكرمها مع كتاب الله عزّوجلّ، وما أسعد المؤمن وهو يعيش اللحظات تلو اللحظات متدبراً متأمّلاً خاشعاً لكلام الحقّ سبحانه وتعالى، يسعى في إظهار عظمته و سموّه وعلوّه على سائر الكلام .

– هذا وقد عشت لحظات مباركات مع خواتيم سورة البقرة ساعياً في إبراز فضلها وعظمتها وتميّزها؛ ومنقّباً عن فوائدها ولطائفها وما ترمي إليه .

– وحُقَّ لهذه الخواتيم أن تحظى بهذا الفضل الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ، وهي قد جمعت في طيّاتها أركان الإيمان الحق والعقيدة الصحيحة؛ وبيّنت مكانة النبي ﷺ وصحبه الكرام رضي الله عنهم في اعتناقهم هذا الدين العظيم، فهم أهل الحقّ وقدوة الخلق.. إيماناً وطاعة لله تبارك وتعالى.. وكيف لا تتميّز هذه الخواتيم وقد أظهرت فضل الله ومنّته ونعمته على عباده بتشريع هذه الملّة الحنيفية السّمحة التي لا حرج ولا عنت في تكاليفها على أهلها ... وكيف لا تتميّز وقد حوت في جنباتـــها دعوات خاشعات مباركات كريمات شملت خير الدين والدنيا والآخرة ... كيف لا وهي ترتفع بالمؤمن من سفاسف هذه الدنيا وشهواتـــها إلى آمال وآفاق سامية من نصرة دين الله تعالى وإعلاء كلمته وطلب عفوه ومغفرته ورحمته.. فالله الله في هذه الخواتيم.. وإنّي لأدعو في هذه الخاتمة كلّ مؤمن بالله أن يديم قراءتـــها وتدبّرها وأن يدعو بدعائها وأن يسعى بالعمل لما تدعو إليه في كلماتـــها من التوجّه والتجرّد لله تعالى وإخلاص الإيمان له والاستقامة على شرعه ونـــهجه والاقتداء برسوله ﷺ وصحبه الكرام رضي

الله عنهم.. علماً وعملاً ونصرة لهذا الدين العظيم بكل غالٍ ونفيس. .

وختاماً أرجو أن أكون قد وُفِّقْتُ في هذه الدراسة القرآنية سائلاً المولى سبحانه أن يغفر لي ما كان من خطأ أو تقصير وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم فيتقبله مني ويثيبني عليه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على نبيّنا وسيّدنا محمد سيّد الأوّلين والآخرين وعلى آله وصحبه الطيّبين الطاهرين ومن اهتدى بهديه واستنّ بسنته إلى يوم الدين .



فهرس المراجع

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود: محمد بن محمد العمادي. ٩ج. بيروت – لبنان: دار إحياء التراث العربي .

٢. إرشاد الساري شرح صحيح البخاري: القسطلاني أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد. ١٠ ج. بيروت – لبنان دار إحياء التراث العربي.

٣. أسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير الجزري، أبو الحسن علي بن محمد. ٥ج، دار الفكر .

٤. إعراب القرآن الكريم وبيانه: الدرويش، محي الدين، الطبعة الثانية، ٩ ج، دار الرشيد – مؤسسة الإيمان، ١٤٠٣هـ .

٥. إكمال إكمال المعلم: الوشتاني، أبو عبد الله محمد بن خلفة الأبي المالكي.

٦. أنوار التنـــزيل وأسرار التأويل: البيضاوي، ناصر الـــدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. ٥ ج. بيروت: مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع .

٧. تبصير الرحمن وتيسير المنّان: المهايمي، علي بن أحمد بن إبراهيم، الطبعة الثانية. ٢ ج. بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م .

٨. تفسير البحر المحيط: أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي، الطبعة الثانية. ٨ج. بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

٩. تفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور، محمد الطاهر. ٣٠ج. تونس: الدار التونسية للنشر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب ١٩٨٤م .

١٠. تفسير القرآن العظيم: أبو الفـــداء، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي. ٤ ج. بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٥هـ .

١١. تفسير المراغي، أحمد مصطفى. ٢٠ ج. بيروت: دار إحياء التراث العربي .

١٢. تفسير المنار: رضا، محمد رشيد. الطبعة الثانية. ١٢ ج. بيروت: دار المعرفة

١٣. تفسير النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود. الطبعة الأولى. ٢ ج. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .

١٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تحقيق: محمد زهري النجار. ٧ ج. الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء

والدعوة والإرشاد، ١٤٠٤هـ .

١٥. جامع البيان في تفسير القرآن: الطبري، محمد بن جرير. ٣٠ ج. بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

١٦. الجامع لأحكام القـــرآن: القرطبي، أبو عبـــد الله محمد بن أحمد الأنصاري. الطبعة الثانية. ٢٠ج. بيروت: دار الكتاب العربي .

١٧. الجواهر الحسان في تفسير القرآن: الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف. ٤ج. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .

١٨. حاشية الجمل على تفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية): العجيلي الشافعي، سلمان بن عمر، الشهير بالجمل. ٤ج. بيروت – لبنان: دار إحياء التراث الغربي .

١٩. حاشية الصاوي على تفسير الجلالين: الصاوي، أحمد بن محمد. ٤ج. بيروت: دار إحياء التراث العربي .

٢٠. حجة القراءات: ابن زنجلة، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد. حققه وعلّق عليه: سعيد الأفغاني. الطبعة الثانية. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م .

٢١. الدر المنثور في التفسير المأثور: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. ٨ ج، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، بيروت: دار الفكر .

٢٢. روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني:الآلوسي، أبو الفضل، شهاب الدين السيد محمود. ٣٠ج. بيروت: دار إحياء التراث العربي .

٢٣. زاد المسير في علم التفسير:ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن ابن علي بن محمد. الطبعة الثالثة. ٩ج. دمشق – بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ .

٢٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة: الألباني، محمد ناصر الدين، الطبعة الرابعة. ٢ ج. بيروت – دمشق: المكتبة الإسلامي، ١٤٠٣هـ .

٢٥. سنن أبي داود: أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي. إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس – عادل السيد. الطبعة الأولى. ٥ج. سوريا – لبنان: دارالحديث، ١٣٨٨هـ .

٢٦. سنن الترمذي: الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة. تحقيق أحمد محمد شاكر – محمد فؤاد عبد الباقي – إبراهيم عطوه عوض. ٥ج. بيروت: دار إحياء التراث العربي .

٢٧. السنن الكبرى: النساي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، ١٢ج، الطبعة الأولى ١٤٢٢ – ٢٠٠١، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة

٢٨. صحيح مسلم بشرح النووي: القشيري، مسلم بن الحجاج – النووي، يحيى بن شرف، تحقيق وإشراف: عبد الله أحمد أبو زينة. ٥ج. القاهرة. كتاب الشعب .

٢٩. صحيح مسلم بشرح النووي (دار الفكر – الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م) .

٣٠. عمدة القارئ شرح صحيح البخاري: العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد. الطبعة الأولى. ٢٠ ج. مصر: شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٢هـ .

٣١. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: النيسابوري، نظام الدين بن محمد ابن حسين القمي. تحقيق: إبراهيم عطوة عوض. الطبعة الأولى. ٣٠ج. مصر: شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده .

٣٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. ١٣ ج. الرياض: مكتبة الرياض الحديثة .

٣٣. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: الأنصاري، أبو يحيى زكريا. تحقيق: محمد علي الصابوني. الطبعة الأولى. بيروت: دار القرآن الكريم، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

٣٤. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير: الشوكاني، محمد بن علي. تحقيق: عبد الرحمن عميرة – الطبعة الأولى. ٦ج، مصر: دار الوفاء، ١٤١٥هـ .

٣٥. فتح الملهم شرح مسلم: الديوبندي العثماني، فضل الله شبير أحمد، باكستان: المكتبة الرشيدية .

٣٦. الكشف عن وجــوه القراءات السبع وعللها وحججها: القيسي، مكي بن أبي طالب. ٢ج. تحقيق: محي الدين رمضان. الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م. بيروت: مؤسسة الرسالة .

٣٧. الكشاف عن حقائق التنــزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمد بن عمر. ٤ج. بيروت: دار المعرفة .

٣٨. لباب التأويل في معاني التنــزيل: الخازن، علاء الدين علي بن محمد ابن إبراهيم البغدادي: ٧ج. بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ .

٣٩. لسان العرب: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. ١٥ج. بيروت: دار الفكر – دار صادر .

٤٠. محاسن التأويل: القاسمي، محمد جمال الـدين، علق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي. الطبعة الثانية ١٧٠ج. بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨هـ .

٤١. مختصر سنن أبي داود: الحافظ المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد. تحقيق: أحمد محمد شاكر – محمد حامد الفقي. ٨ ج. بيروت – لبنان:دارالمعرفة، ١٤٠٠هـ –١٩٨٠م .

٤٢. معالم التنـزيل: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء. تحقيق: خالدعبد الرحمن العك – مروان سوار. ٤ج. بيروت: دار المعرفة. الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

٤٣. معاني القرآن: الفرّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد. الطبعة الثالثة. ٢ ج. بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ .

٤٤. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: وضعه محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار المعرفة. الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .

٤٥. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين . الطبعة الثالثة . ٣٠ج . بيروت: دار إحياء التراث العربي .

٤٦. المفردات في غـريب القرآن: الـراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. تحقيق: محمد سيد كيلاني. بيروت: دار المعرفة .

٤٧. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم. دمشق – بيروت: دار ابن كثير – دار الكلم الطيب. حققه مجموعة من العلماء .

٤٨. موسوعة فضائل سور وآيات القرآن الكريم (القسم الصحيح): طرهوني، محمد بن رزق. ٢ ج، جدة: مكتبة العلم، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ .

٤٩. النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي. أشرف على تصحيحه ومراجعته: علي محمد الضبّاع. ٢ج. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية .

٥٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر. الطبعة الأولى. ٨ج. بيروت– لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ .

٥١. النكت والعيون: الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب. تحقيق: خضر محمد خضر. راجعه: عبد الستار أبو غدة. الطبعة الأولى، الكويت: طباعة مقهوى. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. التراث الإسلامي، ١٤٠٣هـ .

فهرس المحتويات

رِسَالَةٌ فِي وَقْفِ حَمْزَةَ وَهِشَامٍ عَلَىٰ الْهَمْزِ

إِعْدادُ :
د. أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ المُقْرِي
الأُسْتَاذِ الْمُسَاعِدِ فِي كُلِّيَّةِ القُرْآنِ الكرِيمِ فِي الْجَامِعَةِ



المقدّمة

حمداً لك اللهم بك المعونة والتوفيق، ومنك سبحانك الهداية لأقوم طريق، إذا أظلمت الشبهات، وجنّت الخطوب المدلهمات، وبفضلك سبحانك نطلب يقيناً يملأ الصدور، ويستولي على زمام القلوب، ويكبت سورة النفس فيردها عن غيها، ويكبح جماح شهواتها، فإنك سبحانك الملجأ والنصير والمعين، الفاتح للإنسان أبواب الهداية، والمرشد لـــه إلى البحث والنظر، حتى وصل بثاقب فكره وصائب رأيه إلى ما فيه خيره وسعادته، واطمأن قلبه بتلاوة كتابه وتفهم معانيه، واستخرج من مكنوناته ما يدل على أنه معجزة الله للأولين والآخرين كل في مجال فنّه وتخصصه.

وصلاةً وسلاماً على محمد عبدك ورسولك الذي آتيته هذا الكتاب، وعصمته من الخطأ وألهمته الصواب، ومننت عليه بفضيلة البيان، ففند بقاطع حجته قول من عارضه من أهل الزور والبهتان، القائل:«خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

أما بعد؛ فإن من أصعب الأبواب التي يدرسها الطلبة في علم القراءات هو باب (وقف حمزة وهشام على الهمز) وتأتي صعوبته من كثرة تفريعاته، واجتذاب الأحكام للكلمة الواحدة، ووجود ما يُقرأ به وما لا يُقرأ به، ووجود بعض الكلمات التي تحفظ ولا تخضع للقياس، وغير ذلك.

ولم يقصر علماء القراءات في بحث هذا الموضوع، فأعطوه حقه من البحث والتأليف والجمع، إلا أنني رأيت أننا لا نحتاج في هذا الباب إلى مزيد بحث وزيادة تحريرات، فقد سبقنا العلماء الأفاضل إلى ذلك[(١)]، ولكني رأيت أن

(١) وذلك كـــ(تحرير المقام) للشيخ المتولي.

سبب عدم فهم الطلاب لهذا الباب يرجع إلى عدم فهمهم وفكهم لأبيات الشاطبية، وأنهم إن استطاعوا فهم كل قاعدة من كلام الشاطبي نفسه، واستطاعوا تحليل الأبيات وفكها عن بعضها؛ كان لهم ذلك أكبر معين على تجاوز هذا الباب واستيعابه.

وقد قمت في هذه الرسالة الصغيرة بمحاولة بسيطة لكتابة بحث في هذا الباب هو خاص بالطلبة المبتدئين في هذا العلم، أحاول فيه شرح أبيات الشاطبية - لأنها هي أشهر كتاب في هذا الفن، ويدرس في الجامعة الإسلامية - مع الإعادة والتكرار للأبيات عند كل قاعدة دل عليها البيت، ليستطيع الطالب القارئ لهذا البحث أن يستفيد منه استفادة كاملة - إن شاء الله.

مع العلم بأني لا أخرج عن طريق الشاطبية، ولا أتتبع ما ورد من زيادات الطيبة. ولا أدعي أنني قد جئت بجديد، إنما هي محاولة للتبسيط وتقريب المعاني للطلاب، لأني لم أجد في المختصرات شيئاً شافياً للطلاب، وكتب المطولات صعبة على المبتدئين لا يستفيدون منها.

وقد اعتمدت عند كتابة هذا البحث على الخطة الآتية:

تمهيد، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ترجمة موجزة للإمام حمزة الزيات.

المبحث الثاني: ترجمة موجزة لهشام.

المبحث الثالث: معنى الهمز والتسهيل.

الفصل الأول: المذهب الرسمي.

الفصل الثاني: ما يدخله الروم والإشمام.

الفصل الثالث: المذهب القياسي أقسامه وأنواعه - وما فيه القياس والرسم معاً، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الهمز المتوسط بنفسه، المتحرك، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: فيما قبله ساكن.

المطلب الثاني: فيما قبله متحرك.

المبحث الثاني: الهمز المتوسط بغيره، المتحرك، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: فيما قبله ساكن.

المطلب الثاني: فيما قبله متحرك.

المبحث الثالث: الهمز المتوسط الساكن، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المتوسط بنفسه.

المطلب الثاني: المتوسط بغيره.

المبحث الرابع: الهمز المتطرف، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الساكن سكوناً لازماً.

المطلب الثاني: الساكن سكوناً عارضاً وقفاً.

المبحث الخامس: الهمز المخفف على القياس والرسم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الهمز المتحرك المتطرف المرسوم على واو بأنواعه.

المطلب الثاني: الهمز المتحرك المتطرف المرسوم على ياء بأنواعه.

المطلب الثالث: الهمز المتوسط الذي ليست له صورة بأنواعه.

الخاتمة.

المصادر والمراجع.

هذا والله المستعان وعليه التكلان.

تمهيد

المبحث الأول: ترجمة موجزة للإمام حمزة الزيات(١)

اسمه: حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل أبو عمارة الكوفي التميمي مولاهم الزيات، مولى آل عكرمة بن رِبْعِيّ التميمي.

كنيته: أبو عمارة.

ولادته: ولد رحمه الله سنة ثمانين هجرية.

(١) وأما إسناده إلى النبي صلى الله عليه وسلم: فقال ابن الجزري: (وقرأ حمزةَ على أبي محمد سليمان بن مهران الأعمش عرضاً وقيل الحروف فقط، وقرأ حمزة أيضاً على أبي حمزة حمران بن أعين وعلى أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي وعلى محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى وعلى أبي محمد طلحة بن مصرف اليامي وعلى أبي عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علين بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، وقرأ الأعمش وطلحة على أبي محمد يحيى بن وثاب الأسدي، وقرأ يحيى على أبي شبل علقمة بن قيس وعلى ابن أخيه الأسود بن يزيد بن قيس وعلى زر بن حبيش وعلى زيد بن وهب وعلى عبيدة بن عمرو السلماني، وعلى مسروق بن الأجدع وقرأ حمران على أبي الأسود الديلمي، وعلى عبيد بن نضيلة، وقرأ عبيد على علقمة، وقرأ حمران أيضاً على محمد الباقر، وقرأ أبو إسحاق على أبي عبد الرحمن السلمي وعلى زر بن حبيش، وعلى عاصم ابن ضمرة وعلى الحارث بن عبد الله الهمذاني، وقرأ عاصم والحارث على علي وقرأ ابن أبي ليلى على المنهال بن عمرو وغيره، وقرأ المنهال على سعيد بن جبير، وقرأ علقمة والأسود وابن وهب ومسروق وعاصم بن ضمرة والحارث أيضاً على عبد الله بن مسعود، وقرأ جعفر الصاق على أبيه محمد الباقر وقرأ الباقر على أبيه زين العابدين، وقرأ زين العابدين على أبيه سيد شباب أهل الجنة الحسين، وقرأ الحسين على أبيه علي بن أبي طالب، وقرأ علي وابن مسعود رضي الله عنهما على رسول الله ﷺ) النشر [١٦٥/١].

حياته العلمية: كان رحمه الله مجتهداً في تحصيل العلم، وقد أخذ القراءة عرضاً على كثير من الشيوخ منهم: سليمان الأعمش(١)، وحمران بن أعين(٢)، ومحمد بن أبي ليلى(٣)، وليث بن أبي سليم(٤)، وجعفر بن محمد الصادق(٥)، وخلق كثير غيرهم.

وقد كان الإمام حمزة رحمه الله إمام الناس في القراءة بالكوفة بعد الإمام عاصم(٦) والأعمش، وكان رحمه الله ثقة كبيراً حجة رضياً قيماً بكتاب الله مجوداً للقرآن، عارفاً بالفرائض والعربية، حافظاً للحديث، ورعاً عابداً، خاشعاً ناسكاً، زاهداً قانتاً لله لم يكن له نظير.

كما أنه كان تاجراً يجلب الزيت من العراق إلى حلوان، ويجلب الجبن والجوز كذلك منها إلى الكوفة.

---

(١) هو سليمان بن مهران الأعمش أبو محمد الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي، كان حجة في القراءة يُرجَعُ إليه، توفي سنة ١٤٨هـ. انظر: غاية النهاية [١/٣١٥] ترجمة [١٣٨٩].

(٢) هو أبو حمزة حمران بن أعين الكوفي المقرئ، توفي في حدود الثلاثين ومائة. انظر: غاية النهاية [١/٢٦١] ترجمة رقم [١١٩٠].

(٣) هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي، كان مقرئاً توفي سنة ١٣٨هـ. انظر: غاية النهاية [٢/١٦٥] ترجمة [٣١١٤] ومعرفة القراء الكبار [١/٦٦].

(٤) هو ليث بن أبي سليم بن زَنَيم القرشي مولاهم أبو بكر الكوفي، توفي سنة ١٤٨ هـ. انظر: غاية النهاية [٢/٣٤] ترجمة رقم [٢٦٣٩].

(٥) هو جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي الطالب الهاشمي العلوي أبو عبد الله المدني الصادق، توفي سنة ١٤٨هـ. انظر: تهذيب التهذيب [٨/٤١٧].

(٦) هو عاصم بن أبي النجود الأسدي مولاهم الكوفي القارئ أحد السبعة. انظر: معرفة القراء الكبار [١/٨٨] ترجمة رقم [٣٥].

أشهر تلاميذه: سليم بن عيسى الكوفي[1].

أما راويي قراءة حمزة فهما: خلف[2]، وخلاد[3].

ثناء العلماء عليه: قال عنه سفيان الثوري[4]: ((ما قرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلا بأثر)).

قال له الإمام أبو حنيفة[5] رحمه الله: ((شيئان غلبتنا عليهما لسنا ننازعك عليهما القرآن والفرائض)).

وقال يحيى بن معين[6]: ((حمزة ثبت ثقة ما أحسب الله يدفع البلاء عن أهل الكوفة إلا به)).

---

(١) هو سليم بن عيسى بن سليم بن عامر أبو عيسى ويقال أبو محمد الحنفي مولاهم الكوفي المقرئ، ضابط محرر حاذق، ولد سنة ١٣٠هـ، وهو من أضبط الرواة عن حمزة، توفي ١٨٨ هـ. انظر: غاية النهاية [٣١٨/١] ترجمة [١٣٩١].

(٢) هو خلف بن هشام البزار، ويكنى أبا محمد أحد القراء العشر، أخذ الراوية عن سليم عن حمزة، توفي سنة ٢٢٩هـ. انظر: معرفة القراء الكبار [٤١٩/١].

(٣) هو خلاد بن خالد الشيباني بالولاء أبو عيسى الصيرفي الكوفي، إمام في القراءة ثقة عارف محقق أخذ القراءة عن سليم عن حمزة، وهو من أضبط أصحابه وأجلهم، توفي سنة ٢٢٠هـ. انظر: معرفة القراء الكبار [٤٢٢/١].

(٤) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي، ولد سنة ٩٧ هـ وتوفي سنة ١٦١ هـ. انظر: تهذيب التهذيب [٩٩/٤].

(٥) هو النعمان بن ثابت بن زوطا الإمام أبو حنيفة الكوفي، فقيه العراق والمعظم في الآفاق، مولى بني تيم الله، توفي سنة ١٥٠هـ. انظر: غاية النهاية [٣٤٢/٢].

(٦) وهو يحيى بن معين بن عوف بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المَرَعي العصفاني مولاهم أبو زكريا البغدادي إمام الجرح والتعديل، ولد سنة ١٥٨ هـ، وتوفي سنة ٢٣٣ هـ. انظر: تهذيب التهذيب [٢٤٦/١١].

وكان شيخه الأعمش إذا رآه يقول: ((هذا حبر القرآن)).

وقال حسين الجعفر[(١)]: (((ربما عطش فلا يستقي كراهية أن يصادف من قرأ عليه)).

وأما ما ذكر عن الإمام أحمد بن حنبل[(٢)] من كراهة قراءة حمزة، فإن ذلك محمول على قراءة من سمع منه ناقلاً عن حمزة، فقد كان بعض الرواة يفرطون عنه في المد والهمز وغير ذلك، وكان رحمه الله يكره ذلك، وينهى عنه ويقول: ((ما كان فوق البياض فبرص، وما كان فوق الجعود فقطط، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة)).

توفي رحمه الله سنة ١٥٦هـ، وعليه ألف درهم ديناً، فقضاها عنه بعضهم، فرحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته[(٣)].

❁ ❁ ❁

(١) هو حسين بن علي الجعفر مولاهم الكوفي أبو عبد الله الزاهد أحد الأعلام، توفي سنة ٢٠٣هـ. انظر: معرفة القراء الكبار [١/١٦٤].

(٢) هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد أبو عبد الله الشيباني أحد أعلام الأمة وأزهد الأمة، ولد سنة ١٦٤هـ، وتوفي سنة ٢٤١هـ عن سبع وسبعين سنة. انظر: غاية النهاية [١/١١٢] ترجمة رقم [٥١٥].

(٣) انظر: غاية النهاية [١/١٦٤] ترجمة رقم [١١٩٦]، معرفة القراء الكبار [١/١١١]، تهذيب التهذيب [٣/٢٧]، شذرات الذهب [١/٢٤]، وفيات الأعيان [٢/٢١٦].

المبحث الثاني: ترجمة موجزة لهشام[(١)]

هو هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة أبو الوليد السلمي ويقال: الظَّفَري الدمشقي. كنيته: أبو الوليد.

ولادته: ولد رحمه الله تعالى سنة ١٥٣هـ.

كان رحمه الله قد نشأ منذ نعومة أظفاره نشأة علمية طيبة حسنة فقد نهل من العلم، أخذ القراءة عرضاً عن أيوب بن تميم[(٢)]، وعراك بن خالد المروزي[(٣)]، على يحيى الذماري[(٤)] عن ابن عامر[(٥)].

---

(١) أما إسناد ابن عامر: فقد قرأ على أبي سليمان أيوب بن تميم التميمي الدمشقي، وقرأ على أبي الضحاك عراك بن خالد بن يزيد بن صالح المزي الدمشقي، وعلى أبي محمد سويد بن عبد العزيز بن نمير الواسطي وعلى أبي العباس صدقة بن خالد الدمشقي، وقرأ أيوب وعراك وسويد وصدقة على أبي عمر ويحيى بن الحارث الذماري، وقرأ الذماري على ابن عامر، قال ابن الجزري: (وقرأ ابن عامر على أبي هاشم المغيرة بن أبي شهاب عبد الله بن عمرو بن المغيرة المخزومي بلا خلاف عند المحققين، وعلى أبي الدرداء عويمر بن زيد بن قيس فيما قطع به الحافظ أبو عمرو الداني وصح عندنا عنه، وقرا المغيرة على عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقرأ عثمان وأبو الدرداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم) النشر [١٤٣/١ - ١٤٤].

(٢) هو أيوب بن تميم بن سليمان بن أيوب أبو سليمان التميمي الدمشقي، ضابط مشهور، توفي سنة ١٩٨هـ. انظر: غاية النهاية [١٧٢/١] ترجمة رقم [٨٠٤].

(٣) هو عراك بن خالد بن يزيد بن صالح بن صبيح بن جشم أبو الضحاك المري الدمشقي، مات قبيل المائتين. انظر: غاية النهاية [٥١١/١] ترجمة رقم [٢١١٣].

(٤) هو يحيى بن الحارث بن عمرو بن يحيى أبو عمرو الغساني الذماري ثم الدمشقي، مات سنة ١٤٥هـ. انظر: غاية النهاية [٣٦٧/٢] ترجمة رقم [٣٨٣٠].

(٥) هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر بن عبد الله بن عمران اليحصبي، =

وقد روى القراءة عنه أبو عبيدة القاسم بن سلام[1]، وأحمد بن يزيد الحلواني[2] وخلق كثير.

رزق الفصاحة والعقل الراجح وطول العمر وارتحل الناس إليه في القراءات والحديث.

ثناء العلماء عليه:

قال عبدان الأهوازي[3]: ((ما كان في الدنيا مثل هشام)).

وقال أبو زرعة الرازي[4]: ((من فاته هشام يحتاج أن ينْزل في عشرة آلاف حديث)).

توفي رحمه الله سنة ٢٤٥هـ[5].

= توفي بدمشق يوم عاشوراء سنة ١١٨هـ. انظر: غاية النهاية [٤٢٣/١] ترجمة [١٧٩٠].

(١) هو القاسم بن سلام أبو عبيد الخراساني الأنصاري مولاهم البغدادي، توفي سنة ٢٢٤هـ. انظر: غاية النهاية [١٧/٢] ترجمة رقم [٢٥٩٠].

(٢) هو أحمد بن يزيد بن ازداد ويقال يزداد الصفار الأستاذ أبو الحسن الحلواني، توفي سنة نيف وخمسين ومائتين. انظر: غاية النهاية [١٤٩/١] ترجمة رقم [٦٩٧].

(٣) هو عبد الله بن أحمد بن موسى بن زياد، الحافظ الحجة العلامة أبو محمد الأهوازي صاحب المصنفات، توفي سنة ٣٠٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء [١٦٨/١٤].

(٤) هو أبو زرعة، أحمد بن الحسين بن علي بن إبراهيم بن الحكم الرازي الصُّغَيري، توفي سنة ٣٧٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء [٦٤/١٧] ترجمة رقم [١٦].

(٥) انظر: معرفة القراء الكبار [٣٩٦/١] ترجمة رقم [١٢٧]، وسير أعلام النبلاء [٤٢٠/١١]، وغاية النهاية [٣٥٤/٢] ترجمة رقم [٣٧٨٧].

المبحث الثالث: معنى الهمز والتسهيل

إن الهمز من أصعب الحروف في النطق، وما ذلك إلا لبعد مخرجها، إذ تخرج من أقصى الحلق، كما اجتمع فيها صفتان من صفات القوة: الجهر والشدة.

والهمز: صوت صامت حنجري انفجاري، وهو يحدث بأن تُسَدّ الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين سداً تاماً فلا يسمح للهواء بالنفاذ من الحنجرة، يضغط فيما دون الحنجرة ثم ينفرج الوتران فينفذ الهواء من بينهما فجأة محدثاً صوتاً انفجارياً[1].

ولصعوبة النطق بالهمز عمدت بعض القبائل العربية إلى تخفيف النطق بالهمز.

وتسهيل الهمزة وتخفيفها له وسائل متنوعة، وطرق متعددة، فتارة يكون بالنقل، وتارة يكون بالإبدال، وتارة يكون بالحذف، وأخرى يكون بالإتيان بحرف بين الهمزة وحركتها، وقد وردت القراءات القرآنية الصحيحة بكل ذلك.

والتسهيل لغة: التيسير، قال الفيروز آبادي[2]: «سهله تسهيلاً أي يسره»[3].

قال الشاطبي[4] في مطلع باب وقف حمزة وهشام:

---

(١) المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة [١/١٠٦] د. محمد محمد سالم محيسن.

(٢) هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر أبو طاهر مجد الدين الشيرازي، ولد سنة ٧٢٩هـ، وتوفي ٨١٧هـ، صاحب القاموس المحيط. انظر: الأعلام [٧/١٤٦].

(٣) القاموس المحيط [١٣١٤].

(٤) هو أبو محمود، القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الشاطبي المقرئ الضرير، صاحب حرز الأماني ووجه التهاني، توفي سنة ٥٩٠هـ. انظر: الغاية [٢/٢٠] ترجمة رقم [٢٦٠٠].

وَحَمْزَةُ عِنْدَ الوَقْفِ سَهَّلَ هَمْزَهُ إِذَا كَانَ وَسْطاً أَوْ تَطَرَّفَ مَنْزِلاَ[(١)]

والمراد بالتسهيل هنا: مطلق التغيير، لإفادة أن الغرض من التغيير هو تيسير وتسهيل النطق باللفظ الذي فيه الهمز عند الوقف عليه.

وأضاف الناظم رحمه الله الهمز إلى الإمام حمزة في البيت السابق لأن حمزة رحمه الله هو شيخ هذا الباب فهو الذي يغير الهمز عند الوقف، سواءً أكان الهمز في وسط الكلمة أم في طرفها، بخلاف هشام فله التسهيل والتغيير في الهمز المتطرف فقط، قال الشاطبي:

.... وَمِثْلَهُ يَقُولُ هِشَامٌ مَا تَطَرَّفَ مُسْهِلاَ[(٢)]

وإنما خُصَّ هشام بالتسهيل والتغيير الهمزة المتطرفة دون المتوسطة، لأن المتطرفة في آخر لفظ القارئ وعندها تحصل الاستراحة والسكت وإليها تنتهي قوة اللافظ وعندها ينقطع نفس القارئ فخصها بالتخفيف لصعوبة اللفظ بها محققة عند زوال قوة القارئ بخلاف المتوسطة في ذلك[(٣)].

ولا يسهل أحد من القراء الهمزة المبتدأ بها، لأن الهمزة بالتخفيف تقرب من الساكن فلم يبتدئوا بمقرّب من الساكن كما لم يبتدئوا بساكن، وهذا كله مقيد بما لم تكن المبتدأة بعد ساكن صحيح نحو: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ [البقرة: ٦٢]، و﴿قُلْ أُوحِيَ﴾ [الجن : ١] ففيها أوجه من التسهيل والتغيير ستأتي إن شاء الله، وإنما جاز النقل فيها مع أنها مبتدأ بها لأنه وجد قبلها حرف تنقل حركتها إليه[(٤)].

(١) متن حرز الأماني [١٩].

(٢) المصدر السابق [٢٠].

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع [١/١٩٨]، إبراز المعاني [٢/١٤ – ١٥].

(٤) إبراز المعاني [١/٤١٥].

علة تخفيف الهمز في الوقف دون الوصل:

لا يكون التسهيل إلا عند الوقف على الكلمة التي فيها الهمزة، وما خص التخفيف بالوقف دون الوصل إلا لأن القارئ غالباً لا يقف إلا وقد وهنت قوة لفظه وصوته، والهمز صعبٌ اللفظ به، والقارئ يضعف صوته عند الوقف على غير الهمز فكيف بوقوفه على ما فيه همز، فإنه يكون أضعف، لذلك خفف الهمز في الوقف للحاجة إلى التسهيل والتخفيف على القارئ.

أما في الوصل فإن قوة القارئ في لفظه تكفي عن تخفيف الهمزة ويستطيع السيطرة عليها سيطرة تامة، بحيث لا يضعف عنها.

زد على ذلك أن تخفيف الهمز لغة من لغات العرب[1].

والأصل في ذلك كله النقل بسند متواتر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، كما قال الشاطبي رحمه الله:

وَمَا لِقِيَاسٍ فِي القِرَاءَةِ مَدْخَلٌ .... [2]



(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع [١/٩٥].

(٢) متن حرز الأماني [٢٩].

الفصل الأول: المذهب الرسمي

معنى المذهب الرسمي: هو اتباع خط المصحف المجمع عليه زمن سيدنا عثمان رضي الله عنه، عند الوقف على الهمز لحمزة وهشام، وإن خالف القياس(١).

كيفيته: أن يُنظر فيما صورت فيه الهمزة، فما كان صورته ياء أبدله ياءً، وما كان صورته واواً أبدله واواً، وما كان صورته ألفاً أبدله ألفاً، وما لم يكن له صورة حذفه(٢).

مثاله: أولاً: نحو ﴿تِلْقَآيِٕ﴾ [يونس: ١٥]، ونحو ﴿إِيتَآيِٕ﴾ [النحل: ٩٠]، فإنه يقف عليها بالياء الخالصة لأن رسمها بالياء.

ثانياً نحو: ﴿فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ [الأنعام: ٩٤]، ونحو ﴿الضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ [إبراهيم: ٢١] فإنه يقف عليها بواو خالصة لأن رسمها بالواو.

ثالثاً: نحو: ﴿سَأَلَ﴾ [المعارج: ١]، ونحو ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ [المسد٤]، فإنه يقف عليها بألف خالصة لأن رسمها بالألف.

أما نحو ﴿الْمَوْءُودَةُ﴾ [التكوير: ٨]، ونحو ﴿لِلرُّءْيَا﴾ [يوسف: ٤٣]، ونحو ﴿شَيْءٍ﴾ [البقرة: ٢٠]، فإنه يقف عليها بالحذف لأن الهمزة لا صورة لها في الرسم. وقد أشار الشاطبي رحمه الله تعالى إلى هذا المذهب بقوله:

.... فَفِي اليَا يَلِي وَالوَاوِ وَالحَذْفِ رَسْمَهُ

---

(١) انظر: رسالة تحرير الكلام في وقف حمزة وهشام [١٥٨]، والنشر [٤٤٦/١]، وإبراز المعاني من حرز الأماني [١٥/٢]، والوافي [١١٨].

(٢) لم يذكر الإمام الشاطبي رحمه الله الألف، قال بعض الشارحين لقصيدته: سكوته يحتمل أمرين: الأول: أنه لم يذكرها استغناءً عنها بذكر أختيها لأن الحكم واحد. الثاني: أن حكمها مخالف للواو والياء لأنه يتحد فيها القياس والرسم. انظر: تحرير الكلام [١٥٨]، والوافي [١١٨].

وَقَدْ رَوَوْا أَنَّهُ بِالْخَطِّ كَانَ مُسَهَّلاَ ....[1]

اختلاف أهل الأداء في الأخذ بالمذهب الرسمي: اختلف أهل الأداء في كيفية الأخذ بالمذهب الرسمي: فذهب جماعة إلى الأخذ به من غير تفصيل، فأبدلوا الهمزة بما صورت به، وحذفوها فيما حذفت فيه، وهذا القول لا يجوز العمل به، ولا يؤخذ بهذا القول على الإطلاق. وذهب مكي[2]، وابن شريح[3]، والداني[4]، وشيخه فارس[5]، والشاطبي، ومن تبعهم من المتأخرين إلى الأخذ به، لكن بشرط صحته في العربية[6]، فإنه ربما يؤدي في الألف إلى اجتماع ثلاث سواكن نحو ﴿رَأَيْتَ﴾ فهذا ونحوه لا تجوز القراءة به لمخالفته اللغة.

قال الشيخ عبد الفتاح القاضي رحمه الله: «وليس معنى هذا المذهب أن كل كلمة صورت همزتها بالواو يصح الوقف عليها بالواو الخالصة، ولا كل كلمة جعلت صورتها ياءً يوقف عليها بالياء الخالصة، ولا أن كل كلمة حذفت

(١) متن حرز الأماني [٢٠].

(٢) هو أبو محمد، مكي بن حَمُّوش أبي طالب بن محمد القَيْسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المقرئ، ولد سنة ٣٥٥هـ، توفي سنة ٤٣٧هـ. انظر: معرفة القراء الكبار [٣٩٤/١].

(٣) هو أبو عبد الله، محمد بن شريح بن أحمد الرُّعَيني الأشبيلي المقرئ، صاحب (الكافي) و(التذكرة) ، كان رحمه الله من جلة قراء الأندلس، أجازه مكي وغيره، توفي سنة ٤٧٦هـ. انظر: معرفة القراء الكبار [٤٣٤/١].

(٤) هو أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني الأموي القرطبي، الإمام العلم، ولد سنة ٣٧١هـ، قرأ على أبي الفتح فارس بن أحمد وابن غلبون، وقرأ عليه أبو داود سليمان بن نجاح، توفي سنة ٤٤٤هـ، وشيعه خلق كثير. انظر معرفة القراء الكبار [٣٤٥/١].

(٥) هو فارس بن أحمد بن موسى أبو الفتح الحمصي، أحد الحذاق في هذا الفن، قرأ عليه الداني، توفي سنة ٤٠١هـ. انظر: معرفة القراء الكبار [٣٧٩/١].

(٦) انظر النشر [٤٤٦/١]، تحرير الكلام [١٥٩ – ١٦٠]، إبراز المعاني من حرز الأماني [٦٧/٢]، الوافي [١١٨ – ١١٩].

صورة همزتها يصح الوقف عليها بحذف الهمزة، فإن جواز الوقف على كلمة بالواو، وعلى أخرى بالياء، وعلى ثالثة بالحذف موقوف على السماع وصحة النقل، وثبوت الرواية، فإن القراءة سنة متبعة يتلقاها الآخر عن الأول، فلا يصح الوقف على مثل ﴿نِسَآؤُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، و﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ﴾ [البقرة: ٢٥٧] بالواو الخالصة وإن كانت صورة الهمزة واواً فيما ذكر لعدم صحة نقله، وعدم ثبوت روايته، فلا تصح القراءة به، ولا تحل به التلاوة»[١].

وظاهر كلام الشاطبي أن التخفيف القياسي يجوز الأخذ به لحمزة، وإن خالف الرسم، كإبدال همزة ﴿تَفْتَؤُاْ﴾ [يوسف: ٨٥] ألفاً.

والتخفيف الرسمي يجوز الأخذ به أيضاً وإن خالف القياس، كإبدال الهمزة المذكورة واواً فالطريقان معمول بهما.

ويؤخذ من عبارة التيسير أن اتباع الرسم لا يؤخذ به إلا حيث يلزم من التسهيل على القياس مخالفته فيتعين وجه التسهيل في نحو ﴿سَأَلَ﴾ [المعارج: ١]، ونحو ﴿الضُّعَفَؤُاْ﴾ [إبراهيم: ٢١] وإن كان المذهب الرسمي يجيز الإبدال لأن المذهب القياسي في هذا غير مخالف للرسم[٢].

وقال أبو عبد الله الفاسي[٣]: «واعلم أن التخفيف إذا وافق الرسم كان أحسن شيء وأجوده، وإن خالفه جاز العمل به وبالرسم ما لم يتعذر أو يؤدي

(١) الوافي [١١٩].

(٢) تحبير التيسير [٦٢ – ٦٣]، تحرير الكلام في وقف حمزة وهشام [١٦٠ – ١٦١]، سراج القارئ المبتدي [٨٨].

(٣) هو جمال الدين محمد بن حسن المغربي القارئ، نزيل حلب ولد سنة ٥٨٣هـ، كان إماماً متقناً ذكياً متفنناً، توفي رحمه الله سنة ٦٥٦هـ، وكانت جنازته مشهودة، لـه شرح على الشاطبية في غاية الحسن.

إلى الإخلال))[1].

والخلاصة: مما سبق يتبين أن التخفيف القياسي إن وافق الرسم كإبدال همزة ﴿مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥] واواً لا يعدل إلى غيره لأنها مفتوحة وقبلها ضمة فتخفيفها القياسي أن تبدل واواً، وكذلك الرسم لأنها مرسومة بالواو، فيتحد بذلك المذهبان.

وإن خالف الرسم فإن تعذر اتباع الرسم تعين التخفيف القياسي وامتنع اتباع الرسم. وإن لم يتعذر اتباع الرسم جاز المذهبان والله أعلم.

ما ثبتت الرواية بقراءته بالمذهب الرسمي: لقد حصر علماء القراءات رحمهم الله الكلمات التي رسمت همزتها في المصاحف بالواو وثبتت الرواية الصحيحة بجواز الوقف عليها بالواو.وحصروا الكلمات التي رسمت همزتها ياء وصح النقل بجواز الوقف عليها بالياء. وضبطوا الكلمات التي حذفت صورة همزتها وثبت النقل بصحة الوقف عليها بحذف الهمزة.

فلا يسوغ للقارئ أن يعدو الكلمات التي نصوا عليها وجمعوها إلى غيرها من الكلمات التي لم يصح سندها، ولم تثبت روايتها، لأن ذلك يؤدي إلى جعل ما ليس بقرآن قرآناً[2]، ولذلك قال الإمام الشاطبي:

وَمَا لِقِيَاسٍ فِي القِرَاءَةِ مَدْخَلٌ .... [3]

الكلمات التي صح عن أهل الأداء قراءتها بالمذهب الرسمي:

أولاً: كلمات جعلت صورة همزتها واواً ووقعت الهمزة فيها بعد الألف وهي على النحو التالي: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٩]، ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ

(١) تحرير الكلام في وقف حمزة وهشام [١٦٢].

(٢) إبراز المعاني [١٧ – ١٨]، و الوافي [١١٩ – ١٢٠].

(٣) متن حرز الأماني [٢٩].

﴿يُحَارِبُونَ﴾ [المائدة: ٣٣]، ﴿فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ [الأنعام: ٩٤]، ﴿فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ [هود: ٨٧]، ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾[إبراهيم: ٢١]، ﴿شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ﴾[الروم: ١٣]، ﴿لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٦]، ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ [غافر: ٤٧]، ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[غافر: ٥٠]، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ [الشورى: ٢١]، ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، ﴿بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ٣٣]، ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الحشر: ١٧]، ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ﴾ [الممتحنة: ٤]، فالهمزة في هذه المواضع رسمت بالواو اتفاقاً، وزادوا بعدها ألفاً ولم يرسموا الألف قبلها تخفيفاً[1].

ووقع الخلف في مواضع وهي: ﴿جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الكهف: ٨٨]، ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٦]، ﴿جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٣٤]، هذا بالنسبة لهشام[2]، و﴿أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ٥، الشعراء: ٦]، ﴿عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧]، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

ثانياً: كلمات رسمت همزتها بالواو ولم تقع بعد ألف:

﴿يَبْدَؤُاْ﴾ [يونس: ٤]، ﴿نَبَؤُاْ﴾ [إبراهيم : ٩، ص : ٢١، التغابن : ٥]، ﴿تَفْتَؤُاْ﴾ [يوسف: ٨٥]، ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ﴾ [النحل: ٤٨]، ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٨]، ﴿لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٩]، ﴿ٱلْمَلَؤُاْ﴾ [المؤمنون: ٢٤، النمل: ٢٩، ٣٢، ٣٨]، ﴿وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾ [النور: ٨]، ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي﴾ [الفرقان: ٧٧]، ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ﴾ [الزخرف: ١٨].

ثالثاً: كلمات رسمت همزتها بالياء وقبلها ألف وهي: ﴿مِن نَّبَإِي ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤]، ﴿مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ﴾[يونس: ١٥]، ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]، ﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ﴾ [طه: ١٣٠]، ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] .

(١) الوافي [١١٩].

(٢) المصدر السابق [١١٩ – ١٢٠].

واختلفت المصاحف في الكلمات الآتية في الرسم: ﴿بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ [الروم: ٨]، ﴿وَلِقَآئِ الْأَخِرَةِ﴾ [الروم: ١٦].

رابعاً: كلمات ليس لهمزها صورة في خط المصحف، فيوقف عليها بالحذف وهذه الكلمات لم تحصر حصراً وإنما وضع لها العلماء قاعدة مطردة في جميع المواضع وهي:

أولاً: كل كلمة همزها مضمومة بعد كسر وبعدها واو جمع، ولم ترسم لها صورة، مثاله: ﴿مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة:١٤]، ﴿أَنبِـُٔونِي﴾ [البقرة: ٣١]، ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا﴾ [التوبة: ٣٧]، ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ﴾ [يونس: ٥٣]، ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يس: ٥٦]، ﴿فَمَالِـُٔونَ﴾ [الصافات: ٦٦، الواقعة : ٥٣]، ﴿لِيُطْفِـُٔوا﴾ [الصف: ٨]، ﴿الْخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة: ٣٧]. ففي هذه الكلمات ونحوها لم يرسم للهمزة صورة في خط المصاحف العثمانية[١]. وقد أشار الشاطبي رحمه الله تعالى إلى هذه القاعدة فقال:

وَمُسْتَهْزِؤُونَ الْحَذْفُ فِيهِ وَنَحْوُهُ   وَضَمٌّ وَكَسْرٌ قَبْلُ قِيلَ وَأُخْمِلاَ[٢]

ومعنى هذا أن القارئ إذا وقف على نحو ﴿مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤] بحذف الهمزة جاز فيما قبلها وجهان:

الأول: ضمة لتسلم الواو، وهو صحيح في الأداء. الثاني: إبقاء الكسرة على الأصل، وهذا الوجه غير صحيح قياساً ورواية[٣].

ولذلك قال الشاطبي رحمه الله: (وَكَسْرٌ قَبْلُ قِيلَ وَأُخْمِلاَ)[٤].

---

(١) سراج القارئ [٨٩]، تحرير الكلام [١٦٤]، الوافي [١٢١].

(٢) حرز الأماني [٢٠].

(٣) الإقناع [١/٤٥٠]، التذكرة في القراءات [١/٢٠٧]، سراج القارئ [٨٩].

(٤) حرز الأماني [٢٠].

فالضمير في قول الشاطبي: (وَأُخْمِلاَ) يعود على هذا الوجه الأخير أعني الثاني والألف للإطلاق، وليس للتثنية، إذ الوجه الأول صحيح سائغ لغة، ثابت قراءة، فالناظم لم يحكم بالإخمال إلا على الوجه الثاني، ولو أراد الحكم على الوجهين معاً لقال: (قيلا وأخملا) ولا يختل وزن البيت، فلما عدل عنه إلى (قِيلَ) دلّ على أنه لم يرد إلا هذا الوجه، وهو إبقاء كسر الحرف بعد الحذف.

تحصل من هذا ومما سبق من المذهب القياسي أن في ﴿مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤] ونحوه ستة أوجه ما بين مستعمل ومتروك وهي كما يلي:

١– تسهيل الهمزة بينها وبين الواو وهو مذهب سيبويه(١).

٢– إبدال الهمزة ياء مضمومة وهو مذهب الأخفش(٢).

٣– حذف الهمزة وتحريك الحرف الذي قبلها بحركتها.

وهذه الأوجه كلها مقروء بها.

٤– تسهيلها بين الهمزة والياء وهو الوجه المعضل.

٥– حذف الهمزة وإبقاء ما قبلها على حاله من الكسر وهذا هو الوجه المخل.

٦– إبدالها واواً مضمومة على تقدير أنها صورة الهمزة وواو الجمع محذوفة.

وهذه الثلاثة الأخيرة لا يقرأ بها.

---

(١) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، صاحب الكتاب، إمام أهل البصرة في النحو، توفي سنة ١٧٩هـ. انظر: تاريخ بغداد [١٢/١٩٥].

(٢) هو سعيد بن مسعدة المجاشعي الأخفش الأوسط، له معاني القرآن والمقاييس، توفي سنة ٢١٥هـ. انظر: مراتب النحويين [١١١].

الفصل الثاني: ما يدخله الروم والإشمام

الروم: هو تضعيفك الصوت بالحركة حتى يذهب بذلك معظم صوتها فتسمع لها صوتاً خفياً يدركه الأعمى بحاسة سمعه[1]. أو تقول: هو الإشارة إلى الحركة بصوت خفي يعادل ثلث الحركة يسمعه القريب دون البعيد.

قال الشاطبي:

وَرَوْمُكَ إِسْمَاعُ الْمُحَرَّكِ وَاقِفاً بِصَوْتٍ خَفِيٍّ كُلَّ دَانٍ تَنَوَّلاَ[2]

والإشمام هو: ضم الشفتين بعد سكون الحرف.

أو: هو الإشارة إلى الحركة من غير تصويت[3].

قال الشاطبي:

وَالاشْمَامُ إِطْبَاقُ الشِّفَاهِ بُعَيْدَ مَا يُسَكَّنُ لاَ صَوْتٌ هُنَاكَ فَيَصْحَلاَ[4]

محل الإشمام والروم:

يقع الروم والإشمام في الضم والرفع، ويقع الروم فقط في الكسر والجر.

قال الشاطبي رحمه الله:

وَفِعْلُهُمَا فِي الضَّمِّ وَالرَّفْعِ وَارِدٌ وَرَوْمُكَ عِنْدَ الْكَسْرِ وَالْجَرِّ وُصِّلاَ[5]

(١) التذكرة [١/٣٠٢]، الإقناع [١/٥٠٤ - ٥٠٥]، سراج القارئ [١٢٥]، الوافي [١٧٤ - ١٧٥].

(٢) متن حرز الأماني [٢٠].

(٣) سراج القارئ [١٢٥]، الإقناع [١/٥٠٤ - ٥٠٥]، التذكرة [١/٣٠٢]، الوافي [١٧٤ - ١٧٥].

(٤) متن حرز الأماني [٢٠].

(٥) المصدر السابق.

مواضع الروم والإشمام:

إن المواضع التي يقع فيها الروم والإشمام تتلخص في خمس صور، أربع صور منها يشترك فيها الروم والإشمام، والخامسة يختص بها الروم لا غير، وإليك هذه الصور الخمس.

الصورة الأولى: وهو ما نقل إليه حركة الهمز، وهذا إذا كان قبله ساكن صحيح أو حرف لين أو حرف مد ولين أصليين فترام الحركة المنقولة وتشم وذلك في نحو: ﴿الْمَرْءُ﴾ [عبس: ٣٤]، ﴿دِفْءٌ﴾ [النحل: ٥]، ﴿السُّوءُ﴾ [الزمر: ٦١]، ﴿لَشَيْءٌ﴾ [هود: ٧٢]، ﴿لَتَنُوأُ﴾ [القصص: ٧٦].

الصورة الثانية: وهو ما خفف بالإبدال ياء، وأدغم فيه ما قبله وذلك نحو: ﴿بَرِيءٌ﴾ [الأنعام: ١٩]، ﴿النَّسِيءُ﴾ [التوبة: ٣٧].

أو بالإبدال واواً وأدغم فيه ما قبله وذلك نحو: ﴿قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، ﴿السُّوءُ﴾ [الزمر: ٦١] وذلك عند من أدغمه ففيه الروم والإشمام.

الصورة الثالثة: ما أبدلت الهمزة المتحركة فيه واواً أو ياءً على التخفيف الرسمي وذلك نحو: ﴿الْمَلَؤُا﴾ [النمل: ٣٢]، ﴿الضُّعَفَٰؤُا﴾ [إبراهيم: ٢١]، ﴿مِن نَّبَإِي﴾ [الأنعام: ٣٤]، ﴿وَإِيتَآيِ﴾ [النحل: ٩٠]، وهذا عند القائلين بالمذهب الرسمي.

الصورة الرابعة: ما أبدل واواً أو ياءً على مذهب الأخفش نحو: ﴿يُبْدِئُ﴾ [العنكبوت: ١٩]، ﴿لُؤْلُؤًا﴾ [الحج: ٢٣].

وقول الشاطبي رحمه الله تعالى:

وَاشْمُمْ وَرُمْ فِيمَا سِوَى مُتَبَدِّلٍ   بِهَا حَرْفَ مَدٍّ وَاعْرِفِ البَابَ مَحْفِلاَ[1]

(١) متن حرز الأماني [٢٠].

يشمل هذه الصورة الأربع المتقدمة كما لا يخفى، لأن المبدل حرف مد هو: كل همز طرف قبله متحرك أو ألف وذلك نحو: ﴿يُبْدِئُ﴾ [البروج: ١٣]، و﴿امْرُؤٌا﴾ [النساء: ١٧٦]، ﴿السَّمَاءُ﴾ [الفرقان: ٢٥] فهذا ونحوه يبدل حرف مد محض لأنه إن كان قبله حركة، يبدل من جنس تلك الحركة، وإن كان قبله ألف يبدل ألفاً كما سيأتي(١).

الصورة الخامسة: وهذه الصورة هي التي أوردها الناظم رحمه الله تعالى في قوله:

وَمَا قَبْلَهُ التَّحْرِيكُ أَوْ أَلِفٌ مُحَرَّ كاً طَرَفاً فَالبَعْضُ بِالرَّوْمِ سَهَّلاَ(٢)

فقد تقدم أن الهمز المتطرف المتحرك المسكن لأجل الوقف إذا وقع بعد حرف متحرك فإنه يبدل حرف مد من جنس حركة ما قبله، وإذا وقع بعد ألف فإنه يبدل ألفاً وسيأتي هذا إن شاء الله.

وقد دل هذا البيت على أن في هذا الهمز وجهاً آخر ألا وهو: أن بعض أهل الأداء سهله بالروم.

وقد اشترط الناظم في التسهيل أن يكون مصاحباً للروم، لأن الوقف بالتسهيل وحده يفضي إلى الوقف بالحركة الكاملة، وذلك لا تسيغه قواعد القراءة، فوجب بذلك أن يكون التسهيل مصاحباً للروم.

مذاهب أهل الأداء في هذا الوجه الأخير:

إن لأهل الأداء في هذه الوجه المذكور آنفاً ثلاثة مذاهب وهي على النحو التالي:

---

(١) النشر [٤٦٣/١ - ٤٦٤]، تحرير الكلام [١٧٠ - ١٧١]، الوافي [١٢٤ - ١٢٥].

(٢) متن حرز الأماني [٢١].

المذهب الأول: ردّ بعضهم هذا الوجه، ولم يعمل به، واعتل بأن الهمزة إذا سُهلت بين بين قربت من الساكن فيكون حكمها حكم الساكن والساكن لا يدخله روم فكذلك ما كان في حكمه.

المذهب الثاني: مذهب من عَمِل بجميع ما روي من ذلك في الحركات الثلاث وعلته في ذلك: أن الهمزة المسهلة وإن قربت من الساكن فهي بزنة المتحرك، بدليل قيامها مقامه في الشعر وإذا كانت بزنة المتحرك جاز رومها(١).

واعتذر عن روم المفتوحة بأنه دعت الحاجة إليه عند إرادة التسهيل مع جوازه في العربية.

المذهب الثالث: مذهب من أجازه في الضم والكسر دون الفتح.

واحتج لجوازه فيهما بما احتج به أصحاب المذهب الثاني.

ومنع الروم في الفتح لامتناع الروم فيه عند القراء.

وهذا هو الوجه المختار والمعول عليه من هذه المذاهب الثلاثة، ولا يعوَّل على غيره.

وقد أشار الشاطبي رحمه الله إلى ذلك بقوله:

وَمَا قَبْلَهُ التَّحْرِيكُ أَوْ أَلِفٌ مُحَرَّ ... كاً طَرَفاً فَالبَعْضُ بِالرَّوْمِ سَهَّلاَ

وَمَنْ لَمْ يَرُمْ وَاعْتَدَّ مَحْضاً سُكُونَهُ ... أَوَ الْحَقَ مَفْتُوحاً فَقَدْ شَذَّ مُوغَلاَ

وَفِي الهَمْزِ أَنْحَاءٌ وَعِنْــدَ نُحَــاتِهِ ... يُضِيءُ سَنَاهُ كُلَّمَا اسْوَدَّ أَلْيَلاَ(٢)

---

(١) سراج القارئ [٩٠ – ٩١]، النشر [٤٦٤/١ – ٤٦٥]، الوافي [١٢٥ – ١٢٦]، تحرير الكلام [١٧١ – ١٧٢].

(٢) متن حرز الأماني [٢١].

الفصل الثالث:

المذهب القياسي أقسامه وأنواعه

لما كان المذهب القياسي كثير التفريعات، وعليه يقوم موضوع البحث رأيت أن يفرد بباب مستقل، وما ذلك إلا ليسهل فهمه ويعم نفعه.

وقد تبين للقارئ مما سبق أن حمزة يسهل الهمز المتوسط والمتطرف معاً بدليل قول الشاطبي رحمه الله:

وَحَمْزَةُ عِنْدَ الوَقْفِ سَهَّلَ هَمزَهُ　　إِذَا كَانَ وَسْطاً أَوْ تَطَرَّفَ مَنْزِلاَ(1)

ويشاركه هشام في الهمز المتطرف، قال الشاطبي:

.... وَمِثْلَهُ　　يَقُولُ هِشَامٌ مَا تَطَرَّفَ مُسْهِلاَ(2)

كما تبين أيضاً أن المراد بالتسهيل الذي ذكره الناظم في البيت الأول هو: مطلق التغيير فإما أن يكون بالتسهيل بين بين، أو بالنقل، أو بالإبدال، أو بالحذف.

ونشرع الآن في بيان هذه الأنواع بالتفصيل، فنقول:

الهمز المراد تسهيله إما متوسط أو متطرف.

أولاً: المتوسط: إما أن يكون متحركاً أو ساكناً.

والمتحرك: إما أن يكون متوسطاً بنفسه أو بغيره.

والمتوسط بنفسه: إما أن يكون قبله ساكن أو متحرك.

والذي قبله ساكن: إما أن يكون الساكن ألفاً زائدة، أو ياء زائدة، ولم يقع

(1) متن حرز الأماني [19].

(2) المصدر السابق [20].

في القرآن منه واو زائدة، وإما أن يكون ساكناً صحيحاً، أو ياء أو واواً أصليين.

والذي قبله متحرك: لا يخلو من تسع صور.

هذا الهمز المتوسط المتحرك المتوسط بنفسه الذي قبله ساكن أو متحرك.

أما المتوسط بغيره: فإما أن يكون قبله ساكن أو متحرك.

فالذي قبله ساكن: إما أن يكون متصلاً رسماً أو منفصلاً رسماً.

والذي قبله متحرك: إما أن يكون متصلاً رسماً، أو منفصلاً رسماً.

فهذا الهمز المتوسط بغيره المتحرك الذي قبله ساكن أو متحرك.

والمتوسط الساكن: إما أن يكون متوسطاً بنفسه أو بغيره.

فالمتوسط بنفسه: لا بد أن يأتي قبله متحرك بإحدى الحركات الثلاث ويمتنع أن يأتي قبله ساكن.

وأما المتوسط بغيره: فإما أن يكون متوسطاً بالحرف أو متوسطاً بالكلمة.

فالمتوسط بالحرف: يكون ما قبله متحركاً بالفتح، ولم يأت قبله مضموم ولا مكسور.

والمتوسط بالكلمة: يكون فيه ما قبل الهمز محركاً بإحدى الحركات الثلاث.

فهذا تعريف موجز لأنواع الهمز المتوسط باختصار كما سنعرض له بعون الله في هذا البحث.

ثانياً: المتطرف: والهمز المتطرف كما نعلم لا بد أن يسكن لأجل الوقف، ومن هنا فالهمز المتطرف إما أن يكون سكونه لازماً أو عارضاً.

فالسكون اللازم: لا بد أن يكون قبله حرف متحرك بإحدى حركتين، إما فتح وإما كسر.

ولم يأت في القرآن همز ساكن سكوناً لازماً قبله مضموم.

والسكون العارض: إما أن يكون قبله ساكن أو متحرك.

فالساكن: لا يخلو من أن يكون ألفاً أو ياءً أو واواً زائدة، أو ياءً أو واواً أصليين حرفي مد أو حرفي لين، أو يكون ساكناً صحيحاً.

والمتحرك: تكون حركته بإحدى الحركات الثلاثة.

فهذا تعريف موجز لأنواع الهمز المتطرف باختصار كما سنعرض بعون الله لها في هذا البحث إن شاء الله.

فهذه أقسام الهمز المتوسط والمتطرف التي يكون فيها لحمزة التخفيف، ويوافقه هشام في المتطرف.

والآن نعرض أقسام الهمز المخفف على القياس والرسم.

ينقسم الهمز المخفف على القياس والرسم إلى ثلاثة أقسام هي:

١- متحرك متطرف مرسوم على واو وهو إما قبله ألف أو ليس قبله ألف.

٢- متحرك متطرف مرسوم على ياء وهو إما قبله ألف أو ليس قبله ألف.

٣- متحرك متوسط ليس له صورة.

ومن هذه التقسيمات والتفريعات إن شاء الله سيجد القارئ بغيته من باب وقف حمزة وهشام على الهمز.

❋ ❋ ❋

المبحث الأول: الهمز المتوسط المتحرك

المطلب الأول: الهمز المتوسط بنفسه، المتحرك، وقبله ساكن:

الحالة الأولى: أن يكون الساكن قبل الهمز المتوسط المتحرك، ألفاً أو ياءً زائدة، ولم يقع في القرآن منه واو زائدة(١).

أولاً: أن يكون الساكن قبل

الهمز ألفاً، ويأتي الهمز فيها بالحركات الثلاث:

– أن يكون الهمز مفتوحاً مثاله: ﴿دُعَاءً وَنِدَاءً﴾(٢) [البقرة: ١٧١]، ﴿أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١].

– أن يكون الهمز مكسوراً، مثاله: ﴿خَائِفِينَ﴾ [البقرة: ١١٤]، ﴿الْقَلَائِدَ﴾ [المائدة: ٢].

– أن يكون الهمز مضموماً، مثاله: ﴿ءَابَاؤُكُمْ﴾[النساء: ١١]، ﴿وأَبْنَاؤُكُمْ﴾ [النساء: ١١].

حكم الهمزة في ذلك: التسهيل بين بين مع المد والقصر(٣)، قال الشاطبي:

سِوَى أَنَّهُ مِنْ بَعْدِ مَا أَلِفٍ جَرَى يُسَهِّلُهُ مَهْمَا تَوَسَّطَ مَدْخَلاَ(٤)

وقال في مد وقصر حرف المد الواقع قبل الهمز المسهل:

---

(١) النشر [٤٣٢/١]، تحبير التيسير [٦١]، إتحاف فضلاء البشر [٢٩٣/١].

(٢) والهمز فيها متوسط نظراً للزوم الألف التي هي عوض عن التنوين اللازم للكلمة، الوافي [١١٤].

(٣) سراج القارئ [٨٧]، الوافي [١١٥]، الإقناع [٤٢٥]، إبراز المعاني [١٠/٢].

(٤) متن حرز الأماني [٢٠].

وَإِنْ حَرْفُ مَدٍّ قَبْلَ هَمْزٍ مُغَيَّرٍ   يَجُزْ قَصْرُهُ وَالْمَدُّ مَا زَالَ أَعْدَلاَ[1]

ثانياً: أن يكون الساكن قبل الهمز المتحرك المتوسط بنفسه ياءً زائدة:

مثاله: ﴿خَطِيٓئَتُهُۥ﴾ [البقرة: ٨١]، و﴿هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ٤]، و﴿بَرِيٓـُٔونَ﴾ [يونس: ٤١].

حكم الهمزة في ذلك: إبدال الهمزة ياءً مع إدغام الياء قبلها فيها فيصير النطق بياء واحدة مشددة، وليس لحمزة فيها غير هذا الوجه لأن الياء زائدة[2].

قال الشاطبي رحمه الله:

وَيُدْغَمُ فِيهِ الواوُ وَالْيَاءُ مُبْدلاً   إِذَا زِيدَتَا مِنْ قَبْلُ حَتَّى يُفَصَّلاَ[3]

الحالة الثانية: أن يكون الساكن قبل الهمز المتحرك المتوسط ساكناً صحيحاً أو ياءً أو واواً أصليين.

أولاً: أن يكون الساكن قبل الهمز ساكناً صحيحاً، ويأتي الهمز فيه على أحوال ثلاث:

- أن يكون الساكن الصحيح قبل الهمزة المفتوحة، مثاله ﴿الْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، و﴿تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

- أن يكون الساكن الصحيح قبل الهمزة المكسورة، مثاله: ﴿الْأَفْـِٔدَةِ﴾

---

(١) متن حرز الأماني [١٧].

(٢) النشر [٤٣٣/١]، تحبير التيسير [٦١]، إتحاف فضلاء البشر [٢٣٩/١]، إبراز المعاني من حرز الأماني [١٢/٢]، الوافي [١١٥]، وطريقة معرفة زيادة الحرف يكون بوضع حروف الكلمة في مقابلة أحرف الميزان الصرفي، فما زاد على أحرف الميزان فهو الحرف الزائد، فمثلاً (خطيئة) على وزن (فعيلة) فنرى أن الياء زائدة على أحرف الميزان التي هي فاء الكلمة وعينها ولامها.

(٣) متن حرز الأماني [٢٠].

[الهمزة: ٧] وليس في القرآن غيره[١].

– أن يكون الساكن الصحيح قبل الهمزة المضمومة، مثاله ﴿مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦]، و﴿مَذْءُوماً﴾ [الأعراف: ١٨].

حكم الهمزة في ذلك: لحمزة فيه وقفاً نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها مع حذف الهمزة.

والمراد بالنقل هنا: إلقاء حركة الهمز على الحرف الساكن قبله، وإسقاط الهمز ليكون اللفظ أيسر في النطق، وحينئذ يتحرك الحرف الساكن بحركة الهمز فيكون مفتوحاً إذا كان الهمز مفتوحاً، ويكون مكسوراً إذا كان الهمز مكسوراً، ويكون الحرف مضموماً إذا كان الهمز مضموماً[٢].

قال الشاطبي رحمه الله:

وَحَرِّكْ بِهِ مَا قَبْلَهُ مُتَسَكِّناً   وَأَسْقِطْهُ حَتَّى يَرْجِعَ اللفْظُ أَسْهَلاَ[٣]

ثانياً: أن يكون الساكن الذي قبل الهمز ياء أو واو أصليتين وهما حرفا مد أو لين ولا تأتِ الهمزة بعدهما إلا مفتوحة أي حرفا المد[٤].

– الساكن قبل الهمز ياء ساكنة أصلية حرف مد، مثاله: ﴿سِيئَتْ﴾ [الملك: ٢٧]، وليس في القرآن غيره.

– الساكن قبل الهمز ياء ساكنة أصلية حرف لين، مثاله: ﴿كَهَيْئَةِ﴾ [آل عمران: ٤٩]، ﴿اسْتَيْئَسَ﴾ [يوسف: ١١٠]، ﴿شَيْئاً﴾ [البقرة: ٤٨].

---

(١) النشر [١/٤٣٣]، الوافي [١١٢ – ١١٣].

(٢) سراج القاري [٨٠]، الوافي [١١٢ – ١١٣].

(٣) متن حرز الأماني [١٩].

(٤) النشر [١/٤٣٣]، تحبير التيسير [٦١]، إتحاف فضلاء البشر [١/٢٣٩].

- الساكن قبل الهمز واو ساكنة أصلية حرف مد، مثاله: ﴿السُّوأَى﴾ [الروم: ١٠] وليس في القرآن غيره(١).

- الساكن قبل الهمز واو ساكنة أصلية حرف لين، مثاله: ﴿سَوْءَةَ﴾ [المائدة: ٣١]، ﴿مَوْئِلًا﴾ [الكهف: ٥٨]، ﴿الْمَوْءُودَةُ﴾ [التكوير: ٨].

حكم الهمز في ذلك: فيه وجهان:

١) نقل حركة الهمز إلى الساكن قبله مع حذف الهمز.

٢) الإدغام: وهو إبدال الهمز حرف مد من جنس حركة ما قبله ثم إدخاله فيه فيكون النطق بحرف واحد مشدد(٢).

قال الشاطبي:

وَحَرِّكْ بِهِ مَا قَبْلَهُ مُتَسَكِّناً ... وَأَسْقِطْهُ حَتَّى يَرْجِعَ اللفْظُ أَسْهَلاَ(٣)

وقال رحمه الله:

وَمَا وَاوٌ اصْلِيٌّ تَسَكَّنَ قَبْلَهُ ... أَوِ اليَا فَعَنْ بَعْضٍ بِالادْغَامِ حُمِّلاَ(٤)

المطلب الثاني: الهمز المتحرك المتوسط بنفسه وقبله متحرك

إنّ الهمز المتحرك المتوسط بنفسه الذي قبله متحرك، لا يخلو من أن يكون مفتوحاً أو مكسوراً أو مضموماً، ولا تخلو الحركة قبله من أن تكون ضماً أو كسراً أو فتحاً فيتحصل من ذلك تسع صور هي(٥):

(١) النشر [١/٤٣٤].

(٢) سراج القارئ [٨١ - ٨٦]، إبراز المعاني [٢/٩ - ٣١]، الوافي [١١٢ - ١١٥].

(٣) متن حرز الأماني [١٩].

(٤) متن حرز الأماني [٢٠].

(٥) النشر [١/٤٣٨]، تحبير التيسير [٦٢]، سراج القاري [٨٨]، الوافي [١١٧].

١) همزة مفتوحة بعد ضم نحو ﴿مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، و﴿الْفُؤَادَ﴾ [الإسراء: ٣٦]، و﴿لُؤْلُؤًا﴾ [الحج: ٢٣].

٢) همزة مفتوحة بعد كسر، نحو: ﴿مِائَةٌ﴾ [الأنفال: ٦٥]، ﴿سَيِّئَةً﴾ [البقرة: ٨١]، ﴿خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ١٦].

٣) همزة مفتوحة بعد فتح، نحو: ﴿شَنَآنُ﴾ [المائدة: ٢]، ﴿سَأَلَهُمْ﴾ [الملك: ٨]، ﴿أَرَأَيْتَ﴾ [العلق: ٩].

٤) همزة مكسورة بعد ضم، نحو: ﴿سُئِلَ﴾ [البقرة: ١٠٨]، ﴿سُئِلَتْ﴾ [التكوير: ٨]، ﴿سُئِلُوا﴾ [الأحزاب: ١٤].

٥) همزة مكسورة بعد كسر نحو: ﴿بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، ﴿خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، و﴿مُتَّكِئِينَ﴾ [الكهف: ٣١].

٦) همزة مكسورة بعد فتح، نحو: ﴿بَئِيسٍ﴾ [الأعراف: ١٦٥]، ﴿لِيَطْمَئِنَّ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، ﴿لِجَبْرَئِيلَ﴾[1] [البقرة: ٩٧].

٧) همزة مضمومة بعد ضم، نحو: ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿رُءُوسَهُمْ﴾ [المنافقون: ٥].

٨) همزة مضمومة بعد كسر، نحو: ﴿لِيُطْفِئُوا﴾ [الصف: ٨]، ﴿أَنْبِئُونِي﴾ [البقرة: ٣١]، و﴿مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤].

٩) همزة مضمومة بعد فتح، نحو: ﴿لَرَءُوفٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، و﴿يَدْرَءُونَ﴾ [الرعد: ٢٢]، و﴿يَكْلَؤُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٤٢].

حكم الهمز في هذه التسع صور:

لحمزة عند الوقف على هذه الصور التسع الآتي:

---

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي.

أولاً: الصورة الأولى وهي المفتوحة بعد ضم ففيها إبدال الهمزة واواً خالصة.

والصورة الثانية هي المفتوحة بعد كسر ففيها إبدال الهمزة ياء خالصة(1).

قال الشاطبي رحمه الله:

وَيسمع بَعْدَ الكَسْرِ وَالضَّمِّ هَمْزَهُ   لَدَى فَتْحِه يَاءً وَواواً مُحَوَّلاَ(2)

ثانياً: الصور السبع الباقية يقف عليها حمزة بالتسهيل بين بين أي بينها وبين الحرف المجانس لحركتها(3).

قال الشاطبي رحمه الله: (وَفِي غَيْرِ هَذَا بَيْنَ بَيْنَ)(4).

ثالثاً: ويزيد في الصورة الرابعة والصورة الثامنة وجه آخر وهو ما يسمى بمذهب الأخفش وهو أنه يبدل الهمزة واواً خالصة مكسورة في الصورة الرابعة، ويبدل الهمزة ياءاً خالصة مضمومة في الصورة الثامنة.

قال الشاطبي رحمه الله:

....   وَالاَخْفَشُ بَعْدَ الكَسْرِ ذَا الضَّمِّ أَبْدَلاَ

بِيَاءٍ وَعَنْهُ الوَاوُ فِيْ عَكْسِهِ....   ....(5)

---

(1) سراج القارئ [87]، الوافي [116]، إبراز المعاني [2/13 – 14]، التبصرة [114]، الإقناع [1/43].

(2) متن حرز الأماني [20].

(3) سراج القارئ [87]، الوافي [116]، إبراز المعاني [2/14]، التبصرة [114]، الإقناع [1/431].

(4) متن حرز الأماني [20].

(5) المصدر السابق.

المبحث الثاني: الهمز المتوسط بغيره المتحرك

المطلب الأول:

الهمز المتوسط بغيره المتحرك، وما قبله ساكن، وهو إما أن يكون متصلاً رسماً أو منفصلاً رسماً

الحالة الأولى: الهمز المتوسط بغيره المتحرك المتوسط وما قبله ساكن متصل رسماً. ولا يخلو المتصل رسماً من أن يكون ألفاً أو غير ألف.

أولاً: المتصل رسماً بالألف: ولا يخلو الألف من الاتصال بياء النداء أو هاء التنبيه.

– المتصل رسماً بالألف في ياء النداء نحو: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ﴾ [البقرة: ٣٥]، و﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾ [البقرة: ٢١]، و﴿يَٰٓأُوْلِي﴾ [البقرة: ١٩٧].

– المتصل رسماً بالألف في هاء التنبيه، نحو: ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ [آل عمران: ٦٦]، و﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [آل عمران: ٦٦]، و﴿هَآؤُمُ﴾ [الحاقة: ١٩].

حكم الوقف على الهمز في هذا النوع:

لحمزة عند الوقف على الهمز في المتصل رسماً بالألف مما سبق وجهان:

الوجه الأول: التسهيل مع المد والقصر.

الوجه الثاني: التحقيق.

قال الشاطبي رحمه الله:

وَمَا فِيهِ يُلْفَى وَاسِطاً بِزَوَائِدِ   دَخَلْنَ عَلَيْهِ فِيهِ وَجْهَانِ أُعْمِلاَ[1]

---

(١) متن حرز الأماني [٢٠].

وقال رحمه الله:

وَإِنْ حَرْفُ مَدٍّ قَبْلَ هَمْزٍ مُغَيَّرٍ   يَجُزْ قَصْرُهُ وَالمَدُّ مَا زَالَ أَعْدَلاَ[1]

ثانياً: المتصل رسماً بغير الألف، وهو موضع واحد، وهو (أل) التعريف، نحو: ﴿الأَرْضَ﴾[البقرة: ٢٢]، و﴿بِالآخِرَةِ﴾[البقرة: ٤]، و﴿الأَسْمَآءَ﴾[البقرة: ٣١].

حكم الوقف على الهمز في هذا النوع:

لحمزة عند الوقف على الهمز المتصل رسماً في (ال) التعريف ثلاثة أوجه: السكت، والنقل، والتحقيق.

فالنقل لحمزة من طريق راوييه قولاً واحداً، والسكت لخلف عن حمزة قولاً واحداً ولخلاد في وجه، والتحقيق ممتنع إلا إذا سكتنا على مثله قبله فإننا عند ذلك يكون النافي (أل) الموقوف عليها التحقيق أيضاً، وقد استدل على ذلك بما جاء في التحريرات:

وَامْتَنَعَ التَّحْقِيقُ دُونَ سَكْتِه   وَقْفاً عَلَى مَقْرُونِ أَلْ لِحَمْزَةْ

قال الشاطبي:

وَعَنْ حَمْزَةٍ فِي الوَقْفِ خُلْفٌ وَعِنْدَهُ
رَوَى خَلَفٌ فِي الوَصْلِ سَكْتاً مُقَلَّلاَ
وَيَسْكُتُ فِي شَيْءٍ وَشَيْئاً وَبَعْضُهُمْ
لَدَى الَّلامِ لِلتَّعْرِيفِ عَنْ حَمْزَةَ تَلاَ[2]

الحالة الثانية: الهمز المتوسط بغيره المتحرك وقبله ساكن منفصلٌ رسماً[3].

(١) متن حرز الأماني [١٧].

(٢) المصدر السابق [١٩].

(٣) النشر [١/٤٣٥]، تقريب النشر [٤٢]، تحبير التيسير [٥٨]، سراج القاري [٨١]، الوافي [١٠٦].

ولا يخلو الساكن قبل الهمز، من أن يكون ساكناً صحيحاً، أو حرف مد أو لين .

أولاً: المنفصل رسماً قبله ساكن صحيح.

الهمز المتحرك المتوسط بغيره قبله ساكن صحيح منفصلٌ رسماً، نحو: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ [البقرة: ٦٢]، ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [المؤمنون: ١]، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤].

حكم الوقف على الهمز في هذا النوع:

لحمزة عند الوقف على الهمز المتوسط بغيره المتحرك وقبله ساكن صحيح منفصلٌ رسماً ثلاثة أوجه: النقل والتحقيق والسكت.

أما النقل فهو لحمزة من روايتيه قولاً واحداً، وكذلك التحقيق، وأما السكت فهو وجه لخلف.

قال الشاطبي:

وَعَنْ حَمْزَةٍ فِي الوَقْفِ خُلْفٌ وَعِنْدَهُ
رَوَى خَلَفٌ فِي الوَصْلِ سَكْتاً مُقَلّلاً(١)

ثانياً: المنفصل رسماً وقبله ساكن حرف علة (مد أو لين).

أ – الهمز المتوسط بغيره المتحرك وقبله حرف مد ألف أو واو أو ياء، أو صلة.

فمثال الألف: ﴿بِمَا أُنزِلَ﴾ [البقرة: ٤]، ﴿اسْتَوَى إِلَى﴾ [البقرة: ٢٩]، ومثال الواو ﴿قَالُوا ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ١٤]، ﴿أَدْعُوا إِلَى﴾ [يونس: ١٠٨]، ومثال الياء ﴿تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ [هود: ٣١]، و﴿ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ [النحل: ٢٨]، ومثال

(١) متن حرز الأماني [١٩].

الصلة سواء أكانت مضمومة أم مكسورة: ﴿بِهِۦٓ أَن﴾ [البقرة: ٢٧]، ﴿أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٦].

حكم الوقف على الهمز في هذا النوع:

لحمزة عند الوقف على هذا النوع المد ست حركات مع التحقيق[1].

قال صاحب نظم تحرير الشاطبية: وَمُنْفَصِلاً أَشْبِعْ لِوَرْشٍ وَحَمْزَةٍ[2].

ب - الهمز المتوسط بغيره المتحرك قبله حرف لين.

مثال حرف اللين الواو: ﴿خَلَوْاْ إِلَىٰ﴾ [البقرة: ١٤]، ومثال حرف اللين الياء: ﴿ٱبْنَيْ ءَادَمَ﴾ [المائدة: ٢٧].

حكم الوقف على الهمز في هذا النوع:

لحمزة عند الوقف على الهمز المتوسط بغيره المتحرك الذي قبله ساكن حرف لين منفصلٌ رسماً ثلاثة أوجه وهي نفس الأوجه التي فيما قبله ساكن صحيح: النقل والتحقيق والسكت.

قال الشاطبي رحمه الله:

وَعَنْ حَمْزَةٍ فِي الوَقْفِ خُلْفٌ وَعِنْدَهُ
رَوَى خَلَفٌ فِي الوَصْلِ سَكْتاً مُقَلَّلاً[3]

---

(١) وحكي التسهيل عن حمزة وهو ضعيف، والعمل على التحقيق، وقد أجري التسهيل بالنقل والإدغام مطلقاً سواء أكانت الألف والياء والواو في نفس الكلمة أو ضميراً أو زائداً من طريق النشر، انظر النشر [٤٣٧/١]، سراج القارئ [٤٩]، الوافي [٧٤].

(٢) مختصر بلوغ الأمنية [٤٩].

(٣) متن حرز الأماني [١٩].

المطلب الثاني: الهمز المتوسط بغيره المتحرك وما قبله متحرك

الحالة الأولى: الهمز المتوسط بغيره المتحرك، قبله متحرك متصل رسماً.

وهذا النوع هو المعبر عنه بالمتوسط بزائد، وهذا الزائد هو حروف العطف والجر ولام الابتداء وهمز الاستفهام وغير ذلك(1).

وتأتي الهمز فيه بالحركات الثلاث، ويأتي الحرف الذي قبلها بإحدى حركتين إما مفتوح أو مكسور، فتحصل من ذلك ست صور هي:

١) همزة مفتوحة بعد كسر نحو: ﴿بِأَنَّهُ﴾ [التغابن: ٦]، ﴿لِآدَمَ﴾ [البقرة: ٣٤]، ﴿فَبِأَيِّ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

٢) همزة مفتوحة بعد فتح، نحو: ﴿سَأَصْرِفُ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦]، ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ [المنافقون: ٤].

---

(١) النشر [١/٤٣٧]، إتحاف فضلاء البشر [١/٢٤٨]، سراج القارئ [٨٩]، الوافي [١٢٢]، إبراز المعاني [٢/٢٧ – ٢٨].

والزوائد الواقعة في القرآن عشرة: هاء التنبيه، وياء النداء، واللام، والباء، والهمزة، والسين، والفاء، والكاف، والواو، ولام التعريف، وقد جمعها سوى الأخير صاحب إتحاف البرية في قوله:

كما ها ويا واللام والبا ونحوها   من الهمز سين كاف فا واو انقلا

فهاء التنبيه نحو: ﴿ هَٰؤُلَاءِ ﴾ [البقرة/٣١]، وياء النداء نحو: ﴿ يَٰآدَمُ ﴾ [البقرة/٣٣]، واللام نحو: ﴿ لَأَنتُمْ ﴾ [الحشر/١٣]، والباء نحو: ﴿ بِأَنَّهُمْ ﴾ [البقرة/٦١]، والهمزة نحو: ﴿ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ [البقرة/٦]، والسين نحو: ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ﴾ [الأعراف/١٤٥]، والكاف نحو: ﴿ كَأَنَّهُمْ ﴾ [البقرة/١٠١]، ولام التعريف نحو: ﴿ الْأَنْهَارُ ﴾ [البقرة/٢٥]. انظر: مختصر بلوغ الأمنية [٨٨ – ٩٢].

٣) همزة مكسورة بعد كسر، نحو: ﴿لِبِإِمَامٍ﴾ [الحجر: ٧٩]، ﴿بِإِيمَانٍ﴾ [الطور: ٢١]، ﴿لِإِيلَفِ﴾ [قريش: ١].

٤) همزة مكسورة بعد فتح، نحو: ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ [الصافات: ٣٣]، ﴿وَإِمَّا﴾ [الأنفال: ٥٨]، ﴿فَإِمَّا﴾ [الأنفال: ٥٧].

٥) همزة مضمومة بعد كسر، نحو: ﴿لِأُخْرَاهُمْ﴾ [الأعراف: ٣٩]، ﴿لِأُولَاهُمْ﴾ [الأعراف: ٣٨].

٦) همزة مضمومة بعد فتح، نحو: ﴿وَأُوحِيَ﴾ [هود: ٣٦]، ﴿أَءُلْقِيَ﴾ [القمر: ٢٥]، ﴿وَأُوتِينَا﴾ [النمل: ٤٢].

حكم الوقف على هذا النوع من الهمز:

لحمزة عند الوقف على الهمز المتوسط بغيره المتحرك، وقبله متحرك منفصل رسماً وجهان: التسهيل والتحقيق.

والمقصود بالتسهيل هنا التغيير فيبدل الصورة الأولى ياءً خالصة، وبقية الصور بين بين.

ويزيد في الصورة الخامسة وجه ثالث وهو إبدال الهمزة ياءً خالصة مضمومة على مذهب الأخفش.

وجاء التسهيل هنا باعتبار الهمز وسط الكلمة، والتحقيق هنا باعتبار الهمز في أول الكلمة حقيقة(١).

قال الشاطبي:

وَمَا فِيهِ يُلْفَى وَاسِطاً بِزَوَائِدٍ   دَخَلْنَ عَلَيْهِ فِيهِ وَجْهَانِ أُعْمِلاَ

---

(١) سراج القارئ [٨٩]، وإبراز المعاني [٢/٢٩]، والوافي [١٢٢].

كَمَا هَا وَيَا وَاللامِ وَالْبَا وَنَحْوِهَا   وَلاَمَاتِ تَعْرِيفٍ لِمَنْ قَدْ تَأَمَّلاَ[١]

قال الشاطبي في إبدال الصورة الأولى ياءً خالصة:

وَيُسْمِعُ بَعْدَ الكَسْرِ وَالضَّمِّ هَمْزَهُ   لَدَى فَتْحِهِ يَاءً وَوَاواً مُحَوَّلاَ[٢]

وقال الشاطبي في تسهيل بقية الصور بين بين: (وَفِي غَيْرِ هَذَا بَيْنَ بَيْنَ)[٣].

الحالة الثانية: الهمز المتوسط بغيره، المتحرك، وقبله متحرك منفصل رسماً.

وتأتي الهمزة في هذا النوع بالحركات الثلاث، ويأتي الحرف الذي قبلها بالحركات الثلاث، فيتحصل من ذلك تسع صور[٤] نوردها على النحو التالي:

١) همزة مفتوحة بعد ضم نحو: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا﴾ [يوسف: ٤٦]، ﴿الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا﴾ [يوسف: ٤٦].

٢) همزة مفتوحة بعد كسر، نحو: ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ [مريم: ٥٨]، ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٩٧]، ﴿نُؤْتِيهِ أَجْرًا﴾ [النساء: ٧٤].

٣) همزة مفتوحة بعد فتح، نحو: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن﴾ [البقرة: ٧٥]، ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ [يوسف: ٩٤]، ﴿اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥].

٤) همزة مكسورة بعد ضم، نحو: ﴿يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، ﴿النَّبِيُّ إِنَّا﴾ [الأحزاب: ٥٠].

٥) همزة مكسورة بعد كسر، نحو: ﴿مِنۢ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ﴾ [النور: ٣٣]،

---

(١) متن حرز الأماني [٢٠].

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) النشر [٤٣٩/١]، تقريب النشر [٤٢]، تحبير التيسير [٦٢]، إتحاف فضلاء البشر [٢٤٨/١].

﴿مِنَ النُّورِ إِلَى﴾ [البقرة: ٢٥٧].

٦) همزة مكسورة بعد فتح، نحو: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠]، ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، ﴿قَالَ إِنِّي﴾ [مريم: ٣٠].

٧) همزة مضمومة بعد ضم، نحو: ﴿الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [التكوير: ١٣]، ﴿كُلُّ أُولَئِكَ﴾ [الإسراء: ٣٦].

٨) همزة مضمومة بعد كسر، نحو: ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ﴾ [النحل: ٨٤]، ﴿فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٨]، ﴿عَلَيْهِ أُمَّةً﴾ [القصص: ٢٣].

٩) همزة مضمومة بعد فتح، نحو: ﴿هُنَّ أُمُّ﴾ [آل عمران: ٧]، ﴿كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]، ﴿كُلَّ أُمَّةٍ﴾ [الجاثية: ٢٨].

حكم الوقف على هذا النوع:

لحمزة عند الوقف على الهمز المتوسط بغيره، المتحرك، قبله متحرك منفصل رسماً وجه واحد فقط وهو التحقيق، لأن الهمزة في أول الكلمة حقيقة، منفصلة رسماً عما قبلها، فيتعين التحقيق، وهذا ما عليه العمل من طريق الشاطبية والتيسير، ولم يذكر الشاطبي هذا النوع في النظم لأنه في أول الكلمة ومنفصل رسماً عما قبله.

❋ ❋ ❋

المبحث الثالث: الهمز المتوسط، الساكن

المطلب الأول: الهمز المتوسط بنفسه، الساكن

ولا بد أن يأتي قبله متحرك بإحدى الحركات الثلاث ولم يأت في القرآن همز متوسط ساكن قبله ساكن.

١) الهمز الساكن المتوسط بنفسه، قبله مفتوح، نحو: ﴿بِكَأْسٍ﴾ [الصافات: ٤٥]، و﴿فَتَأْكُلُ﴾ [يوسف: ٤١]، و﴿رَأْسِهِ﴾ [يوسف: ٤١].

٢) الهمز الساكن المتوسط بنفسه قبله مكسور، نحو: ﴿وَبِئْرٍ﴾ [الحج: ٤٥]، ﴿نَبِّئْنَا﴾ [يوسف: ٣٦].

٣) الهمز الساكن المتوسط بنفسه قبله مضموم، نحو: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ [الحاقة: ٩]، ﴿يُؤْمِن﴾ [التغابن: ١١].

حكم الوقف على هذا النوع: لحمزة عند الوقف على الهمز المتوسط بنفسه الساكن الإبدال حرف مد من جنس حركة ما قبله(١).

قال الشاطبي رحمه الله:

فَأَبْدِلْهُ عَنْهُ حَرْفَ مَدٍّ مُسَكِّنَا   وَمِنْ قَبْلِهِ تَحْرِيكُهُ قَدْ تَنَزَّلاَ(٢)

ملاحظة: في نحو: ﴿وَتُـْٔوِي﴾ [الأحزاب: ٥١] و﴿وَرِءْيًا﴾ [مريم: ٧٤] يزيد وجه ثان وهو الإبدال مع الإدغام.

قال الشاطبي: (وَرِئْياً عَلَى إِظْهَارِهِ وَادِّغَامِهِ)(٣).

---

(١) سراج القاري [٨٩]، الوافي [١٢٢ - ١٢٣].

(٢) متن حرز الأماني [١٩].

(٣) متن حرز الأماني [٢٠].

المطلب الثاني: الهمز الساكن المتوسط بغيره

وهو إما متوسط بالكلمة أو متوسط بالحرف.

الحالة الأولى: الهمز الساكن المتوسط بغيره (المتوسط بحرف).

ويكون ما قبل هذا النوع مفتوحاً فقط، ولم يأت قبل الهمز مضموم ولا مكسور.

مثاله: ﴿فَأْوُوا﴾ [الكهف: ١٦]، و﴿وأْتُونِي﴾ [يوسف: ٩٣].

حكم الوقف على هذا النوع من الهمز:

لحمزة عند الوقف على هذا النوع وجهان: إبدال الهمزة حرف مد من جنس حركة ما قبلها، والتحقيق.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:

وَمَا فِيهِ يُلْفَى وَاسِطاً بِزَوَائِدٍ   دَخَلْنَ عَلَيْهِ فِيهِ وَجْهَانِ أُعْمِلاَ[1]

الحالة الثانية: الهمز الساكن المتوسط بغيره (المتوسط بكلمة).

ولا يخلو ما قبل الهمز الساكن في هذا النوع من التحريك بإحدى الحركات الثلاث.

أولاً: ما قبله مفتوح نحو: ﴿لِقَآءَنَا ائْتِ﴾ [يونس: ١٥].

ثانياً: ما قبله مكسور، نحو: ﴿الَّذِي اؤْتُمِنَ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، ﴿أَوِ ائْتِنَا﴾ [العنكبوت: ٢٩].

ثالثاً: ما قبله مضموم، نحو: ﴿قَالُوا ائْتِنَا﴾ [الأنفال: ٣٢]، ﴿الْمَلِكُ ائْتُونِي﴾ [يوسف: ٥٠].

---

(١) المصدر السابق.

حكم الوقف على الهمز:

لحمزة عند الوقف على هذا النوع من الهمز وجهان: الإبدال حرف مد من جنس حركة ما قبله، والتحقيق.

قال الإمام الشاطبي:

وَمَا فِيهِ يُلْفَى وَاسِطاً بِزَوائِدِ دَخَلْنَ عَلَيْهِ فِيهِ وَجْهَانِ أُعْمِلاَ[1]



(١) متن حرز الأماني [٢٠].

المبحث الرابع: الهمز المتطرف

الهمز المتطرف لا بد أن يسكن من أجل الوقف، فالهمز المتطرف إما أن يكون سكونه لازماً أو عارضاً.

المطلب الأول: الهمز المتطرف الساكن سكوناً لازماً

ولا بد أن يكون الحرف الذي قبل الهمز متحركاً بإحدى حركتين، إما مفتوح وإما مكسور، ولم يأت في القرآن همز متطرف ساكن سكوناً لازماً قبله ضم.

فالهمز الساكن سكوناً لازماً وقبله فتح نحو: ﴿اقْرَأْ﴾ [العلق: ١]، والهمز الساكن سكوناً لازماً وقبله كسر نحو: ﴿نَبِّئْ﴾ [الحجر: ٤٩].

حكم الوقف على هذا الهمز:

لحمزة وهشام عند الوقف على الهمز المتطرف الساكن سكوناً لازماً وجه واحد وهو: إبدال الهمز حرف مد من جنس حركة ما قبله.

قال الشاطبي رحمه الله:

فَأَبْدِلْهُ عَنْهُ حَرْفَ مَدٍّ مُسَكِّنَاً وَمِنْ قَبْلِهِ تَحْرِيكُهُ قَدْ تَنَزَّلاَ[1]

وقال:

.... وَمِثْلُهُ يَقُولُ هِشَامٌ مَا تَطَرَّفَ مُسْهِلاَ[2]

---

(١) متن حرز الأماني [١٩].

(٢) المصدر السابق [٢٠].

المطلب الثاني: الهمز المتطرف الساكن سكوناً عارضاً

وهو على حالتين:

الحالة الأولى: أن يكون قبل متحرك.

نحو: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا﴾ [النمل: ٦٤]، ﴿يَتَفَيَّؤُا﴾ [النحل: ٤٨].

حكم هذه الحالة:

يبدل الهمز حرف مد من جنس حركة ما قبلها.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:

فَأَبْدِلْهُ عَنْهُ حَرْفَ مَدٍّ مُسَكِّناً   وَمِنْ قَبْلِهِ تَحْرِيْكُهُ قَدْ تَنَزَّلاَ[١]

وينبغي ملاحظة ما يدخل عليها من وجوه على المذهب الرسمي، ومن روم وإشمام، وكذلك ما يدخل فيه التسهيل مع الروم.

قال الشاطبي:

وَمَا قَبْلَهُ التَّحْرِيْكُ أَوْ أَلِفاً مُحَرّ   رَكاً طَرَفاً فَالبَعْضُ بِالرَّوْمِ سَهَّلاَ[٢]

الحالة الثانية: أن يكون قبل ساكن.

أولاً: أن يكون ما قبله ساكن حرف صحيح، نحو: ﴿مِلْءُ﴾ [آل عمران: ٩١]، و﴿دِفْءٌ﴾ [النحل: ٥]، و﴿الْخَبْءَ﴾ [النمل: ٢٥].

الحكم فيه: النقل.

قال الشاطبي رحمه الله:

وَحَرِّكْ بِهِ مَا قَبْلَهُ مُتَسَكِّناً   وَأَسْقِطْهُ حَتَّى يَرْجِعَ اللَّفْظُ أَسْهَلاَ[٣]

---

(١) متن حرز الأماني [١٩].

(٢) المصدر السابق [٢١].

(٣) المصدر السابق [١٩].

مع ملاحظة ما يزيد من الوجوه على الروم والإشمام.

ثانياً: أن يكون ما قبله واواً أو ياءً أصليتين، نحو: ﴿وَجِاْيءَ﴾ [الفجر: ٢٣]، و﴿الْمُسِيءُ﴾ [غافر: ٥٨]، و﴿لَتَنُوأُ﴾ [القصص: ٧٦]، و﴿مِنْ سُوءِ﴾ [النحل: ٥٩].

الحكم فيه: مثل الذي قبله، ويزيد فيها وجه الإدغام.

قال الشاطبي:

وَمَا وَاوٌ اصْلِيٌّ تَسَكَّنَ قَبْلَهُ أَوِ اليَا فَعَنْ بَعْضٍ بِالِادْغَامِ حُمِّلاَ[1]

ثالثاً: أن يكون ما قبله ياءً أو واواً زائدتين، نحو: ﴿النَّسِيءُ﴾ [التوبة: ٣٧]، و﴿بَرِيءٌ﴾ [الحشر: ١٦]، و﴿قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

الحكم فيه: يبدل الهمز ياءً في ﴿النَّسِيءُ﴾ [التوبة: ٣٧]، و﴿بَرِيءٌ﴾ [الحشر: ١٦]، وواواً في ﴿قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ثم يدغم.

قال الشاطبي:

وَيُدْغِمُ فِيْهِ الوَاوَ وَاليَاءَ مُبْدِلاً إِذَا زِيْدَتَا مِنْ قَبْلُ حَتَّى يُفَصَّلاَ[2]

مع ملاحظة ما يدخله من روم وإشمام.

رابعاً: أن يكون ما قبله ألف، نحو: ﴿شَاءَ﴾ [المدثر: ٣١]، و﴿إِلَى الْمَاءِ﴾ [الرعد: ١٤]، و﴿وَرَدَ مَاءَ﴾ [القصص: ٢٣].

الحكم فيه:

إبدال الهمز حرف مد مع القصر والتوسط والمد.

قال الشاطبي رحمه الله:

---

(١) متن حرز الأماني [٢٠].

(٢) المصدر السابق.

وَيُبْدِلُهُ مَهْمَا تَطَرَّفَ مِثْلَهُ وَيَقْصُرُ أَوْ يَمْضِي عَلَى الْمَدِّ أَطْوَلاَ[(١)]

ويبغي ملاحظة ما يترتب من وجوه إذا رسمت الهمزة على واو أو ياء، وكذلك يزيد في المضمومة والمكسورة وجهان التسهيل بالروم مع المد والقصر.

وهذا المبحث بكامله يدخل هشام في أحكام الهمزات فيه، لأن الهمزات التي في هذا المبحث متطرفة.

قال الشاطبي رحمه الله:

.... وَمِثْلُهُ يَقُولُ هِشَامٌ مَا تَطَرَّفَ مُسْهِلاَ[(٢)]



(١) متن حرز الأماني [٢٠].

(٢) المصدر السابق.

المبحث الخامس: الهمز المخفف على القياس والرسم

ينقسم الهمز المخفف على القياس والرسم إلى ثلاثة أقسام على النحو التالي:

القسم الأول: الهمز المتحرك المتطرف المرسوم على واو.

القسم الثاني: الهمز المتحرك المتطرف المرسوم على ياء.

القسم الثالث: الهمز المتوسط الذي ليست له صورة.

المطلب الأول: الهمز المتحرك المتطرف المرسوم على واو

وينقسم هذا النوع إلى قسمين هما:

أولاً: الهمز المتحرك المتطرف المرسوم على واو وقبله ألف.

وعدد كلماته عشر كلمات على النحو التالي: ﴿جَزَٰٓؤُاْ﴾ [المائدة: ٢٩، ٣٣]، ﴿شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ [الأنعام: ٩٤، والشورى: ٢١]، ﴿نَشَٰٓؤُاْ﴾ [هود: ٨٧]، ﴿الضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ [إبراهيم: ٢١]، ﴿شُفَعَٰٓؤُاْ﴾ [الروم: ١٣]، ﴿الْبَلَٰٓؤُاْ﴾ [الصافات: ١٠٦]، ﴿بَلَٰٓؤٌاْ﴾ [الدخان: ٣٣]، ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ﴾ [غافر: ٥٠]، ﴿بُرَءَٰٓؤُاْ﴾ [الممتحنة: ٤]، ﴿أَنۢبَٰٓؤُاْ﴾ [الأنعام: ٥، الشعراء: ٦]، ﴿عُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [الشعراء: ١٩٧، فاطر: ٢٨].

حكم الوقف على هذا النوع من الهمز:

لحمزة وهشام عند الوقف على الهمز المتحرك المتطرف المرسوم على واو وقبله ألف اثنا عشر وجهاً هي: خمسة القياس وسبعة الرسم.

أما خمسة القياس فهي:

١-٢-٣) إبدال الهمز ألفاً مع المد والتوسط والقصر، قال الشاطبي:

وَيُبْدِلُهُ مَهْمَا تَطَرَّفَ مِثْلَهُ   وَيَقْصُرُ أَوْ يَمْضِي عَلَى المَدِّ أَطْوَلاَ[(١)]

ووجه التوسط قياساً على المد العارض.

٤–٥) التسهيل بالروم مع المد والقصر، قال الشاطبي:

وَمَا قَبْلَهُ التَّحْرِيكُ أَوْ أَلِفٌ مُحَرَّ   كاً طَرَفاً فَالبَعْضُ بِالرَّوْمِ سَهَّلاَ[(٢)]

وقال:

وَإِنْ حَرْفُ مَدٍّ قَبْلَ هَمْزٍ مُغَيَّرٍ   يَجُزْ قَصْرُهُ وَالمَدُّ مَا زَالَ أَعْدَلاَ[(٣)]

وسبعة الرسم هي:

الإبدال على الرسم وعليه القصر والتوسط والمد مع الإسكان، وكذلك القصر والتوسط والمد مع الإشمام، والقصر مع الروم، قال الشاطبي: (وَقَدْ رَوَوا أَنَّهُ بِالخَطِّ كَانَ مُسَهَّلاَ)[(٤)].

وقال:

وَأَشْمِمْ وَرُمْ فِيمَا سِوَى مُتَبَدِّلٍ   بِهَا حَرْفَ مَدٍّ وَاعْرِفِ البَابَ مَحْفِلاَ[(٥)]

ثانياً: الهمز المتطرف المتحرك المرسوم على واو وليس قبله ألف.

وعدد كلماته أحد عشر كلمة وهي: ﴿يَبْدَؤُا﴾ [يونس: ٤]، ﴿تَفْتَؤُا﴾ [يوسف: ٨٥]، ﴿يَتَفَيَّؤُا﴾ [النحل: ٤٨]، ﴿أَتَوَكَّؤُا﴾ [طه: ١٨]، ﴿لَا تَظْمَؤُا﴾ [طه: ١١٩]، ﴿وَيَدْرَؤُا﴾ [النور: ٨]، ﴿يَعْبَؤُا﴾ [الفرقان: ٧٧]، ﴿الْمَلَؤُا﴾ [المؤمنون: ٢٤، النمل: ٢٩، ٣٢، ٣٨]، ﴿يُنَشَّؤُا﴾ [الزخرف: ١٨]، ﴿نَبَؤُا﴾

---

(١) متن حرز الأماني [٢٠].

(٢) المصدر السابق [٢١].

(٣) المصدر السابق [١٧].

(٤) المصدر السابق [٢٠].

(٥) المصدر السابق .

[إبراهيم: ٩، ص: ٢١، التغابن: ٥]، ﴿يُنَبَّؤُا﴾ [القيامة: ١٣].

حكم الوقف على الهمز في هذا النوع:

لحمزة وهشام عند الوقف على الهمز المتطرف المتحرك المرسوم على واو وليس قبله ألف خمسة أوجه: وجهان على القياس وثلاثة على الرسم.

أما القياس فهو الإبدال ألفاً مقصورة، والتسهيل مع الروم.

وأما الرسم: فالإبدال واواً خالصة مع الإسكان والإشمام والروم.

المطلب الثاني:

الهمز المتحرك المرسوم على ياء وهو قسمان

أولاً: الهمز المتحرك المتطرف المرسوم على ياء وقبله ألف:

وعدد كلماته خمس كلمات: ﴿تِلْقَآئِ﴾ [يونس: ١٥]، ﴿وَإِيتَآئِ﴾ [النحل: ٩٠]، ﴿ءَانَآئِ﴾ [طه: ١٣٠]، ﴿مِن وَرَآئِ﴾ [الشورى: ٥١]، ﴿وَلِقَآئِ﴾ [الروم: ١٦].

حكم الوقف على الهمز في هذا النوع:

لحمزة وهشام عند الوقف على الهمز المتطرف المتحرك المرسوم على ياء قبله ألف تسعة أوجه هي: خمسة القياس وأربعة الرسم.

أما خمسة القياس فهي ثلاثة الإبدال، والتسهيل بروم مع المد والقصر، وأربعة الرسم هي: الإبدال ياءً مع الإسكان وعليه ثلاثة الوقف، والتسهيل بروم مع القصر.

قال الشاطبي:

وَيُبْدِلُهُ مَهْمَا تَطَرَّفَ مِثْلَهُ   وَيَقْصُرُ أَوْ يَمْضِي عَلَى المَدِّ أَطْوَلاَ(١)

وقال الشاطبي في الروم:

وَمَا قَبْلَهُ التَّحْرِيكُ أَوْ أَلِفٌ مُحَرَّ   كاً طَرَفاً فَالبَعْضُ بِالرَّوْمِ سَهَّلاَ(٢)

وقال الشاطبي في المد والقصر:

وَإِنْ حَرْفُ مَدٍّ قَبْلَ هَمْزٍ مُغَيَّرٍ   يَجُزْ قَصْرُهُ وَالمَدُّ مَا زَالَ أَعْدَلاَ(٣)

ودليل الإبدال على المذهب الرسمي:

....   وَقَدْ رَوَوْا أَنَّهُ بِالخَطِّ كَانَ مُسَهِّلاَ(٤)

ودليل الروم:

.... وَرُمْ فِيمَا سِوَى مُتَبَدِّلٍ   بِهَا حَرْفَ مَدٍّ وَاعْرِفِ البَابَ مَحْفِلاَ(٥)

ثانياً: الهمز المتطرف المتحرك المرسوم على ياء وليس قبله ألفاً:

وعدد كلماته كلمة واحدة هي ﴿نَبَإِي﴾ [الأنعام: ٣٤].

حكم الوقف على هذا النوع من الهمز: لحمزة وهشام عند الوقف على الهمز المتطرف المتحرك المرسوم على ياء ليس قبله ألف أربعة أوجه: وجهان على القياس ووجهان على الرسم.

أما وجهي القياس فهما الإبدال، والتسهيل بروم. قال الشاطبي:

فَأَبْدِلْهُ عَنْهُ حَرْفَ مَدٍّ مُسَكِّناً   وَمِنْ قَبْلِهِ تَحْرِيكُهُ قَدْ تَنَزَّلاَ(٦)

---

(١) متن حرز الأماني [٢٠].

(٢) المصدر السابق [٢١].

(٣) المصدر السابق [١٧].

(٤) متن حرز الأماني [٢٠].

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق [١٩].

وقال:

وَمَا قَبْلَهُ التَّحْرِيكُ أَوْ أَلِف مُحَرَّ   كاً طَرَفاً فَالبَعْضُ بِالرَّوْمِ سَهَّلاَ[1]

وأما وجهي الرسم فهما: الإبدال ياء ساكنة، والروم.

قال الشاطبي:

....   وَقَدْ رَوَوْا أَنَّهُ بِالخَطِّ كَانَ مُسَهِّلاَ[2]

وقال:

......وَرُمْ فِيمَا سِوَى مُتَبَدِّلٍ   بِهَا حَرْفَ مَدٍّ وَاعْرِفِ البَابَ مَحْفِلاَ[3]

المطلب الثالث: الهمز المتوسط الذي ليس له صورة

وهو نوعان على النحو التالي:

أ – الهمز المتوسط المتحرك وقبله كسر وبعده واو، وذلك نحو: ﴿مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤].

حكم الوقف على هذا النوع من الهمز:

لحمزة عند الوقف على الهمز المتوسط المتحرك وقبله كسر وبعده واو على المذهب القياسي والرسمي ثلاثة أوجه، وجهان على القياس وهما: التسهيل بين بين، والإبدال ياءً مضمومة، ووجه واحد على الرسم وهو: حذف الهمزة مع ضم الزاي[4].

قال الشاطبي في التسهيل بين بين:

(١) المصدر السابق [٢١].

(٢) المصدر السابق [٢٠].

(٣) متن حرز الأماني [٢٠].

(٤) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة [٢٢].

وَفِي غَيْرِ هَذَا بَيْنَ بَيْنَ......... .... (١)

وقال في إبدال الهمزة ياءً مضمومة:

.... وَالاخْفَشُ بَعْدَ الكَسْرِ ذَا الضَّمِّ أَبْدَلاَ

بِيَاءٍ....................... .... (٢)

وقال في حذف الهمزة مع ضم الزاي:

وَمُسْتَهْزِءُونَ الحَذْفُ فِيهِ وَنَحْوُهُ وَضَمٌّ وَكَسْرٌ قَبْلُ قِيلَ وأُخْمِلاَ(٣)

ب – الهمز المتوسط المتحرك الذي ليس له صورة وقبله كسر وبعده ياء، وذلك نحو: ﴿خَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٩٧].

حكم الوقف على هذا النوع من الهمز: لحمزة عند الوقف على الهمز المتوسط المتحرك الذي ليس له صورة، وقبله كسر وبعده ياء وجهان: واحد على القياس وهو التسهيل بين بين، وواحد أيضاً على الرسم وهو حذف الهمزة مع كسر الطاء والزاي(٤).

قال الشاطبي في التسهيل بين بين:

وَفِي غَيْرِ هَذَا بَيْنَ بَيْنَ........... .... (٥)

وقال في حذف الهمزة:

وَمُسْتَهْزِءُونَ الحَذْفُ فِيهِ وَنَحْوُهُ وَضَمٌّ وَكَسْرٌ قَبْلُ قِيلَ وأُخْمِلاَ(٦)

(١) متن حرز الأماني [٢٠].

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) البدور الزاهرة [١٦٢].

(٥) متن حرز الأماني [٢٠].

(٦) المصدر السابق.

الخاتمة

الحمد لله على إتمام مادة هذا البحث العلمية الذي قمت فيه بترتيب المعلومات والمنقولات المتعلقة بباب وقف حمزة وهشام على الهمز بطريقة سهلة وسلسة.

والطالب القارئ لمحتويات هذا البحث يجد فيه من الفوائد والمعلومات الآتي:

- ترجمة موجزة عن شيخي هذا الباب: حمزة وهشام.
- معنى الهمز وتوجيه تسهيله.
- علة تخفيف الهمز في الوقف دون الوصل.
- معنى المذهب الرسمي واختلاف أهل الأداء فيه.
- ما يدخله الروم والإشمام.
- معنى المذهب القياسي وبيان تخفيف الهمزة فيه.

فالله العظيم أرجو أن أكون قد وفقت في وضع مفتاح للطالب من خلال النقاط الرئيسة، والأصول الأساسية التي بمعرفتها يتوصل الطالب إلى فروعها وجوانبها بسهولة تامة.



المراجع

القرآن الكريم.

١. إبراز المعاني من حرز الأماني، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة، ت ٦٦٠، تحقيق: د. محمود عبد الخالق جادو، الناشر: الجامعة الإسلامية، ١٤١٣هـ.

٢. إتحاف فضلاء البشر للقراءات الأربعة عشر المسمى شهد الأماني والمسرات في علوم القراءات، أحمد بن محمد البنا، ت ١١١٧هـ، تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى.

٣. الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة السادسة، ١٩٨٤م.

٤. الإقناع في القراءات السبع، لأبي جعفر بن الباذش، تحقيق: د. عبد المجيد قطاش، الناشر: جامعة أم القرى.

٥. تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي.

٦. التبصرة في القراءات السبع، مكي بن أبي طالب، ت ٤٣٧هـ، دار السلفية، بومباي – الهند، تعليق وتصحيح: القارئ محمد الغوث الندوي.

٧. تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة، محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن الجزري، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٨. تذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

٩. التذكرة في القراءات، أبي الحسن طاهر بن غلبون، تحقيق: عبد الفتاح بحيرى إبراهيم، الزهراء للإعلام الغربي.

١٠. تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار المعرفة، بيروت – لبنان.

١١. تقريب النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، تحقيق: إبراهيم عطوة رضا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ – ١٩٦١م، القاهرة – مصر.

١٢. رسالة تحرير الكلام في وقف حمزة وهشام، على هامش النجوم الطوالع، أبي الحسن المعروف بابن بري المغربي.

١٣. سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي، أبي القاسم علي بن عثمان البغدادي، طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

١٤. سير أعلام النبلاء، الذهبي، بيروت – لبنان.
١٥. شذرات الذهب في أخبار العرب، لعبد الحي ابن العماد الحنبلي، دار المسيرة، بيروت – لبنان.
١٦. غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري، عني به: برجستراسر، مكتبة الخانجي بمصر، القاهرة.
١٧. غيث النفع في القراءات السبع، لولي الله الصفاقسي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر – القاهرة.
١٨. القاموس المحيط للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة.
١٩. الكشف عن وجوه القراءات السبع، لمكي بن أبي طالب، تحقيق: محيي الدين رمضان، طبعة مجمع اللغة العربية.
٢٠. المبسوط في القراءات العشر، لأبي بكر أحمد بن الحسين الأصفهاني، تحقيق: حمزة حاكمي، مجمع اللغة العربية، دمشق – سوريا.
٢١. متن حرز الأماني ووجه التهاني المعروف بمتن الشاطبية، القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الشاطبي الرعيني الأندلسي، ت ٥٩٠هـ، دار المطبوعات الحديثة، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.
٢٢. مختصر بلوغ الأمنية، علي محمد الضباع، الطبعة الأولى، مصطفى البابي الحلبي.
٢٣. مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ، دار نهضة مصر للطبع والنشر.
٢٤. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ١٩٨٧م – ١٤٠٧هـ.
٢٥. معرفة القراء الكبار، الذهبي، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر – القاهرة.
٢٦. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تأليف: الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق: د.طيار آلتي قولاج، الطبعة الأولى، استانبول، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.
٢٧. المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، د. محمد محمد محمد سالم محيسن، دار الجيل، بيروت – لبنان، توزيع: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة – مصر.
٢٨. النشر في القراءات العشر، للحافظ ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتاب العربي.
٢٩. الوافي في شرح الشاطبية للشيخ عبد الفتاح القاضي، الناشر: عبد الرحمن محمد لنشر القرآن الكريم والكتب الإسلامية، مصر – القاهرة.

فهرس المحتويات

اَلْوَسَائِلُ الْقَوْلِيَّةُ

الْمُفْضِيَةُ إِلَىٰ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ

إِعْدادُ:

د. عَوَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُعْتِقِ

الأُسْتَاذِ الْمُشَارِكِ فِي كُلِّيَّةِ الْمُعَلِّمِينَ فِي الرِّيَاضِ



المقدّمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

أما بعد؛ فإنه من المعلوم أن الله خلق عباده حنفاء كما قال ﷺ – فيما يرويه عن ربه «... وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم.. الحديث»(١)

ولكن شياطين الجن والأنس اجتالهم عن السبيل المستقيم إلى السبل وعن التوحيد إلى الشرك وقد لجئوا لتحقيق ذلك إلى أساليب متنوعة منها تظاهر بعضهم بالدخول في الإسلام حتى يكيدوا له من داخله بإفراط أو تفريط أو نحو ذلك، وبذلك زرعوا كثيراً من البدع الشركية، وحسنوا ذلك للعوام بوسائل متعددة منها الغلو في التعظيم، والتوسل والتبرك الممنوعين، وإسناد الحوادث إلى غير الله، والحلف بغيره، وغير ذلك من وسائل الشرك التي أفضت بالبعض إلى الوقوع في الشرك الصريح حيث جعلوا بعض القبور كالأوثان يطوفون بها ويلجئون إلى أهلها في طلب الخير أو دفع الضر .

لما ذكرت رأيت أن اكتب لمحة موجزة أذكر فيها ببعض الوسائل القولية المفضية إلى الشرك الأكبر وقد جعلتها في مقدمة وتمهيد وستة مباحث وخاتمة .

المقدمة بينت فيها أهمية البحث وأسباب اختياره .

التمهيد في تعريف الوسائل وحكمها .

المبحث الأول: الغلو في المدح .

المبحث الثاني: التسوية بين الخالق و المخلوق في القول

---

(١) أخرجه مسلم في الجنة باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار وانظر جامع الأصول حديث ٩٤٤٥ .

المبحث الثالث: التوسل في الدعاء بما لم يشرع .

المبحث الرابع: الاستسقاء بالأنواء .

المبحث الخامس: إسناد بعض الحوادث إلى غير الله مجازاً .

المبحث السادس : الحلف بغير الله .

الخاتمة في ذكر بعض النتائج التي توصلت إليها، وأخيراً أسأله تعالى أن يتقبل الصواب ويتجاوز الخطأ، انه سميع مجيب .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



تمهيد: في تعريف الوسائل وحكمها

تعريفها:

لغة: الوسائل جمع وسيلة – والمراد بها – هنا – الذريعة [١] تأتي لعدة معان منها: السبب وما يتوصل به إلى الشيء [٢].

وفي الاصطلاح: عرفت بتعاريف كثيرة

في بعضها: عرفت بأنها ما كان وسيلة وطريقاً إلى شيء آخر حلالاً كان أو حراماً . وبذلك شملت المشروع والممنوع – وأطلق عليه المعنى العام [٣] .

يقول القرافي: الذريعة؛ الوسيلة للشيء [٤] .

وقال ابن تيمية وابن القيم: الذريعة؛ ما كان وسيلة وطريقاً إلى الشيء[٥].

وفي بعضها اقتصر على الممنوع وأطلق عليه المعنى الخاص وهو الغالب في استعمالها [٦] .

يقول القرطبي: الذريعة؛ عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه يخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع [٧] .

وقال ابن العربي: الذريعة؛ كل عمل ظاهره الجواز يتوصل به إلى

(١) انظر: الفروق للقرافي، ج٢، ص ٣٢ .

(٢) انظر: لسان العرب، ج١، ص ١٠٦٤-١٠٦٥، ج٣، ص ٩٢٧ .

(٣) قاعدة سد الذائع، ص ٥٧ .

(٤) الفروق: للقرافي ج٢، ص ٣٣ .

(٥) انظر الفتاوى الكبرى، ج٣، ص ٢٢٣ وإعلام الموقعين، ج٣، ص١٣٥

(٦) انظر: موسوعة مصطلحات أصول الفقه، ج١، ص٧٢٢ .

(٧) تفسير القرطبي، ج٢، ص ٥٧-٥٨ .

محظور[1]

وقال ابن تيمية: الذريعة؛ هي الفعل الذي ظاهره أنه مباح وهو وسيلة إلى فعل محرم[2].

من هذه التعريفات اتضح أن الذريعة بالمعنى الخاص: هي ما كان ظاهره الإباحة ويفضي أو يمكن أن يفضي إلى محظور .

حكمها: من قال بأنها تكون في المشروع كما تكون في الممنوع .

قال: هي تابعة للمقصود فوسيلة المحرم محرمة، ووسيلة المباح مباحة .

يقول القرافي: «..فإن الذريعة هي الوسيلة فكما أن وسيلة المحرم محرمة فوسيلة الواجب واجبة.. إلى أن قال وموارد الأحكام على قسمين مقاصد وهي المتضمنة للمصالح والمفاسد في أنفسها ووسائل وهي الطرق المفضية إليها وحكمها حكم ما أفضت إليه من تحريم وتحليل غير أنها أخفض رتبة من المقاصد في حكمها»[3].

وقال ابن القيم: «لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها... فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها... ووسائل الطاعات ...في محبتها والإذن بها بحسب إفضائها إلى غاياتها، فوسيلة المقصود تابعة للمقصود... إلى أن قال: فإذا حرم الرب تعالى شيئاً وله طرق ووسائل تفضي إليه فإنه يحرمها ويمنع منها تحقيقاً لتحريمه وتثبيتا له ومنعاً أن يقرب حماه، ولو أباح الوسائل والذرائع

(١) أحكام القرآن لابن العربي، ج٢، ص٧٩٨ .

(٢) الفتاوى الكبرى، ج٣، ص ٢٢٣ .

(٣) الفروق للقرافي، ج٢، ص٣٣ .

المفضية إليها لكان ذلك نقضاً للتحريم))[١].

ومن قال بأن الذريعة لا تكون إلا في المحظور قال بسدها: أي منعها؛ لما تفضي إليه من المحظور .

يقول القرطبي: ((والتمسك بسد الذرائع وحمايتها هو مذهب الإمام مالك وأصحابه واحمد بن حنبل))[٢].

وقال ابن العربي: ((وقاعدة الذرائع التي يجب سدها شرعاً هو ما يؤدي من الأفعال المباحة إلى محظور منصوص عليه ...))[٣].

وقال الشاطبي: ((وسد الذرائع أصل من الأصول القطعية في الشرع))[٤].

وبما أن الوسائل المفضية إلى الشرك الأكبر تفضي إلى محظور فهي محظورة على كلا القولين .

❊ ❊ ❊

(١) إعلام الموقعين، ج٣، ص ١٣٥ .

(٢) تفسير القرطبي، ج٢، ص٥٧ وانظر: المدخل إلى مذهب الإمام احمد، ص٢٩٦ .

(٣) تهذيب الفروق والقواعد السنية، ج٢، ص ٤٤ .

(٤) الموافقات، ج١، ص١٢٠ .

الوسائل القولية المفضية إلى الشرك

المراد بها: هي كل سبب قولي يفضي إلى الشرك الأكبر ومن ذلك ما يلي:

المبحث الأول: الغلو في المدح

تعريفه الغلو:

لغة: هو الارتفاع والزيادة ومجاوزة الحد في الشيء والإفراط فيه [1].

وفي الشرع: هو مجاوزة الحد المشروع في القول أو الاعتقاد أو العمل .

أما الغلو في المدح: فهو مجاوزة الحد في المدح والإفراط فيه .

وذلك بأن يزاد في تعظيم مخلوق بالقول على ما يستحق حتى يرفع فوق منزلته التي نزله الله إياها [2].

أمثلته : ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١- الغلو في مدح النبي ﷺ :

فقد أدى الغلو ببعضهم إلى أن جعل له شيئاً من حقوق الله الخاصة به[3].

وذلك صريح الشرك . كقول البوصيري:

---

(١) انظر: لسان العرب، ج٢، ١٠١١ . والقاموس المحيط، ج٤، ص٣٧١ . ومعجم مقاييس اللغة، ح٤، ص٣٨٧ -٣٨٨ .

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، ج١، ص٣٢٨ . وأيسر التفاسير، ج٢، ص٣٧٣ . والقول السديد، ص٧٥-٧٦ . وتطهير الجنان، ص٢٢-٢٣ .

(٣) التي لا يشاركه فيها مشارك، وهي الكمال المطلق، والغنى المطلق، والتصرف المطلق من جميع الوجوه وأنه لا يستحق العبادة والتأله أحد سواه، فمن غلا في مخلوق حتى جعل له نصيباً من هذه الأشياء فقد ساواه برب العالمين وذلك أعظم شرك وإنما يؤدي إليه رفع المخلوق فوق منزلته التي أنزله الله بها الذي هو وسيلة إلى الشرك، انظر القول السديد، ص٧٥-٧٦ .

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

وقوله:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

وما بعدها من أبيات التي تضمنت غاية الإطراء والغلو، حيث توجه في دعائه إلى الرسول ﷺ وجعله هو الملاذ وحده في أضيق الحالات وأشد الصعوبات ونسب إليه ما لا ينسب إلا إلى الله وذلك أن الشيطان زين لهذا الناظم وأمثاله سوء عملهم فأظهر لهم الغلو في مدحه –وإن كان شركاً أكبر– في قالب حبه وتعظيمه [1].

٢– الغلو في بعض الصحابة: مثل الغلو في علي رضي الله عنه وآل بيته فقد أدى الغلو بمن غلا فيهم إلى أن قال بعصمتهم [2] .

٣– الغلو في تعظيم الصالحين: مثل غلو أتباع عدي بن مسافر الأموي – المتوفى سنة ٥٥٥هـ – فيه. وغلو أتباع عبد القادر الجيلاني – المتوفى سنة ٥٦١ هـ – فيه، وغيرهما حتى ألحقوهم بما لا يستحقونه، فرفعوهم فوق كل مخلوق، وجعلوا طاقاتهم تفوق طاقة البشر وادعوا لهم كرامات لم تثبت، ثم عبدوهم من دون الله – حيث استغاثوا بهم في الشدائد وطلبوا منهم ما لا يطلب إلا من الله [3].

يقول الشاطبي: «ومنها: رأى قوم التغالي في تعظيم شيوخهم حتى ألحقوهم بما لا يستحقونهم فالمقتصد منهم: يزعم أنه لا ولي لله أعظم من فلان... والمتوسط: يزعم أنه مساوي للنبي ﷺ إلا أنه لا يأتيه الوحي... والغالي: يزعم

(١) انظر: بيان المحجه، ص٣٨٢ . والإرشاد، ص٣٩-٤٠ .

(٢) انظر: الفتاوى، ج٣، ص٣٧٥ . ووسطية أهل السنة، ص٤١١ -٤١٤ .

(٣) انظر: الاعتصام، ج١، ص١٩٦ . والغلو في الدين، ص٧٦-٧٧ . والفتاوى، ج١١ ص١٠٣ . والشرك في القديم والحديث، ج٢، ص١٠٨٨-١٠٩٠ .

فيه أشنع من هذا كما ادعى أصحاب الحلاج في الحلاج»[1].

كيف يوصل الشرك؟

الغلو في القول يؤدي بصاحبه شيئاً فشيئاً إلى أن يرفع المغلو فيه من نبي أو ولي فوق منـــزلته التي نزله الله إياها وذلك يؤدي إلى استشعار القلب بالخوف والرهبة منه والرجاء فيه حتى يعتقد فيه شيئاً من خصائص الخالق ومن ثم يدعوه ويستغيث به ونحو ذلك مما هو صريح الشرك[2].

الأدلة على منعه : أولاً: من الكتاب – ومن ذلك ما يلي:

١– قال تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ...﴾ الآية[3]. يقول ابن كثير: «ينهى الله تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنـــزلة التي أعطاه الله إياها فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه.. بل قد غلو في أتباعه وأشياعه..»[4]. والخطاب وإن كان موجهاً لأهل الكتاب، فإن حكمه عام يتناول جميع الأمة تحذيراً لهم أن يفعلوا بالنبي محمد ﷺ أو غيره كما فعلت النصارى في عيسى واليهود في عزير[5].

٢–وقال تعالى: ﴿فاستقم كما أُمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون

(١) الاعتصام، ج١، ص١٩٦-١٩٧ .

(٢) انظر: القول السديد، ص٧٦. والغلو في الدين، ص١١٤. والشرك في القديم والحديث، ج١ ص٦١٢. ومجلة البحوث الإسلامية العدد ٢٠، ص٢٠٠ . والفتاوى، ج٤، ص ٥١٩ .

(٣) سورة النساء: الآية ١٧١ .

(٤) تفسير ابن كثير، ج١، ص ٥٨٩ . .

(٥) انظر: تطهير الجنان، ص ٢٣ . والدر النضيد، ص١٣٨ .

بصير﴾[١].

قال الشوكاني: ((﴿ولا تطغوا﴾ الطغيان: مجاوزة الحد، لما أمر الله بالاستقامة المذكورة بين أن الغلو في العبادة والإفراط في الطاعة على وجه تخرج به عن الحد الذي حده والمقدار الذي قدره ممنوع منهي عنه))[٢].

وقال الجزائري: ((﴿ولا تطغوا﴾ أي لا تتجاوزوا ما حد لكم في الاعتقاد والقول والعمل)) [٣].

ومن العبادات القولية تنْزيل الأنبياء والصالحين منازلهم، لذا يجب أن تكون باعتدال بين الإفراط والتفريط كما أمر الله في هذه الآية وغيرها، وعليه فإن الغلو في نبي أو ولي ممنوع منهي عنه بنص الآية .

ثانياً: من السنة لقد حذر المصطفى ﷺ من الغلو بجميع أنواعه ومن ذلك الغلو في الأنبياء والصالحين في أحاديث كثيرة منها ما يلي:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «... وإياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»[٤].

قال شيخ الإسلام: ((قوله: «وإياكم والغلو في الدين» عام في جميع أنواع الغلو.. والغلو مجاوزة الحد بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك))[٥].

---

(١) سورة هود: الآية ١١٢ .

(٢) تفسير الشوكاني، ج٢، ٥٣٠ .

(٣) أيسر التفاسير، ج٢، ص ٣٧٣ .

(٤) رواه أحمد في المسند، ج١، ص٢١٥ . و النسائي في الحج، باب التقاط الحصى. وابن ماجه في كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، وإسناده صحيح. انظر: جامع الأصول، حديث١٥٧٢، الحاشية .

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم، ج١، ص٣٢٨ .

٢- وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت عمر يقول على المنبر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله»[١]. والإطراء - هنا - هو مجاوزة الحد في المدح والإفراط فيه - كما قال ابن الأثير[٢] وابن حجر [٣].

والحديث نص في النهي عن إطرائه ﷺ وهو مجاوزة الحد في مدحه، وإذا حرم الإطراء في حقه فغيره من باب أولى .

٣- وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: قال أبي: «انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا ؟ قال: السيد الله، قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً . فقال: قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان» [٤].

٤- وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال: «إن ناساً قالوا: يا رسول الله، ويا خيرنا وابن خيرنا، ويا سيدنا وابن سيدنا فقال رسول الله ﷺ السيد الله، قالوا: أنت أفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً، فقال: يا أيها الناس عليكم بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان إني لا أريد أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلنيها الله تبارك وتعالى أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله» [٥].

---

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب ٤٨.وأبو داود في كتاب الرقاق، باب ٦٨ .وانظر: جامع الأصول، حديث ٢٠٧٦، ٨٥١٧ .

(٢) انظر: جامع الأصول، ج١١، ص٥١ .

(٣) أنظر: فتح الباري، ج٦، ص ٤٩٠ .

(٤) أخرجه أبو داود في الأدب، باب في كراهية التمادح، وإسناده صحيح . انظر: جامع الأصول، ج١١، ص٤٩ (المتن والحاشية) .

(٥) رواه احمد في المسند، ج٣، ص١٥٣ وإسناده صحيح . انظر: جامع الأصول، ج١١، ص٤٩-٥٠ (المتن والحاشية) .

في الحديثين – كما نرى – نهي منه ﷺ عن المبالغة في مدحه ورفعه فوق منـــزلته التي أنزله الله إياها – وهي أنه عبد الله ورسوله وإذا ثبت النهي في حقه فغيره من باب أولى . بل وفيها النهي عن مواجهة الممدوح بالمدح – ولو بما فيه، فكيف بالمبالغة والمدح بما ليس فيه – لما يسببه من تعاظم الممدوح وذلك مما يتنافى مع كمال الخضوع لله رب العالمين، ولما يسببه من غلو المادح حتى يترل الممدوح منْزلة لا يستحقها وذلك من الوسائل المفضية إلى الشرك [١].

٥- وعن أبي بكره رضي الله عنه قال: «أثنى رجل على رجل عند النبي ﷺ فقال: ويلك، قطعت عنق صاحبك (مراراً) ثم قال: من كان منكم مادحاً أخاه لا محالة فليقل: أحسب فلانا، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحداً أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك منه» [٢].

قال ابن الأثير: ((قوله قطعت عنق صاحبك» أي أهلكته في الإطراء والمدح الزائد وتعظيمك شأنه عند نفسه فإنه يعجب بنفسه فيهلك، كأنك قطعت عنقه)) [٣]. وفي ذلك إنكار منه ﷺ للمدح الزائد مما يدل على عدم جوازه.

٦- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يثني على رجل ويطريه في المدح فقال: أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل» [٤].

(١) انظر: جامع الأصول، ج١١، ص٤٩.والدر النضيد، ص٢٩١ . وتيسير العزيز الحميد ص٦٦٣ -٦٦٤.

(٢) رواه البخاري في الشهادات، باب إذا زكى رجل رجلاً كفاه، وفي الأدب، باب ما يكره من التمادح، ومواضع أخرى. ومسلم في الزهد، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط. انظر: جامع الأصول حديث ٨٥١٨ (المتن والحاشية) .

(٣) جامع الأصول، ج١١، ص٥٢ .

(٤) رواه البخاري في الشهادات، باب ما يكره من الإطناب في المدح، وفي الأدب باب ما يكره من التمادح، ومسلم في الزهد باب النهي عن الإفراط في المدح إذا خيف منه فتنة =

وزاد رزين: «أما أنه لو سمعك ورضي قولك ما أفلح»[1].

٧– وهذا الحديث كسابقه فيه إنكار للإطراء ووعيد لمن رضي به مما يؤكد عدم جوازه .

ثالثا: ما ورد عن الصحابة ومن بعدهم من أئمة المسلمين في التحذير من الغلو:

١– ما رواه ابن أبي عاصم في السنة قال: حدثنا أبو علي الحسن البزار ... وساق السند إلى أن قال عن علقمة قال: سمعت علياً على المنبر – فضرب بيده على منبر الكوفة – يقول: «بلغني أن قوماً يفضلوني على أبي بكر وعمر ولو كنت تقدمت في ذلك لعاقبت فيه، ولكن أكره العقوبة قبل التقدمة . من قال شيئاً من هذا فهو مفتر عليه ما على المفتري إن خيرة الناس رسول الله ﷺ وبعد رسول الله ﷺ، أبو بكر ثم عمر وقد أحدثنا أحداثاً يقضي الله فيها ما أحب»[2].

٢– قال شيخ الإسلام: «.. كما أن علياً حرق[3] الغالية[4] الذين ادعوا فيه الإلهية، وقال في المفضلة: لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا

= على الممدوح .

(١) انظر: جامع الأصول، ج١١، ص٥٢ .

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السنة، ج٢، ص٤٨٠، قال الألباني إسناده حسن . انظر: ظلال الجنة في تخريج السنة، ج٢، ص٤٨٠ .

(٣) بعد أن أجلهم ثلاثاً ليتوبوا فلما لم يتوبوا أحرقهم بالنار وقد اتفق الصحابة على قتلهم – كما قال شيخ الإسلام – لكن ابن عباس رضي الله عنه كان مذهبه أن يقتلوا بالسيف من غير تحريق، وهو قول اكثر العلماء . انظر: الفتاوى، ج٣، ص٣٩٤ .

(٤) هم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي، وإنما أراد بغلوه إفساد الإسلام وتفريق كلمة المسلمين. انظر: الفتاوى، ج٤، ص ٥١٨ .

جلدته جلد المفتري))[١].

وقال أيضاً: ((فإذا كان على عهد رسول الله ﷺ وخلفائه قد انتسب إلى الإسلام من مرق منه ... فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام أو السنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضاً من الإسلام والسنة ... وذلك بأسباب منها:

الغلو الذي ذمه الله تعالى في كتابه حيث قال: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق.. الآية﴾ [٢].

وقال تعالى ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق.. ﴾ الآية[٣].

وقال النبي ﷺ: ((إياكم والغلو في الدين ... الحديث [٤]))[٥].

وقال أيضاً: ((فكل من غلا في نبي أو في رجل صالح كمثل علي رضي الله عنه أو (عدي) أو نحوه أو في من يعتقد فيه الصلاح وجعل فيه نوعاً من الإلهية مثل أن يقول: كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان ما أريده أو يقول إذا ذبح شاة باسم سيدي ... أو يدعوه من دون الله تعالى مثل أن يقول يا سيدي فلان.. احمني أو انصرني ... أو أغثني أو نحو هذه الأقوال والأفعال التي لا تصلح إلا لله تعالى فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب و إلا قتل))[٦].

٣- وقـال الشاطبي: ((ومنها رأي قوم التغالي في تعظيم شيوخهم حتى ألحقوهم بما لا يستحقونه، فالمقتصد منهم يزعم انه لا ولي لله أعظم من فـلان

---

(١) انظر: الفتاوى، ج٤، ص٥١٩ .

(٢) سورة النساء: الآية ١٧١ .

(٣) سورة المائدة: الآية: ٧٧ .

(٤) سبق تخرجه.

(٥) الفتاوى، ج٣، ص ٣٨٣ .

(٦) الفتاوى، ج٣، ص ٣٩٥ .

وربما أغلقوا باب الولاية دون سائر الأمة إلا هذا المذكور وهو باطل محض وبدعة فاحشة»[1].

٤- وقال الشيخ ابن سعدي: «ومن رفع أحداً من الصالحين فوق منْزلته التي أنزله الله بها فقد غلا فيه، وذلك وسيلة إلى الشرك وترك الدين»[2].



(١) الاعتصام، ج١، ص ١٩٦ .

(٢) القول السديد، ص ٧٦ .

المبحث الثاني: التسوية بين الخالق والمخلوق في القول

المراد به: هو التلفظ بالألفاظ التي فيها تسوية بين الخالق والمخلوق[١].

أمثلته: ومن أمثلة ذلك: قول ما شاء الله وشئت، ولو لا الله وأنت، وما لي إلا الله وأنت، وتوكلت على الله وعليك، وأنا بالله وبك . ونحو ذلك مما فيه تسوية بين الخالق والمخلوق .

كيف يوصل إلى الشرك:

من المعلوم أن الواو تقتضي التسوية وهذه التسوية في اللفظ شرك أصغر ووسيلة إلى الشرك الأكبر إذا لم يقم بقلب المتلفظ بها تعظيم للمسوى بينه وبين الله[٢]؛ إذ التسوية في القول مع تطاول الأيام وغلبة الجهل قد تخدع السامع فيظن أن هذا الغير مساوياً لله في شيء من خصائصه فيقع في الشرك الأكبر .

وقد تؤدي بالقائل أو السامع إلى أن يقع في قلوبهم تعظيم لذلك المسوى بينه وبين الله فيقعوا في الشرك الأكبر .

الأدلة على منعه: وهي كثيرة منها ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾[٣] قال ابن عباس في هذه الآية: ((الأنداد: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن تقول والله وحياتك ... وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت وقول الرجل: لو لا الله وفلان.. هذا كله شرك))[٤].

---

(١) انظر: الإرشاد، ص ٣٦ .

(٢) انظر: فتاوى اللجنة، ج١، ص٢٢٤ .

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٢ .

(٤) رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس بإسناد جيد . انظر: تفسير ابن كثير، ج١، ص ٥٦ وفتح =

والآية نزلت في الشرك الأكبر إلا أنها حجة في الشرك الأصغر كما فسرها ابن عباس وغيره لأن الكل شرك[1].

٢- وعن حذيفة عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان»[2].

٣- وعن قتيلة بنت صيفي- امرأة من جهينة – قالت: إن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: «إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت وتقولون: والكعبة فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت» [3].

٤- وعن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود قلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون عزير ابن الله . قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم لو لا أنكم تقولون المسيح ابن الله، قالوا: وإنكم لأنتم القوم لو لا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته، قال: هل أخبرت بها أحداً؟ قلت نعم، قال فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا

= القدير، ج١، ص ٥٢ . وتيسير العزيز الحميد، ص٥٢٢ .

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد، ص ٥٢٢-٥٢٣ .

(٢) أخرجه أبو داود في الأدب باب لا يقال خبثت نفسي وإسناده صحيح . انظر: جامع الأصول، حديث ٩٤٣٥ .

(٣) أخرجه النسائي في الأيمان والنذور باب الحلف بالكعبة وإسناده صحيح . انظر: جامع الأصول، حديث ٩٢٧٧ .

وكذا أن أنها كم عنها فلا تقولوا مـــا شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده» [(١)].

٥- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، قال: أجعلتني لله نداً ؟ بل ما شاء الله وحده» .

وفي رواية: «أجعلتني لله عدلاً ؟ قل: ما شاء الله وحده» [(٢)].

وقد اتفق جمهور العلماء على النهي عن هذا القول ونحوه مما فيه تسوية بين الخالق والمخلوق [(٣)].

وأما قول من قال بالجواز محتجاً بقوله تعالى: ﴿وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ...﴾ الآية[(٤)]. وقوله تعالى: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه... الآية﴾ [(٥)].

فقول مردود لما يلي:

أولاً: أن النبي ﷺ أنكره وهو أعلم بكتاب الله منا – فلو كان في كتاب الله ما يدل على الجواز لما أنكره .

ثانياً: أن الآيتان إنما أخبر بهما عن فعلين متغايرين فاخبر تعالى أنه أغناهم وأن رسوله ﷺ أغناهم، وهو من الله حقيقة لأنه الذي قدر ذلك، ومن الرسول

---

(١) رواه الإمام أحمد والدارمي وأبو يعلى والطبراني في الكبير عن طفيل بن سخبره . انظر: كنـــز العمال، حديث ٨٣٧٨ .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند، ج١، ص٢١٤ . والبيهقي في السنن الكبرى ج٣، ص٢١٧.وابن أبي الدنيا في الصمت برقم ٣٤٥ بإسناد حسن . وقال الألباني في السلسلة الصحيحة، ج١، ص٥٧، إسناده حسن

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد، ص٥٣٥ .

(٤) سورة التوبة: الآية ٧٤ .

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٣٧ .

ﷺ حقيقة باعتبار تعاطي الفعل، وكذلك الإنعام، أنعم الله على زيد بالإسلام، والنبي ﷺ أنعم عليه العتق، وهذا بخلاف المشاركة في الفعل الواحد، فالكلام إنما هو فيه والمنع إنما هو منه .

ثالثاً: على فرض أن الآيتين تدلان على المشاركة في الفعل الواحد فإن ذلك لله وحده لا شريك له، كما أنه تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته فكذلك هذا[١].

كيفية اتقائها:

يمكن اتقاء مثل هذه الوسيلة باستبدال الواو بثم، فإذا أردنا أن نقول: ما شاء وشئت، ولو لا الله وأنت ونحوهما . نقول: ما شاء الله ثم شئت، ولو لا الله ثم أنت، ذلك أن العطف بالواو يقتضي التسوية بين مشيئة الله ومشيئة المخلوق أما العطف بثم فإنها تقتضي العطف مع الترتيب والتراخي، وذلك يقتضي تقديم مشيئة الله وأنها فوق مشيئة المخلوق [٢].



(١) انظر: تيسير العزيز الحميد، ص ٥٣٥-٥٣٦ .

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد، ص ٥٣٦ . ودعوة التوحيد، ص٦٥ .

المبحث الثالث: التوسل في الدعاء بما لم يشرع

تعريفه: أ- التوسل والوسيلة في اللغة:

أما التوسل: فهو في الأصل: التقرب إلى المطلوب والتوصل إليه برغبة كما يأتي ويراد به – السرقة – يقال أخذ فلان إبلي توسلاً – أي سرقه .

وأما الوسيلة: فهي في الأصل: ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به، جمعها وسائل، وتأتي ويراد بها المنـــزلة عند الملك والدرجة[(١)].

ب- التوسل والوسيلة في الشرع: أما التوسل فهو التقرب إلى الله تعالى بوسيلة مشروعة . وأما الوسيلة فهي: ما يتقرب به إلى الله تعالى رجاء حصول مرغوب أو دفع مرهوب من فعل الواجبات والمستحبات أو ترك المنهيات[(٢)].

وتكون مشروعة كما تكون ممنوعة، إن كانت وردت في الكتاب أو صحيح السنة فهي مشروعة وإلا فهي ممنوعة والتوسل بها توسل بما لم يشرع.

وعلى هذا فالتوسل في الدعاء بما لم يشرع: هو التقرب إلى الله تعالى في الدعاء بوسيلة لم ترد في الكتاب ولا في صحيح السنة .

أمثلته: ومن ذلك ما يلي:

١- التوســـل إلى الله بذات أو جـــاه، أو حـــق مخلوق كالملائكة أو الأنبياء أو الصالحين . مثل من يقول: اللهم إنـــي أسألك بنبيك أو بجاه أو بحق نبيك أن تعطيني كذا أو تدفع عني كذا .

٢- التوجه إلى ميت طالباً منه أن يدعو الله له، كمن يأتي إلى الميت من

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة وسل، ج٣، ص٩٢٧ . والقاموس المحيط ج٤، ص٦٤ والنهاية لابن الأثير، ج٥، ص ١٨٥.

(٢) التعريفات للجرجاني، ص٢٧٢ .وقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ص٤٨ . ورسالة الشرك ومظاهره، ص٢٠٢ .

الأنبياء أو الصالحين ويقول له سل الله لي أن يعطيني كذا أو يدفع عني كذا ونحو ذلك [1].

كيف يوصل إلى الشرك:

هذا النوع من التوسل فيه إطراء للمتوسل به يجر شيئاً فشيئاً على مر الأيام إلى اعتقاد أن فيه نفعاً من دون الله، ومن ثم يحصل دعاؤه ونداؤه فيقع في الشرك[2] - والعياذ بالله- كما أن فيه إيهام للجهال بأن المتوسل إنما توجه إلى صاحب القبر نفسه فيتوجهوا إلى صاحب القبر في دعائهم ويطلبون منه ما لا يطلب إلا من الله فيقعوا في الشرك .

الأدلة على منعه:

أولاً: هذا النوع من التوسل لم يرد له دليل في الكتاب ولا في صحيح السنة ونحن مأمورون بالالتزام بهما، وعليه فهو غير مشروع وإنما هو بدعة ممنوعه .

وقد قال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[3].

وقال ﷺ: «... وإياكم ومحدثات الأمور ... الحديث»[4].

وإن زعم المخالف أنه موجود فيهما أو في أحدهما . قلنا زعم باطل؛ إذ لا

---

(١) انظر: قاعدة جليلة، ص ١٩، ٣٣، ٣٤، ٥٠، ٥٥. والتوسل للألباني ص٤٧، والقول الجلي، ص٢٩ . وفتاوى اللجنة الدائمة، ج١، ص٣٤٤-٣٤٥ .

(٢) انظر: قاعدة جليلة، ص٣٣ . والقول الجلي، ص٢٩ . وفتاوى اللجنة الدائمة، ج١، ص٣٤٥ .

(٣) أخرجه البخاري في البيوع، باب النجش. ومسلم في الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة. وأبو داود في السنة، باب لزوم السنة . وانظر: جامع الأصول، حديث ٧٥ المتن والحاشية.

(٤) جزء من حديث طويل رواه أبو داود في السنة، باب لزوم السنة، والترمذي في العلم، باب ١٦. وابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين وإسناده صحيح . انظر: جامع الأصول، حديث ٦٧، المتن والحاشية .

دليل عليه، ومما يؤكد بطلانه: أنه لم يعمل به الصحابة ومن أتى بعدهم من أهل القرون المفضلة الذين هم أعلم هذه الأمة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأشدهم حرصاً على الالتزام بهما فلو كان موجوداً لعملوا به .

أيضل عنه الصحابة ويهتدي إليه هؤلاء المبتدعة [١] ؟!

ثانياً: أن في هذا النوع من التوسل دعاء ميت – وذلك عند التوسل بدعاء الميت–وقد ورد النهي عنه والوعيد عليه؛ إذ هو شرك أو ذريعة إلى الشرك[٢].

كما قال تعال: ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم..﴾الآية[٣].

فبين سبحانه أن دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شرك يكفر به المدعو يوم القيامة – أي ينكره –، ويعادي من فعله، كما قال تعالى: ﴿وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾[٤]. فكل ميت أو غائب لا يسمع ولا يستجيب ولا ينفع ولا يضر .

ولهذا لم ينقل عن أحد من الصحابة –رضي الله عنهم– ولا عن غيرهم من السلف أنهم أنزلوا حاجاتهم بالنبي ﷺ بعد وفاته، بل العكس نراهم عام الرمادة توسلوا بدعاء العباس ﷺ، لأنه حي حاضر يدعو ربه، فلو جاز التوسل بأحد بعد وفاته لتوسل عمر والسابقون الأولون بالنبي ﷺ [٥].

---

(١) انظر: قاعدة جليلة، ص١٩، ٥٠، ٧٠، ١٠٥، ١٢٩ . والتوسل للألباني، ص٣٢، ٤٦، ٤٧ . وفتاوى اللجنة الدائمة، ج١، ص٣٤٦ . والتوصل، ص ١٨٦ .

(٢) قاعدة جليلة، ص٣٣ .

(٣) سورة فاطر: الآية ١٣–١٤ .

(٤) سورة الأحقاف: الآية ٦ .

(٥) انظر: تسير العزيز الحميد، ص٦٦١–٦٦٢ . وقاعدة جليلة، ص١٩، ٣٣، ٤٤ .

قال شيخ الإسلام- بعد أن ذكر بعض الأدلة في النهي عن دعاء غير الله: ((ومثل هذا كثير في القرآن - ينهى أن يدعى غير الله لا من الملائكة ولا الأنبياء ولا غيرهم، فإن هذا شرك أو ذريعة إلى الشرك بخلاف ما يطلب من أحدهم في حياته من الدعاء والشفاعة فإنه لا يفضي إلى ذلك، فإن أحداً من الأنبياء والصالحين لم يعبد في حياته بحضرته؛ فإنه ينهى من يفعل ذلك بخلاف دعائهم بعد موتهم فإن ذلك ذريعة إلى الشرك بهم))[1].

وقال أيضاً: ((فإن دعاء الملائكة، والأنبياء بعد موتهم ... وسؤالهم ... والاستشفاع بهم في هذه الحال.. هو من الدين الذي لم يشرعه الله ولا ابتعث به رسولاً ولا أنزل به كتاباً...ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا أمر به إمام من أئمة المسلمين))[2].

ثالثاً: أن في هذا النوع من التوسل محذور من وجهين:

الأول: فيه شبهاً بتوسل المشركين بآلهتهم وقد ذمه الله حيث قال سبحانه: ﴿ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾[3]. ففي الآية عاب سبحانه أمرين: ١- عاب عبادة الأولياء من دونه . ٢- عاب محاولة القربى إليه بالمخلوق، والتوسل بالذات أو بدعاء الميت من الأمر الثاني .

قال شيخ الإسلام - عند ما سئل عن رجلين تناظرا - فقال أحدهما لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله، فإنا لا نقدر أن نصل إليه بغير ذلك .

فقال: ((الحمد لله رب العالمين إن أراد بذلك أنه لا بد من واسطة يبلغنا أمر الله فهذا حق، وإن أراد بالواسطة أنه لا بد من واسطة في جلب المنافع ودفع

---

(١) قاعدة جليلة، ص٣٣ .

(٢) قاعدة جليلة، ص١٩ .

(٣) سورة الزمر: الآية ٣ .

المضار مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجعون إليه فيه، فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويجتنبون المضار»[١].

الثاني: فيه انتقاص لله سبحانه وتعالى وتنـزيل له إلى منـزلة المخلوق الذي يحابي في فضله وحكمه فيعطي من له وسيط أكثر مما يعطي غيره أو يحرم من ليس له وسيط لجهله بحاله وبعده عن سماع مقاله[٢].

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾[٣].

رابعاً: أن في هذا النوع من التوسل توسل بالجاه أو الحق ونحوهما وهو باطل من ثلاثة وجوه .الأول: أنه توسل بعمل الغير؛ ذلك أن المنزلة والجاه إنما اكتسبها الإنسان بعمله، وعمل الغير مختص به فلو توسل به غيره كان قد سأل بأمر أجنبي عنه ليس سبباً لنفعه .قال تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾[٤].

وقال شيخ الإسلام: «قول السائل لله تعالى: (أسألك بحق فلان وفلان من الملائكة والأنبياء والصالحين وغيرهم أو بجاه فلان.. .يقتضي أن هؤلاء لهم عند الله جاه وهذا صحيح ... ولكن ليس نفس مجرد قدرهم وجاههم مما يقتضي إجابة دعائه إذ سأل الله ... حتى يسأل الله بذلك ... بل يكون قد سأل بأمر أجنبي عنه ليس سبباً لنفعه»[٥].

الثاني: أن في التوسل بمنـزلة أو حق الغير اعتداء في الدعاء والاعتداء في

(١) الفتاوى، ج١، ١٢١-١٢٣ .

(٢) الأجوبة المفيدة، ص١٤٥ .

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٦.

(٤) سورة النجم: الآية ٣٩ .

(٥) الفتاوى، ج١، ص٢١١-٢١٢ .

الدعاء محرم .

قال شارح[1] الطحاوية: «فلا مناسبة بين ذلك[2] – وبين إجابة دعاء هذا السائل – فكأنه يقول: لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعائي وأي مناسبة وأي ملازمة، وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء، وقد قال تعالى: ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾[3] وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة، لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن أحد من الأئمة ... والدعاء من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على السنة والاتباع لا على الهوى والابتداع»[4].

الثالث: أن السؤال بحق فلان يتضمن أن للمخلوق حقاً على الخالق وليس على الله حق[5] إلا ما أحقه على نفسه بوعده الصادق، يقول القدوري[6]: «المسألــة بخلقه لا تجوز؛ لأنه لا حق للخلق على الخالق فلا تجوز وفاقاً»[7].

خامساً: أن هذا النوع من التوسل وسيلة إلى الشرك [8]، فهو ممنوع سداً لذريعة الشرك وإبعاداً للمسلم من قول يفضي إلى الشرك وقد جاءت أدلة

---

(١) اختلف فيه فقيل ابن أبي العز الحنفي وقيل جمال الدين الملطي . وقيل: غير معروف . ولذلك قلت شارح . انظر: مقدمة شرح الطحاوية ص ٥-٦ .

(٢) وهو قوله (بحق فلان) .

(٣) سورة الأعراف الآية ٥٥ .

(٤) شرح الطحاوية، ص٢٦٢ .

(٥) القول الجلي، ص٢٩ .

(٦) هو أحمد بن محمد بن أحمد أبو الحسن القدوري فقيه حنفي، ولد في بغداد سنة ٣٦٢هـ وانتهت إليه رئاسة الحنفية في العراق وتوفي سنة ٤٢٨هـ. انظر: الأعلام، ج١ ص٢١٢.

(٧) قاعدة جليلة، ص٥٠ .

(٨) انظر: قاعدة جليلة، ص٣٣ . والقول الجلي، ص٢٩ . وفتاوى اللجنة الدائمة، ج١ ص٣٤٧ .

كثيرة في الكتاب والسنة تدل دلالة قاطعة على أن سد الذرائع إلى الشرك والمحرمات من مقاصد الشريعة . من ذلك قوله تعالى: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عَدْواً بغير علم.. ﴾الآية [1]. فنهى سبحانه وتعالى المسلمين عن سب آلهة المشركين التي يعبدونها من دون الله – مع أنها باطلة – لئلا يكون ذلك ذريعة إلى سب المشركين الإله الحق سبحانه انتصاراً لآلهتهم الباطلة – جهلاً منهم وعدوانا– ومن ذلك نهيه ﷺ عن بناء المساجد على القبور ولعن من فعل ذلك لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثاناً والإشراك بها .

ومن ذلك أنه ﷺ حرم الخلو بالأجنبية ولو في إقراء القرآن، والسفر بها ولو في الحج وزيارة الوالدين، سداً لذريعة ما يحاذر من الفتنة وغلبة الطباع[2].



(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٨ .

(٢) انظر: الفتاوى الكبرى، ج٣، ص ٢٢٣–٢٣٠ . وإعلام الموقعين، ج٣، ص١٣٦–١٣٧، ١٣٩، ١٥٥. و فتاوى اللجنة الدائمة، ج١، ص٣٤٥ .

المبحث الرابع: الاستسقاء بالأنواء

المراد به: هو نسبة نزل المطر إلى الأنواء .

والأنواء: جمع نوء، وهو النجم أطلق عليه نوء من ناء ينوء: أي نهض بجهد وقيل: أثقل فسقط فهو من الأضداد . وبيان ذلك: أن الأنواء وهي منازل القمر الثمانية والعشرين في كل ثلاث عشرة ليله يسقط واحد منها في المغرب – أي يغيب وفي نفس الساعة ينوء رقيبه من المشرق: أي ينهض ما عدا الجبهة: فإنه أربع عشرة ليله، وتنقضي جميعها بانقضاء السنة القمرية فالبعض يطلق النوء على النهوض، وبعضهم على السقوط – قال أبو عبيد: لم نسمع في النوء أنه السقوط إلا في هذا الموضع .

وكانت العرب تضيف المطر إلى الساقط منها، وقال الأصمعي إلى الطالع منها – فتقول مطرنا بنوء كذا[1]. وهذا من اعتقادات الجاهلية التي جاء الإسلام بإبطالها .

أمثلته: أن يقول القائل مطرنا بنوء كذا وكذا، أي بطلوع النجم الفلاني أو إذا طلع النجم الفلاني يترل المطر . قائل هذا القول: إن اعتقد أن للنجم تأثيراً في إنزال المطر فهو شرك أكبر –وهو الذي يعتقده أهل الجاهلية وإن كان لا يعتقد أن للنجم تأثيراً وإنما نسب المطر إلى النجم على سبيل المجاز، لأن الله سبحانه أجرى العادة بوجود المطر عند طلوع ذلك النجم، فهذا من الشرك الأصغر ومن الوسائل المفضية إلى الشرك الأكبر – وهو المراد هنا –؛ لأنه نسب ما هو من فعل الله تعالى الذي لا يقدر عليه غيره إلى خلق مسخر لا ينفع ولا يضر ولا قدرة له على شيء

(١) انظر: لسان العرب، ج٣، ص٧٣٥ -٧٣٦.وجامع الأصول، ج١١، ص٥٧٧-٥٧٨ . وشرح صحيح مسلم، ج٢، ص٦١ .

فهو محرم حماية لجناب التوحيد وسداً لذرائع الشرك[(١)].

كيف يوصل إلى الشرك الأكبر؟

إن نسبة المطر إلى النجم مجازاً قد تورث في القلوب مع تطاول الأيام وغلبة الجهل الاعتقاد بأن للنجم تثيراً في إنزال المطر وبذلك يفضي إلى الشرك الأكبر.

الأدلة على منعه: ومن الأدلة على منعه ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾[(٢)].

قيل: في الكلام مضاف محذوف: أي وتجعلون شكر رزقكم الذي رزقكم الله أنكم تكذبون بأنه من عند الله الرزاق فتنسبونه إلى غيره ومن ذلك قولكم مطرنا بنوء كذا وكذا . وقيل: ليس في الكلام مضاف محذوف بل معنى الرزق: الشكر تعبيراً بالسبب عن المسبب[(٣)].

روى الإمام أحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن أبي حاتم عن علي رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ قال: شكركم (أنكم تكذبون) تقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا ... الحديث»[(٤)].

وقد روي أن علياً[(٥)] وابن عباس[(٦)] قرءاها: ﴿وتجعلون شكركم أنكم

---

(١) انظر: تسيير العزيز الحميد، ص٣٩٩ . وفتح المجيد، ص٣٢٣-٣٢٤ .

(٢) سورة الواقعة: الآية ٨٢ .

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ج٤، ص٢٩٨-٢٩٩ . وتفسير الشوكاني، ج٥، ص١٦١. وشرح صحيح مسلم، ج٢، ص٦٢ .

(٤) أخرجه الترمذي في التفسير، باب ومن سورة الواقعة . وأحمد في المسند ج١، ص٨٩، ١٠٨. وذكره ابن كثير في تفسيره، ج٤، ص٢٩٨-٢٩٩ . من رواية أحمد ثم قال: وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وكذا رواه الترمذي وقال: حسن غريب. وانظر: جامع الأصول، حديث ٩٣١، المتن والحاشية .

(٥) انظر: تفسير ابن كثير، ج٤، ص٢٩٨ .

(٦) أخرجه عنه ابن جرير بإسناد صحيح . انظر: تفسير ابن كثير، ج٤، ص ٢٩٩. وجامع =

تكذبون﴾ ويكون المعنى على هذا: وتجعلون شكركم لله على ما أنزل إليكم من المطر والرحمة (أنكم تكذبون) أي تنسبونه إلى غيره.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ: «وهذا أولى ما فسرت به الآية، وروي ذلك عن علي وابن عباس ومجاهد والضحاك وعطاء الخرساني وغيرهم وهو قول جمهور المفسرين» [1] وعلى كلا القولين فالآية كما نرى تدل على تحريم نسبه المطر إلى غير الله سبحانه وتعالى وأن ذلك تكذيب .

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ: أصبح من الناس شاكر، ومنهم كافر . قالوا: هذه رحمة الله وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا فنزلت هذه الآية ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ حتى بلغ ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾[2]» [3] .

في الحديث: إطلاق الكفر[4] على من نسب نعمة المطر إلى غير الله، ونزول آية مبينة أن ذلك تكذيب، وذلك دليل على انه لا يجوز . والمراد بالآية: قوله تعالى: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ قال الشيخ أبو عمرو[5] بن الصلاح

= الأصول، ج٢، ص ٣٧٥، الحاشية .

(١) تيسير العزيز الحميد، ص٣٩٦ . وانظر: تفسير ابن كثير، ج٤، ص ٢٩٨-٢٩٩. وشرح صحيح مسلم، ج٢، ص٦٢ .

(٢) سورة الواقعة: الآية ٧٥-٨٢ .

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، وذكره السيوطي في أسباب النّزول (بحاشية تفسير وبيان) ص٤٧٢ .

(٤) إن اعتقد أن للنجم تأثيراً فهو أكبر وإن لم يعتقد فهو أصغر .

(٥) هو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى النصري الشهرزودي أبو عمرو المعروف بابن الصلاح أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال ولد سنة ٥٧٧هـ وتوفي سنة ٦٤٣هـ . انظر: الأعلام، ج٤، ص ٢٠٧ .

«ليس مراده أن جميع هذا نزل في قولهم في الأنواء فإن الأمر في ذلك وتفسيره يأبى ذلك وإنما النازل في ذلك قوله تعالى: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ والباقي نزل في غير ذلك ولكن اجتمعا في وقت النزول فذكر الجميع من أجل ذلك ومما يدل على هذا أن في بعض الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك الاقتصار على هذا القدر اليسير فحسب»[1].

٣- وعن زيد بن خالد ﷺ قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر . فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي، كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي، مؤمن بالكوكب»[2].

ورد في الحديث قوله: «مؤمن بي وكافر» وفسر المؤمن بأنه من قال مطرنا بفضل الله ورحمته، والكافر: من قال مطرنا بنوء كذا وكذا .

وذلك دليل على أنه لا يجوز لأحد أن ينسب شيئاً من أفعال الله إلى غيره ولو على سبيل المجاز، وأن ذلك كفر . فإنه إن اعتقد أن للنجم تأثيراً فهو كفر أكبر لأنه أشرك في الربوبية، وإن لم يعتقد فهو كفر أصغر؛ لأنه نسب نعمة الله إلى غيره وذلك لا يجوز [3].

قال ابن قتيبة[4]: «كانوا في الجاهلية يظنون أن نزول الغيث بواسطة النوء إما

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، ج٢، ص٦٢. وجامع الأصول، ج٢، ص٣٧٥، الحاشية.

(٢) رواه البخاري في مواضع منها كتاب الاستسقاء، باب قوله تعالى:(وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) . و مسلم في الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء .

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد، ص٤٠٣ . وفتح المجيد، ص٣٢٦ .

(٤) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد، من المصنفين المكثرين ولد في بغداد =

بصنعه على زعمهم، وإما بعلامته فأبطل الشرع قولهم وجعله كفراً فإن اعتقد قائل ذلك أن للنوء صنعاً في ذلك فكفره كفر شرك وإن اعتقد أن ذلك من قبيل التجربة فليس بشرك لكن يجوز إطلاق الكفر عليه وإرادة كفر النعمة»[1].

٤- وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أمسك الله القطر عن عباده خمس سنين ثم أرسله لأصبحت طائفة من الناس كافرين، يقولون: سقينا بنوء المجدح»[2].

المجدح: نجم يقال له: الدبران[3]. في الحديث إطلاق الكفر على من نسب المطر إلى النوء - كالحديث السابق، وذلك دليل على عدم جوازه .

٥- وعن أبي مالك الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أربــع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن - الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم ... الحديث»[4]. والمراد بالجاهلية - هنا ما قبل المبعث، وكل ما يخالف ما جاءت به الأنبياء والمرسلون فهو جاهلية[5]. ومما عده الرسول ﷺ - في هذا الحديث - من أمر الجاهلية الاستسقاء بالنجوم - وهو نسبة المطر إلى النجم - وذلك دليل على أنه مذموم ممنوع .

قال شيخ الإسلام: «أخبر ﷺ أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم

= سنة ٢١٣هـ وتوفي بها سنة ٢٧٦هـ من كتبه تأويل مختلف الحديث والمعارف وكتاب المعاني. انظر: الأعلام، ج٤، ص١٣٧ .

(١) تيسير العزيز الحميد، ص٤٠٣ .

(٢) أخرجه النسائي في الاستسقاء، باب كراهية الاستمطار بالكواكب . انظر:جامع الأصول حديث ٩٢٠٠

(٣) انظر: جامع الأصول، ج١١، ص٥٨٠ .

(٤) رواه مسلم في الجنائز، باب التشديد في النياحة. وانظر: جامع الأصول، حديث ٩٤٣٠.

(٥) تيسير العزيز الحميد، ص٣٩٧ .

ذماً لمن لم يتركه، وهذا كله يقتضي: أن ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام، وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها، ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم، وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجمل» [1].

٦- وعن جابر بن سمرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أخاف على أمتي الاستسقاء بالأنواء وحيف السلطان وتكذيب بالقدر» [2].

وفي رواية: «أخوف ما أخاف على أمتي ثلاث: الاستسقاء بالأنواء وحيف السلطان، والتكذيب بالقدر» [3].

في الحديث إخبار بأن مما خافه ﷺ على أمته الاستسقاء بالأنواء وذلك دليل على أنه مذموم ممنوع .



(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ج١، ٢٣٥ .

(٢) رواه ابن جرير عن جابر . انظر: كنز العمال، حديث ٤٣٨٥٨ .

(٣) رواه ابن أبي عاصم في السنة عن جابر بن سمره . انظر: السنة لابن أبي عاصم، ج١ ص١٤٢، وقال الألباني حديث صحيح . انظر: ظلال الجنة، ج١، ص١٤٢ .

المبحث الخامس:

إسناد بعض الحوادث إلى غير الله مجازاً

المراد به: نسبة بعض الحوادث إلى أسباها القريبة على أنها هي التي أدت إلى وقوعها .

ومن أمثلة ذلك: أن يقال: لو لا وجود فلان لحصل كذا .

ومثل من يقول: والمجهودات الفلانية تقضي على الجهل والفقر – فلو عملنا كذا لحصل كذا – وما أشبه ذلك من الألفاظ التي فيها نسبة الحوادث إلى غير الله ولا نفهم من هذا نفي تأثير الأسباب في مسبباها وإنما المقصود الاعتقاد أن ما يجري على يد بعض المخلوقين أفراداً أو جماعات من المجهودات إنما هي أسباب قد تثمر وقد لا تثمر، وإن أثمرت فإنما هو بمشيئة الله، وعلى ذلك فلا يجوز نسبة حصول النتائج إلا إلى الله سبحانه [(١)].

كيف يوصل إلى الشرك:

من المعلوم أن إسناد الحوادث إلى أسباها القريبة شرك أصغر؛ لأنك نسبت ما هو من خصائص الله إلى غيره بلسانك، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر؛ لأن هذه النسبة قد تؤدي بالقائل أو السامع مع طول الزمن وغلبة الجهل إلى الاعتقاد بأنها مستقلة في التأثير وبذلك يقع الشرك الأكبر .

الأدلة على منعه: ومن ذلك ما يلي:

١– قال تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾[(٢)]. يقول ابن عباس في

---

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة، ج١، ص٥١٧ . والإرشاد، ص٩٥ . ودعوة التوحيد، ص ٦١، ٦٥، ٦٦ .

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٢ .

الآية: ((الأنداد: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: ...لو لا كلبة هذا لآتانا اللصوص، ولو لا البط في الدار لأتى اللصوص إلى أن قال: هذا كله شرك)) [١].والآية نزلت في الأكبر إلا أنها حجة في الشرك الأصغر؛ لأن الكل شرك[٢].

٢– وقال تعالى عن قارون الذي أتاه الله الكنوز العظيمة فبغى على قومه وقد وعظه الناصحون وأمروه بالاعتراف بنعمة الله والقيام بشكرها فكابر عند ذلك ونسبها إلى علمه بوجوه المكاسب، حيث قال: ﴿قال إنما أوتيته على علم عندي...﴾ الآية[٣] أي إنما أدركت هذه الأموال بكسبي وحذقي ومعرفتي بوجوه المكاسب لا أنه تفضل من الله تعالى – فكانت عاقبته من أسوء العواقب وعقوبته من أشد العقوبات، حيث خسف الله به وبداره الأرض، قال تعالى: ﴿فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين﴾ [٤][٥].

٣– روى ابن أبي الدنيا – في كتاب الصمت – عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((إن أحدكم ليشرك حتى يشرك في كلبه يقول: لولاه لسرقنا الليلة)) [٦].

أي إن أحدكم ليشرك شركاً أصغر الذي هو وسيلة إلى الشرك الأكبر

---

(١) رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس بإسناد جيد . انظر: فتح القدير، ج١، ص٥٢ . وتفسير ابن كثير، ج١، ص٥٧ –٥٨ .

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد، ص٥٢٢–٥٢٣ .

(٣) سورة القصص: الآية ٧٨ . وانظر: الآيات ٧٦–٧٧ من نفس السورة .

(٤) سورة القصص: الآية ٨١ .

(٥) انظر: تفسير ابن سعدي، ج٦، ص ٢٩–٣١ . والإرشاد، ص ٩٦ .

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت، برقم ٣٥٧، ص١٩١ .

عندما ينسب عدم السرقة إلى الكلبة التي إذا رأت السراق نبحتهم فاستيقظ أهلها وهرب السراق، وربما امتنعوا من إتيان المحل الذي هي فيه خوفاً من نباحها فيعلم بهم أهلها .

والواجب نسبة ذلك إلى الله تعالى، فهو الذي يحفظ عباده ويكلؤهم بالليل والنهار كما قال تعالى: ﴿قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾[1] [2].

ويمكن اتقـــاء مثل هـــذه الوسيلة بنسبة الحوادث إلى الله تعالى ثم إلى المخلوق.

فمثلاً إذا أردنا أن نقول: لولا وجود فلان لحصل كذا .

نقول: لولا الله ثم وجود فلان لحصل كذا . مع الاعتقاد بان الأسباب ليست مستقلة بذاتها في التأثير وإنما يكون تأثيرها بقدرة الله ومشيئته .



(١) سورة الأنبياء: الآية ٤٢ .

(٢) تيسير العزيز الحميد، ص ٥٢٤، (بتصرف) .

المبحث السادس: الحلف بغير الله

تعريفه: الحلف لغة هو اليمين وأصلها العقد بالعزم والنية[١] .

وفي الاصطلاح: هو توكيد المحلوف عليه بذكر معظم على وجه مخصوص[٢].

وبما أن التعظيم – حق الله تعالى – فلا يضاهى به غيره [٣]. لذا فإن المشروع: إنما هو الحلف باسم من أسماء الله أو بصفة من صفاته [٤].

وعلى هذا فإن الحلف بغير الله: هو توكيد المحلوف عليه بذكر معظم سوى الله على وجه مخصوص .

والمراد – هنا – الحلف بغير الله من دون اعتقاد تعظيم [٥] من حلف به مع علمه[٦] الحكم . فهذا هو الشرك الأصغر، والوسيلة المفضية إلى الشرك الأكبر[٧].

أمثلته: ومن أمثلته: قول الرجل: وحياتي، وحياتك، والنبي، وحياة النبي

---

(١) انظر: لسان العرب، ج١، ص ٦٩٦ .

(٢) انظر:المغني، ج١٣، ص ٤٣٥ .وحاشية ابن قاسم على الروض المربع، ج٧، ص ٤٦٤ .

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي، ج١١ / ص ١٠٥ .

(٤) مختصر الفتاوى المصرية، ص٥٤٨، و المغني، ج١٣، ص٤٣٦ .

(٥) أما إن قام بقلبه تعظيم من حلف به من المخلوقات مثل تعظيم الله – وكان عالماً الحكم – فهو شرك اكبر؛ فإن كان جاهلاً علم فإن أصر فهو والعالم سواء كل منهما مشرك شركاً أكبر . انظر: فتاوى اللجنة الدائمة، ج١، ص ٢٢٤ .

(٦) أما إن كان جاهلاً : فإنه يعلم فإن أصر فهو والعالم سواء كل منها مشرك شركاً أصغر . انظر: فتاوى اللجنة الدائمة، ج١، ص ٢٢٤.

(٧) انظر:الجواب الكافي، ص١٥٨، وفتاوى اللجنة الدائمة، ج١، ص ٢٢٤، ٥١٧ وتحذير الساجد، ص١٥٤..

والكعبة، والسيد فلان، وأبي، وكالحلف بالأمانة ونحو ذلك [(١)].

كيف يوصل إلى الشرك:

ذكرنا آنفاً أن الحلف بغير الله باللسان من دون اعتقاد تعظيم من حلف به شركاً أصغر ووسيلة للوقوع في الشرك الأكبر؛ لأن الحلف بهذا الغير يورث الشعور بعظمته، في نفس الحالف والسامع ومن ثم تعظيمه مثل تعظيم الله.

وبذلك يفضي إلى الشرك الأكبر [(٢)].

الأدلة على منعه:

اتفق الكتاب والسنة والإجماع على تحريم الحلف بغير الله؛ لما فيه من التعظيم لغير الله الذي قد يؤدي إلى تعظيمه مثل تعظيم الله.

أولاً: الكتاب: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾[(٣)]. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس ﷺ أنه قال – في تفسير هذه الآية – : الأنداد: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن تقول – والله وحياتك يا فلان ... إلى أن قال: هذا كله شرك[(٤)].

فإن قيل: الآية نزلت في الأكبر. قيل: السلف يحتجون بما نزل في الأكبر على الأصغر – كما فسرها ابن عباس ﷺ وغيره؛ لأن الكل شرك [(٥)].

ثانياً: السنة: ومن ذلك ما يلي:

---

(١) انظر: المغني، ج١٣، ص٤٣٦ . ومختصر الفتاوى المصرية، ص٥٤٨ .

(٢) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة، ج١، ص٢٢٤ -٢٢٥، ٥١٧ . وتحذير الساجد، ص١٥٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٢ .

(٤) رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس بإسناد جيد.انظر: تفسير ابن كثير، ج١، ص٥٧ – ٥٨ وفتح القدير، ج١، ص٥٢ .

(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد، ص ٥٢٢-٥٢٣ ،

١- وفي الصحيحين من حديث ابن عمر مرفوعاً أن رسول الله ﷺ سمع عمر بن الخطاب – وهو يحلف بابيه –. فقال: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»(١).

٢- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «سمعت عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، قال: قال عمر: فو الله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ ينهى عنها ذاكراً ولا آثراً»(٢). قال ابن عبد البر: ((وفي هذا الحديث من الفقه أنه لا يجوز الحلف بغير الله عز وجل في شيء من الأشياء ولا على حال من الأحوال))(٣).

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا بالله عز وجل إلا وأنتم صادقون»(٤).

٤- وعن سعيد بن عبيدة قال: كنت عند ابن عمر فقمت وتركت رجلاً عنده من كنده، فأتيت سعيد بن المسيب، فجاء الكندي فزعاً فقال: جاء رجل إلى ابن عمر – فقال: يا أبا عبد الرحمن أعلي جناح أن احلف بالكعبة؟ – قال: ولم تحلف بالكعبة؟ إذا حلفت بالكعبة، احلف برب الكعبة . فإن عمر كان

(١) رواه البخاري في الأيمان، باب لا تحلفوا بآبائكم . ومسلم في الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله . وانظر: جامع الأصول حديث ٩٢٨١ .

(٢) رواه مسلم في الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى . وأبو داود في الأيمان، باب في كراهية الحلف بالآباء . والترمذي في الأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله . والنسائي في الأيمان: باب الحلف بالآباء .

(٣) التمهيد لابن عبد البر، ج١٤، ص ٨٦٦ .

(٤) رواه أبو داود في الأيمان والنذور، باب كراهية الحلف بالآباء . والنسائي في الأيمان، باب الحلف بالأمهات. وإسناده صحيح. انظر: جامع الأصول، حديث ٩٢٨٢، المتن والحاشية.

إذا حلف قال: كلا وأبي، فحلف بها يوماً عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «لا تحلف بأبيك ولا بغير الله، فإنه من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[1].

٥- وعن عبد الرحمن بن سمره ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم»[2].

الطواغي: الأوثان والشياطين، وكل رأس في ضلالة فهو طاغوت[3].

٦- عن بريدة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بالأمانة فليس منا»[4].

٧- وعن قتيلة بنت صيفي قالت: «إن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون ... وتقولون والكعبة فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة ... الحديث»[5].

ثالثاً: الإجماع: لقد أجمع العلماء على أن اليمين الشرعية لا تكون إلا باسم من أسماء الله أو بصفة من صفاته، وأنه لا يجوز الحلف بغيرهما، بل ولا ينعقد.

قال ابن عبد البر: «ولا يجوز الحلف بغير الله عز وجل...وهذا أمر مجمع

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند، ج٢ ص ٦٩، ٨٦ -٨٧، ١٢٥ . وأبو داود برقم ٣٢٥١ . والترمذي في كتاب النذر، باب ٨ . والحاكم في المستدرك، ج٤، ص ٢٩٧ . وقال الترمذي: هذا حديث حسن . انظر: جامع الأصول، ج١١، ص٦٥١، الحاشية .

(٢) رواه مسلم في الأيمان، باب من حلف باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله .والنسائي في الأيمان، باب الحلف بالطواغيت . وانظر: جامع الأصول، حديث ص ٩٢٨٣

(٣) انظر: جامع الأصول، ج١١، ص٦٥٥ .

(٤) رواه أبو داود في الأيمان، باب كراهية الحلف بالأمانة وإسناده صحيح . انظر: جامع الأصول، حديث ٩٢٨٤، المتن والحاشية .

(٥) أخرجه النسائي في الأيمان والنذور، باب الحلف بالكعبة، وإسناده صحيح . انظر: جامع الأصول، حديث ٩٢٧٧ المتن والحاشية .

عليه))[1].

وقال ابن قدامة ((ولا يجوز الحلف بغير الله تعالى، وصفاته نحو أن يحلف بأبيه أو بالكعبة أو صحابي أو إمام، قال ابن عبد البر وهذا أصل مجمع عليه))[2].

وقال شيخ الإسلام: ((ذكر غير واحد الإجماع على أنه لا يقسم بشيء من المخلوقات وذكروا إجماع الصحابة على ذلك)))[3].

وقال أيضاً: ((ولهذا اتفق العلماء على أنه ليس لأحد أن يحلف بمخلوق كالكعبة ونحوها))[4].

وقال أيضاً: ((وأما الحلف بغير الله من الملائكة والأنبياء والمشائخ والملوك وغيرهم فإنه منهي عنه غير منعقد باتفاق الأئمة))[5].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ: ((وأجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله أو بصفاته، وأجمعوا على المنع من الحلف بغيره))[6].

❋ ❋ ❋

---

(١) التمهيد، ج١٤، ص٨٦٦- ٨٦٧ .

(٢) المغنى، ج١٣، ص٤٣٦ .

(٣) الفتاوى، ج١، ص ٢٩٠ .

(٤) الفتاوى، ج٣ ص ٣٩٨ .

(٥) الفتاوى، ج١١، ص ٥٠٦.

(٦) تيسير العزيز الحميد، ص ٥٢٦.

الخاتمة

بسم الله بدأنا وبحمده والشكر له ختمنا ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد: فإنه من دراستي لبعض الوسائل القولية المفضية إلى الشرك الأكبر توصلت إلى نتائج هامة منها ما يلي: الأولى: أن الذريعة في الاصطلاح قال البعض: بشمولها المشروع والممنوع وأطلق عليه المعنى العام، وحكمها على هذا القول تابعة للمقصود فوسيلة الحلال حلال ووسيلة الحرام حرام . وقال البعض باقتصارها على الممنوع وأطلق عليه المعنى الخاص – وهو الغالب في استعمالها وحكمها على هذا القول ممنوعة لأنها تفضي إلى ممنوع .

الثانية: أن الوسائل المفضية إلى الشرك الأكبر محظورة؛ لأنها تفضي إلى محظور وهو الشرك الأكبر .

الثالثة: أن الغلو في المدح يؤدي بصاحبه إلى أن يرفع المغلو فيه فوق منزلته التي أنزله الله بها، حتى يجعل له شيئاً من خصائص الخالق فهو من الوسائل المفضية إلى الشرك الأكبر . لذا ورد التحذير منه في الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ومن بعدهم من الأئمة.

الرابعة: النهي عن مواجهة الممدوح بالمدح ولو بما فيه لما يسببه من تعاظم الممدوح وغلو المادح .

الخامسة: أن التسوية بين الخالق والمخلوق في القول كأن يقال ما شاء الله وشئت إن قام بقلب المتلفظ بها تعظيم لذلك المسوى بينه وبين الله فهو شرك أكبر وإن لم يقم بقلبه تعظيم فهو شرك أصغر ووسيلة إلى الشرك الأكبر، ويمكن اتقاؤها باستبدال الواو بثم؛ لأنها تقتضي الترتيب مع التراخي .

السادسة: أن التقرب إلى الله تعالى في الدعاء بما لم يرد في الكتاب أو صحيح السنة غير مشروع بل هو وسيلة إلى الشرك الأكبر، كالتوسل بذات أو جاه أو حق مخلوق، أو التوجه إلى ميت طالباً منه أن يدعو الله له.وقد يصل إلى الشرك الأكبر إن اعتقد في المتوسل به شيئاً من النفع أو الضر من دون الله . لذا رده علماء أهل السنة مبينين بطلانه .

السابعة: أن نسبة المطر إلى النجم محرمة بالكتاب و السنة؛ لأن الناسب إما أن يعتقد أن للنجم تأثيراً في إنزال المطر فيكون شركاً أكبر، أو لا يعتقد فيكون شركاً أصغر ووسيلة إلى الشرك الأكبر؛ لأنه نسب نعمة الله إلى غيره، ولأن الله لم يجعل النوء سبباً لإنزال المطر، وإنما الواجب في مثل هذه الحالة أن يقال مطرنا بفضل الله ورحمته امتثالا لأمره ﷺ .

الثامنة: أن إسناد الحوادث إلى أسبابها القريبة على أنها هي وحدها التي أدت إلى وقوعها محرم بالكتاب و السنة؛ ذلك أنه شرك أصغر ووسيلة إلى الشرك الأكبر ويمكن اتقاؤه بإسناد الحوادث إلى الله عز وجل ثم إلى المخلوق، فمثلاً إذا أردنا أن نقول: لو لا وجود فلان لحصل كذا نقول: لولا الله ثم وجود فلان .

التاسعة: أن الحالف بغير الله إن قام بقلبه تعظيم لمن حلف به مثل تعظيم الله كان مشركاً شركاً أكبر – إن كان عالماً –، وإن كان جاهلاً علم فإن أصر فهو والعالم سواء كل منهما مشرك شركاً أكبر، وإن لم يقم بقلبه تعظيم لمن حلف به كان شركاً أصغر ووسيلة إلى الشرك الأكبر .

العاشرة: أن الحلف بغير الله محرم بالكتاب و السنة والإجماع، وغير منعقد باتفاق الأئمة.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فهرس المصادر والمراجع

١- الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة: عبد الرحمن الدوسري، ط الأولى، دار الأرقم، الكويت، ١٤٠٢هـ .

٢- أحكام القرآن: لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف (بابن العربي)، تحقيق علي محمد البجاوي، ط الثالثة، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٢هـ .

٣- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد: د.صالح فوزان الفوزان، مكتبة ابن تيميه، القاهرة، ١٤١١هـ .

٤- أسباب النزول: للسيوطي (بهامش تفسير وبيان مفردات القرآن)، دار الرشيد، دمشق، بيروت .

٥- الاعتصام: لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي، تحقيق عبد الرازق المهدي، ط الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ

٦- الأعلام: خير الدين الزركلي، ط السادسة، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.

٧- إعلام الموقعين عن رب العالمين: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزيه، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٨٨هـ .

٨- اقتضاء الصراط المستقيم: لشيخ الإسلام ابن تيميه، تحقيق ناصر العقل ط السابعة، دار عالم الكتب، ١٤١٩هـ .

٩- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: لأبي بكر جابر الجزائري، ط الثانية ١٤٠٧هـ .

١٠- بيان المحجة في الرد على اللجة: عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ضمن مجموعة التوحيد، مكتبة دار حراء، مكة المكرمة، جدة.

١١- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد: محمد ناصر الديـــن الألباني، ط الرابعة، المكتب الإسلامي، ١٤٠٢هـ .

١٢- تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران: أحمد بن حجر آل بوطامي، ط السابعة، ١٤٠٢هـ .

١٣- التعريفات: علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م

١٤- تيسير الكريم في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة مكة لطباعة والإعلام، مكة المكرمة، ١٣٩٨هـ .

١٥- فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، ١٤٠١هـ .

١٦- تفسير القرطبي: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط الثالثة عن دار الكتب المصرية

١٣٨٧، دار الكتاب العربي .
١٧- تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن كثير القرشي، دار المعرفة، بيروت لبنان، ١٣٨٨هـ .
١٨- التمهيد: لأبن عبد البر، تحقيق سعيد أحمد أعراب، ط الثانية، ١٤٠٢هـ.
١٩- التوحيد: للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، مكتب الأثير، الرياض.
٢٠- التوسل: محمد ناصر الدين الألباني، ط الخامسة، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ١٤٠٦هـ .
٢١- التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع: محمد نسيب الرفاعي، ط الرابعة .
٢٢- تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار اللغوية: محمد بن علي بن حسين المكي، عالم الكتب، بيروت، لبنان .
٢٣- تيسير العزيز الحميد: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب مكتبة الرياض الحديثة بالرياض .
٢٤- جامع الأصول في أحاديث الرسول: ابن الأثير الجزري، نشر وتوزيع مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح مكتبة دار البيان، ١٣٨٩هـ .
٢٥- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: للإمام ابن القيم ط الثالثة، دار المطبعة السلفية ومكتبتها: ١٤٠٠هـ .
٢٦- حاشية ابن قاسم على الروض المربع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ط السادسة، ١٤١٦هـ.
٢٧- الدر النضيد على كتاب التوحيد: سعيد بن عبد العزيز الجندول ط الرابعة، ١٣٩٩هـ .
٢٨- دعوة التـوحيد: محمـد خليل هراس، ط الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ١٤٠٦ هـ .
٢٩- رسالة الشرك ومظاهره: مبارك بن محمد الميلي، ط الأولى، مكتبة الإيمان، الإسكندرية، ١٤٠٩هـ .
٣٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، منشورات المكتب الإسلامي .
٣١- سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٨٢هـ .
٣٢- سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
٣٣- السنن الكبرى: للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ط الأولى مصورة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٤٤هـ .
٣٤- سنن ابن ماجه: لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ابن ماجه) المكتبة العلمية، بيروت،

لبنان .

٣٥- سنن النسائي أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٦- السنة: لابن أبي عاصم، ط الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت دمشق، ١٤٠٠هـ

٣٧- شرح السنة: للإمام البغوي، ط الأولى، المكتب الإسلامي ١٣٩٠هـ

٣٨- شرح صحيح مسلم: للإمام النووي، دار الفكر للطباعة والنشر ١٤٠١هـ

٣٩- شرح الصدور في تحريم رفع القبور: محمد الشوكاني (ضمن مجموعة الرسائل المنيرية)، مكتبة طيبة، الرياض، ١٤٠٤هـ .

٤٠- شرح الطحاويه: لعلي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، ط الرابعة المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٣٩١هـ .

٤١- الشرك في القديم والحديث أبو بكر محمد زكريا، ط الأولى، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢١هـ

٤٢- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة الإسلامية، استانبول تركيا ١٩٨١م.

٤٣- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري المطبوع مع شرحه للإمام النووي دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع، ١٤٠١هـ .

٤٤- الصمت وحفظ اللسان: لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، ط الأولى، دار الاعتصام، ١٤٠٦هـ .

٤٥- ظلال الجنة في تخريج السنة: محمد ناصر الدين الألباني، ط الأولى ١٤٠٠هـ المكتب الإسلامي، بيروت دمشق .

٤٦- الغلو في الدين: علي بن عبد العزيز الشبل، ط الأولى، دار الوطن، الرياض، ١٤١٧هـ .

٤٧- الفتاوى " مجموعة الفتاوى ": لشيخ الإسلام ابن تيمية، تصوير، ط الأولى، مطابع دار العربية، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ .

٤٨- الفتاوى الكبرى: لابن تيميه، دار الكتب الحديثة، مطبعة العاصمة، القاهرة، ١٣٨٥هـ .

٤٩- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: جمع و ترتيب الشيخ أحمد بن عبد الرازق الدويش، ط الأولى، ١٤١١هـ .

٥٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية.

٥١- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ط السابعة، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٧هـ .

٥٢- الفروق: للإمام شهاب الدين الصنهاجي القرافي، دار المعرفة، بيروت لبنان .

٥٣- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: شيخ الإسلام ابن تيمة، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية

٥٤- قاعدة سد الذرائع: د. محمد حامد عثمان، ط الأولى، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٧هـ .

٥٥- القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الفكر، بيروت لبنان، ١٣٩٨هـ .

٥٦- القول الجلي في حكم التوسل بالنبي والولي: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد السلام خضر، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

٥٧- القول السديد في مقاصد التوحيد: عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٢هـ .

٥٨- كنـــز العمال: علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري، ط الخامسة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ .

٥٩- لسان العرب: للعلامة ابن منظور، دار لسان العربي، بيروت، لبنان .

٦٠- مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٢٠، ١٤٠٧هـ .

٦١- مختصر الفتاوى المصرية: لابن تيميه . بدر الدين محمد بن علي الحنبلي البعلي، دار نشر الكتب الإسلامية .

٦٢- المستدرك على الصحيحين: لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، الطبعة الهندية، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن .

٦٣- المسند: للإمام أحمد بن حنبل الشيباني " بهامشه منتخب كنز العمال، ط الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ .

٦٤- معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، ط الثانية دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٣٨٩هـ .

٦٥- المغني: لأبن قدامة، ط الثانية، هجر للطباعة والنشر القاهرة، ١٤١٢هـ

٦٦- الموافقات في أصول الشريعة: لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، بتعليق الشيخ عبد الله دراز، دار الفكر العربي .

٦٧- موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين، د. رفيق العجم ط الأولى، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م .

٦٨- النهاية في غريب الحديث والأثر: للإمام مجد الدين أبي السعادت المبارك بن محمد الجزري "ابن الأثير"، ط الأولى، المكتبة الإسلامية، ١٣٨٣هـ.

٦٩- وسطية أهل السنة بين الفرق: د.محمد با كريم محمد با عبد الله ط الأولى، ١٤١٥هـ، دار الراية، جدة .

فهرس الموضوعات

الإِجَارَةُ عَلَى الإِجَارَةِ وَتَطْبِيقُهَا الْمُعَاصِرُ

إِعْدادُ:

د. عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى العَمَّارِ

الأُسْتَاذِ المُشَارِكِ فِي جَامِعَةِ الإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ سُعُودٍ الإِسْلَامِيَّةِ



مقدّمة

الحمد لله علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه وتمسّك بسنته إلى يوم الدين.. وبعد:

إن البحث في أبواب المعاملات بصفة عامة من الأهميّة بمكان؛ لعلاقتها بواقع الناس في تعاملهم فيما بينهم ولاسيّما في هذا الوقت الذي كثرت فيه أنواع التعامل، واستحدثت فيه صور متعددة لكل نوع من أنواعه .

والاجارات باب من أبواب التعامل الحيّ بين الناس، له أنواعه المختلفة وصوره المتعددة، وأساليبه الجديدة، فالبحث في هذا الباب مما تشتد الحاجة إليه، لتجلية أحكام صوره المتعددة .

ولقد تكلم فقهاء الإسلام عن هذا الباب مؤصلين لأحكامه ومبينين أنواعه، ومفرعين عليها المسائل والصور مع بيان أحكام ما ذكروه استناداً إلى النصوص الشرعية والقواعد المرعية، والأعراف المتبعة .

ومما كان مورداً لبحثهم وكتابتهم: تصرف كل من المؤجر والمستأجر في العين المستأجرة. فبيّنوا ما يصح من هذا التصرف ومالا يصح، وجماع الأمر في هذا أن تصرف المالك الوارد على العين صحيح وتصرف المستأجر الوارد على المنفعة صحيح، لأن كلاً منهما يملك ما ورد عليه تصرفه بمقتضى عقد الإجارة ويدخل ضمن هذا الموضوع مسألة ذكرها تقي الدين البعلي وبرهان الدين ابن القيم رحمهما الله اختياراً لشيخ الإسلام ابن تيمية وهي:

«تأجير المالك للعين المؤجرة لمن يحل محله في استيفاء ما كان له على

المستأجر الأول» .

وهذا الاختيار في ظاهره يخالف ما قرره الفقهاء من أن الإجارة بيع المنفعة، وأن الإجارة عقد لازم للعاقدين يقتضي تمليك المنفعة للمستأجر وتمليك الأجرة للمالك. بحيث يقتصر تصرف كل منهما على ما يملكه.

لهذا استوقفتني هذه المسألة، وجلعتني أفكر في بحثها، وبحث ماله علاقة بها. فرأيت أن أكتب في المسائل ذات الصلة بالمسألة مما يعين على التوصل إلى الرأي السليم فيها مما سيتضح عند بحث المسألة فكان أن جعلت عنوان البحث يشمل مسائل أخرى ذات صلة وثيقة: فأصبح العنوان:

الإجارة على الإجارة وتطبيقها المعاصر

وجعلته في خمسة مباحث رئيسة:

الأول: في تأجير المستأجر للعين المؤجرة .

الثاني: في تأجير المالك للعين المؤجرة .

الثالث: في إجارة الأشخاص .وفيه مطلبان:

الأول: الأجير الخاص .

الثاني: الأجير المشترك

الرابع: الضمان في الإجارة على الإجارة .

الخامس: التطبيق المعاصر للإجارة على الإجارة .

ومهدت للبحث بتمهيد عن تصرفات المالك الناقلة للملكية في العين المؤجرة.

وختمت البحث بخاتمة بينت فيها نتيجة البحث .

وأسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا، إنه سميع مجيب .

المنهج المتبع في البحث:

سلكت في إعداد هذا البحث المنهج المتبع في إعداد البحوث العلمية ومن أهم معالم هذا المنهج:

١– التوثيق من المصادر والمراجع الأصيلة موثقاً كل مذهب من مراجع ذلك المذهب .

٢– ذكر أرقام الآيات وعزوها إلى مواضعها من السور .

٣– تخريج الأحاديث وبيان درجة ما ليس في الصحيحين أو أحدهما معتمداً على ما كتبه المتخصصون في الحديث .

٤– ما كان موضع اتفاق بينته ووثقت هذا الاتفاق وبينت ما يدل عليه.

٥– في المسائل الخلافية اتبعت الآتي:

أ – تحرير محل النـــزاع إذا لزم الأمر.

ب – ذكر الأقوال ونسبتها إلى مذاهبها مع توثيقها.

ج – الاستدلال للآراء وبيان وجه الدلالة إذا خفي.

د – ذكر المناقشات الواردة على الأدلة والترجيح ووجهه.

❋ ❋ ❋

التمهيد:

في تصرّفات المالك الناقلة للملكية في العين المؤجرة

المسألة الأولى: بيع العين المؤجرة

وفيها فرعان:

- **الفرع الأول: بيع العين المؤجرة على المستأجر:**

اتفق الفقهاء في المذاهب الأربعة على صحة بيع العين المؤجرة على مستأجرها[1] لما يلي:

١- أن الإجارة عقد على المنافع ، والبيع عقد على الأعيان، فلا تمنع الإجارة صحة البيع، كما لو زوج أمته ثم باعها[2].

٢- ولأن العين المبيعة في يد المشتري ولا حائل دون تسليمها له. فهو كما لو باع المغصوب من غاصبه[3].

٣- أن المستأجر قد ملك المنفعة بعقد الإجارة ثم ملك العين بعقد البيع فيصح كمن ملك الثمرة بعقد ثم ملك الشجر بعقد آخر[4].

ثم اختلفوا في أثر هذا البيع على الإجارة على قولين:

---

(١) ينظر: بدائع الصنائع ٢٠٧/٤ وفتح القدير ١٨٥/٥ والفتاوى الهندية ٤٦٤/٥ والمعونة على مذهب عالم المدينة ١١٠٦/٢ والكافي للقرطبي ٤٧٨/٢ والتفريع ١٨٨/٢ والشرح الصغير مع بلغة السالك ٢٧١/٢ والحاوي الكبير ٤٠٣/٧ والوجيز ٢٣٩/١ والمهذب ٤٠٧/١ وروضة الطالبين ٢٥٣/٥ ومغني المحتاج ٣٦٠/٢ والفروع ٤٤٢/٤ والإنصاف ٦٩/٦ والمبدع ١٠٧/٥ وكشاف القناع ٣١/٤ والروض المربع ٣١/٥

(٢) نظر: المغني ٤٨/٨ و كشاف الإقناع ٣١/٤ .

(٣) ينظر: مغني المحتاج ٣٦٠/٢ ونهاية المحتاج ٣٢٤/٥ .

(٤) ينظر: المغني ٤٩/٨ والمبدع ١٠٨/٥

القول الأول: أن الإجارة تنفسخ فيما بقي من المدّة .

وإليه ذهب الحنفية[١]، والمالكية[٢]، وهو وجه عند الحنابلة[٣] .

مستدلين بقياس المسألة على اجتماع النكاح وملك اليمين فكما أنه ينفسخ النكاح بملك اليمين فكذلك هنا[٤].

القول الثاني: أن الإجارة لا تنفسخ بل هي بحالها حتى انتهاء مدّتها. وتكون الأجرة باقيةً على المشتري فتضاف إلى الثمن وهذا القول هو الأصح عند الشافعية[٥]، والمذهب المعتمد عند الحنابلة[٦].

مستدلين بأن عقد الإجارة عقد لازم مستقل بنفسه وارد على المنفعة يقتضي تمام أثره وبلوغ منتهاه، والبيع كذلك عقد مستقل وارد على الرقبة ، فلا يتنافيان كملك الثمرة ثم الأصل[٧] . وهذا هو الأرجح؛ لاختلاف مورد العقدين . وإذا اتفق الطرفان على أن الثمن يشمل بقية الأجرة فهما على ما اتفقا عليه .وتكون الأجرة الباقية جزءا من الثمن .

- الفرع الثاني: بيعها لغير المستأجر

وقد اختلف الفقهاء فيه على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه يصح بيع العين المؤجرة لغير المستأجر ولا تنفسخ به

---

(١) ينظر: الفتاوى الهندية ٤٦٤/٥ .

(٢) انظر: الكافي للقرطبي ٧٤٨/٢، ومواهب الجليل ٤٠٧/٥ .

(٣) ينظر: الإنصاف ٩٦/٦ .

(٤) ينظر: الفتاوى الهندية ٤٦٤/٥ ومواهب الجليل ٤٠٧/٥ والمبدع/١٠٧ .

(٥) ينظر: الوجيز ٢٣٩/١، والمهذب ٤١٧/١، وروضة الطالبين ٢٥٣/٥، والأشباه والنظائر للسيوطي ص١٥١ .

(٦) الإنصاف ٦٩/٦، والمبدع ١٠٨/٥، والقواعد لابن رجب ص٤٤ .

(٧) ينظر المبدع ١٠٨/٥ وكشاف القناع ٣١/٤ .

الإجارة وللمشتري الخيار إن لم يعلم بالإجارة .

وإليه ذهب المالكية[1]، وأكثر الشافعية[2]، وهو المذهب عند الحنابلة[3].

مستدلين بأن البيع وارد على العين والمؤجر مالك لها وثبوت العقد على المنفعة لا يمنع بيع الرقبة قياساً على الأمة المزوجة، كما يجوز بيعها مع استحقاق منفعة بضعها للزوج فكذلك هنا[4] .

ولأنه ليس في بيعها إبطال حق المستأجر لأن المشتري إنما يتسلمها بعد انقضاء مدة الإجارة وكل تصرف لا يمنع حق المستأجر لا يُمنع[5].

القول الثاني: أنه لا يصح بيع العين المؤجرة لغير المستأجر مطلقاً.

وإليه ذهب الحنفية في قول عندهم[6]. ووجه عند الشافعية وعند الحنابلة[7].

مستدلين بأن يد المستأجر مانعة من تسليم العين المؤجرة .

القول الثالث: أن البيع جائز غير لازم، ويتوقف اللزوم على إذن المستأجر. وهو المذهب عند الحنفية[8] .

ولعلهم راعوا الجانبين كما قال الكاساني: «ولنا: أن البائع غير قادر على

---

(١) ينظر: المدونة ٤/٤٦٦، والتفريع لابن جلاب ٢/١٨٨، والكافي للقرطبي ٢/٧٤٨، والمعونة ٢/١١٠٦، ومواهب الجليل ٥/٤٠٨ .

(٢) ينظر: الحاوي الكبير ٧/٤٠٣، والوجيز ١/٢٣٩، وروضة الطالبين ٥/٢٥٥، وشرح روض الطالب ٢/٤٣٥ .

(٣) ينظر: الهداية لأبي الخطاب ١/١٨١، والإنصاف ٦/٦٩، والمقنع ٢/٢١٥، وإعلام الموقعين ١/٣٥٩ .

(٤) ينظر: المعونة ٢/١١٠٦، ومغني المحتاج ٢/٣٦٠ .

(٥) ينظر: المعونة ٢/١١٠٦ .

(٦) ينظر: تحفة الفقهاء ٢/٤٩، وبدائع الصنائع ٤/٢٠٧ .

(٧) ينظر: الوجيز ١/٢٣٩، ٢٤٠، ومغني المحتاج ٢/٣٦٠، والإنصاف ٦/٦٨ .

(٨) ينظر: بدائع الصنائع ٤/٢٠٧، وتحفة الفقهاء ٢/٤٧، ومختصر الطحاوي ص١٣٠، ١٣١.

تسليمه لتعلق حق المستأجر به، وحق الإنسان يجب صيانته عن الإبطال ما أمكن، وأمكن هاهنا بالتوقف في حقه، فقلنا: بالجواز في حق المشتري، وبالتوقف في حق المستأجر صيانة للحقين، ومراعاة للجانبين»[١] .

والأرجح – فيما يظهر – هو القول الأول، لاختلاف مورد العقدين، وصيانة للعقدين من الإبطال أو التوقف، ولأن المالك الثاني يحل محل المالك الأول في التعامل مع المستأجر .

المسألة الثانية: هبة العين المؤجرة

وقد اتفق فقهاء المذاهب الأربعة على أن حكم هبة العين المؤجرة حكم بيعها، بجامع أن كلاً منهما ناقل لملكية العين المؤجرة[٢] .

المسألة الثالثة: وقف العين المستأجرة

وفي هذه المسألة لا خلاف أيضاً بين فقهاء المذاهب الأربعة في جواز وقف العين المؤجرة[٣].

لأن الوقف متوجه إلى العين، حيث يرد على ما يملكه المؤجر من العين المؤجرة وهو ذات الرقبة .

والإجارة واردة على المنفعة، مدّة معينة وذلك لا يمنع من الوقف[٤].

---

(١) بدائع الصنائع ٤/٤٠٨ .

(٢) ينظر: تحفة الفقهاء ٣/١٦٤، والقوانين الفقهية ص٢٤١، وأسهل المدارك ٣/٨٨-٩٠، والمهذب ١/٤٤٦، وروضة الطالبين ٥/٢٥٥، ونهاية المحتاج ٥/٣٢٨، والإنصاف ٦/٣٩، والقواعد ص٤٥، وشرح المنتهى ٢/٣٧٦ .

(٣) ينظر الهداية ٣/١٥ والبناية ٦/١٥٧ وحاشية الدسوقي ٤/٧٧ وأسهل المدارك ٢/١٠١ والمهذب ١/٤٤١ والإقناع للشربيني ٢/٨١ والقواعد ص٤٥ وشرح المنتهى ٢٣٧٦

(٤) ينظر: معونة أولي النهى ٥/١٢٤ .

المسألة الرابعة: الوصية بالعين المؤجرة

وقد اتفق الفقهاء أيضاً على جواز الوصية بالعين المؤجرة ولو كانت في يد المستأجر. وعلى الموصى له الانتظار حتى تنتهي مدّة الإجارة كما ينتظر موت الموصي[1].

وبناءً على ما سبق في هذه المسائل: يتضح أن تصرّفات المالك الناقلة للملكية في العين المؤجرة صحيحة نافذة لأنها متجهة إلى العين .

وأنها لا تنافي الإجارة؛ لأن الإجارة متجهة إلى المنفعة .

ثم إن المالك الثاني للعين المؤجرة يحل محل المالك الأول وينـزل منـزلته، في التعامل مع المستأجر .

المسألة الخامسة: انتفاع المالك بالعين المؤجرة

والمقصود: أن يؤجره الدار سنة، ثم يسكن فيها بعد تسليمها للمستأجر وحينئذ فيعتبر منتفعاً بما لا يستحق الانتفاع به لأن منفعة الدار ملك للمستأجر بمقتضى عقد الإجارة، ولا تنفسخ الإجارة بذلك، وعلى المستأجر جميع الأجرة للمالك، لأن يد المستأجر لم تزل عن العين .

وله على المالك أجرة المثل مقابل سكناه في الدار لأنه انتفع في الدار بغير إذن من يملك منفعتها وهو المستأجر، فأشبه تصرف البائع للمبيع بعد قبض المشتري .

وإن كان ذلك قبل تسليمها للمستأجر فإن انقضت مدّة الإجارة قبل التسليم انفسخت الإجارة؛ لأن العاقد أتلف المعقود عليه قبل تسليمه، وإن سلمها في أثناء المدّة انفسخت الإجارة فيما مضى وتمت أجرة المدّة الباقية[2] .

---

(١) ينظر: تحفة الفقهاء ٢٠٧/٣، والمهذب ٤٥٢/١، وروضة الطالبين ٢٥٥/٥، ونهاية المحتاج ٣٢٨/٥، والإنصاف ٣٩/٦، وشرح المنتهى ٣٧٦/٢ .

(٢) ينظر: المغني ٢٥/٨، ٢٦، وكشاف القناع ٢٤/٤، ٢٥ .

المبحث الأول: تأجير المستأجر للعين المؤجرة

تصرفات المستأجر الناقلة للملكية لا تصح منه مطلقاً؛ لأنها واردة على العين المستأجرة لا على منفعتها، وهو إنما يملك المنفعة فقط. وأمّا التصرّفات الواردة على المنفعة أثناء مدّة الإجارة، فتشمل الانتفاع بها وإعارتها وتأجيرها .

أما الانتفاع بها، فهو مقصود الإجارة، لأن المقصود بالإجارة الانتفاع بمنفعة العين المستأجرة .

وقد ذكر الفقهاء أن المستأجر له الانتفاع بنفسه وبنائبه، بضوابط وقيود ذكروها، ليس هذا موضع بحثها .

وأما تأجيرها فيشمل تأجيرها على مالكها وعلى غيره. وبيان ذلك في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول :تأجيرها من مالكها، وهو المؤجر

لا يخلو الأمر في هذه المسألة من حالتين:

- الحالة الأولى: أن يؤجرها له قبل قبضها .

وقد اختلف الفقهاء في حكم إجارة العين من مالكها قبل قبضها على قولين:

القول الأول: أن ذلك لا يصح .

وهو الصحيح في مذهب الحنفية[١]، ووجه عند الشافعية[٢]، وعند الحنابلة[٣].

واستدلوا بما يلي:

---

(١) ينظر: البحر الرائق ٣٠٤/٧، ورد المحتار على الدر المختار ٣٣/٩، ١٠٧ .

(٢) ينظر: روضة الطالبين ٢٥٦/٥ .

(٣) ينظر: المغني ٥٥/٨، والفروع ٤٤٥/٤ .

١- أن المنافع مملوكة بعقد معاوضة فاعتبر في جواز العقد عليها القبض كالأعيان[١] .

ونوقش: بأن ذلك معتبر فيما إذا كانت الإجارة على غير المالك، لأنه قد يتعذر تقبيض العين وهذا غير معتبر هنا؛ لأن العين المستأجرة في يد مالكها[٢] .

٢- أن إجارتها من مالكها يلزم منه تمليك المالك وهو غير جائز[٣] .

ونوقش: بأن التمليك الوارد في عقد الإجارة ليس لما يملكه المالك وهو العين، وإنما للمنفعة التي يملكها المستأجر بعقد الإجارة .

القول الثاني: أن إجارة العين قبل قبضها من مالكها تصح .

وإليه ذهب المالكية[٤]، وهو وجه عند الشافعية[٥]، والحنابلة هو المذهب عندهم[٦] .

واشترط المالكية والحنابلة ألا يكون ذلك حيلة لأمر محرم مما يحرم في بيوع الآجال، كما إذا استأجرها بعشرة مؤجلة، وأجرها منه بثمانية نقداً. أو عكس ذلك[٧] . واستدلوا:

١- أن المعقود عليه في الإجارة هو المنفعة، والمنفعة لا تصير مقبوضة بقبض العين، فلا يؤثر فيها قبض العين[٨] .

---

(١) ينظر: المغني ٨/٥٥، والكافي لابن قدامة ٢/٣٢٥ .

(٢) ينظر: المغني ٨/٥٥ .

(٣) ينظر: رد المحتار على الدر المختار ٩/١٠٧ .

(٤) ينظر: الشرح الكبير للدردير ٤/٩، ومنح الجليل ٧/٤٥٨، ومواهب الجليل ٥/٤٠٦ .

(٥) ينظر: حلية العلماء ٥/٤٠٢، والمهذب ١/٤٠٣ .

(٦) ينظر: المغني ٨/٥٥، والإنصاف ٦/٣٥ .

(٧) ينظر مواهب الجليل ٥/٤٠٦، ومنح الجليل ٥/٤٥٨، والإنصاف ٦/٣٥، وشرح المنتهى ٢/٣٦١.

(٨) ينظر: المهذب ١/٤٠٣ .

٢– أن القبض لا يتعذر عليه باعتبار العين في يده[١] .

ولعل الرّاجح – والله أعلم – هو القول الثاني، مع مراعاة ما قيده به المالكية والحنابلة، تجنباً لربا النسيئة، ومما يؤيده أن المنفعة تملك بالعقد، ولهذا لو مضت المدّة والمستأجر لم يستوف المنفعة فإنها تجب عليه الأجرة .

- الحالة الثانية: أن يؤجرها من مالكها بعد قبضها .

وقد اختلف الفقهاء في حكمها أيضاً على قولين:

القول الأول: أنها تصح إجارة العين من مالكها بعد قبضها .

وإليه ذهب المالكية[٢]، والشافعية[٣]، في وجه هو الصحيح عندهم، والحنابلة[٤] في المذهب المعتمد وقَيْدُ المالكية والحنابلة معتبر هنا أيضاً: ألا يترتب على تأجير العين من المالك أمر محرم يمنع في بيوع الآجال[٥] .

واستدلوا بالقياس على عقد البيع، قالوا: فكما يجوز بيع المبيع بعد قبضه من بائعه وغيره فكذلك تجوز إجارة المستأجر بعد قبضه من مؤجره وغيره. بجامع أن كلاً من المشتري والمستأجر مالكاً لما تصرف فيه[٦] .

وبأن كل عقد جاز من غير العاقد جاز مع العاقد قياساً على البيع، فكما يجوز بيع المبيع بعد قبضه من البائع فكذلك يجوز للمستأجر تأجير ما استأجره على المؤجر بعد قبضه[٧] .

---

(١) ينظر: المغني ٥٥/٨ .

(٢) ينظر: مواهب الجليل٤٠٦/٥، وشرح الزرقاني على خليل ١٠/٧، ومنح الجليل ٤٥٨/٥.

(٣) ينظر: المهذب ٤٠٣/١ .

(٤) ينظر: المغني ٥٥/٨، والإنصاف ٣٥/٦ .

(٥) ينظر: الخرشي ٩/٧، ومواهب الجليل ٤٠٦/٥، ومنح الجليل ٤٥٨/٥، والإنصاف ٣٥/٦، وشرح المنتهى ٣٦١/٢ .

(٦) ينظر: المهذب ٤٠٣/١، والمغني ٥٥/٨ .

(٧) ينظر: روضة الطالبين ٢٥٣/٥، وشرح المنتهى ٣٦١/٢ .

القول الثاني: أنه لا يصح تأجير العين من مالكها بعد قبضها .

وإليه ذهب الحنفية[1]، والشافعية في وجه عندهم[2] .

واستدلوا: بأن إجارتها منه يؤدي إلى تناقض الأحكام لأن التسليم مستحقٌ على المؤجر فإذا استأجرها صار مستحقاً له فيصير مستحقاً لما هو مستحق عليه، وذلك تناقض .

والرّاجح – والله أعلم – هو القول الأول لقوة دليله .

ولا تناقض في الأحكام هنا في واقع الأمر، لأن التسليمين مختلفان والاستحقاق في كل منهما له مجاله .

حيث كان التسليم مستحقاً على المؤجر في العقد الأول، وفي العقد الثاني أصبح التسليم مستحقاً على المستأجر لأنه أصبح مؤجراً لما يملكه .

والنتيجة من بحث هذه المسألة: أن المستأجر يملك المنفعة بمجرد لزوم عقد الإجارة، فله التصرف فيها، وبناء عليه فليس للمالك التصرف فيها لأنها مملوكة لغيره والتصرف فيها ملَكَه غيره بعقد الإجارة .

المطلب الثاني: تأجير المستأجر للعين من غير مالكها

لا يخلو عقد الإجارة إما أن يكون مقيدا بشرط عدم تأجير المستأجر للعين المؤجرة، أو يكون مطلقا من هذا القيد، ولا يخلو إما أن يؤجرها بمثل ما استأجرها به أولا . وبيان الحكم في ذلك في المسائل الآتية:

المسألة الأولى: تأجير المستأجر للعين المؤجرة مع الإطلاق

ولها حالتان:

- الحالة الأولى: إجارتها قبل قبضها من غير المؤجر

---

(١) ينظر: البحر الرائق ٧/٣٠٤، وحاشية ابن عابدين ٩/١٠٧ .

(٢) ينظر: الحاوي ٧/٤٠٨، وروضة الطالبين ٥/٢٥٣ .

اختلف الفقهاء – رحمهم الله – في حكم تأجير العين المستأجرة من قبل المستأجر من شخص آخر على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه يجوز إجارتها قبل قبضها. وإليه ذهب المالكية[١]، وهو وجه عند الشافعية[٢]، وعند الحنابلة هو المذهب[٣].

واستدلوا بأنه لا يقف التصرف على القبض، لأنه لا ينتقل به الضمان[٤].

القول الثاني: أنه إن كان المستأجر منقولاً لم يجز تأجيره قبل قبضه وإن كان غير منقول جاز تأجيره قبل قبضه. وإليه ذهب الإمام أبو حنيفة وأبو يوسف رحمهما الله[٥].

واستدلوا بالقياس على البيع، فما جاز في البيع جاز في الإجارة ومالا فلا، لأن كلاً منهما عوض مُلك في عقد معاوضة[٦].

ويناقش: بعدم التسليم بهذا الإطلاق، لأن الإجارة في حكم المقبوض لأن المنفعة تملك بالعقد بخلاف المبيع .

القول الثالث: أنه لا يصح إجارة العين المستأجرة من قبل المستأجر قبل قبضها مطلقاً. وهو وجه عند الشافعية هو المذهب[٧]، ووجه كذلك عند الحنابلة[٨] .

---

(١) ينظر: التفريع لابن جلاب ٢/١٨٥ .

(٢) ينظر: المهذب ١/٤٠٣ .

(٣) ينظر: المغني ٨/٥٥، والكافي لابن قدامة ٢/٣٢٥، والإنصاف ٦/٣٥، وشرح المنتهى ٢/٣٦١، وغاية المنتهى ٢/١٩٦ .

(٤) ينظر: المهذب ١/٤٠٣، والمغني ٨/٥٥ وكشاف القناع ٣/٥٦٦ .

(٥) ينظر: الفتاوى الهندية ٤/٤٢٥، وحاشية ابن عابدين ٩/١٠٧ .

(٦) ينظر: المرجعان السابقان .

(٧) ينظر: المهذب ١/٤٠٣، وحلية العلماء ٥/٤٠١ .

(٨) ينظر: الإنصاف ٦/٣٥ .

وقال به محمد بن الحسن من الحنفية[1] .

واستدلوا: بالقياس على البيع فكما أن العين المشتراة لا يتصرف فيها قبل القبض، فكذلك العين المستأجرة .

ونوقش: بأن قبض العين المؤجرة لا ينتقل به الضمان إلى المستأجر فلم يقف جواز التصرف فيها على القبض[2].

الترجيح: والرّاجح – والله أعلم – القول الأول لقوة تعليله .

● الحالة الثانية: إجارتها بعد قبضها

وفي هذه الحالة ذهب عامة الفقهاء إلى جواز إجارتها بشرط أن يؤجرها لمن هو مثله في الانتفاع أو أقل منه ضرراً .

فإليه ذهب الحنفية[3]، والمالكية[4]، والشافعية[5]، والحنابلة في الرواية المعتمدة في المذهب[6] .

واستدلوا: بأن قبض العين يقوم مقام المنافع بدليل أنه يجوز التصرف فيها باستيفاء منافعها، فجاز العقد عليها كبيع الثمرة على الشجرة[7] . وقياساً على

(١) ينظر: الفتاوى الهندية ٤/٤٢٥، وحاشية ابن عابدين ٩/١٠٧ .

(٢) ينظر: معونة أولي النهى ٥/٥٨ .

(٣) ينظر: مختصر الطحاوي ص١٢٩، والدر المختار ٩/١٠٧، والفتاوى الهندية ٤/٤٢٥، وحاشية ابن عابدين ٩/١٠٧ .

(٤) ينظر: المدونة ٤/٥١٥، والتفريع ٢/١٨٥، والكافي ٢/٧٤٨، ومواهب الجليل ٥/٤٠٦، وشرح الزرقاني على خليل ٧/١٠، ومنح الجليل ٥/٤٥٨ .

(٥) ينظر: المهذب ١/٤٠٣، وحلية العلماء ٥/٤٠٢، وروضة الطالبين ٥/٢٥٦، وتحفة المحتاج ٦/٢٠٠ .

(٦) ينظر: المغني ٨/٥٤، والإنصاف ٦/٣٥، وكشاف القناع ٤/١٥، وغاية المنتهى٢/١٩٦.

(٧) ينظر: المغني ١/٥٤ .

البيع وحيث جاز بيع المبيع بعد قبضه فكذلك إجارة العقار المستأجر[١] .

وفي المسألة قول آخر: أنه لا يجوز للمستأجر تأجير العين المستأجرة بعد قبضها. وهو رواية عن الإمام أحمد[٢] .

ودليلها: أن النبي ﷺ نهى عن ربح ما لم يضمن، والمنافع لم تدخل في ضمانه. فإذا آجرها فقد ربح فيما لم يضمن[٣] .

وقياساً على بيع المكيل والموزون قبل القبض بجامع أن كلاً منهما لم يدخل في ضمانه[٤] .

ونوقش: بأنه قياس فاسد؛ لأن قبض العين يقوم مقام قبض المنافع[٥] .

وعليه فالرّاجح – والله أعلم – هو القول الأول، مع اعتبار القيد الذي ذكروه. لأن المستأجر قد ملك المنفعة بعقد الإجارة، فله التصرف فيها بمقتضى ذلك .

ولما يترتب على ذلك من نفي الضرر عنه، لأنه قد يستأجر العقار مدة طويلة ولا يتمكن من استيفاء المنفعة؛ لسفر ونحوه، والعقد لازم، وهو مطالب بأجرته للزومه، فكان تأجيره مراعاة لجانبه، كما روعي جانب المؤجر بلزوم عقد الإجارة .

المسألة الثانية:

تأجير المستأجر للعين المؤجرة مع اشتراط منعه من ذلك

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

---

(١) ينظر: المهذب ١/٤٠٣، والكافي لابن قدامة ٢/٣٢٥ .

(٢) ينظر: الروايتين والوجهين ١/٤٣٠، والمغني ٨/٥٤، والفروع ٤/٤٤٥ .

(٣) ينظر: المغني ٨/٥٤ .

(٤) ينظر: المرجع السابق .

(٥) ينظر: المرجع السابق .

القول الأول: أن الإجارة فاسدة والشرط باطل . وهوقول عند الحنفية[1] ووجه عند الشافعية[2]

واستدلوا بأن المالك شرط في الإجارة شرطا ينافي موجبها[3]، لأن موجبها أن يملك المستأجر المنفعة، وبالتالي يحق له التصرف فيها .

ويناقش بأن فساد الشرط يبطل الشرط فقط ولا يتعداه إلى العقد لأنه يمكن تصحيح العقد وإبطال الشرط .

القول الثاني: أن الشرط صحيح والإجارة جائزة، وهو قول عند الشافعية[4] والحنابلة[5]، وهو المعمول به الآن في نظام العقار، وعليه بعض الفتاوى العاصرة[6]

واستدلوا بأن المستأجر إنما يملك المنافع من جهة المؤجر، فلا يملك ما لم يرض به[7] . ولأن المالك قد يكون له غرض صحيح في تخصيصه[8].

ويناقش بأن هذا الشرط ينافي ما يقتضيه العقد من أن المستأجر يملك المنفعة فيحق له التصرف فيها .

القول الثالث: أن عقد الإجارة صحيح والشرط باطل لا يلزم الوفاء به.

---

(١) ينظر البحر الرائق ١٧/٨ .

(٢) ينظر: المهذب ٥٣٤/١

(٣) ينظر: المصدر السابق

(٤) الصدر السابق

(٥) ينظر المبدع ٩٢/٥ .

(٦) ينظر المعايير الشرعية الصادر عن هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية ص ١٤٥ والدليل الشرعي للإجارة ص ٢٧، ١٧١ وفتوى ندوة البركة الفقهية رقم ٤/٢ .

(٧) ينظر المهذب ٥٣٤/١

(٨) ينظر المبدع ٩٣/٥

وإليه ذهب الجمهور؛ فهو المعتمد عند الحنفية[١]، والمالكية[٢] والشافعية[٣] والحنابلة[٤]. وعليه الفتوى الصادرة عن الندوة الفقهية الثالثة لبيت التمويل الكويتي[٥] .

واستدلوا بالآتي:

١- أن هذا الشرط ينافي مقتضى العقد؛ إذ مقتضاه ملك المنفعة، ومن ملك شيئا استوفاه بنفسه وبنائبه .[٦]

٢- القياس على البيع؛ فكما أنه إذا باعه عينا واشترط عليه أن لا يبيعها أن الشرط باطل فكذلك إذا أجره عينا واشترط عليه أن لا يؤجرها، بجامع أن كلا منهما يملك مورد العقد، المشتري يملك العين، والمستأجر يملك المنفعة[٧].

والراجح – والله أعلم – هو القول الثالث لما يأتي:

أ – قوة أدلته . ب– ما ورد على ما استدل به أصحاب القولين الآخرين من مناقشة. ج – أن حق مالك العين مراعى بشرط يضمن له سلامة العين، وهو أن لا يترتب على التأجير ضرر بالعين، وأن يؤجرها على من هو مثله في الانتفاع أو دونه، لا لمن هو أكثر منه ضررا بالعين .

ومع هذا فإذا رأى ولي الأمر الأخذ بأحد القولين الآخرين لمصلحة رآها فله ذلك .

---

(١) البحر الرائق ١٧/٨ ورد المحتار على الدر المختار ٢٨/٦ .

(٢) ينظر: عقد الجواهر الثمينة ٨٥٣/٢ .

(٣) ينظر المهذب ٥٣٤/١ ومغني المحتاج ٣٥٠/٢

(٤) ينظر المبدع ٩٢٢/٥ وكشاف القناع ١٥/٤ ومعونة أولي النهى ٨٩/٥ .

(٥) ينظر: الدليل الشرعي للإجارة ص١٧٤ .

(٦) ينظر: المبدع ٩٢/٥ وكشاف القناع ١٥/٤ .

(٧) ينظر: مغني المحتاج ٣٥٠/٢ .

المسألة الثالثة: تأجير العين المستأجرة بأكثر من أجرها

هذه المسألة محل خلاف بين الفقهاء على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه يجوز للمستأجر أن يؤجر العين المؤجرة بمثل ما استأجرها به، وبأقل ، وبأكثر إلا أن الزيادة لا تطيب له فيتصدق بها إلا إذا كان زاد في العين فحينئذ تطيب له الزيادة . وهذا هو مذهب الحنفية[1] ورواية عن الإمام أحمد[2].

واستدلوا بما يأتي:

١- أن المنافع لم تدخل في ضمان المستأجر بدليل أن الدار المستأجرة لو انهدمت لم يلزمه الأجر، فإذا أجرها بأكثر مما استأجرها به فقد ربح فيما ليس من ضمانه .[3] ونوقش بعدم التسليم؛ بل قد دخلت في ضمانه لأنه لو لم يستوفها كانت من ضمانه[4].

٢- القياس على بيع الطعام قبل قبضه ن فكما أنه لا يجوز فكذلك هنا؛ بجامع أن كلا منهما غير داخل في ضمانه[5].

ونوقش بأن القياس مع الفارق لأن بيع الطعام قبل قبضه ممنوع ربح فيه أولم يربح[6].

واستدلوا لجواز الزيادة إذا عمل فيها عملا أن الزيادة تكون في مقابل ذلك العمل[7].

---

(١) ينظر المبسوط ١٥/١٣٠ والفتاوى الهندية ٤/٤٢٥

(٢) ينظر: المغني ٨/٥٦ والمقنع مع شرحه المبدع ٥/٨١ .

(٣) ينظر المرجعان السابقان .

(٤) ينظر المغني ٨/٥٦

(٥) المصدر السابق

(٦) المصدر السابق

(٧) المغني ٨/٥٦ .

ونوقش بان ذلك منقوض بما إذا كنس الدار فإن ذلك يزيد أجرها . ولا يجيزون الزيادة في مقابل الكنس .[١]

القول الثاني: أنه إن أذن له المالك في الزيادة جاز وإلا لم يجز . وهو رواية عن الإمام أحمد .ولم يذكروا له دليلا، ولعلهم بنوا ذلك على أن للمؤجر أن يشترط على المستأجر عدم تأجير العين المؤجرة فمن باب أولى الزيادة في الأجرة. ويناقش بما سبق من أن ذلك محل خلاف، والجمهور على خلافه .

القول الثالث: أنه يجوز للمستأجر أن يؤجرها بمثل أجرها وبأقل وبأكثر.

وإليه ذهب الجمهور؛ فعليه المالكية،[٢] والشافعية،[٣] والرواية المعتمدة عند الحنابلة[٤].

واستدلوا بالقياس على البيع، فكما يجوز للمشتري أن يبيع العين بمثل الثمن وبأقل وبأكثر فكذلك المستأجر بجامع أن كلا منهما يملك ما أوقع عليه العقد[٥].

والراجح – والله أعلم – هو القول الثالث لما يأتي:

١– قوة تعليله

٢– ما ورد على ما استدل به أصحاب القولين الآخرين من مناقشة

٣– أنه يجوز له أن يستوفي المنفعة بنفسه وبغيره بمقابل وبغير مقابل؛ لأنه يملك المنفعة، فيحق له أن يؤجرها بما شاء . والله أعلم .

---

(١) ينظر الفتاوى الهندية ٤/٤٢٥ والمغني ٨/٥٦ .

(٢) ينظر عقد الجواهر الثمينة ٢/٨٥٣، والتفريع ٢/١٨٥ .

(٣) ينظر: المهذب ١/٤١٠ وروضة الطالبين ٥/٢٥٦

(٤) ينظر المغني ٨/٥٦، والإنصاف ٦/٣٤ .

(٥) ينظر: المهذب ١/٤١٠، والمغني ٨/٥٦ .

المبحث الثاني:

تأجير المالك للعين المستأجرة

تأجير المالك للعين المستأجرة أثناء مدة الإجارة إما أن يكون واردا على المدة التي ورد عليها العقد الأول أو على مدة بعدها، وإذا كان بعدها فلا يخلو إما أن يكون للمستأجر الأول أو لغيره .

وبيان ذلك في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: تأجير المالك للعين المستأجرة أثناء مدّة الإجارة على مدّة تلي مدّة الإجارة الأولى

إن كانت الإجارة على المستأجر الأول فلا خلاف في صحتها[1] .

١- لأن المدتين متصلتان كالمدّة الواحدة، فصار القبض معجلاً كما لو جمع بينهما في عقد واحد .

٢- ولأن المستأجر واحد فلا تنازع على مورد العقد، لأن اليد واحدة وليس لغيره يد تحول بينه وبين ما استأجره[2] .

وإن كانت على غير المستأجر الأول، فخلاف على قولين:

القول الأول: أن الإجارة صحيحة بشرط القدرة على التسليم وقت

---

(١) ينظر: تحفة لفقهاء ٣٤٨/١، وبدائع الصنائع ٢٠٣/٤، والشرح الكبير للدردير ١٠/٤، ومواهب الجليل ٤٠٧/٥، ومنح الجليل ٤٦١/٧، والحاوي الكبير ٤٠٨/٧، والمهذب ٣٩٦/١، ومغني المحتاج ٣٣٨/٢، وأسنى المطالب شرح روض الطالب ٤٠٨/٢، والفروع ٤٣٩/٤، والإنصاف ٤١/٦، وكشاف القناع ٦/٤

(٢) ينظر: الحاوي الكبير ٤٠٩/٧، وأسنى المطالب ٤٠٨/٢ .

وجوب العقد. وإليه ذهب جمهور الفقهاء . فهو مذهب الحنفية[١]، والمالكية[٢]، والحنابلة[٣]، وبعض الشافعية[٤] . واستدلوا بما يلي:

١- أن المدّة التي وقع العقد على إجارتها يجوز العقد عليها مع غيرها فجاز العقد عليها مفردة كالتي تلي العقد إذ لا فرق بين كونها مضمومة مع غيرها أو منفصلة[٥] .

٢- أن الاتفاق على إضافة العقد لمدّة مستقبلة لا يخالف مقتضى عقد الإجارة، بل هو مقرر له لأن المنافع في عقد الإجارة تحدث شيئاً فشيئا[٦] .

٣- القياس على الطلاق والعتق فكما أنه يجوز إضافتهما إلى زمن مستقبل فكذلك الإجارة[٧] .

القول الثاني: أن إجارة الأعيان على مدّة لا تلي العقد غير صحيحة، وهو المذهب عند الشافعية[٨] . واستدلوا به بما يلي:

---

(١) ينظر: تحفة الفقهاء ٣٤٨/١، وبدائع الصنائع ٢٠٣/٤، والفتاوى الهندية ٤١٥/٥، والدر المختار ٦/٦ .

(٢) ينظر: الشرح الكبير للدردير ١٠/٤، ١١، والشرح الصغير له بهامش بلغة السالك ٢٧١/٢، ومواهب الجليل ٤٠٧/٥، والتاج والإكليل بهامشه ومنح الجليل ٤٦١/٧ .

(٣) ينظر: الفروع ٤٣٩/٤، والإنصاف ٤١/٦، والمبدع ٨٥/٥، وكشاف القناع ٦/٤، وشرح المنتهى ٣٦٤/٢ .

(٤) ينظر: مغني المحتاج ٣٣٨/٢، وتكملة المجموعة الثانية ٣٨/١٥ .

(٥) ينظر: الشرح الكبير ٣٢/٣، وكشاف القناع ٦/٤، وشرح المنتهى ٣٦٤/٢ .

(٦) ينظر: بدائع الصنائع ٢٠٣/٤ .

(٧) المرجع السابق .

(٨) ينظر: الحاوي ٤٠٨/٧، والمهذب ٣٩٦/١، ومغني المحتاج ٣٣٨/٢، وأسنى المطالب شرح روض الطالب ٤٠٧/٢، وفتح الوهاب ٢٤٨/١ .واستثنى الشافعية مسألتين الأولى: إذا أجر المالك العين على المستأجر السنة الثانية قبل انقضاء المدة الأولى . وهذه المسألة داخلة =

١- أن يد المستأجر الأول حائلة تمنع يد المستأجر الثاني، فبطل عقده لزوال يده[1].

٢- أن المعقود عليه إذا كان معيناً وكان قبضه متأخراً يبطل العقد عليه، كما لو شرط تأخير القبض في معين بعقد إجارة أو بيع[2] .

ويناقش ما استدلوا بما يلي:

١- أن التسليم متأخر والعين المؤجرة تكون وقت التسليم لا يد عليها لانتهاء إجارة الأول. والمعتبر هو وقت التسليم لا وقت انتهاء العقد كالسلم .

٢- كما يناقش الشافعية بالإلزام، حيث قالوا بصحة تأخير العقار لمدّة مستقبلة من المستأجر الأول مع أن مدّة العقد ليست متصلة بالعقد الأول[3] . فلا فرق .

وعلى هذا فالرّاجح – والله أعلم – هو ما عليه جمهور الفقهاء في صحة إجارة العين أثناء مدّة الإجارة على مدة تلي مدة الإجارة الأولى . لما يلي:

١- قوة ما استدل به الجمهور .

٢- ما ورد على أدلة الشافعية من مناقشة .

٣- ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – من أنه: «ليس من شرط القبض أن يتعقب العقد بل القبض يجب وقوعه على حسب ما اقتضاه العقد لفظاً وعرفاً؛ ولهذا يجوز استثناء بعض منفعة المبيع مدّة معينة، وإن تأخر بها

= فيما ذكر أنه لا خلاف فيه في مقدمة الكلام عن هذه المسألة . المسألة الثانية: مسألة كراء العقب: أن يؤجر صاحب الدابة دابته على اثنين يعتقبان عليها، فإنها تصح مع أن تأجير الثاني على مدة لا تلي العقد (ينظر: مغني المحتاج ٢/٢٣٨، ٢٣٩ .)

(١) ينظر: الحاوي ٤٠٨ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) ينظر: الشرح الكبير ٣/٣٢٤ .

القبض على الصحيح كما يجوز بيع العين المؤجرة.. ويجوز عقد الإجارة لمدّة لا تلي العقد. سر ذلك أن القبض هو موجب العقد؛ فيجب في ذلك ما أوجبه العاقدان بحسب قصدهما الذي يظهر بلفظهما وعرفهما»[1] .

وعلى هذا فتأخير القبض لزمن مستقبل يتفق عليه العاقدان لا يمنع صحة العقد.

المطلب الثاني: تأجير المالك للعين المستأجرة خلال مدّة الإجارة من غير المستأجر

تصوير المسألة:

بعد طول بحث وقراءة شاملة ونظر متأنّ في كلام الفقهاء وجدت أنه يمكن تصوير هذه المسألة في جانبين وكل جانب يرد عليه كلام يختلف عما يرد على الجانب الآخر .

الجانب الأول: تأجير المالك للعين المؤجرة خلال مدّة الإجارة من غير المستأجر ليحل المستأجر الثاني محل المستأجر الأول في الانتفاع بالعين المستأجرة.

وهذه المسألة للفقهاء فيها كلام. ولكنها ليست المسألة المقصودة عندنا. وإن كان لا بد من دراستها، لقربها من مسألتنا ولأنها تفيدنا كثيراً في بيان حكم المسألة المرادة .

الجانب الثاني: تأجير المالك للعين المستأجرة أثناء مدّة الإجارة من غير المستأجر ليحل المستأجر الثاني محل المالك في استيفاء الأجرة من المستأجر الأول.

وهذه هي المسألة المقصودة – أساساً – بالبحث .

وبحث هذين الجانبين في المسألتين الآتيتين:

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى ٢٧٥/٣٠ .

المسألة الأولى: تأجير المالك للعين المؤجرة أثناء مدّة الإجارة من غير المستأجر للانتفاع

المسألة الثانية: تأجير المالك للعين المؤجرة أثناء مدّة الإجارة من غير المستأجر ليحل محل المالك .

المسألة الأولى:

تأجير المالك للعين المؤجرة من غير المستأجر للانتفاع

مما هو محل اتفاق بين الفقهاء[1]؛ بل هو إجماع[2]: أن الإجارة عقد لازم للمتعاقدين لا يحل لأحدهما فسخه بدون رضا العاقد الآخر، ويقتضي استحقاق المستأجر للمنفعة واستحقاق المؤجر للأجرة على خلاف بينهم في وقت استحقاق الأجرة .

وبناءً عليه فليس من حق المالك أن يتصرّف في منفعة العين المؤجرة خلال مدّة الإجارة بأيّ وجه من وجوه التصرّف، لا بانتفاع ولا بإعارة ولا بإجارة ولا بغير ذلك. لأنها أصبحت مملوكة لغيره بمقتضى عقد الإجارة، كما لا يحق للبائع أن يتصرف بالعين المبيعة؛ لأنها خرجت من ملكه بالبيع .

وعلى هذا فإذا تصرّف المالك بالعين المستأجرة بتأجيرها على غير المستأجر أثناء مدّة الإجارة بحيث تكون الإجارتان واردتين على مدّة واحدة، أو تكون الإجارة الثانية واردة على جزء من مدّة الإجارة الأولى .

---

(١) ينظر: بدائع الصنائع ١٩٥/٤، والمعونة ١٠٩١/٢، والمقدمات ١٦٦/٢، والتفريع لابن جلاب ١٨٥/٢، والفوائد الفقهية ص٢٨٢، والحاوي الكبير٣٩٤/٧، والمهذب ٤٠٠/١، ومغني المحتاج ٣٥٥/٢، والمغني ٢٣/٨، والإنصاف ٥٨/٦، وكشاف القناع ٢٤/٤، ومطالب أولي النهى ٦٥٥/٣ .

(٢) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٦٥/٣٠ .

كما إذا أجر شخصاً داراً لمدّة سنة ابتداء من ١٤١٨/١/١هـ إلى نهاية ١٤١٨/١٢/٣٠هـ وتم إجراء العقد بينهما وتفرقا على ذلك فلزم العقد .

ثم أجرها بذاتها على شخص آخر نفس المدّة، أو أجرها المالك من المستأجر الثاني جزءاً من المدّة أي: من ١٤١٨/٦/١هـ إلى ١٤١٨/١٢/٣٠هـ مثلاً .

فهنا تصرّف المالك بالعين المستأجرة فيما هو وارد على منفعة العين وهو السكنى – مثلاً – أثناء المدّة التي يستحق المستأجر الأول نفع العين في جميعها .

وقد بين الفقهاء الحكم في هذه المسألة؛ فقالوا: لا يخلو الأمر من حالتين:

الحالة الأولى: أن يترك المستأجر الأول العين المستأجرة كأن يستأجرها ثم يبدو له فيغيرها، أو يسافر ويدعها، أو ينتفع بها جزءاً من المدّة ثم يتركها .

وحينئذ فليس للمالك الحق في تأجيرها، خلال هذه المدّة المستأجرة، لأنها في واقع الأمر مشغولة بحق المستأجر الأول ولأنه تصرف فيما لا يملكه .

فإن أجرها لغير الأول فخلاف على قولين:

القول الأول: أن عقد الإجارة الأولى صحيح، فلا تنفسخ إجارة الأول، وعلى ذلك فيستحق المالك على المستأجر الأول جميع الأجرة ويستحق المستأجر الأول على المالك أجرة المثل، لأنه تصرف فيما يملكه المستأجر بغير إذنه .

وإليه ذهب الحنابلة[1] .

القول الثاني: أن تصرف المالك موقوف على إجازة المستأجر الأول، فإن أجازه صح العقد الثاني وإن لم يجزه بطل . وإليه ذهب الحنفية[2] .

واستدلوا: بأن عقد الإجارة يقع على المنفعة، إذ هو تمليك المنفعة، وهي ملك المستأجر الأول بمقتضى العقد الأول، فتجوز بإجازته وتبطل بإبطاله .

---

(١) المغني ٢٤/٨، ٢٥، والإنصاف ٥٨/٦، وكشاف القناع ٢٤/٤، ومطالب أولى النهى ٦٦١/٣، ٦٦٢ .

(٢) بدائع الصنائع ٢٠٨/٤ .

فإذا أجاز الإجارة الثانية كانت الأجرة له لا لصاحب الدار، لأنه يملك عوضها وهو المنفعة فيملك بدلها وهو الأجرة .

وحينئذ فلا ينفسخ عقد الإجارة الأولى ما لم تمض مدّة الإجارة الثانية فإذا مضت فإن كانت مدهما واحدة انقضت المدتان، وإن كانت مدّة الثانية أقل فللأول أن يسكن حتى تتم المدّة[1] .

والخلاف في هذه المسألة مبني على تصرّف الفضولي، فمن لم يصححه وهم الحنابلة في المعتمد أبطلوا تصرف المؤجر هنا. ومن جعله موقوفاً على إجازة المالك، جعل الإجارة هنا موقوفة على إجازة المستأجر الأول؛ لأن المالك هنا بمثابة الفضولي والمستأجر بمثابة المالك .

الترجيح: يظهر - والله أعلم - رجحان القول الثاني القائل بأن الثانية موقوفة على إجازة المستأجر الأول، لما يلي:

١- أن الذي يرجحه أكثر المحققين وعليه جمهور العلماء أن تصرف الفضول موقوف على إجازة المالك .

٢- نفي الضرر - هنا - عن المستأجر الأول حيث جعل الأمر بيده يجيز أو يمنع حسب ما يراه الأصلح له .

٣- أن الحنفية يتفقون مع الحنابلة ومن وافقهم في الإبطال عند عدم الإجازة.

الحالة الثانية: أن يؤجرها المالك قبل تسليمها للمستأجر الأول، أو يمتنع من تسليمها له حتى انقضت مدته .

وحينئذ فتنفسخ الإجارة. لأن العاقد وهو المؤجر أتلف المعقود عليه قبل تسليمه فانفسخ العقد، كما لو باعه طعاماً فأتلفه قبل تسليمه..

---

(١) المرجع السابق .

الحالة الثالثة: أن يسلمها أثناء المدّة .

وحينئذ فتنفسخ فيما مضى، ويجب على المستأجر أجر باقي المدّة بقسطه من الأجرة[١] .

المسألة الثانية:

تأجير المالك للعين المؤجرة من غير المستأجر ليحل محله في استحقاق الأجرة على المستأجر الأول

بعد بحث طويل في كتب الفقهاء القديمة – قبل البعلي – لم أجد من ذكر هذه المسألة. لا في المذاهب الأخرى ولا في المذهب الحنبلي. ولا حتى عند شيخ الإسلام في كتبه الفقهية التي هي بين أيدينا كالمجموع والفتاوى الكبرى ومختصرها إلا ما ذكره البعلي في الاختيارات الفقهية عن اختيار شيخ الإسلام في هذه المسألة:

أنه يجوز للمالك أن يؤجر العين المستأجرة خلال مدة الإجارة لمن يقوم مقامه في استيفاء الأجرة من المستأجر الأول، حيث قال: «ويجوز للمؤجر إجارة العين المؤجرة من غير المستأجر في مدة الإجارة، ويقوم المستأجر الثاني مقام المالك في استيفاء الأجرة من المستأجر الأول. وغلط بعض الفقهاء فأفتى في نحو ذلك بفساد الإجارة الثانية ظناً منه أن هذا كبيع المبيع، وأنه تصرف فيما لا يملك، وليس كذلك، بل هو تصرّف فيما استحقه على المستأجر»[٢] .

ونقله أيضاً برهان الدين: إبراهيم بن شمس الدين ابن قيم الجوزية في "اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية النميري حيث قال:

---

(١) ينظر: المغني ٢٦/٨، والإنصاف ٥٨/٦، وكشاف القناع ٢٥/٤، ومطالب أولى النهى ٦٦٢/٣ .

(٢) الاختيارات الفقهية ص١٥١، ١٥٢ .

«وإن إجارة العين المأجورة من غير المستأجر في مدة الإجارة جائزة، ويقوم المستأجر الثاني مقام المالك في استيفاء الأجرة من المستأجر الأول» .

وقال: «ذكر ذلك في مسودته على المحرر»[1] .

ونقل هذا الاختيار المرداوي في الإنصاف عن البعلي - رحمهما الله .

ثم نظرت فيمن نقل اختيارات شيخ الإسلام غير البعلي وبرهان الدين بن القيم فلم أجد من ذكر هذا الاختيار، وإنما ذكروا في موطن هذا البحث مسألة أخرى وذكروا فيها رأي شيخ الإسلام والإشارة إلى من أفتى بخلافه من الفقهاء، وهذه المسألة هي إجارة الأرض المشغولة بغراس أو بناء لغير المستأجر .

وممن ذكر هذه المسألة وبيّن اختيار شيخ الإسلام فيها:

١- ابن مفلح في الفروع .

٢- ابن عبدالهادي في مغني ذوي الأفهام .

٣- المرداوي في الإنصاف وإن كان نقل بعدها كلام البعلي .

٤- ابن مفلح الحفيد في المبدع .

٥- الرحيباني في مطالب أولي النهى .

كما ذكر المسألة غيرهم، ولكن ببيان حكمها دون الإشارة إلى اختيار شيخ الإسلام. وهي مسألة مشهورة في جميع المذاهب، وسأعرض ما ذكره هؤلاء مما يعين في التوصل إلى مواطن اللبس في هذه المسألة، عارضاً مختصر ما ذكره كل واحد شافعاً له بنقل النص الفقهي موضع البحث ليتضح المراد:

عرض ابن مفلح في الفروع :

ذكر ابن مفلح ما يلي:

١- قرر أنه لا يتصرف مالك العقار (المؤجر) في المنافع إلا بعد انقضاء

---

(١) بعد البحث لم أجد من عثر على مسودة شيخ الإسلام على المحرر .

المدّة واستيفاء المنافع المستحقة عليه بعقد الإجارة، في نقله كلام ابن عقيل .

٢– نفى التناقض عند فقهاء الحنابلة في مسألة إجارة المشغول وقت عقد الإجارة. بأن مورد العقدين مختلف. حيث جاء العقد بإجارة المشغول على مدّة تختلف عن المدّة في الإجارة الأولى .

٣– نفي جواز إجارة المؤجَّر لمن يقوم مقام المؤجِّر وذكر أن جماعة من الحنابلة وغيرهم أفتوا بعدم صحتها وذكر أنه لم يجد في كلام الفقهاء ما يخالف القول بعدم الصحة .

٤– تعجب ممن فهم من كلام الحنابلة: القول بصحة إجارة المؤجَّر لمن يقوم مقام المؤجِّر ورد عليهم بما نقله من كلام شيخ الإسلام: في فتوى بإجارة المشغول بقصب للغير .

وهذا هو نص كلام ابن مفلح في الفروع :

قال بعد أن بين حكم إجارة العين المؤجرة في مدّة تلي مدّة الإجارة: ((ولا فرق بين كونها مشغولة أو لا؛ لما ذكرنا، وكذا قال ابن عقيل في الفنون أو في الفصول: لا يتصرف مالك العقار في المنافع بإجارة ولا إعارة إلا بعد انقضاء المدّة واستيفاء المستحقة عليه بعقد الإجارة، لأنه ما لم تنقضِ المدّة له حق الاستيفاء فلا تصحّ تصرفات المالك في محبوس بحق؛ لأنه يتعذر التسليم المستحق بالعقد، فمراد الأصحاب متفق وهو: أنه تجوز إجارة المؤجر ويعتبر التسليم وقت وجوبه، وأنه لا يجوز إيجاره لمن يقوم مقام المؤجر كما يفعله بعض الناس، وأفتى جماعة من أصحابنا وغيرهم في هذا الزمان: أن هذا لا يصح، وهذا واضح ولم أجد من كلامهم ما يخالف هذا .

ومن العجب: قول بعضهم في هذا الزمان: إن الذي يخطر بباله من كلام أصحابنا: أن هذه الإجارة تصح، كذا قال؛ وقد قال شيخنا فيمن استأجر أرضاً من جندي وغرسها قصباً ثم انتقل الإقطاع عن الجندي: إن الجندي الثاني لا

يلزمه حكم الإجارة الأولى، وأنه إن شاء أن يؤجرها لمن له فيها القصب أو لغيره» أ.هـ[1] .

عرض كلام ابن عبد الهادي:

١- ذكر مسألة إجارة العين المنقولة بملك الغير بغرس أو بناء لا يمكن تفريغها منه في مدّة الإجارة الأولى، وبين حكم إجارتها حال كونها مشغولة مفصلاً الحكم باختلاف حالة هذا الشاغل هل هو محترم أو غير محترم .

٢- بين الحكم أنه إن كان الشاغل غير محترم جازت الإجارة وإن كان محترماً فخلاف على قولين .

٣- ذكر الخلاف في المذهب في المسألة بين مجيز وغير مجيز، وبين أن أكثر الحنابلة على عدم الجواز، وهو ما اختاره هو، وهو الموافق لمذهب الحنفية والشافعية. وممن اختار القول بالجواز صاحب الفائق وشيخ الإسلام ابن تيمية .

٤- بين أن المستأجر يقوم مقام المؤجر - المالك - في بقاء الشاغل من غرس أو بناء مع من له ذلك الغرس أو البناء .

وبين أن هذا القول موافق لمذهب المالكية . وهذا نصه:

قال ابن عبد الهادي، في معرض حديثه عن إجارة العين المؤجرة مدّة معينة (بعد فك رموز الكتاب): «ولا نعتبر وفاقاً لأبي حنيفة أن تلي العقد ولا أن تكون فارغة على خلاف في المذهب، فلو كانت مشغولة بملكه أو بملك غيره: نجيزه وفاقً لأبي حنيفة . إذا كانت تتفرغ في أول المدّة .

فأما المشغولة بملك الغير من غرس أو بناء مالا يمكن تفريغها منه في المدّة، هل يجوز إجارتها؟ إن كان غير محترم جازت خلافاً للأئمة الثالثة .

وإن كان محترماً فهل يجوز ذلك؟ على قولين عندنا. المختار: لا وهو

---

(١) الفروع ٤/٤٣٩ .

المعروف من مذهب الشافعي وأبي حنيفة واختاره جماعة من أئمة أصحابنا، وذكره صاحب الفائق، ظاهر كلام أصحابنا. والثاني: يجوز. اختاره صاحب الفائق، وأبو العباس .

والمستأجر يقوم مقام من أجره في بقائها مع من له ذلك وعدمه، وهو المعروف عند المالكية .

وفائدة الحكم باحترام الغراس والبناء ليس لمتقدمي أصحابنا فيه كلام .

واختلف المتأخرون؛ فقيل: عدم القلع والإزالة مطلقاً .

وقيل: بل عدمه مجاناً، والأول: المختار»[١] .

ثم قال: «وإنما خرجت عن قاعدتي في ذكر الخلاف في هذه المسألة لكثرة الحاجة إليها وخفاء نقلها على أكثر الناس بحيث إن بعضهم توهم أنها المسألة المذكورة في إجارة المضاف المشغولة حالة العقد وليست بها وإن كانت من بعض جزئياتها»[٢] .

عرض المرداوي في الإنصاف:

١– ذكر مسألة إجارة العين المشغولة وقت العقد لمدّة مستقبلة بعد انتهاء المدة الأولى .

وبين الحكم بجوازها بشرطه وهو القدرة على التسليم وقت حلول العقد.

٢– نقل كلام ابن عقيل بمنع المالك للعقار المؤجر من التصرف بمنافعه إلا بعد انقضاء مدّة الإجارة الأولى .

٣– نقل كلام ابن مفلح في الفروع في فقراته السابقة .

---

(١) مغني ذوي الأفهام ص٢٨٥ .

(٢) يقصد بذلك خروجه عن قاعدته في استعمال الرموز للمذاهب حيث خرج إلى التصريح؛ لما ذكره . مغني ذوي الأفهام ص٢٨٥ .

٤- نقل كلام البعلي في ذكر اختيار شيخ الإسلام في المسألة دون تعليق عليه.

وهذه فقرات من كلامه مما يحتاج إليه:

«إذا علمت ذلك فقال بعض الأصحاب: إذا أجره وكانت العين مشغولة صح إن ظن التسليم عند وجوبه وقدمه في الفروع، وقال في الرعاية الكبرى: صح إن أمكن تسليمه في أولها . وقال المصنف وغيره: – في أثناء بحث لهم – تشترط القدرة على التسليم عند وجوبه. ولا فرق بين كونها مشغولة أو لا؛ كالسَّلَم؛ فإنه لا يشترط وجود القدرة عليه حال العقد .

ثم نقل كلام ابن عقيل وكلام ابن مفلح السابق .

ثم قال: ظاهر كلام ابن عقيل السابق: أنه لا يجوز إجارة العين إذا كانت مشغولة. وقد قال في الفائق: ظاهر كلام أصحابنا: عدم صحة إجارة المشغول بملك غير المستأجر، وقال شيخنا[1]: يجوز في أحد القولين وهو المختار». أ.هـ.

ثم نقل فتوى شيخ الإسلام في مسألة إجارة الأرض المقطعة لجندي، ثم ينتقل الإقطاع إلى جندي آخر .

ثم قال: «قلت: قال شيخنا الشيخ تقي الدين البعلي: ظاهر كلام الأصحاب: صحة إجارة المشغول بملك لغير المستأجر من إطلاقهم جواز الإجارة المضافة، فإن عموم كلامهم يشمل المشغولة وقت الفراغ بغرس أو بناء أو غيرهما» .أ.هـ .

وقال في الفروع: لا يجوز للمؤجر إجارة العين المشغولة بغراس الغير أو بنائه إلا بعد فراغ مدة صاحب الغراس والبناء .

وقال أيضاً: لا يجوز إجارة لمن يقوم مقام المؤجر كما يفعله بعض الناس .

---

(١) أي: ابن تيمية .

ثم نقل كلام ابن مفلح السابق. وبعده نقل كلام البعلي في الاختيارات[١].

عرض كلام ابن مفلح صاحب المبدع:

١- ذكر مسألة إجارة المؤجر في مدّة تلي مدّة الإجارة الأولى وذكر حكمها بشرطه السابق .

٢- نقل كلام ابن عقيل السابق، وكلام صاحب الفروع مقرراً القول بأنه لا يجوز إيجار المؤجر لمن يقوم مقام المالك .

٣- بين أن ظاهر كلام كثير من الحنابلة أنه لا يصح إجارة المشغول بملك غير المستأجر .

وبين أن فتوى شيخ الإسلام تفيد جوازه فيمن استأجر أرضاً من جند وغرسها قصباً ثم انتقل الإقطاع عن الجندي أن الثاني لا يلزمه حكم الإجارة وأنه إن شاء أن يؤجرها لمن له القصب أو لغيره[٢] .

عرض مرعي والرحيباني في غاية المنتهى وشرحه المطالب:

١- لم يشر إلى الخلاف وإنما ذكر مسألة إجارة العين المستأجرة أو المشغولة وأنه يجوز إجارتها إذا قدر المؤجر على تسليم ما أجره عند وجوبه .

وعقب بكلام صاحب الفروع: «فمراد الأصحاب متفق وهو أنه يجوز إجارة المؤجر ويعتبر التسليم وقت وجوبه» .

٢- رتب على ما ذكره: عدم صحة إجارة الأرض المشغولة بغرس أو بناء إذا كانت الإجارة لغير المستأجر صاحب الغرس أو البناء ونحوهما؛ لعدم القدرة على تسليمه عند وجوب التسليم .

٣- لم يشر إلى القول الثاني عند الحنابلة الذي رجحه شيخ الإسلام وهو

---

(١) ينظر: الإنصاف ٦/٤١-٤٣، وانظر: الفروع ٤/٤٣٧-٤٣٩ .

(٢) المبدع ٥/٨٦ .

أنه يجوز إجارة الأرض المشغولة بغرس أو بناء لغير المالك، ويحل المستأجر محل المالك في التعامل مع صاحب الغرس والبناء[1] .

وبعد فمن خلال هذا العرض يغلب على الظن - ولست أجزم به - بأن تقي الدين البعلي وبرهان الدين ابن القيم - رحمهما الله - فهما من كلام شيخ الإسلام غير المراد. وأن اختيار شيخ الإسلام الذي أشار إليه ليس فيما قرراه، وإنما هو في مسألة إجارة العين المشغولة بملك المستأجر الذي لا يمكن تفريغه بعد انتهاء مدّة الإجارة، كالغرس والبناء في الأرض . وذلك لما يلي:

١- أنني لم أجد في كلام شيخ الإسلام في كتبه ما يشير إلى ما قرره البعلي وبرهان الدين .

٢- أنني لم أجد في كلام تلاميذه الذين اعتنوا عناية فائقة باختياراته، ولا سيما ابن مفلح في الفروع وابن القيم وابن عبد الهادي وغيرهم ما يُشير إلى هذا الاختيار .

٣- ما قرره ابن مفلح في الفروع من الرد على من ذهب إلى القول بصحة إجارة العين المؤجرة لمن يقوم مقام المالك .

٤- ما قرره ابن عبد الهادي من أن المسألة الموافقة لما نحن فيه، وما بحثه ابن مفلح في الفروع هي مسألة المشغول بملك الغير .

٥- ما علق على مخطوطة الأزهر لكتاب الفروع مما يفصل النزاع في المسألة، قال المعلق على قوله: «وأنه لا يجوز إيجاره لمن يقوم مقام المؤجر: "يعني لا يجوز للمؤجر إجارة العين المشغولة بغراس الغير أو بنائه بعد فراغ مدة

(١) ينظر: مطالب أولي النهى ٣/٦٢٤ .

وقريب مما في المطالب موجود في الكشاف ٤/٦، وفي معونة أولي النهى بطريقة أكثر بسطاً مع نقل كلام ابن مفلح في الفروع، ثم رتب علي ما ذكر عدم صحة إجارة الأرض المشغولة بغرس أو بناء للغير، يتعذر تحويله وقت التسليم ٥/٦٨-٧٠ .

صاحب الغراس والبناء، ولا يجوز أن يقيم مقامه غيره»أ.هـ .

وذلك بناءً على ما ذهب إليه جمهور الحنابلة من عدم الجواز، وأما على القول بالجواز الذي اختاره تقي الدين بن تيمية فيجوز أن يقوم مقام المؤجر. ومن هنا تعرف كيف جاءت عبارة: "يجوز إجارة العين لمن يقوم مقام المؤجر.. الخ .

٦- ما قرره شيخ الإسلام في مسألة إجارة الأرض المشغولة بالقصب إذا تغير مستحق الأرض فانتهت إجارة الأرض، والأرض مشغولة بقصب المستأجر.

أنه إذا استأجرها صاحب القصب صحت الإجارة وإن استأجرها غيره جازت الإجارة أيضاً على ما اختاره شيخ الإسلام ويقوم المستأجر الثاني مقام مالك الأرض مع صاحب القصب. إن شاء أن يبقي قصبه بأجره المثل، وإن شاء أن يؤجره إياها برضاه؛ لأنه أصبح مالك منفعة الأرض .

وهذا نصّه في مجموع الفتاوى في معرض فتوى عن حكم إجارة الأرض المقطعة لشخص أجّرها لشخص آخر وزرع فيها قصباً... ثم انتقل الإقطاع إلى شخص آخر: قال: «وإذا مات المُقطع، فالمقطع الثاني لا يلزمه إجارة الأول، وليس له أن يقلع ما للمستأجر فيها من الزرع والقصب مجاناً؛ بل هو مخيّر إن شاء أن يبقي زرعه وقصبه بأجرة مستأنفة بمثل الأجرة الأولى أو أقل أو أكثر، كما يتراضيان به لكن ليس له أن يلزم المستأجر بأكثر من أجرة المثل. وإذا استأجرها صاحب القصب والزرع: صحت الإجارة؛ فإنه يتمكن من الانتفاع بها، ولو استأجرها غيرُه جاز على الصحيح وقام غيره فيها مقام المؤجر إن شاء أن يبقي زرعه وقصبه بأجرة المثل، وإن شاء أن يؤجره إياها برضاه»[1] .

٧- أن هذه المسألة: مسألة جديدة تخالف ما عليه جماهير أهل العلم فلو كان لشيخ الإسلام فيها رأي على نحو ما ذُكر لقررها شيخ الإسلام ودعم رأيه

(١) ينظر: مجموع الفتاوى ٣٠/١٧٠، ٢٤٧ .

بالحجج القوية على منهجه رحمه الله .

٨- ما قرره شيخ الإسلام من أن المالك يجوز له أن يؤجر العين المؤجرة لغير المستأجر في مدة تلي مدّة الأول .

ومفهومه أنه لا يرى تأجيرها مدّةً أثناء مدّة الأول حيث قال: ((إن كان قد أجر المدّة التي تكون بعد إجارة الأول: لم يكن للأول اعتراض عليه في ذلك))[١] .

٩- ما قرره شيخ الإسلام في أكثر من موضع من كتبه من أن الإجارة عقد لازم للطرفين ومما قاله: ((فإن الإجارة إن كانت شرعية فهي لازمة من الطرفين وإن كانت باطلة فهي باطلة من الطرفين ومن جعلها لازمة من جانب المستأجر جائزة من جانب المؤجر فقد خالف إجماع المسلمين))[٢] .

١٠- ما قاله البعلي في آخر كلامه: ((... وأنه تصرّف فيما لا يملك، وليس كذلك، بل هو تصرّف فيما استحقه على المستأجر))[٣] .

أي فيما استحقه المالك على المستأجر الأول صاحب الغرس والبناء في أرض المالك، فالاستحقاق المشار إليه، ليس الأجرة، وإنما هو ما يستحقه من حق متعلق بالغرس والبناء الذي غرسه أو بناه المستأجر في أرضه وهذا الحق يخول له إما المطالبة بقلع الغرس والبناء، أو إبقائه بأجرة المثل – على خلاف بين الفقهاء في هذه المسألة .

الخلاف في المسألة:

اتضح أيضاً من خلال العرض السابق أن إجارة العين المؤجرة لمن يقوم مقام المؤجر في استيفاء الأجرة من المستأجر الأول، فيها خلاف على قولين:

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦٤/٣٠ .

(٢) نفس المصدر ١٦٥/٣٠ .

(٣) الاختيارات الفقهية ص٢٧٥ .

القول الأول: الجواز . وإليه ذهب من ذكره ابن مفلح ممن أفتى بجواز إجارة المؤجر لمن يقوم مقام المالك[1] . وهو اختيار شيخ الإسلام إن صحت النسبة إليه. ولا أُراها تصح لما سبق.

ولعلهم استدلوا بما ذكره البعلي في الاختيارات من أن تصرّف المالك في هذه الإجارة ليس تصرفاً فيما لا يملك وإنما هو تصرّف فيما يستحقه على المستأجر[2] .

القول الثاني: عدم الجواز . وهو ما عليه عامة الفقهاء، حيث نصوا جميعاً في كتبهم على عدم صحة تصرّف المالك في العين المستأجرة فيما يتجه إلى منفعة العين أثناء مدّة الإجارة دون تفريق .

وأدلتهم على هذا تدور حول أن المالك لا يملك المنفعة حال إجارة العين فلا يملك التصرف فيها قياساً على العين المبيعة .

الترجيح: ومن خلال ما سبق يتضح رجحان القول الثاني القائل بعدم الجواز والصحة.

وهذا الخلاف على حسب الظاهر من كلام البعلي في الاختيارات وابن مفلح في الفروع والمرداوي في الإنصاف؛ وإلا فالمتأمل في المسألة يغلب على ظنه عدم وجود هذه المسألة في الواقع – مطلقاً.

وما أشير إليه في هذه الكتب مقصود به الخلاف في إجارة الأرض المشغولة بغرس أو بناء الغير، وأن قوله: يقوم مقام المؤجر .. الخ. يقصد به أن المستأجر الثاني يقوم مقام مالك الأرض في التعامل مع صاحب الغرس والبناء...

(١) لم أجد مستنداً لهذا القول ينسب الفتوى إلى أصحابها وربما كانت فتاوى معاصرة لهم غير محررة في كتب .

(٢) الاختيارات العلمية ص٢٧٥، والإنصاف ٤٣/٦، وانظر: اختيارات ابن تيمية لبرهان الدين بن القيم ص١٧.

الخ. ولكن العبارة لم تكن وافية ببيان المراد .

وفيما يلي بيان أوجه القول بعدم جواز تأجير العين المستأجرة أثناء مدّة الإجارة لمن يحل محل المؤجر في استيفاء الأجرة من المستأجر الأول .

أوجه القول بعدم جواز إجارة العين المستأجرة لمن يقوم مقام المالك:

الأول: أن عقد الإجارة عقد لازم للطرفين لا يحل لأحدهما فسخه بدون رضا العاقد الآخر. وهو أمر مجمع عليه[1] .

ومن أثر اللزوم الالتزام بمقتضى العقد .

الثاني: ما يقتضيه عقد الإجارة من تمليك المؤجر الأجرة وتمليك المستأجر المنفعة[2]. مما يخول لكل منهما حق التصرّف فيما يملك .

الثالث: ما اتفق عليه الفقهاء من أن المالك لا يصح له التصرّف في منافع العين المستأجرة أثناء مدّة الإجارة لأنه تصرف فيما لا يملك؛ لأن الإجارة بيع المنافع وبناءً عليه فالمنفعة ملك المستأجر بمقتضى عقد الإجارة فتصرفه فيها تصرّف فيما لا يلمك، وإنما يصح له التصرف فيما يملكه وهو العين، ولذا صحت تصرفاته الواردة على العين كالبيع والهبة والوقف والوصية[3] .

الرابع: ما ذهب إليه عامة الفقهاء من صحة تصرّف المستأجر في منفعة العين المستأجرة، بتأجير أو بغيره لأنها ملكه بمقتضى عقد الإجارة .

ولو قيل بصحة تصرّف المالك بما يتوجه إلى منفعة العين المؤجرة، للزم التعارض والتناقض .

---

(١) ينظر: بدائع الصنائع ١٩٥/٤، ومقدمات ابن رشد ١٦٦/٢، والمعونة ١٠٩١/٢، والحاوي ٣٩٤/٧، والمهذب ٤٠٠/١، والمغني ٢٣١/٨، والإنصاف ٥٨/٦، وكشاف القناع ٢٤/٤، ومجموع الاختيارات ١٦٥/٣٠ .

(٢) ينظر: بدائع الصنائع٢٠١/٤، والمعونة ١٠٩٣/٢، والحاوي ٣٩٥/٧، والإنصاف ٥٨/٦.

(٣) انظر: ص ٥ فما بعدها من هذا البحث .

الخامس: ما قرره الفقهاء في شروط صحة الإجارة من أنه يشترط أن يكون المؤجر مالكاً للمنفعة، والمالك هنا غير مالك لها؛ لأنها ملك للمستأجر بمقتضى العقد .

السادس: ومما يقرر عدم الجواز: بيان المعقود عليه في هذه الإجارة .

هل هو العين المستأجرة أو المنفعة، أو هو توكيل في قبض الأجرة، أو هو المستحَق على المستأجر وهو الأجرة؟ .

لا جائز أن يكون المعقود عليه هو العين؛ لأن الإجارة ترد على المنفعة، ولأن العقد الوارد على العين بيع، وهما لا يريدان البيع .

ولا جائزَ أن يكون متوجهاً إلى المنفعة؛ لأن المنفعة مستحقة للمستأجر فلا يملك المالك التصرّف فيها أثناء مدّة الإجارة، – وأما بعدها فهي مسألة أخرى عرضناها فيما قبل .

ولا جائز أن يكون توكيلاً في قبض الإيجار، لأنهما لم يقصداه، ولأن المدفوع لا يتناسب مع التوكيل، فلم يبق إلا أن يكون وارداً على الأجرة، كما نصّوا على ذلك، فيكون استأجر الأجرة. وهو في واقعه بيع نقد مؤجل بنقد حال أقل منه وهذا هو الربا .

السابع: ما نص عليه فقهاء المالكية والحنابلة في مسألة تأجير المستأجر العين المؤجرة من المالك بزيادة على الأجرة .

قالوا: يجوز أن يؤجرها عليه بزيادة بشرط ألا يكون حيلة كالعينة: بأن يستأجرها بأجرة حالة نقداً ثم يؤجرها بأكثر منه مؤجلاً، فلا يصح حسماً لمادة ربا النسيئة، كمن يؤجر الدار – مثلاً – خمس سنوات: السنة بعشرين ألف ريال، ثم يؤجرها للمالك بأقل من ذلك نقداً[1] .

---

(١) ينظر: مواهب الجليل ٤٠٦/٥، ومنح الجليل ٤٥٨/٥، والإنصاف ٣٥/٦، وشرح المنتهى =

وهو الذي جعل الحنفية يمنعون تأجير المستأجر للعين المؤجرة من المالك بزيادة مطلقاً . حسماً لمادة الربا، لأنها تشبه مسألة العينة[1] .

ولهذا جاء في هامش الموسوعة الكويتية:

«ترى اللجنة أن إباحة إيجار المستأجر للمؤجر نفس العين المستأجرة في أكثر الصور تشبه بيع العينة المنهي عنه، ولعل هذا ما دعى الحنفية إلى منع ذلك»[2] .

ومسألتنا شبيهة بهذه المسألة؛ لأن المستأجر الثاني استأجر العين بنقد حال بنقد أكثر منه نسيئة؛ حيث لم يكن في قصد المستأجر الثاني المنفعة وإنما قصد بيع النقود الحاضرة بنقود مؤجلة مع الربح .

الثامن: ما نص عليه فقهاء المالكية في مسألة بيع العين المؤجرة من أن الإجارة تبقى بحالها إلى انتهاء مدة الإجارة، والأجرة للبائع، ولا يجوز أن يشترطها المشتري؛ لأنه يؤول إلى الربا إلا إن كان البيع بعروض[3] .

وكونه يؤول إلى الربا: لأنه يصبح دَفَع نقداً وهو الثمن بعرض ونقد وهو العين المؤجرة والأجرة .

وإذا كان البيع بعروض لم يصبح نقداً بنقد؛ فانتفى الربا .

وعلى هذا الذي ذكره الفقهاء فالمسألة - موضع البحث - قريبة من هذه؛ لأنها في الواقع بيع نقد بنقد مع التأجيل والتفاضل، فاجتمع فيها ربا الفضل والنسيئة.

التاسع: أن المعقود عليه في الإجارة هو المنفعة .

= ٣٦١/٢ .

(١) ينظر: رد المحتار ١٠٧/٩ .

(٢) الموسوعة الكويتية ٢٦٨/١ .

(٣) ينظر: مواهب الجليل ٤٠٨/٥، والقوانين الفقهية ص٢٨٢ .

والقول بجواز تأجير العين المستأجرة من قِبَل المالك على ذات المدّة.. يترتب عليه ورود عقدين من شخص واحد على محل واحد من عاقدين مختلفين، حيث أبرم المالك في الإجارة الأولى العقد على منفعة العين مدّة معينة مع المستأجر الأول، ثم أبرم عقداً آخر على نفس المحل وبنفس المدّة مع شخص آخر. والحال أنه مشغول بالعقد الأول، فلا يصح كما لو باع العين من شخص ثم باعها على شخص آخر بعد أن انتقلت من ملكه .

العاشر: أنه يترتب على صحة هذا العقد:

أنه يجوز للمؤجر أن يؤجر العين المستأجرة على غير المستأجر، ويجوز للمستأجر أن يؤجر العين المستأجرة لغيره، وهكذا من استأجر من المالك يحق له أن يؤجر العين ومن استأجر منه، وهكذا من استأجر من المستأجر الأول يحق له أن يؤجرها ومن استأجر منه... الخ .

وهذا يؤدي إلى التنازع في العين المستأجرة مما لا يتناهى من العاقدين الذين تعلق حقهم بها .

الحادي عشر: أن هذه المعاملة ذريعة إلى الربا بلا إشكال إذ يتوصل من خلالها إلى بيع نقد مؤجل بنقد حال مع التفاضل والنساء حيث استبيح بهذه الإجارة الصورية بيع مائة وخمسين ألف مؤجلة بمائة ألف حالة – مثلاً .

وهذه الذريعة محرّمة بدلالة ما يلي:

١– حديث الغالية بنت أيْفع بن شراحيل أنها قالت: «دخلت أنا وأم ولد زيد بن أرقم وامرأته على عائشة رضي الله عنها فقالت أم ولد زيد بن أرقم: كانت لي جارية وإني بعتها من زيد بن أرقم بثمانمائة درهم إلى عطائه، وإنه أراد بيعها فابتعتها منه بستمائة نقداً. فقالت: بئس ما شريت وما اشتريت، فأبلغي زيداً أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ إلا أن يتوب»[1] .

---

(١) أخرجه الدارقطني ٥٢/٣، والشافعي في الأم ٧٨/٤، وعبد الرزاق في المصنف ١٨٤/٨، =

اعترض الشافعي عليه بأنه لا يصح لجهالة الغالية .

وأجاب ابن الجوزي في التحقيق بأنها: جليلة القدر معروفة، ذكرها محمد ابن سعد في الطبقات قال: الغالية بنت أيفع بن شراحيل امرأة أبي إسحاق السبيعي سمعت من عائشة[1]، ومال ابن القيم إلى تصحيحه كما في تهذيب السنن[2].

٢- ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن رجل باع من رجل حريرة بمائة ثم اشتراها بخمسين فقال: دراهم بدراهم متفاضلة دخلت بينهما حريرة. وفي لفظ: «اتقوا هذه العينة لا تبيعوا دراهم بدراهم بينهما حريرة»[3] .

وإن كان هذا الأثر في بيع العينة. إلا أنه فيما يظهر ينطبق على هذه المعاملة في مسألتنا، حيث يتم فيها بيع دراهم مؤجلة بدراهم حالة مع التفاضل، والواسطة بينهما هذه الإجارة الصورية .

الثاني عشر: أن المعاملة في هذه المسألة من قبيل بيع الدين لغير من هو عليه. حيث إن المؤجر يبيع الأجرة الواجبة له بالعقد وهي مؤجلة في ذمة المستأجر على المستأجر الجديد بنقد حال .

فأصبح بيع دين مؤجل في ذمة المستأجر الأول بنقد حال، ومعلوم تحريم بيع الدين الذي في الذمة على غير من هو له، أو على من هو له مع التفرق قبل التقابض .

= والبيهقي في السنن الكبرى ٥/٣٣٠، ٣٣١ .

(١) ينظر: التحقيق وتنقيح التحقيق بهامشه، لابن الجوزي والذهبي ٧/١٢٧-١٢٩ .

(٢) ٥/١٠٤ .

(٣) ذكره ابن حزم في المحلى ٩/٦٨٩، وذكره ابن القيم في تهذيب السنن ٥/١٠١، وقال: ثبت عن ابن عباس أنه سئل عن رجل باع من رجل حريرة بمائة ثم اشتراها بخمسين فقال: دراهم بدراهم متفاضلة، دخلت بينهما حريرة .

ومما يدل على ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قلت يا رسول الله إني أبيع الإبل بالبقيع فأبيع بالدنانير وآخذ الدراهم، وأبيع بالدراهم وآخذ الدنانير، آخذ هذا من هذا وأعطي هذا من هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا بأس أن تأخذها بسعر يومها ما لم تفترقا وبينكما شيء»[(١)] .

ولا يعترض على هذا بأنه من قبيل الصرف بخلاف ما نحن فيه، حيث هو تأجير على تأجير، لأنه يقال: إنه تبيّن من خلال ما سبق أن التأجير غير صحيح لوروده على منفعة مملوكة للغير .

فحقيقته: بيع الأجرة المستحقة بالإجارة الأولى بالأجرة المستحقة بالإجارة الثانية، فهو بيع نقد بنقد فدخل في مدلول الحديث .

والحديث يدل على أنه لابد من التقابض في مجلس العقد أو ما هو في معنى التقابض، فيما إذا كان أحد النقدين حاضراً في المجلس والآخر في الذمة؛ لأنه يشترط ألا يفترقا وبينهما شيء .

وهنا في هذه المعاملة يحصل الافتراق وبينهما شيء؛ بل إن العوض الذي في الذمة مؤجل التسْليم على أقساط هي الإيجار السنوي .

الثالث عشر: هذه المعاملة، يترتب عليها ربح ما لم يضمن .

وقد جاء النهي عن ربح ما لم يضمن؛ كما في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل سلف وبيع ولا شرطان في بيع ولا ربح مالا يضمن، ولا بيع ما ليس عندك»[(٢)] .

---

(١) أخرجه أبو داود في تاب البيوع، ٢٥٠/٣ ورقمه (٣٣٥٤) والترمذي في كتاب البيوع ٥٤٤/٣ ورقمه (١٢٤٢) والنسائي في كتاب البيوع (٢٨٣/٧)، وابن ماجه ٧٦٠/٢ ورقمه (٢٢٦٢). والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي، المستدرك وتلخيص المستدرك ٤٤/٢، وضعفه ابن حزم في المحلى ٤٥٢/٧، والألباني في إرواء الغليل ١٧٣/٥ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٧٩/٢، وأبو داود في كتاب البيوع ٧٦٩/٣، والترمذي

ويدل لهذا المعنى أيضاً حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قضى أن: «الخراج بالضمان»[1] .

وفي هذه المعاملة يتحقق ربح مالا يضمن، لأن العين المؤجرة في مدّة الإجارة من ضمان المستأجر لو تعدى فيها أو فرط، فكان ينبغي أن يكون ربحها للمستأجر، لأن الخراج بالضمان وقد نهى عن ربح ما لا يضمن فإذا ما أجّرها المؤجر وهي في ملك المستأجر الأول وفي ضمانه فقد ربح مالا يدخل في ضمانه.

❁ ❁ ❁

= في كتاب البيوع ٥٢٦/٣، والنسائي في كتاب البيوع ٢٩٥/٧، والحاكم في المستدرك ١٧/٢، وقال: هذا حديث على شرط جملة من أئمة المسلمين، ووافقه الذهبي .

كما رواه ابن ماجه في سننه ٧٣٧/٢، والدارقطني ٧٥/٣، قال ابن حجر وصححه ابن خزيمة. (بلوغ المرام ٤٧٨/٢) .

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤٩/٦، وأبو داود في كتاب البيوع ٧٧٧/٣، والترمذي في كتاب البيوع ٥٧٢/٣، والنسائي في البيوع ٢٥٤/٧، وابن ماجه في كتاب التجارات ٧٥٤/٢، والحاكم في المستدرك ١٥/٢. قال ابن حجر: وصححه الترمذي وابن خزيمة وابن الجارود وابن حبان والحاكم وابن القطان. بلوغ المرام ٥٠٤/٢ .

المبحث الثالث:

الإجارة على الإجارة في إجارة الأشخاص

تمهيد:

تقسم الإجارة تقسيمات عديدة باعتبارات مختلفة، فتقسم من حيث ورودها على مدّة أو على عمل إلى قسمين؛ إجارة على مدّة معينة، وإجارة على عمل معين وتُقسّم من حيث ورودها على عين معينة، أو على الذمة إلى قسمين:

إجارة الأعيان، والإجارة في الذمة.

وإجارة الأعيان تقسم من حيث ورودها على الآدميين أو غيرهم إلى قسمين: إجارة الأشخاص، وإجارة الأشياء.

وبحثنا هنا في إجارة الأشخاص .

أما إجارة الأشياء كاستئجار دابة للركوب عليها أو للحرث، وكاستئجار دار للسكنى، فهذه سبق بحثها – في المبحث الأول من هذا البحث –، وعرفنا من خلاله إمكانية ورود الإجارة على الإجارة في هذا النوع، وكان مدار البحث في المبحث الأول على ذلك .

وأما إجارة الأشخاص والمراد: استئجار الآدميين للعمل. فلها حالتان، بيانهما في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: الأجير الخاص

المراد به: عرف الأجير الخاص بتعريفات عديدة متقاربة في معناها من أهمها: أنه من قدر نفعه بالزمن[1]، أو هو من يقع العقد علي عينه في مدة معلومة

---

(١) ينظر الفروع ٤/٤٤٩، وكشاف القناع ٤ ٣٢ .

يستحق المستأجر نفعه في جميعها[1]، أو هو من يعمل لواحد ،[2] ، أو هو من يستحق الأجرة بتسليم نفسه وإن لم يعمل[3].، سمي بذلك لاختصاص المستأجر بمنفعته في مدة الإجارة .

ورود الإجارة على الإجارة في الأجير الخاص:

في هذه الحالة لا ترد الإجارة على الإجارة؛ لأن: المعقود عليه في إجارة الأجير الخاص هو منفعة الأجير بعينه، لأداء عمل معين في مدة معينة، وبناء عليه فإذا تم العقد صحيحا، فإنه يلزم الأجير الخاص أن يعمل لدى مستأجره وليس له أن يستأجر شخصاً آخر يحل محله في أداء العمل الذي ستؤجر له إلا بإذن صاحب العمل .

فإذا استأجر شخص خادماً أو مزارعاً أو راعياً، أو سائقاً فليس لأي من هؤلاء أن يستأجر من يحل محله في هذا العمل إلا بإذن المستأجر وهو صاحب العمل[4].لأن المعقود عليه- كما سبق - هو عمل الأجير بنفسه - فلزم القيام به على الوجه المطلوب، كمن استأجر دابة معينة من إنسان لركوبها فإنه ليس له إبدالها[5].

إنابة المستأجر من يقوم بعمل الأجير الخاص عند عدم قيامه بالعمل:

إذا لم يقم الأجير الخاص بعمله فلا يخلو إما أن يكون ذلك لعذر أو لغير

---

(١) ينظر المغني ١٠٣/٨ .

(٢) ينظر بدائع الصنائع ١٧٤/٤ وتبصرة الحكام ٣٣١/٢ .

(٣) ينظر: الهداية ٢٤٤/٣ .

(٤) ينظر: الهداية ٢٤٥/٣، ٢٣٤ وبدائع الصنائع ٢٠٨/٤ ومنح الجليل ٤٤١/٧ والبهجة شرح التحفة ١٨٢/٢ وروضة الطالبين ٥ ٢٢٤ والفتاوى الكبرى لابن حجر ١٤٨/٣، . والمغني ٣٦/٨ ومعونة أولي النهى ٧١/٥ ومطالب أولي النهى ٦٢٦/٣ .

(٥) ينظر: مجمع الأنهر ٣٧٤/٢ ومعونة أولي النهى ٧١/٥ .

عذر، فإن كان لعذر كمرض أو حدوث أمر غالب منعه من العمل كسيل أو حرب أو حريق ...الخ فإن الأجير لا يكلف أن يقيم من يعمل بدله؛ لأن المعقود عليه معين وهو عين الأجير[١]، ولأنه معذور بتخلفه عن العمل .

وإن لم يكن لعذر فإن الأجير يجبر على أداء العمل، وليس له أن ينيب من يعمل بدله، لأن العقد وقع على عينه . وليس للمستأجر أن يستأجر من يقوم بعمله على حساب الأجير، بل يخير بين فسخ الإجارة أو الصبر حتى يقوم بالعمل؛ لتعذر استيفاء المعقود عليه[٢]، ولأن غرض المستأجر يفوت بإقامة غير الأجير مناب الأجير وحينئذ فلأفضل له أن يفسخ العقد معه ويستأجر غيره . وإذا لم يتمكن من إجبار الأجير غير المعذور على القيام بالعمل فإن الأجير لا يستحق الأجرة؛ لعدم قيامه بالعمل .

المطلب الثاني: الأجير المشترك

المراد به: كما اختلفوا في المراد بالأجير الخاص اختلفوا في الأجير المشترك فقيل: هو من قدر نفعه بالعمل[٣]، وقيل هو من يقع العقد معه على عمل معين، أو على مدة لا يستحق المستأجر جميع نفعه فيها[٤]، وقيل غير ذلك .

والمعقود عليه في الأجير المشترك منفعة في الذمة لإنجاز عمل معين أو موصوف بصفات تضبطه.

---

(١) ينظر المغني ٨/ ومطالب أولي النهى ٣/٦٥٨ .

(٢) ينظر المبسوط ١٦/٦ والبحر الرائق ٦/٨ والشرح الكبير مع حاشية الدسوقي ٣١/٤، وروضة الطالبين ٢٣٩/٥ وشرح روض الطالب ٤١٨/٢ وكشاف القناع ٣١/٤ ومطالب أولي النهى ٣/٦٣١ .

(٣) ينظر: كشاف القناع ٣٢/٤

(٤) ينظر: ينظر الغني ١٠٦/٨ .

ولا تكون الإجارة هنا إلا لآدمي؛ لأنها متعلقة بالذمة ولا ذمة لغير الآدمي(١).

سمي الأجير المشترك بهذا الاسم؛ لأن منفعته تكون لأكثر من شخص، حيث إنه يتقبل أعمالاً لجماعة، ومنفعته مشتركة بينهم(٢).

ورود الإجارة على الإجارة في الأجير المشترك:

الإجارة على الإجارة واردة هنا، وذلك أنه إذا استؤجر الأجير المشترك لعمل معين أو موصوف فلا يخلو من ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يقوم بالعمل بنفسه، وهذا هو الأصل، فلا إشكال فيه.

الحالة الثانية: أن تكون طبيعة العمل المستأجر لإنجازه تقتضي ألا ينفرد بعمله كأن يستأجره لبناء بيت، فظاهر الحال أنه لن يقوم بجميع الأعمال اللازمة لبناء البيت بنفسه، وإنّما يلزم أن يستأجر البناء والنجار والمبلط والسباك والدهان والكهربائي.

فهنا تحققت الإجارة على الإجارة، حيث استأجر صاحب البيت الأجير الأول، وهذا الأجير استأجر أجراء للقيام بالأعمال اللازمة لبناء المنزل.

الحالة الثالثة: أن يحصل للأجير المستأجر لعمل معين مانع يمنعه من القيام بهذا العمل، وحينئذ فعليه أن ينيب من يقوم بالعمل بدله، فإن امتنع أو هرب: استأجر صاحب العمل من يقوم بالعمل، وأجرة الأجير الثاني على الأجير الأول.

وهذا هو ما قرر الفقهاء في المذاهب الأربعة؛ حيث اتفقوا على أنه يجوز للأجير المشترك أن يقوم بالعمل الذي استؤجر له بنفسه، وهذا هو الأصل، ويجوز أن يستأجر هو من يقوم بالعمل نيابة عنه بشرطه(٣).

---

(١) ينظر: المبدع ٥/٨٩، وكشاف القناع ٤/١١ .

(٢) ينظر: الهداية للمرغيناني ٣/٢٤٤، وكشاف القناع ٤/١١ .

(٣) ينظر: الهداية للمرغيناني ٣/٢٣٤، وتبيين الحقائق ٥/١١١، ونتائج الأفكار ٨/٢١، والذخيرة ٥/٥٠٠، والفواكه الداني ٢/١٦٦، وشرح المحلى على المنهاج ٣/٦٨، وأسنى =

وبناءً على ما سبق يتضح أن الإجارة على الإجارة واردة في إجارة الأشخاص إذا كان الأجير مشتركاً بالشروط الآتية:

الشرط الأول: ألا يشترط صاحب العمل أن يقوم الأجير بالعمل بنفسه فإن شرط ذلك، فليس له أن يستأجر من يقوم بالعمل .

الشرط الثاني: ألا يكون العمل المعقود عليه مما يختلف باختلاف الأشخاص، فإن كان العمل في الإجارة الأولى مما يختلف باختلاف الأجير، كالخط ونحوه، فلا تدخل الإجارة على الإجارة، لأن الأجير الأول حينئذ مقصوداً لعينه، وللمستأجر الأول غرض صحيح في قيام الأجير الأول بالعمل .

الشرط الثالث: ألا يكون الأجير الأول أجيراً خاصاً، فإن كان أجيراً خاصاً، فليس له أن ينيب غيره في القيام بعمله، وليس له أن يستأجر من يقوم بالعمل بدله .

الشرط الرابع: ألا يكون العقد الأول في الإجارة الأولى قد انتهى، لأنه إذا انتهى العقد الأول بين المستأجر والأجير الأول، فلا يكون هناك إجارة على إجارة؛ لأن العقد الثاني مبني على العقد الأول، فإذا انتهى الأصل انتفى الفرع[1].

❊ ❊ ❊

= المطالب ٤٠٩/٢، والمغني ٣٦/٨، والمبدع ٨٩/٥، ٩٠، وشرح المنتهى ٣٧٥/٢ .

(١) ينظر: المصادر السابقة .

المبحث الرابع:
الضمان في الإجارة على الإجارة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:
الضمان في الإجارة على الإجارة في إجارة الأشياء

المراد بالأشياء هنا: الأعيان المؤجرة من غير الآدميين، فيدخل فيها العقار والدواب، والآلات المختلفة، والمراكب المختلفة، ويدخل في ذلك السفن والطائرات والسيارات، ... الخ.

والبحث هنا في حكم الضمان إذا حصل تلف كلي أو جزئي للعين المؤجرة، في الإجارة الثانية، إذا أجر المستأجر الأول العين المؤجرة على مستأجر ثان فحصل التلف عند الثاني، فهل يضمن، أو لا يضمن؟ وإذا كان يضمن، فهل يضمِّن المالكُ المستأجرَ الأول أو المستأجر الثاني...؟

مما اتفق عليه الفقهاء في المذاهب الأربعة أن يد المستأجر على العين المؤجرة يد أمانة، والمستأجر أمين(١)، فتنطبق عليه قاعدة الضمان على الأمناء وهذه القاعدة: أن من كانت يده يد أمانة فلا ضمان عليه إلا إذا تعدّى أو فرط(٢).

---

(١) ينظر: شرح الجصاص على مختصر الطحاوي ٣٨٣/١، ٣٨٤، ومجلة الأحكام العدلية المادة ٧٦٨ بشرح سليم رستم باز وقوانين الأحكام الشرعية ص٣٤٩، ٣٥٠، والأشباه والنظائر للسيوطي ٧٥٩، والكافي لابن قدامة ٢٨٢/٢، وكشاف القناع ٤٨٥/٣، والقواعد والأصول الجامعة ص٥٠ القاعدة الرابعة عشرة.

(٢) ينظر: شرح مجلة الأحكام العدلية لسليم رستم المادة: (٧٦٨)، والفرائد البهية للحمزاوي ص٩٩، ١٠٠، وقوانين الأحكام الشرعية لابن جزي ص٣٤٩، ٣٥٠، والكافي لابن قدامة ٢٨٢/٢.

وعلى ذلك فالمستأجر الأول أمام المالك أمين لا يضمن إلا إذا تعدى أو فرط، والمستأجر الثاني كذلك أمام المستؤجر الأول، لأن المستأجر الثاني، أمام المستأجر الأول كالمستأجر الأول أمام المالك.

وعلى ذلك، فإذا حصل من المستأجر الثاني تعد أو تفريط تسبب في تلف العين المؤجرة، فإنه يضمنها لمالكها، ولا ضمان على المستأجر الأول، لعدم تعديه وعدم تفريطه. وإذا حصل التلف بدون تعدٍّ أو تفريط فلا ضمان على واحد منهما.

المطلب الثاني:

الضمان في الإجارة على الإجارة في إجارة الأشخاص

البحث هنا في حكم تضمين الأجير الثاني، المستأجر من قبل الأجير الأول. فإذا استأجر شخص أجيراً ليعمل له عملاً معيناً، فإن كان الأجير أجيراً خاصا، فليس داخلاً في هذا البحث؛ لأن الأجير الخاص ليس له أن يستأجر من يقوم بعمله بدله، فلا إجارة على الإجارة، كما سبق .

وإن كان الأجير أجيراً مشتركاً، ولم يشترط عليه أن يقوم بالعمل بنفسه واستأجر شخصاً آخر يقوم بالعمل بدله فلا يخلو إما أن يكون الأجير الثاني أجيراً خاصاً عند الأجير الأول، أو أجيراً مشتركاً، فإن كان خاصاً، فلا ضمان في الإجارة الثانية؛ لأن الأجير الخاص لا يضمن إلا بالتعدي أو التفريط .

وحينئذ فيكون الضمان على الأجير الأول.

وإن كان الأجير الثاني أجيراً مشتركاً فينطبق عليه في مسألة الضمان أمام الأجير الأول، ما ينطبق على الأجير الأول أمام صاحب العمل. وقد اتفق الفقهاء في المذاهب الأربعة على تضمين الأجير المشترك إذا حصل منه تعدٍ أو تفريط[1].

---

(١) ينظر: بدائع الصنائع ٢١٠/٤، والاختيار لتعليل المختار ٥٤/٢ المقدمات الممهدات ٢٤٣/٢، وحاشية الدسوقي ٢٦/٤ والحاوي ٤٢٦/٧، والمهذب ٤٠٨/١ والإنصاف =

وأما إذا لم يحصل منه تعد ولا تفريط وأقام البينة على ذلك فقد اتفقت المذاهب الأربعة في المشهور عندهم أنه لا يضمن؛ لأن الأصل عدم تضمين الأجراء[1]. وإن لم يقم البينة على عدم التعدي والتفريط وكان التلف بغير فعله فخلاف على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه لا يضمن، وإليه ذهب الإمام أبو حنيفة وزفر، والحسن ابن زياد[2]، وهو الصحيح عند الشافعية[3]، ومذهب الحنابلة[4] .

واستدلوا بالآتي:

١- ما ورد عن علي ﷺ أنه قال بعدم تضمين الأجير المشترك[5].

٢- أن الأصل عدم الضمان إلا على المتعدي . ولم يحصل منه تعد؛ لأن التلف ليس من صنعه[6].

٣- أن الأجير قبض العين بإذن مالكها فلا يضمنها قياساً على الوديعة والعارية، والمضاربة[7].

القول الثاني: أنه يضمن. وإليه ذهب المالكية[8]، وهو قول عند

= ٧٢/٦ وكشاف القناع ٣٣/٤ .

(١) ينظر: بدائع الصنائع ٢١٠/٤، والذخيرة ٥٠٢/٥، والمهذب ٤٠٨/١، والإنصاف ٧٢/٦.

(٢) ينظر: بدائع الصنائع ٢١٠/٤، وتبيين الحقائق ١٣٤/٥ .

(٣) ينظر: مغني المحتاج ٣٥٧/٢ .

(٤) ينظر: الإنصاف ٧٣/٦ .

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب الإجارة باب ما جاء في تضمين الأجراء ١٢٢/٦٠.

(٦) ينظر: بدائع الصنائع ٢١٠/٤ .

(٧) ينظر: تبيين الحقائق ١٣٥/٥، والمغني ١١٣/٨ .

(٨) ينظر: جواهر الإكليل ١٩٠/٢، ١٩١ .

الشافعية[١]، ورواية عند الحنابلة[٢].

واستدلوا بالآتي:

١) حديث سمرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «على اليد ما أخذت حتى تؤدي»[٣]. ونوقش: بأن الحديث ضعيف . وأنه لا يتناول الإجارة .

٢) ما ورد عن عمر وعلي أهما قالا بتضمين الأجير المشترك .

ونوقش، بأنه لم يثبت[٤] وأنه معارض بما ورد أن علياً قال بعدم تضمينه .

٣) أن الأجير قد قبض العين لمصلحة نفسه، فلزمه ضماها كالمستعير[٥] .

ونوقش: بأن القياس على المستعير قياس مع الفارق؛ لأن المستعير ينفرد بنفع العين بخلاف الأجير لأن النفع مشترك بينه وبين صاحب العين؛ هذا في الانتفاع بالعين وذلك بالأجرة .

٤) أن المعقود عليه – هنا – هو الحفظ، فلا بد أن يكون سليماً من العيب؛ لأن عقد المعاوضة يقتضي سلامة المعقود عليه، فإذا هلك تبين أن الحفظ لم يكن سليماً، فيجب الضمان.

ونوقش: بعدم التسليم أن المعقود عليه هو الحفظ بل المعقود عليه هو

(١) ينظر: الحاوي ٤٢٦/٧ .

(٢) ينظر: الإنصاف ٧٣/٦ .

(٣) أخرجه أبو داود بهذا اللفظ في سننه في كتاب البيوع، باب في تضمين العارية ٥٢٦/٣ . وأخرجه الترمذي في جامعه في كتاب البيوع، باب ما جاء في أن العارية مؤداه ٥٥٧/٣، وابن ماجه في سننه في كتاب الصدقات، باب العارية ٨٠٢/٢، وذكر أهل السنن: أن هذا الحديث ضعيف لأنه من رواية الحسن عن سمرة، والحسن مدلس رواه عنه بالعنعنة . ينظر: نصب الراية ١٦٧/٤، والتلخيص الحبير ٥٣/٣، وإرواء الغليل ٣٤٨/٥ .

(٤) نصب الراية ١٤١/٤، والتلخيص الحبير ٦١/٣.

(٥) ينظر: المهذب ٤٠٨/١، والمغني ١١٣/٨ .

الضمان، والحفظ يجب تبعاً لا قصداً. ولو كان المعقود عليه هو الحفظ لكان له حصة من الأجر[1].

٥) أنه لو قيل بعدم التضمين لادعى كثير من الأجراء هلاك الأموال وأكلوها بالباطل.

ونوقش: بأن هذا مقصود فيما إذا كان الهلاك بفعله والعين تحت يده، أما إذا هلك بغير فعله فالأصل أن الأجير مؤتمن، ولا يترك هذا الأصل من أجل التهمة.

القول الثالث: التفصيل: إن كان التلف بما يمكن التحرز منه: ضمن وإلا فلا . وإليه ذهب أبو يوسف ومحمد بن الحسن[2]، وهو رواية عند الحنابلة[3].

واستدلوا على التضمين في حالة إمكان التحرز بأدلة القائلين بالتضمين مطلقاً. ونفوا الضمان في حالة عدم إمكان التحرز، لانتفاء التهمة لأن التلف حينئذ يكون بأمر عام يمكن معرفته[4].

الترجيح: من خلال النظر في هذه الأقوال، وما ورد على أدلتها من مناقشة، يظهر – والله أعلم بالصواب – رجحان القول الأول القائل بعدم التضمين . لقوة أدلته، ولما ورد على أدلة القولين الآخرين من مناقشة .

الحالة الثانية: أن يكون التلف بفعل الأجير المشترك.

وحينئذ فللفقهاء تفصيل في التفريق بينما إذا كان الأجير يعمل تحت يد صاحب العمل، أو كان يعمل خارج يده فإن كان يعمل تحت يد صاحب العمل فجمهور الفقهاء على أنه لا يضمن لأنه حينئذ كالأجير الخاص، ولا ضمان على

---

(١) ينظر: تبيين الحقائق ١٣٤/٥، ١٣٥ .

(٢) ينظر: بدائع الصنائع ٢١٠/٤، ورد المحتار ٦٥/٦ .

(٣) ينظر: المغني ١١٢/٨، والإنصاف ٧٣/٦ .

(٤) ينظر: البدائع ٢١٠/٤، وتبيين الحقائق ١٣٤/٥ .

الخاص، ولأنه لم يقبض العين موضع العمل، فلا تزال يد رب العمل عليها. وهذا هو مذهب الحنفية[١]، والمالكية[٢]، والشافعية[٣]، وقول عند الحنابلة[٤].

وخالف الحنابلة في مشهور المذهب[٥] فقالوا بالضمان مستدلين بأن التلف حصل بجناية يده فيضمن، وقياساً على ضمان الطبيب والختان[٦].

ونوقش ذلك بأن التهمة المتوجهة إلى الأجير ضعيفة والأصل عدم الضمان، والقياس على الطبيب قياس على موضع خلاف، فالطبيب والختان لا يضمنان على الراجح إلا بالتعدي أو التفريط[٧]، فيترجح هنا القول بعدم التضمين.

وإن كان يعمل خارج يد رب العمل فقد اختلف الفقهاء في تضمينه حينئذ على قولين :

القول الأول: أنه يضمن . وإليه ذهب الحنفية[٨] . وهو مقتضى مذهب المالكية[٩] وقول عند الشافعية[١٠]، والحنابلة[١١] واستدلوا بالآتي:

١) أن الأجير قبض العين فوجب عليه ضمانها؛ لأن الضمان يجب بالقبض[١٢].

---

(١) بدائع الصنائع ٤/٢١٠ .

(٢) الشرح الكبير ٤/٢٨ .

(٣) نهاية المحتاج ٥/٣١٠ .

(٤) المغني ٨/١٠٤ .

(٥) الإنصاف ٦/٧٦، وشرح المنتهى ٢/٣٧٨ .

(٦) المغني ٨/١٠٥، والروض المربع ٥/٣٤٠ .

(٧) رسالة عقد المقاولة، للعايد ص٢٤٩ .

(٨) ينظر: تبيين الحقائق ٥/١٣٤ .

(٩) ينظر: بداية المجتهد ٢/٢٣٢، والمنتقى ٦/٧١، وأسهل المدارك ٢/٣٢٥ .

(١٠) ينظر: المهذب ١/٤٠٨، ونهاية المحتاج ٥/٣١٠ .

(١١) ينظر: كشاف القناع ٤/٣٤، وشرح المنتهى ٢/٣٧٨ .

(١٢) بدائع الصنائع ٤/٢١٠ .

٢) أن التلف حصل بفعل غير مأذون فيه، فيضمن[١].

القول الثاني: أنه لا يضمن. وإليه ذهب زفر[٢]، وهو الصحيح في مذهب الشافعية[٣]. واستدلوا بالآتي:

١) أن الفعل الـــذي حصل بسببه التلف مأذون فيه فلا يجتمع معه الضمان[٤]. ونوقش بأن المأذون فيه هو الفعل الصحيح . لا المفسد؛ لأن مطلق عقد المعاوضة يقتضي سلامة المعقود عليه فإذا تلف كان التلف حاصلاً بفعل غير مأذون فيه[٥].

٢) أن الأجير أخذ العين لمنفعة نفسه، ولمنفعة رب العمل، فلا يضمن قياساً على المضارب. ونوقش بأن التلف إذا كان بفعله وتحت يده، فإن التهمة تقوى في حقه بأنه تعدى أو فرط . فالمصلحة في تضمينه.

الترجيح: وعلى ما سبق يتضح رجحان القول بتضمينه .

وعلى ما تقرر هنا في تضمين الأجير المشترك أمام صاحب العمل أو عدم تضمينه يتقرر الحكم في تضمين الأجير المشترك الثاني أمام الأجير الأول؛ لأن الأجير الثاني أمام الأجير الأول، كالأجير الأول أمام صاحب العمل، يضمن فيما يضمن فيه، ولا يضمن فيما لا يضمن فيه، وعليه فيتلخص الضمان في الإجارة الثانية (الإجارة على الإجارة) في الآتي:

١) في حال التعدي والتفريط مطلقاً.

٢) إذا كان أجيراً مشتركاً، والعمل ليس تحت يد صاحب العمل . ولا يضمن: إذا لم يحصل تعدٍّ ولا تفريط والعمل تحت يد صاحب العمل .

---

(١) تبيين الحقائق ١٣٥/٥ .

(٢) تبيين الحقائق ١٣٥/٥ .

(٣) ينظر: المهذب ٤٠٨/١، ومغني المحتاج ٣٥١/٢ .

(٤) ينظر: تبيين الحقائق ١٣٥/٥ .

(٥) ينظر: تبيين الحقائق ١٣٥/٥ .

المبحث الخامس: التطبيق المعاصر للإجارة على الإجارة

تمهيد:

عرفنا فيما سبق إن الإجارة قد تكون واردة على الأعيان من غير الآدميين لمدة معينة، كاستئجار العقار، ودواب الركوب، وآلات الحرث، وجميع الأشياء الداخلة تحت ضابط ما تصح إجارته .

وقد تكون واردة على عين الآدمي لمدة معينة، في إجارة الأجير الخاص، وقد تكون واردة على عمل في الذمة في إجارة الأجير المشترك والناظر للإجارة على الإجارة في مسائلها وصورها القديمة يلحظ أنه يمكن تطبيقها في صور جديدة معاصرة، بل إنها يمكن أن تكون مجالاً استثمارياً معاصراً سليماً من التعاملات المحرّمة. سواء فيما يتعلق بإجارة الأعيان زمناً معيناً، أو فيما يتعلق بإجارة الأشخاص. وبيان ذلك في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: في إجارة الأشياء

خلص البحث في مسائل الإجارة على الإجارة في إجارة الأعيان المؤجرة أنه ليس للمالك أن يؤجر العين المؤجرة خلال مدّة الإجارة لشخص يحل محله أمام المستأجر الأول، كما ترجح أنه يحق للمستأجر أن يؤجر العين التي استأجرها، مدّة معينة لشخص آخر يحل محله في الانتفاع بهذه العين خلال مدّة الإجارة بشروط معينة. وهذا الإيجار الثاني هو ما يعرف في التعامل المعاصر بالإيجار من الباطن، ولإيجار من الباطن يرد في إجارة الأشياء، ويرد كذلك في إجارة الأشخاص .أما في إجارة الأشخاص فسيأتي الكلام عنها في المطلب الثاني.

وأما في إجارة الأشياء فهو مجال خصب للاستثمار في التطبيقات المعاصرة أمام المستثمرين من أصحاب رؤوس الأموال والشركات العقارية، والمؤسسات

المصرفية والبنوك الإسلامية وغيرها وعلى سبيل المثال لا الحصر.

يقوم البنك أو المصرف أو الشركة أو المؤسسة العقارية أو حتى فرد أو أفراد باستئجار منشأة عقارية كعمارة، أو مركز تجاري أو نحوهما، من المالك لمدّة معينة بأجرة معلومة . ثم يقوم هذا المستثمر بتأجير وحدات العمارة على المنتفعين بالسكنى، وتأجير وحدات المركز التجاري على المنتفعين بهذه الوحدات لبيع سلعهم .

فهنا المستأجر الأول استأجر العمارة أو المركز التجاري جملة، وأجر الوحدات تجزئة على المنتفعين .

وفي هذا النوع من التعامل مصلحة لكل من المالك والمستثمر .

فمصلحة المالك تتحقق في أمور منها:

١) التعامل مع شخص واحد، أو جهة واحدة، بدل أن يتشتت ذهنه وجهده أمام العدد الكثير من الناس . فتتحقق له مصلحة الراحة بالتعامل مع شخص واحد.

٢) تجميع الأجرة، بدل أن يتتبع المستأجرين واحداً واحداً، ويجمع الأجرة منهم، بأخذها مجتمعة من واحد.

٣) مصلحة استيعاب جميع الوحدات بالإجارة، وفي ذلك ضمان من كساد بعض الوحدات لعدم الرغبة فيها.

٤) ضمان تسليم كامل الأجرة، مقابل امتناع بعض المستأجرين من السداد أو تأخرهم، كما هو حاصل عند كثير من المستأجرين .

هذه المصالح وغيرها، يتنازل بموجبها المالك عن كثير من الأجرة للمستثمر . وبالمقابل يتحقق للمستثمر عدّة مصالح أيضاً؛ منها:

١) تخفيض كامل الأجرة، مما يتحقق به الاستثمار المنشود.

٢) تأجير الوحدات بأجرة أكثر مما كلفته مقابل التجزئة، ومقابل أتعاب ملاحقة المستأجرين أو كساد بعض الوحدات أو انخفاض أجورها.

المطلب الثاني:

التطبيق المعاصر للإجارة على الإجارة في إجارة الأشخاص

سبق أن عرفنا أن إجارة الأشخاص نوعان. الإجارة في استئجار الأجير الخاص، والإجارة في استئجار الأجير المشترك .

وعلى ما تقرر في إجارة الأجير الخاص،، وأن المستأجر يستحق نفع الأجير خلال مدّة الإجارة وأن الأجير الخاص ليس له أن ينيب من يقوم بالعمل المستأجر له إلا بإذن صاحب العمل، فيقرر في التطبيقات المعاصرة ذلك، وعليه فليس للموظف في المجال الحكومي أو في المجال الخاص، في الشركات والمؤسسات والأفراد، أن يستأجر من يقوم بالعمل نيابة عنه، إلا بإذن الدولة أو الشركة أو صاحب العمل لأن كل واحد من هؤلاء، أجيراً خاصاً تستحق الدولة أو الشركة أو المؤسسة أو الفرد نفعه في وقت دوامه أو عمله.

وعلى ما قرره الفقهاء في إجارة الأجير المشترك، وأنه يحق له أن يقيم بدله من يقوم بالعمل المستأجر لإنجازه بشروط معينة يتقرر في التطبيقات المعاصرة للأجير المشترك جواز الإجارة على الإجارة؛ فكل ما يدخل في التعاملات المعاصرة في الأجير المشترك من بنائين وسباكين وكهربائيين ومهندسي ورش ومقاولين ومتعهدي أعمال...الخ . يحق لكل من هؤلاء ونحوهم أن يستأجر من يقوم بالعمل الذي استؤجر هو للقيام به بالشروط السابقة .

ويعرف هذا النوع من التأجير في التعامل المعاصر: التأجير من الباطن، – كما سبق – أو المقاولة من الباطن[1].

---

(١) ينظر: الوسيط ٢٠٨/٧، وعقد المقاولة لمحمد عبد الرحيم عنبر ص٢٤٧، وعقد المقاولة للدكتور عبد الرحمن العايد ص٢٩٤ .

وعرفت المقاولة من الباطن بأنها: «اتفاق بين المقاول الأصلي ومقاول آخر على أن يقوم الثاني بتنفيذ الأعمال المسندة إلى الأول أو جزء منها مقابل أجر»[1].

وعلى هذا يمكن أن تسمى الإجارة على الإجارة في إجارة الأشخاص إجارة من الباطن، ويكون تعريفها:

اتفاق بين الأجير الأول وأجير ثانٍ على أن يقوم الأجير الثاني بالعمل الذي أسند إلى الأول أو جزء منه مقابل أجرة معينة.

وصور هذا النوع من التأجير في الزمن المعاصر كثيرة ومتنوعة والمقصود: التنبيه على أصل هذا التأجير وإمكانية تطبيقه في الواقع المعاصر إذا تحققت شروطه، المشار إليها[2] .

وأن الضمان في ذلك مبني على قاعدة الضمان في إجارة الأجير المشترك.

هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) ينظر: ص ٥٠ من البحث .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه... وبعد:

فقد تبين من خلال هذا البحث في مسألة الإجارة على الإجارة ما يلي:

١- أن عقد الإجارة عقد لازم من الطرفين لا يحل لأحدهما فسخه من دون إذن الآخر .

٢- أنه إذا لزم العقد فيقتضي ملك المستأجر لمنفعة العين المؤجرة بحيث يحق له التصرف فيها بالانتفاع بنفسه أو بنائبه، أو بإجارته على المالك أو غيره بشرط عدم تجاوز ما استؤجرت له العين .

٣- أن تصرفات المالك الناقلة لملكية العين المؤجرة صحيحة نافذة ولا يمنعها تعلق حق المستأجر بمنفعتها، لإمكان المستأجر من استيفاء حقه مع انتقال الملكية .

٤- أنه يحق للمالك أن يؤجر العين أثناء مُدة الإجارة الأولى على شخص آخر مدّة أخرى بعد انتهاء عقد الإجارة الأول .

٥- لا يحق للمالك أن يؤجر العين المؤجرة خلال مدّة الإجارة على شخص آخر بحيث يرد العقد على المدة الأولى. كما لا يحق له أن يؤجرها على من يحل محله لأخذ الأجرة من المستأجر الأول .

٦- أن الإجارة على الإجارة في حالات الجواز يمكن أن تتعدد صو التعامل بها لتكون وسيلة من وسائل المؤسسات المالية المعاصرة في الاستثما المباح .

فهرس المراجع

١- الاختيارات الفقهية، للعلامة الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن عباس البعلي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

٢- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٣- أسنى المطالب شرح روض الطالب، تأليف زكريا الأنصاري الشافعي ت (٩٢٦هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٤- أسهل المدارك شرح إرشاد السالك في فقه الإمام مالك، لأبي بكر بن حسن الكشناوي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

٥- الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الأولى.

٦- إعانة الطالبين، للعلامة السيد أبي بكر المشهور بالسيد البكري، الطبعة الرابعة، دار إحياء التراث العربي.

٧- أعلام الموقعين عن رب العالمين، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

٨- الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، تأليف: الشيخ محمد بن أحمد الشربيني، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان .

٩- الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، لأبي النجا شرف الدين موسى الحجاوي المقدسي، المتوفى سنة (٩٦٨هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، توزيع دار البار.

١٠- الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، للشيخ شمس الدين محمد بن محمد الخطيب الشربيني، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١- الأم، للإمام محمد بن إدريس الشافعي، طبعة دار الشعب .

١٢- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي، الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٣- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، للعلامة زين الدين ابن نجيم الحنفي، الطبعة الثالثة

١٤١٣هـ/١٩٩٣م، دار المعرفة، بيروت.

١٤- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تأليف: الإمام علاء الدين أبوبكر مسعود الكاساني الحنفي، (ت٥٨٧هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٥- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تأليف: محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، أبي الوليد، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ، دار المعرفة، بيروت.

١٦- بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، للصاوي، دار المعرفة، بيروت .

١٧- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق لفخر الدين عثمان بن علي الزيلعي (ت٧٤٣هـ)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

١٨- تحفة الفقهاء، لعلاء الدين محمد السمرقندي (ت٥٤٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

١٩- التاج والإكليل بهامش كتاب مواهب الجليل، لأبي عبد الله محمد بن يوسف العبدري (ت٨٩٧هـ)، دار الفكر، بيروت.

٢٠- تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج لابن الملقن (ت٨٠٤هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار حراء، مكة المكرمة.

٢١- التفريع، لعبد الله بن الحسين بن جلاب، (ت٣٧٨هـ)، تحقيق: الدكتور زين سالم الدهماني، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٢٢- تهذيب السنن، لابن قيم الجوزية، تحقيق: أحمد شاكر، محمد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٢٣- جواهر الإكليل شرح مختصر خليل في مذهب الإمام مالك، للشيخ صالح عبد السميع الآبي الزهري، دار المعرفة، بيروت.

٢٤- الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي، وهو شرح مختصر المزني، تصنيف أبي الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق وتعليق الشيخ: علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٢٥- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، تأليف: محمد عرفة الدسوقي، طبعة دار الفكر، بيروت.

٢٦- حاشية قليوبي وعميرة، للإمامين: شهاب الدين القليوبي، والشيخ عميرة، على شرح جلال

الدين المحلى على منهاج الطالبين، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة .

٢٧- رد المحتار على الدر المختار المعروف بحاشية ابن عابدين، للعلامة: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي (ت١٢٥٢هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، دار إحياء التراث العربي.

٢٨- الروض المربع بحاشية عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة السادسة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

٢٩- روضة الطالبين، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (ت٦٧٦هـ)، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.

٣٠- سنن ابن ماجه، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، المتوفى سنة (٢٧٥هـ)، حقق نصوصه، ورقم كتبه وأبوابه وأحـاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

٣١- سنن أبي داود، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجتاني، راجعه، وضبط أحاديثه وعلق عليه: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار إحياء السنة النبوية.

٣٢- سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح، للإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٧٩هـ)، دار الفكر.

٣٣- سنن الدراقطني، تأليف شيخ الإسلام الإمام الكبير علي بن عمر الدارقطني، المتوفى سنة (٣٨٥هـ)، وبذيله التعليق المغني على الدارقطني، تأليف: أبي الطيب محمد شمس الحق، عالم الكتب.

٣٤- السنن الكبرى، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند ١٣٤٤هـ.

٣٥- سنن النسائي، مع شرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

٣٦- شرح ألفاظ الواقفين والقسمة على المستحقين، لأبي زكريا يحيى بن محمد الرعيني الطرابلسي المكي، المعروف بالحطاب (ت٩٩٥هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

٣٧- شرح روض الطالب من أسنى المطالب، للإمام أبي يحيى زكريا الأنصاري الشافعي، المكتبة الإسلامية.

٣٨- شرح الزرقاني على مختصر خليل، لعبد الباقي الزرقاني، دار الفكر، بيروت ١٣٩٨هـ.

٣٩- شرح الزركشي على مختصر الخرقي في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تأليف:

شمس الدين محمد عبد الله الزركشي المصري، (ت٧٧٢هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٤٠- الشرح الصغير، تأليف: أحمد بن محمد الدردير، موجود بهامش بلغة السالك لأقرب المسالك، طبعة عام ١٣٩٨هـ، عن دار المعرفة للطباعة، بيروت .

٤١- الشرح الكبير، تأليف: أبي البركات أحمد الدردير، مطبعة دار الفكر، بيروت.

٤٢- الشرح الكبير على متن المقنع، للشيخ: شمس الدين أبي الفراج عبد الرحمن أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت٦٨٢هـ)، جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية الشريعة، الرياض.

٤٣- شرح معاني الآثار، للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي الحنفي، حققه وعلق عليه: محمد زهري النجار، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

٤٤- شرح منتهى الإرادات، للشيخ العلامة: منصور بن يونس بن إدريس البهوتي (ت١٠٥١هـ)، دار الفكر.

٤٥- صحيح البخاري مع الفتح تصحيح وتعليق وإشراف عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، نشر إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية .

٤٦- صحيح مسلم، المؤلف: أبي الحسن مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق وتصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر وتوزيع: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، تاريخ الطبعة (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

٤٧- عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، تأليف جلال الدين عبد الله بن نجم بن شاس، (ت٦١٦هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، دار الغرب الإسلامي .

٤٨- عقد المقاولة، دراسة مقارنة بين تشريعات الدول العربية، تأليف محمد عبد الرحيم عنبر، طبعة ١٩٧٧م.

٤٩- عقد المقاولة، رسالة دكتوراه، إعداد د. عبد الرحمن بن عايد العابد، إشراف الأستاذ الدكتور صالح بن عثمان الهليل.

٥٠- الفتاوى الهندية، المسماة بالفتاوى العالمكيرية للعلامة الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند الأعلام، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٥١- فتح الباري شرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، نشر وتوزيع: إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٥٢- فتح القـــدير شرح الهـــداية، تأليف الشيخ: كمال الـــدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد السيواسي المعروف بابن همام (ت٨١٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٥٣- فتح المعين المطبوع بهامش إعانة الطالبين، تأليف الشيخ: زين الدين ابن الشيخ عبد العزيز ابن أحمد الشافعي المليباري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان .

٥٤- فتح الـــوهاب بشرح منهج الطلاب، لأبي يحيى زكـــريا الأنصاري، (ت٩٢٦هـ)، دار إحياء الكتب العربية لعيسى البـــابي الحلبي وشركاه بمصر.

٥٥- الفروع، لشمس الدين محمد بن مفلح المقدسي، المتوفى سنة (٧٦٣هـ)، ومعه تصحيح الفروع للمرداوي، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، عالم الكتب.

٥٦- القواعد في الفقه الإسلامي، للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٥٧- قوانين الأحكام الشرعية، للشيخ: محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي المالكي، تحقيق ومراجعة: عبد الرحمن حسن محمود، الناشر: عالم الفكر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٥٨- الكافي في فقه أهـــل المدينة المالكي، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ.

٥٩- الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل لأبي محمد موفق الدين ابن قدامة المقدسي، المكتب الإسلامي، دمشق – بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

٦٠- كشاف القناع عن متن الإقناع، للشيخ منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، عالم الكتب، بيروت.

٦١- اللباب في شرح الكتاب، تأليف الشيخ: عبد الغني الغنيمي الدمشقي الميداني الحنفي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، المكتبة العلمية بيروت.

٦٢- المبدع في شرح المقنع، لأبي إسحاق برهان الدين بن محمد بن عبدالله بن محمد بن مفلح الراميني الحنبلي (ت٨٨٤هـ)، طبع المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى.

٦٣- المبسوط، لشمس الدين أبي بكر محمد بن أبي سهل السرخسي، تصنيف الشيخ: خليل الميس مدير أزهر لبنان، الناشر: دار المعرفة، بيورت، طبعة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .

٦٤- مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر، تأليف شيخ زادة: عبد الرحمن بن شيخ محمد بن سليمان،

وملتقى الأبحر، لإبراهيم بن محمد الحلبي (ت٩٥٦هـ)، طبعة عثمانية ١٣٢٧هـ.

٦٥- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمن ابن قاسم – رحمه الله –، مطابع دار العربية، بيروت، مصور عن الطبعة الأولى.

٦٦- مختصر الطحاوي لأبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، تحقيق أبي الوفاء الأفغاني، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٦٧- المدونة الكبرى، للإمام مالك بن أنس (ت١٧٩هـ)، رواية سحنون عن ابن القاسم، دار الفكر – بيروت .

٦٨- المستدرك على الصحيحين، للحافظ أبي عبـــد الله الحاكم النيسابوري، دار المعرفة – بيروت .

٦٩- المصنف، للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، من منشورات المجلس العلمي في الهند، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ.

٧٠- المسند، للإمام أحمد بن حنبل، الناشر: دار صادر، بيروت.

٧١- مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، تأليف العلامة: مصطفى السيوطي الرحيباني، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٧٢- معونة أولي النهى شرح المنتهى، "منتهى الإرادات"، تصنيف: تقي الدين محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي الشهير بابن النجار، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، دار خضر .

٧٣- المعونة على مذهب عالم المدينة، للقاضي عبد الوهاب البغدادي (ت٤٢٢هـ)، تحقيق د. حميش عبد الحق، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٧٤- المغني، لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ) تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، د. عبد الفتاح الحلو . هجر للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٧٥- مغني ذوي الأفهام

٧٦- مغني المحتاج، للشيخ: محمد الشربيني الخطيب، طبعة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٧هـ.

٧٧- المقدمـــات الممهدات لبيان مـــا اقتضته رســـوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات، تأليف: أبي الوليد محمد بن أحمد بن

رشاد القرطبي (ت٥٢٠هـ)، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، دار الغرب الإسلامي.

٧٨- المقنع في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل الشيباني، تأليف: الإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي، مكتبة الرياض الحديثة، ١٤٠٠هـ .

٧٩- منح الجليل شرح مختصر الخليل، لمحمد عليش، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، دار الفكر بيروت.

٨٠- المنهاج، للإمام أبي زكريا بن شرف النووي، مطبوع مع مغني المحتاج، دار الفكر.

٨١- المهذب في فقه الإمام الشافعي، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، (ت٤٧٦هـ)، الطبعة الثانية ١٣٧٩هـ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، دار الفكر.

٨٢- مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي المعروف بالحطاب (ت٩٥٤هـ)، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار الفكر .

٨٣- الموسوعة الكويتية .

٨٤- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج في الفقه على مذهب الشافعي، تأليف: شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة بن شهاب الدين الرملي، (ت١٠٠٤هـ)، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، دار إحياء التراث العربي .

٨٥- الوجيز في فقه الإمام الشافعي لأبي حامد الغزالي، دار الباز، مكة المكرمة.

٨٦- الوسيط في المذهب، للغزالي، تحقيق: أحمد محمود، ومحمد ثامر، دار السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٨٧- الهداية لأبي الخطاب الكلوذاني، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ.



فهرس الموضوعات

عِنَايَةُ ابْنِ هِشَامٍ النَّحْوِيِّ بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَإِعْرَابِهِ وَتَوْجِيهِ قِرَاءَاتِهِ

إعْدادُ :

د. شَايِعِ بْنِ عَبْدِه الأَسْمَرِيِّ

الأُسْتَاذِ الْمُشَارِكِ فِي جَامِعَةِ الْمَلِكِ خَالِدٍ

المقدّمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون﴾(١)، ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾(٢)، ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾(٣).

أما بعد: فإن العلاقة بين الشريعة والعربية علاقة وثيقة لا انفصام لها، وهي علاقة في نواحٍ جمّة، فهناك علاقة نحوية، وعلاقة لغوية، وعلاقة بلاغية، وعلاقة في المصطلحات، وعلاقة في بعض القواعد العامة(٤).

وهذه العلاقة أخص بين علمي العربية وتفسير القرآن الكريم؛ لأن الله أنزل كتابه بلسان عربي مبين، فلا سبيل إلى فهم القرآن – الذي أمر الله بتدبره – إلاّ بفهم اللغة التي نزل بها؛ ولهذا تجد قدماء المفسرين والمؤلفين فيه من الراسخين في لسان العرب كابن عباس – وإخوانه من الصحابة – والحسن البصري والفراء وابن قتيبة والمبرد وابن جرير والزجاج والنحاس والأزهري

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.

(٤) أثر الدلالة النحوية، ص(٣٠).

وابن فارس، وإن شئت فأضف إلى هؤلاء أصحاب العناية بغريب القرآن، وما أكثر هؤلاء.

وقد استمر هذا فيمن جاء بعد هؤلاء إلى زماننا هذا، لكن كل عصر يقل عن سابقه، وكلنا يعرف الراغب والزمخشري وابن عطية وأبا حيان والسمين والجمل والسيوطي، والخفاجي، والشاوي وابن عاشور.

ولكن ليس كلنا يعرف فريقاً، اشتهر بالنحو، وجعل النص القرآني أساس دراسته النحوية، مع غوص في فهم مفردات العربية، فجادت قرائحهم بمعاني وتفسير وإعراب وتوجيه، لا تجدها عند غيرهم.

ومن هؤلاء الأئمة ثعلب وأبو بكر ابن الأنباري والعكبري وابن يعيش وابن هشام.

وقد اخترت من أعلام هذا الفريق الإمام النحوي ابن هشام الأنصاري الحنبلي، وأجريت حوله هذه الدراسة المتواضعة؛ لأسباب منها:

١– أن ابن هشام أحد أساتذة التفسير في زمانه، فقد درس التفسير والفقه الشافعي بالقبة المنصورية[١]، وهي أشبه بالجامعة في زماننا هذا.

٢– أن ابن هشام قد ملأ مؤلفاته بثلاثة علوم، هي التفسير وإعراب القرآن، وتوجيه القراءات المتواترة والشاذة.

٣– الإشادة والتنويه برجل جعل النص القرآني أساس دراسته النحوية، حتّى إنه آلى على نفسه ألاّ يذكر مثالاً من غير القرآن الكريم ما دام يمكن أن يجد ذلك فيه[٢].

وقد رأيت أن أجعل خطة هذا البحث في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة

---

(١) انظر المقصد الأرشد (٢/٦٧)، ومقدمة شرح اللمحة البدرية (١/٤٥).

(٢) انظر شرح قصيدة كعب بن زهير، ص(١٢٣).

وملحق بالفهارس، وتفصيل ذلك فيما يلي:

المقدمة: وفيها افتتاحية تشير إلى العلاقة بين الشريعة والعربية عموماً، وبين العربية والتفسير خصوصاً، ثم فيها أسباب تقديم هذا البحث، ثم فيها خطته، والمعالم التي اتبعها الباحث في إخراجه.

الفصل الأول: تعريف موجز بابن هشام وببعض مؤلفاته التي أودع فيها نصوصاً لتفسير القرآن وإعرابه وتوجيه قراءاته (وفيه مبحثان).

المبحث الأول: تعريف موجز بابن هشام.

المبحث الثاني: تعريف موجز ببعض مؤلفات ابن هشام التي أودع فيها نصوصاً لتفسير القرآن وإعرابه وتوجيه قراءاته.

الفصل الثاني: بعض المباحث التفسيرية التي ضمنها ابن هشام مؤلفاته النحوية (وفيه خمسة عشر مبحثاً).

المبحث الأول: تفسير ابن هشام القرآن بالقرآن.

المبحث الثاني: تفسير ابن هشام القرآن بالسنة.

المبحث الثالث: تفسير ابن هشام القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

المبحث الرابع: ابن هشام يذكر أسباب النـــزول.

المبحث الخامس: يجعل ابن هشام قول السلف – في تفسير القرآن – حجة على الخلف.

المبحث السادس: ابن هشام ينظر إلى السياق عند تفسير القرآن.

المبحث السابع: ابن هشام يُفَسِّر مُشْكِل القرآن وينقل أقوال العلماء فيه.

المبحث الثامن: ابن هشام يذكر أحكام القرآن.

المبحث التاسع: ابن هشام ينقل عن المفسرين وينتصر لهم ويستدرك ويرجح.

المبحث العاشر: ابن هشام يرد الإعراب الذي يترتب عليه فساد المعنى.

المبحث الحادي عشر: ابن هشام يذكر بلاغة القرآن.

المبحث الثاني عشر: ابن هشام يحتج بالشعر العربي على ما يذكره من معانٍ وتفسير.

المبحث الثالث عشر: ابن هشام يعتني بتفسير غريب القرآن.

المبحث الرابع عشر: ابن هشام يرد على بعض المخالفين لأهل السنة في العقيدة.

المبحث الخامس عشر: ابن هشام يذكر بعض علوم القرآن.

الفصل الثالث: مع ابن هشام في تفسير القرآن وإعرابه و توجيه قراءاته من خلال كتابه «شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب» (ويُورَد هذا الفصل حسب ترتيب سور القرآن وآياته).

الخاتمة: يذكر فيها الباحث أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: وتشمل فهرس المصادر والمراجع ومحتوى البحث.

وأما المعالم الرئيسة التي اتبعها الباحث في إخراج البحث فهي تتلخص فيما يلي:

١– ذكرت ترجمة موجزة لابن هشام، ولبعض مؤلفاته، أبرزت فيها أشياء هم أهل التفسير وعلوم القرآن.

٢– تحدثت بشيء من التفصيل عن آثار ابن هشام في علوم القرآن، التي أشار إليها بعض الباحثين المعاصرين بإيجاز.

٣– قرأت طائفة كبيرة من مؤلفات ابن هشام، واستخرجت ما تيسر منها من مادة علمية، ثم قسمت تلك المادة العلمية على أهم المباحث التفسيرية، مع ذكر مقدمة علمية لذلك المبحث، ذيلتها بذكر طريقة ابن هشام فيه، على

ضوء الأمثلة المعروضة من مؤلفاته.

٤- جردت الفصل الثالث من أحد مؤلفات ابن هشام النحوية، ليؤكد به بعض ما ذُكر في سابقه، وليطلع القارئ على بعض ما قاله ابن هشام في علمي إعراب القرآن وتوجيه قراءاته والدفاع عنها.

٥- كل ما جاء عن ابن هشام في هذا البحث، لم أتدخل في شيء منه، إلاّ ما لا يمكن احتماله بوجه؛ لأن هذا البحث ليس المقام فيه مقام مقارنة ودراسة ومناقشة.

٦- وثقت الأقوال والأشعار، وخرجت الأحاديث والآثار، وأشرت إلى مواضع الآيات والقراءات – مع تمييز الشاذ من المتواتر – وصنعت للبحث مقدمة وخاتمة وفهارس.

٧- ليس مقصود هذا البحث الحصر والإحاطة، ولكن مقصوده فتح الباب أمام الباحثين للإفادة من مؤلفات ابن هشام في التفسير والإعراب وتوجيه القراءات، مع دعوهم لتسهيل ذلك بجمعه وجعله على ترتيب سور القرآن وآياته، مع التوثيق والمقارنة والدراسة. ومن يقوم بذلك فيلزمه جمْع العلوم الثلاثة.

هذا وقد سميت هذا البحث «عناية ابن هشام النحوي بتفسير القرآن وإعرابه وتوجيه قراءاته».

والله تعالى أسأل أن يبارك في هذا البحث، وأن ينفع به، وأن يجعله تَذْكاراً لابن هشام الإمام، كما أسأله أن يرفع ما نزل بأمّة القرآن من الضعف والهوان، فهو القوي المنّان.

الفصل الأول:

تعريف موجز بابن هشام وببعض مؤلفاته التي أودع فيها نصوصاً لتفسير القرآن وإعرابه وتوجيه قراءاته

لكل شيء – معنوي أو حسي – مفتاح، وأحسب أن هذا الفصل مفتاح لهذا البحث، وقد حرصت أن يكون هذا الفصل مختصراً؛ لأسباب:

منها: أن ابن هشام شمس شارقة في بلاد العالم الإسلامي، ومؤلفاته كذلك، فهو من العلماء القلائل الذين سارت بمؤلفاتهم – في حياتهم – الركبان، واشتهرت بعد مماتهم بين الأنام.

ومنها: أن يكون مطابقاً لما قلت سابقاً من أنه مفتاح.

هذا وقد رأيت من المناسب أن يجعل هذا الفصل في مبحثين:

المبحث الأول: تعريف موجز بابن هشام

١– هو جمال الدين: عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن عبد الله بن هشام، الأنصاري المصري. ولد في ذي القعدة سنة ثمان سبعمائة بالقاهرة.

لزم الشيخ شهاب الدين ابن المُرَحِّل (ت: ٧٤٤هـ) وتلا على ابن السراج (ت: ٧٤٦هـ) وسمع من أبي حيان (ت: ٧٤٥هـ) و حضر دروس تاج الدين التبريزي (ت:٧٤٦هـ) وقرأ على الشيخ تاج الدين الفاكهاني (ت: ٧٣١هـ) وروى الشاطبية عن القاضي ابن جماعة (ت: ٧٣٣هـ).

كان ابن هشام شافعياً، ثم صار حنفياً، ثم استقر حنبلياً في آخر حياته، ولهذا التنقل أسباب، تطالع في كتب التراجم والأنساب.

درَّس النحو والفقه والتفسير، وتخرج على يديه جماعة، منهم ابن الملاح الطرابلسي (ت: ٧٦٥هـ) وعلي ابن أبي بكر البالسي (ت: ٧٦٧هـ) والنويري (ت: ٧٨٦هـ) وابن الفرات (ت: ٧٩٤هـ) وابنه محب الدين ابن هشام (ت: ٧٩٩هـ) وابن الملقن (ت: ٨٠٤هـ).

ولابن هشام معرفة تامة باللغة والقراءات والحديث، والمعاني والبيان والعروض.

غلبت عليه صناعة النحو حتى بلغ فيها مرتبة الإمامة، واشتهر ذكره في بلاد الإسلام بها، حتى قالوا: إنّه أنحى من سيبويـــه، وألّف فيها التصانيف العظيمة النافعة، التي اشتهرت في حياته وبعد مماته، وأصبحت – اليوم – مرجعاً للأساتذة والطلاب في معظم جامعات الإسلام، طُبع منها الكثير، ومازال بعضها مخطوطاً حتى الآن.

ولابن هشام طريقة بديعة في سرد أبواب النحو وضم النظير إلى نظيره، وتسهيل علم النحو وتمهيده. وكان – مع هذا كله – موصوفاً بكثرة الديانة والعبادة، مع التواضع والبر والشفقة، ودماثة الأخلاق ورقة القلب.

مات – رحمه الله تعالى – في القاهرة في شهر ذي القعدة، سنة إحدى وستين وسبعمائة.

ورثاه جماعة من العلماء الأدباء بقصائد تدل على بالغ تأثر أهل عصره بفقده، رحمه الله[1].

---

(١) انظر ترجمته في الجوهر المنضد، ص(٧٧، ٧٨)، والدرر الكامنة (٢/٤١٥- ٤١٧)، ومقدمة ابن خلدون، ص(٥١٦)، والمقصد الأرشد (٢/٦٦، ٦٧)، وحسن المحاضرة (١/٥٣٦)، وأعيان العصر، ص(٥، ٦)، وشذرات الذهب (٦/١٩١، ١٩٢)، والنجوم الزاهرة (١٠/٣٣٦)، والوفيات لابن قنفذ، ص(٣٦١)، والوفايات لابن رافع السَّلاّمي (٢/٢٣٤)، والسحب الوابلة (٢/٦٦٢- ٦٦٦)، وبغية الوعاة (٢/٦٨، ٦٩)، والبدر =

٢- ابن هشام مشارك في علوم غير النحو:

العلامة ابن هشام اشتهر بعلم النحو، حتى طغى على مشاركته في علوم أُخرى؛ ولهذا فكثير من أوساط المتعلمين، لا يعرفونه إلاّ بعلم النحو، لكنه – في الحقيقة – مشارك في علوم أُخرى مثل التفسير، والقراءات، والفقه، والحديث وغيرها.

قال ابن تغري بردي: ((وكان بارعاً في عدة علوم))[١].

وقال ابن مفلح: ((حفظ الخرقي[٢] في دون أربعة أشهر، ودرّس في التفسير بالقبة المنصورية وغيرها))[٣].

وقال ابن عبد الهادي: ((صاحب المعرفة التامّة في النحو واللغة والإعراب والقراءات والحديث والفقه، وغير ذلك))[٤].

وقال ابن حجر: ((وحدث عن ابن جماعة بالشاطبية)).

فهذه شهادة من هؤلاء العلماء تفيد حضور العلامة ابن هشام ومشاركته في علوم أُخرى، صدرت منهم بعد تتبع وخبرة.

وقد عدَّ له الأستاذ الدكتور سعود بن عبد الله الفنيسان ثمانية مؤلفات في علوم القرآن[٥].

= الطالع (٢٧٦/١، ٢٧٧)، ومفتاح السعادة (١٨٣/١- ١٨٥)، والأعلام (١٤٧/٤)، ومقدمة شرح اللمحة البدرية (٣١/١- ٩١)، ودائرة المعارف الإسلامية (٢٩٦/١، ٢٩٧)، ومعجم المؤلفين (١٦٣/٦، ١٦٤).

(١) النجوم الزاهرة (٣٣٦/١٠).

(٢) يعني أنه حفظ مختصر الإمام الخرقي في فقه الحنابلة.

(٣) المقصد الأرشد (٦٧/٢).

(٤) الجوهر المنضد، ص(٧٧).

(٥) انظر آثار الحنابلة في علوم القرآن، ص(١٤١، ١٤٢)، وسيأتي الكلام عليها – إن شاء الله

نعم واستفاد منه صاحبا أشهر كتابين في علوم القرآن، تلميذه الإمام بدر الدين الزركشي، والعلاّمة السيوطي[١].

وقد قرأت في كثير من كتبه – التي اشتهر بها – فوجدته مفسِّراً، فقيهاً، محدثاً، مقرئاً. وكل واحد من هذه الفنون، يستطيع المتتبع لمؤلفات ابن هشام النحوية أن يكتب فيه بحثاً وافياً، يُضيف جديداً إليه، بما ذكره الإمام ابن هشام فيه.



= – آخر هذا الفصل.

(١) انظر المبحث العاشر من الفصل الثاني.

المبحث الثاني:

تعريف موجز ببعض مؤلفات ابن هشام التي أودع فيها نصوصاً لتفسير القرآن وإعرابه وتوجيه قراءاته

١- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: هذا الكتاب يُعد أكبر كتب ابن هشام فائدة وحجماً، وهو من أواخر كتبه تأليفاً، فبين وفاة ابن هشام وتأليفه أربع حجج فحسب.

والكتاب في شرح المفردات والجمل.

ولا غنى لمن يفسر القرآن عن هذا الكتاب، ومما يدل على أهميته في هذا الأمر أن ابن هشام لَمَّا سُئل لِمَ لم يؤلف تفسيراً للقرآن أو لإعرابه؟. قال: أغناني المغني عن ذلك[(١)].

وأشهر طبعات هذا الكتاب، هي الطبعة التي حققها الشيخ محمد محي الدين- رحمه الله[(٢)] - وجاءت الصفحات فيما نحن بصدده على النحو التالي:

المجلد الأول، ص: ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ٢٣، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٢، ٣٤، ٤٠، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٥٦، ٥٧، ٦٢، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٧١، ٧٦، ٧٧، ٨١، ٨٧، ٩٢، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١١٠، ١١٢، ١١٣، ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٨، ١٣٩، ١٤١، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٧، ١٤٨، ١٥١، ١٥٦، ١٥٧، ١٦١، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢٠٦،

---

(١) انظر مقدمة الدكتور محمد نغش لأسئلة وأجوبة في إعراب القرآن، ص(و).

(٢) وليس فيها حتى ذكر مواضع الآيات من المصحف، ولكن حسْبه أنه أخرج النص إخراجاً جيداً.

٢٠٩، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٨٧، ٢٩٦، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣١٠، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٩، ٣٢٣.

المـــجلد الثاني، ص: ٣٤٦، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٩، ٣٨٠، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٤، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٣، ٤١٤، ٤٢٠، ٤٢٥، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٤٥، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٩١، ٤٩٣، ٤٩٥، ٥٠٢، ٥١٣، ٥٢٤، ٥٢٨، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٣، ٥٣٩، ٥٤٣، ٥٤٦، ٥٤٨، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٤، ٥٦٧، ٥٧٠، ٥٧٥، ٥٧٧، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٩٣، ٥٩٦، ٥٩٧، ٦٠٣، ٦١٩، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٣٠، ٦٥٥، ٦٥٧، ٦٦٢، ٦٨٣، ٦٩٠، ٦٩٦.

٢- شرح قصيدة كعب بن زهير – رضي الله عنه – في مدح سيدنا رسول الله ﷺ: كان الرسول ﷺ قد أهدر دم كعب بن زهير بن أبي سلمى؛ لما نال الدعوة والمسلمين من لسانه، فلما أظهر الله الإسلام، وفُتحت مكة، قدم كعب دار الهجرة، ومثل بين يدي رسول الله ﷺ مسلماً تائباً، فعفا عنه الرسول الكريم ﷺ، فجاشت مشاعره بقصيدة في مدح خير خلق الله ﷺ، كانت من أنبل القصائد في المدح.

شرحها ابن هشام شرحاً زادها جمالا، وحققها الدكتور أبو ناجي، وهي تقع في (٣٥٧) صفحة.

وقد ضمَّن ابن هشام هذا الشرح نصوصاً تفسيرية، وإعرابية وتوجيهية، يمكنك أن تراها كلها، أو بعضاً منها على الصفحات التالية: ٤٠، ٥٢، ٥٣، ٥٧، ٦١، ٧٢، ٧٣، ٩٤، ١٠٨، ١١٠، ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٨، ١٤١، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٤، ١٥٧،

١٥٨، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٨، ١٧١، ١٧٣، ١٧٧، ١٨١، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٨، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٩٢، ٢٩٧.

٣- تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد: أنشأ ابن الناظم شواهد على (الخلاصة الألفية) لأبيه، وهذه الشواهد يستغلق فهمها على من يقرؤها، فألف ابن هشام هذا الكتاب، شرحاً لها وبياناً.

قال في مقدمته: ((فأنشأت لهم هذا المختصر المسمَّى بتخليص الشواهد وتلخيص الفوائد محتوياً على تفسير لفظها وتحرير ضبطها، وبيان محل الشاهد منها، وإيراد بعض ما تقدمها من الأبيات وما تأخر عنها[1]...)) إلخ.

مات ابن هشام قبل أن يتم هذا الكتاب كما يقول محققه الدكتور عباس الصالحي، الذي بذل جهداً طيباً في تحقيق الكتاب، ونشرته دار الكتاب العربي في (٦١٨) صفحة، وضمنه ابن هشام نصوصاً تفسيرية وإعرابية وتوجيهية، يمكنك أن تراها كلها أو بعضاً منها على الصفحات التالية: ٥٧، ٦٦، ١٠٧، ١١٠، ١١٢، ١٤٠، ١٦٣، ١٦٨، ١٧١، ١٧٢، ١٩٠، ١٩١، ١٩٦، ٢١١، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٧٢، ٢٨٤، ٢٩٢، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٧، ٣١٢، ٣١٥، ٣٢٧، ٣٣١، ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٤٤، ٣٤٧، ٣٥٣، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٨٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٣، ٤١١، ٤١٢، ٤١٥، ٤٢٦، ٤٢٩، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٤٤، ٤٥٤، ٤٧٢، ٤٧٥، ٤٩٠، ٤٩٢، ٤٩٦، ٥١١، ٥١٤.

٤- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: كان ابن هشام قد ألَّف

---

(١) تخليص الشواهد، ص(٤٠).

كتاباً سمَّاه شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ثم شرحه بهذا الكتاب، وبين في مقدمته للكتاب أنه أراد بهذا الشرح تتميم الشواهد، وجمع الشوارد، والتمكين من اقتناص الأوابد، وقال في آخر تلك المقدمة: «وكلما أنهيت مسألة ختمتها بآية تتعلق بها من آي التنـــزيل، وأتبعتها بما تحتاج إليه من إعراب وتفسير وتأويل»[1].

قلت: وكأنه يرى أن توجيه القراءات مشترك بين الإعراب والتفسير، فلم يذكره، مع أنه قد حشا الكتاب بذلك.

ولأنني لم أذكر في الفصل الثالث – الذي خصصته لهذا الكتاب – من الإعراب والقراءات إلاّ ما جاء فيه تفسير، فسأذكر لك هاهنا صفحات الإعراب وتوجيه القراءات المجردة من التفسير؛ إتماماً للفائدة، وتجنباً للتكرار.

هذا وطبعة الكتاب المشهورة هي التي بتحقيق محمد محي الدين، وتقع في (٤٨٠) صفحة، جاء الإعراب وتوجيه القراءات – منها – في الصفحات التالية: ١٨، ٢٤، ٣٤، ٣٥، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٥٨، ٦١، ٦٢، ٦٤، ٦٥، ٧١، ٨٠، ٨١، ٨٢، ١٠٦، ١٠٨، ١٣٠، ١٣٦، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٧، ١٧٦، ١٧٩، ١٩٣، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٦، ٢٢٧، ٢٣٨، ٢٤٨، ٢٥٣، ٢٦٥، ٢٨٢، ٢٨٨، ٣٢٧، ٣٥١، ٣٧٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣٢، ٤٤٠، ٤٤٨، ٤٥٢.

٥- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: شرح ابن هشام بهذا الكتاب خلاصة ابن مالك في رجز النحو، والتي تُعرف (بألفية ابن مالك) وهو شرح أبسط[2] من شرح ابن عقيل إلاّ أنّه لا يبعد عنه كثيراً، وقد اشتهر الشرحان كشهرة الخلاصة، أو هما أوسع.

وقد طُبع الكتاب بتحقيق العلاَّمة محمد محي الدين، والذي وضع عليه

---

(١) شرح شذور الذهب، ص(١٠).

(٢) أبسط: أعني مدلولها اللغوي، لا العامي.

حاشية سمَّاها (عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك) جَعَلَتْه في أربع مجلدات، أو أجزاء، يمكنك أن ترى النصوص التفسيرية والإعرابية والتوجيهية - كلها أو بعضاً منها - على الصفحات التالية:

المجلد الأول، ص: ١٥١، ١٥٧، ١٧٩، ١٩٩، ٢١٤، ٢٢٨، ٢٥٧، ٢٦٩، ٢٧٢، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٧.

المجلد الثاني، ص: ٤٤، ٤٦، ٨١، ١٤٥، ١٦٢، ١٦٤، ٢٠٢، ٢٢٢، ٣٠٦، ٣١٤.

المجلد الثالث، ص: ٢٠، ٢٧، ٢٩، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٧٨، ١٢٥، ١٣٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٥، ١٩٥، ٢١٥، ٢٥١، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٧٥، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٩٣، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٤٣، ٣٤٨، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٧، ٣٥٨.

المجلد الرابع، ص: ٧٨، ٧٩، ٨٨، ١٦١، ٢١٠، ٢١١، ٢٢٧، ٢٣٢، ٣٠٦، ٣٥١.

٦- شرح قطر الندى وبل الصدى: كتب ابن هشام مقدمة في النحو مختصرة جداً، سماها بـــ(قطر الندى وبل الصدى) ثم جاء هذا الكتاب ليشرحها شرحاً موجزاً، موفياً بالغرض، وهو كتاب يُذَكِّر المنتهي، ولا يستغني عنه المبتدي.

وازدان بحاشية وضعها عليه ناشر علم العربية ومحببها إلى أهلها، الشيخ محمد محي الدين - رحمه الله - باسم (سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى) ويقع الكتاب في (٣٥٢) صفحة، يمكنك أن ترى النصوص التفسيرية والإعرابية والتوجيهية - كلها أو بعضاً منها - على الصفحات التالية: ٣١، ٤١، ٥٨، ٦٢، ٦٦، ٦٨، ٨١، ٨٢، ٨٤، ١٠٨، ١٠٩، ١١٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٤، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٤، ١٧٧، ١٨١، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٦، ٢١٤، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٩، ٢٨٢

٢٨٦، ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٨، ٣٠٢، ٣٠٥، ٣٠٩، ٣١٦، ٣٢٠.

وفي ختام هذا الفصل أُنبه على ما يلي:

١– هناك مؤلفات أُخرى لابن هشام لا تخلو من نصوص في تفسير القرآن وإعرابه وتوجيه قراءاته منها شرح جمل الزجاجي، واللمحة البدرية في علم اللغة العربية، والإعراب عن قواعد الإعراب، والجامع الصغير في النحو، وفوح الشذا بمسألة كذا، ورسالة في توجيه النصب في إعراب فضلاً ولغة وخلافاً وأيضاً وهلم جرا، والألغاز في النحو، واعتراض الشرط على الشرط، وكلها مطبوعة محققة[1].

٢– ذكر الأستاذ الدكتور سعود بن عبد الله الفنيسان – في كتابه القيِّم (آثار الحنابلة في علوم القرآن)[2] – ثمانية مؤلفات لابن هشام في علوم القرآن، نوجز الحديث عنها بما يلي:

أ – إعراب مواضع من القرآن: قال الدكتور: إنها مسائل سُئل عنها ابن هشام في بعض أسفاره، أو ظهرت له في أثنائه وقد طُبعتْ باسم (المسائل السفرية في النحو) بتحقيق الدكتور علي البواب[3].

وقد وقفت على الكتاب، وأفدت منه، وهو محقق بثلاثة عناوين، أحدها بالاسم الذي ذكره الدكتور، ولم يُذكر فيه تاريخ الطبعة ولا رقمها.

والثاني باسم (أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن) بتحقيق الدكتور محمد نغش، ونشر المجلس العلمي في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، الطبعة الأولى،

---

(١) قد يرد في بعضها هذه العلوم الثلاثة، وقد يرد أحدها، لكنها بكل حال لاتساوي – في ذكر هذه العلوم – الكتب الستة المتقدمة، بل لا تقرب منها.

(٢) انظر منه، ص(١٤١، ١٤٢).

(٣) انظر المرجع السابق، ص(١٤١).

سنة ١٤٠٣هـ.

والثالث باسم (مسائل في إعراب القرآن) حققه الدكتور صالح أبو جناح، ونشرته مجلة المورد العراقية، في المجلد الثالث، العدد الثالث، سنة ١٩٧٤م.

ولعلك تعجب من هذا الجهد الذي يضيع في كتاب واحد؛ ولذلك أسباب يطول شرحها، لعل من أهمها عدم التنسيق بين معاهد وجامعات العالم الإسلامي، بل معاهد وجامعات العرب، بل معاهد وجامعات بلد الحرمين.

والكتاب هو رسالة صغيرة في إعراب مواضع من بعض الآيات، وأحياناً يأتي بتفسيرها، وعدد مسائلها في تحقيق البواب ونغش سبع وأربعون مسألة[1]، بعضها لا يتجاوز أربعة أسطر، وتختلف صفحات الكتاب باختلاف المحققين، إلاّ أنه في حقيقته لا يتجاوز عشرين صحيفة.

ب – مسائل في إعراب القرآن: هكذا ذكره الدكتور، وعده كتاباً آخر غير الذي قبله[2]، وهو – في الحقيقة – أحد أسماء الكتاب السابق؛ وذلك واضح بالمقارنة.

ج – رسالة في قوله تعالى: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾[3]: مطبوعة، حققها الدكتور عبد الفتاح الحموز[4].

وهذه الرسالة طُبعت لأول مرة عام ١٤٠٥هـ، طبعتها دار عمّار، بعنوان: مسألة الحكمة في تذكير قريب في قوله تعالى: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾[5].

---

(١) وفي تحقيق أبي جناح ست وأربعون مسألة، وقد وصف أبو جناح مسائل هذا الكتاب وصفاً دقيقاً. انظر مجلة المورد (١٤٧/٣).

(٢) انظر آثار الحنابلة، ص(١٤٢).

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

(٤) آثار الحنابلة في علوم القرآن، ص(١٤١).

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

بدأها المؤلف بإيراد سؤال حاصله: ما الحكمة في تذكير ﴿قريب﴾ مع أنه صفة مخبر بها عن المؤنث، وهو الرحمة، مع أن الخبر الذي هذا شأنه يجب فيه التأنيث[1]؟

ثم وضَّح ابن هشام أن سبب تأليفه – في هذه المسألة – ما وقف عليه من بعض العبارات الخاطئة، التي قالها بعض المفسرين، ثم ذكر أنه وجد فيها للعلماء أربعة عشر وجهاً، فسردها، وبين المقبول منها من المردود. وهذا الكتاب لا يتجاوز بضع صفحات – في الحقيقة – إلاّ أن حواشي محققه مع المقدمة والفهارس، بلغت به إحدى وتسعين صفحة.

د– رسالة في قولـــه تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾[2]: ذكره السيوطي في الأشباه والنظائر[3].

قلت ذكرها السيوطي بقوله: ((هذه مسألة من كلام شيخنا العالم العلامة جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام – رحمه الله – في قوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾[4]، قال يجوز في الظرفين أربعة أوجه))[5] ثم ساقها فبلغت صفحاتها المطبوعة ثلاثا وزيادة. وهي كما ترى في إعراب بعض ألفاظ الآية الكريمة.

هـ – رسالة في قوله تعالى ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله﴾[6]: أشار

(١) انظر من هذه الرسالة، ص(٣٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٣) آثار الحنابلة في علوم القرآن، ص(١٤٢).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٥) الأشباه والنظائر (٤/ ٧٤).

(٦) سورة النساء، الآية: ١٧٢.

صاحب آثار الحنابلة إلى أنه مخطوط في المكتبة التيمورية في دار الكتب المصرية برقم (١٠٢/مجاميع) (١).

وقد تطلبته مطبوعا فلم أقف عليه ويبدو أنه في إعراب الآية أو بعض ألفاظها، فهو مثل رسائله الأخرى، التي وصلتنا في بعض صفحات.

و- رسالة في استعمال المنادى في تسع آيات: قال الدكتور إنها توجد مخطوطة في مكتبة برلين في ألمانيا تحت رقم (٦٨٨٤)(٢)، وهكذا قال غيره أيضا(٣).

ويبدو من عنوانها أنها رسالة صغيرة(٤)، تذكر طريقة استعمال القرآن للنداء في بعض الآيات.

ز- مختصر الانتصاف من الكشاف: ذكر الدكتور أنه يوجد مخطوطاً، وله ثلاث نسخ، إحداها في مكتبة الأزهر، والثانية في دار الكتب، والثالثة في برلين(٥)، وذكره غيره أيضا(٦).

ويبدو أن الذين نسبوا الكتاب لابن هشام هم تبع لحاجي خليفة فإنه ذكر الكشاف، وما ألف حوله، قال في آخر بحثه: «ولخصهما(٧) الإمام جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام في مختصر لطيف مع يسير زيادة، وتوفي سنة ٧٦٢هـ، قال: اختصرت فيه الانتـــصاف من الكشاف، وحذفت منه ما وقعت

---

(١) انظر آثار الحنابلة في علوم القرآن، ص(١٤٢).

(٢) انظر آثار الحنابلة في علوم القرآن، ص(١٤٢).

(٣) انظر مقدمة محمد محي الدين لشرح شذور الذهب، ص(٧).

(٤) وبهذا وصفها الدكتور هادي نهر في مقدمته لشرح اللمحة البدرية (١/ ٨٢)، وكذلك وصفتها دائرة المعارف الإسلامية (١/ ٢٩٧)، وأبو جناح في مجلة المورد (٣/ ١٤٦).

(٥) انظر آثار الحنابلة في علوم القرآن، ص(١٤٢).

(٦) انظر مقدمة محمد محي الدين لشرح شذور الذهب، ص(٧)، ومجلة المورد (٣/ ١٤٦).

(٧) ألف الاثنين ترجع إلى كتاب الكشاف والانتصاف.

الإطالة به، من نقل كلام الزمخشري على وجهه من غير كلام عليه، إعجابا به واستحسانا له، وما قابل به الزمخشـــري في سبه أهل السنة بمثلها، مقتصراً على العقيدة الصحيحة، وما يتعلق بالآية منها من دليل، وحمل على تأويل، فلم أدع شيئاً من معاني الكتاب المذكور، فما وافق منه الصواب أبقيته بحاله، وما خالف ذلك بينت وجه ضعفه وإخلاله، والله الموفق...» [١].

وقد قال الدكتور أحمد الهرميل: إن نسبة الكتاب إلى ابن هشام مشكوك فيها[٢].

وبعد الإطلاع على الكتاب المذكور، ظهر لي أنه ليس من تأليف ابن هشام؛ للأسباب التالية:

١– المتقدمون، الذين ترجموا لابن هشام – ومنهم ابن حجر وغيره – لم يذكروا أن ابن هشام ألَّف كتاباً في التفسير، وكان أوَّل من ذكر ذلك – فيما أعلم– الحاج خليفة، في كتابه كشف الظنون (١٤٧٧/٢).

٢– أن ابن هشام سُئل عن عدم تأليف كتاب في تفسير القرآن، أو إعرابه فقال: أغناني المغني عن ذلك (انظر الفصل الأول – عند الكلام على مغني اللبيب).

٣– جاء في اللوحة الثانية – بعد بسم الله الرحمن الرحيم – بخط غير واضح، ويُقرأ منه (قال العبد الفقير... ابن عمر الأنصاري) ثم جاء نص المقدمة بعد ذلك، وهذا بخط ناسخ الأصل.

وهذا يفيد أن مؤلف الكتاب هو عبد الكريم بن علي بن عمر الأنصاري ابن بنت العراقي، المعروف بعلم الدين العراقي، لاسيما وأن الحاج خليفة قد

---

(١) كشف الظنون (١٤٧٧/٢).

(٢) انظر مقدمته لتحقيق الجامع الصغير (ص/ ن).

ذكر (في كشف الظنون ١٤٧٧/٢) أنّه ألّف كتاب الإنصاف، جعله حكماً بين الزمخشري وابن المنير، وذكر العلاّمة الزركلي (في الأعلام ٥٣/٤) أنّه رآه، واقتنى نسخة منه، قال: إنها جديرة بالنشر.

ويجعل هذا الدليل مجزوماً به أمران:

أ – ما جاء في أوّل اللوحة العاشرة (١٠/أ) في سورة البقرة من تعقبه لأحمد في مسألة – ناقش فيها الزمخشري – ثم قال علم الدين العراقي في آخر رده: ((وتأويله على ما ذكر شيخنا عز الدين بن عبد السلام...)) ومن المعلوم أن عز الدين هو أحد شيوخ علم الدين العراقي (طبقات المفسرين ٣٤٠/١)، وأما ابن هشام فولادته بعد نصف قرن من وفاة عز الدين.

ب – ذكر الحافظ ابن حجر (انظر الدرر الكامنة ١٣/٣، ١٤) أن علم الدين العراقي ألف كتاباً، رد فيه على أحمد، وانتصر للزمخشري، وأسلوب هذا المخطوط الذي بين يدي، مطابق تماماً لما ذكر الحافظ، فإن هذا الكاتب يورد كلام محمود ثم كلام أحمد، ثم يتعقب أحمد، ويندر أن يناقش الزمخشري، ولكن قد يناقشه أحياناً.

٤– المقدمة التي ذكرها في هذا المخطوط مطابقة تماماً لما بداخله، فقد ذكر أنه اختصر الانتصاف؛ لأن صاحبه قد يطيل بنقل كلام الزمخشري (انظر مقدمة المخطوط، وكشف الظنون ١٤٧٧/٢ والفصل الأول من هذا البحث) فمن قال: إن صاحب هذا الكتاب اختصر الكشاف فقد عكس.

وأيضاً فقد ذكر هذا الكاتب أن ما وافق الصواب تركه، وما لم يكن كذلك بيّن وجه ضعفه وإخلاله (انظر مقدمة المخطوط، وما نقله الحاج خليفة في كشف الظنون (١٤٧٧/٢) وهذا مطابق لما بداخل المخطوط من التعقبات في أكثر المواضع.

فإن قلت: فما حجة من نسبه لابن هشام، وما جوابك عنها؟.

قلت: لا أعرف له حجة، إلاّ ما جاء على اللوحة الأولى (مختصر الكشاف لابن هشام الأنصاري) ولا يظهر منها واضحاً إلاّ (هشام، الأنصاري).

والجواب: إن هذا بغير خط ناسخ الأصل، فهو بخط مشرقي، وخط ناسخ الأصل خط مغربي، ثم لا يبعد أن يقصد به أحد التملكات، التي كُتبت على هذه اللوحة، وأن هناك كلمة سقطت بين (مختصر الكشاف) وبين (ابن هشام) تفيد هذا.

فإن قلت: ألا يمكن أن يكون ابن هشام اختصر الانتصاف لأحمد، والإنصاف لعلم الدين، كما قد يُفهم من كلام الحاج خليفة في كشف الظنون (١٤٧٧/٢).

قلت: بعد التأمّل في كلام الحاج خليفة ظهر لي أن عود ضمير التثنية في قوله (ولخصهما) إنما هو للكشاف والانتصاف.

وبكل حال فلا أرى حجة في كلام خليفة عن هذا الكتاب.

وفي النية أن أكتب تقريراً ضافياً عن نسبة الكتابين لابن هشام (مختصر الكشاف – وموارد المنح) وما حصل حولهما من ملابسات، وأنقل من نصوصهما ما يتبين به الصواب إن شاء الله، وذلك بعد أن أحصل على مزيد من النسخ للكتابين، فاللهم يسر.

ح – شوارد الملح وموارد المنح: هكذا ذكر اسمه الدكتور، وذكر أن له صورة مخطوطة في جامعـــة أم القرى برقم (٢٧٨) تفسير وعلوم قرآن، وأن عدد لوحاته (٤٤) وأن أصله في شستربتي تحت رقم (٤٣٦٢)[1].

---

(١) انظر آثار الحنابلة، ص(١٤٢).

ويبدو أن الأستاذ لم يقف على مصورة جامعة أم القرى، ولكن أخذ عنوان الكتاب والمعلومات عنه من فهرس المصورات الميكروفيلمية[1]، الذي أصدرته جامعة أم القرى يوم أن كانت فرعاً لجامعة الملك عبد العزيز بجدة.

وقد وقفت على مصورة جامعة أم القرى فوجدت مؤلفها أو جامعها يفتتح الكتاب بوصية الرسول ﷺ لمعاذ - رضي الله عنه - لما أرسله إلى اليمن، ثم يمضي الكاتب بإيراد معارف متنوعة، يتعلق معظمها بالجواب عن سؤالات وإشكالات تبدو بين بعض الآيات، ورأيت مؤلفها ينحو في كلامه منحى الصوفية، وربما نقل أشياء عنهم يصدرها بقوله: قال أصحاب الخواطر والمعارف.

ورأيته يعوّل فيما يفسر من الآيات على التفسير الإشاري.

وورد عنوان الكتاب - في هذا المخطوط المصوّر - في آخره، حيث قال الكاتب: تم كتاب شوارد الملح وموارد المنح من كلام ابن الفويرة[2] والعبّادي وابن الجوزي رضي الله عنهم أجمعين، وذلك في الثالث عشر من ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وستمائة للهجرة[3].

ثم قال: ووافق الفراغ من نسخه نهار الثلاثاء، وقت صلاة الظهر تاسع شهر شوال سنة إحدى وأربعين وسبعمائة[4].

(١) انظر منه، ص(٩٩).

(٢) (ابن الفويرة) لست متأكداً من قراءتها، لكنها لاتدور حول اسم ابن هشام بحال.

(٣) انظر اللوحة (٤٣/ أ، ب).

(٤) انظر اللوحة (٤٣/ب)، وقد اطلعت بعد زمن من إعداد هذا البحث على كتاب ابن هشام الأنصاري آثاره ومذهبه النحوي (ص/ ٣٤٠-٣٤٩) فوجدت مؤلفه نفى صحة نسبة الكتابين - مختصر الانتصاف وشوارد الملح - لابن هشام، فشكرت الله على أن وفقني إلى ما قلت.

والكتاب ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ولم ينسبه[١].

لكن نسبه إسماعيل باشا إلى ابن هشام في هدية العارفين[٢].

وذكره الدكتور الحموز بعنوان (شرح الملح وموارد المنح) وقال: إنه في برلين برقم (٢٠٩٧) وإن عدد لوحاته (٢٥٠) [٣]، وكذلك اتفق معه الدكتور هادي نهر في هذه المعلومات، ووصفه بقوله: ((هو رسالة في سعادة النفس تناول فيه بعض المسائل الاعتقادية كالحديث عن الآخرة، وقضية الإسراء والمعراج، وفروض الصوم والصلاة والزكاة، وغيرها من المسائل الدينية))[٤].

وأما أبو جناح فذكره بالعنوان الأسبق وقال: إنه في العقائد والفرائض والمسائل الدينية، وإن أوراقه تزيد على ثلاثمائة ورقة، و إنه ما يزال مخطوطاً، وبحوزته نسخة منه[٥].

والحاصل أن الكتاب مختلف في عنوانه، وفي عدد لوحاته، ثم ما جاء في آخر مصورة جامعة أم القرى – من نسبة الكتاب إلى غير ابن هشام، ومن ذكر تاريخ قبل ولادة ابن هشام بما يقرب من قرن كامل – يجزم بأن تلك المصورة ليست من تأليف ابن هشام[٦].

ثم شيء آخر ينفي نسبة تلك المصورة لابن هشام وهو الأسلوب الذي كُتبت به، فإنني أجزم أنه ليس أسلوب ابن هشام. وأيضاً فقد ورد في تلك

---

(١) انظر كشف الظنون (١٠٦٥/٢).

(٢) انظر هدية العارفين (٤٦٥/١).

(٣) انظر مسألة الحكمة في تذكير قريب، واعتراض الشرط على الشرط (المقدمة / ص١٦).

(٤) مقدمة شرح اللمحة البدرية (٨٥/١، ٨٦).

(٥) انظر مجلة المورد (١٤٦/٣).

(٦) لوحة العنوان لم يرد عليها شيء حول العنوان المذكور، ولا عن المؤلف(٦).

المصورة من كلام الصوفية، ما لا يمكن نسبته لابن هشام، وما علمت أن أحداً ممن ترجم له قال: إنه من الصوفية، أو ينحو منحاهم.

٣- أرقام الصفحات التي ذيلت بها الحديث عن بعض مؤلفات ابن هشام، غالبها في تفسير القرآن، وبعضها اشترك في التفسير والإعراب والتوجيه، ماعدا الصفحات التي ذيلت بها الحديث عن شرح شذور الذهب، فإنها خُصَّت في الإعراب والتوجيه، وأما المشترك بين الثلاثة – في الكتاب المذكور – فتجده في الفصل الثالث، من هذا البحث.



الفصل الثاني:

بعض المباحث التفسيرية

الّتي ضمنها ابن هشام مؤلفاته النحوية

(وفيه خمسة عشر مبحثاً)

ضمن ابن هشام الأنصاري مؤلفاته النحوية[١] تفسيراً لعدد غير قليل من الآيات، تضمن كثيراً من المباحث التي يعتني بها أهل التفسير، ويذكرونها في مؤلفاتهم. وسأذكر في هذا الفصل – إن شاء الله تعالى – بعض المباحث المهمة في هذا الجانب، التي رأيت ابن هشام يعرضها في مؤلفاته النحوية التي أمكن الوقوف عليها.

المبحث الأول: تفسير ابن هشام القرآن بالقرآن

تفسير القرآن بالقرآن أعلى أنواع التفسير، والقرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً، فما أُجمل في سورة بُيّن في أُخرى، وما أُطلق في آية قُيد في أُخرى، وما اختُصر في سورة بُسط في أُخرى، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[٢].

ولأهمية هذا النوع من التفسير: لم يخل منه تفسير مفسر – فيما رأيت – وهم بين مقل ومكثر.

أمّا من نثر شيئاً من التفسير في مؤلفاته، فغالباً أن يأتي بشيء من هذا،

(١) تغليباً وإلاّ ففيها غير النحوية مثل شرح قصيدة كعب بن زهير.

(٢) سورة القيامة، الآيات: ١٧– ١٩، وانظر في تفسير الآية موضع الشاهد جامع البيان (٢٤/٧٠).

لكن ذلك قليل بالنسبة إلى من قصد تفسير القرآن بمؤلف.

وابن هشام أتى بتفسير القرآن بالقرآن فيما ذكر في مؤلفاته من تفسير، وأكثر ما جاء عنده ما يُسمَّى تفسيراً، أو بياناً، أو بدلاً، على اصطلاح النحويين. وهذا يكون متصلاً فيه المفسِّر – بكسر السين المشدّدة – بالمفسَّر (بفتح السين المشدّدة).

وهذا النوع من البيان هو من تفسير القرآن بالقرآن، وهو كثير في القرآن، وأتى بطائفة منه المفسرون في تفاسيرهم، وكذلك المعربون للقرآن، ويكثر منه الزمخشري في كشافه.

ويسميه الإمام ابن فارس ما اتصل به بيانه، ذكره في كتابه الصاحبي[١]، وضرب له أمثلة، وأشار إلى قياس ما لم يذكره على ما ذكره.

وبالجملة فإن ابن هشام أجاد في هذا، وقد ذكر في كتابه مغني اللبيب ضوابط الجملة التفسيرية، وأكثر من ذكر الأمثلة عليها من القرآن[٢]، ومما قال في هذا المبحث:

* قال تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[٣] أي أنهم شركاء. وهذا أولى من أن يكون التقدير: تزعمونهم شركاء؛ ولأنه قد جاء في مكان آخر ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾[٤].

* ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ﴾[٥] أي هذا بلاغ، وقد صرح به في ﴿هَذَا

(١) انظر الصاحبي، ص (٤٠٠).

(٢) انظر مغني اللبيب (٢/٤٠٠) وما بعدها.

(٣) سورة القصص، الآيتان: ٦٢، ٧٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٩٤، وتفسير ابن هشام في شرح قصيدة كعب، ص (١٤٨).

(٥) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

﴿بَلاغٌ لِلنَّاسِ﴾[١].

* ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ. نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾[٢] فإن ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ تفسير لقولــه تعالى: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ أي أن المأتيَّ الذي أمركم الله به هو مكان الحرث، ودلالة على أن الغرض الأصلي في الإتيان طلب النسل، لا محض الشهوة[٣].

* الجملة الثالثة التفسيرية، وهي الفضلة الكاشفة لحقيقة ما تليه، وسأذكر لها أمثلة توضحها:

أحدها: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾[٤] فجملة الاستفهام مفسرة للنجوى..

الثاني: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٥] فخلقه وما بعده تفسير لمثل آدم، لا باعتبار ما يعطيه ظاهر لفظ الجملة من كونه قُدِّر جسداً من طين ثم كوِّن، بل باعتبار المعنى، أي إن شأن عيسى كشأن آدم في الخروج عن مستمر العادة وهو التولد بين أبوين.

والثالث: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ. تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[٦] فجملة تؤمنون تفسير للتجارة[٧].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٥٢، وتفسير ابن هشام في مغني اللبيب (٦٣٠/٢).

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٢٢، ٢٢٣.

(٣) مغني اللبيب (٣٩٣/٢).

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٣.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

(٦) سورة الصف، الآيتان: ١٠، ١١.

(٧) مغني اللبيب (٣٩٩/٢).

المبحث الثاني: تفسير ابن هشام القرآن بالسنة

من شروط المفسر أن يطلب التفسير من السنة؛ فإنها شارحة للقرآن موضحة لــه، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١) وقال رسول الله ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»(٢). قال بعض العلماء: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن(٣).

وأوَّل ما دون من التفسير هو هذا النوع، فكان المحدثون يجعلون للتفسير باباً في مصنفاهم، يذكرون فيه ما فسره رسول الله ﷺ بالسند، ثم خُلط هذا النوع بتفسير الصحابة والتابعين وأتباعهم، وصُنّفت فيه المؤلفات، وصار يُعرف بالتفسير بالمأثور، وممن اعتنى بهذا اللون ابن أبي حاتم الرازي، وابن جرير، وابن مردويه، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وسفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج، ويزيد بن هارون، وعبد الرزاق الصنعاني، وآدم بن أبي إياس، وإسحاق بن راهويه، وروح بن عبادة، وسعيد بن منصور، وأبو بكر بن أبي شيبة، وإسحاق بن إبراهيم البستي، وعبد الرحمن بن دحيم، وأحمد بن حنبل، وبقي بن مخلد، وأبو سعيد الأشج، وابن ماجه، ووكيع بن الجراح(٤).

وجاء من بعدهم من المفسرين فاستفادوا من مؤلفات هؤلاء العلماء، إلاَّ

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٨/٤١٠) برقم (١٧١٧٤) وقال محققه: إسناده صحيح. وأخرجه بنحوه أبو داود في السنن (٤/٢٠٠) برقم (٤٦٠٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/٢٨٣) برقم (٦٦٩).

(٣) انظر الإتقان (٢/٤٩٧).

(٤) انظر مقدمة في أصول التفسير، ص (٨٥)، والإتقان (٢/٥٣٨).

أن أغلبهم حذفوا الأسانيد طلباً للاختصار، فوقع الخلط بين الصحيح والضعيف والموضوع، ومن هؤلاء من التزم بذكر الأسانيد من الكتب التي اطلع عليها، مثل ابن كثير الذي عاش في القرن الثامن.

ثم قامت الجامعات في العالم الإسلامي المعاصر ففكر بعض أساتذها وطلاها بتتبع ما صح من تفسير رسول الله ﷺ وجمعه وترتيبه على الآيات والسور، ونقد إسناده ومتنه، وكذلك ما صح عن الصحابة والتابعين وأتباعهم، والبحث عن المخطوطات في هذا النوع وإخراجها للناس، فأعاد هؤلاء الباحثون للتفسير بالأثر شيئاً من مكانته، ولعل هذه الجهود المباركة تستمر إن شاء الله، فتعود مكانة التفسير بالأثر إلى ما كانت عليه من قبل(١).

وأما ابن هشام فصناعة النحو غلبت عليه، إلاَّ أن له ميلاً وعناية بالحديث، ظهرت في استشهاده بالحديث على مسائل في النحو، في جميع مؤلفاته.

وتفسير الآيات بما جاء عن رسول الله ﷺ جاء في مؤلفاته أيضاً، إلا أنه قليل بالنسبة لاستشهاده على مسائل النحو بالحديث، فمن ذلك قوله:

* قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾(٢) رُوي أنها لما نزلت سأل رسول الله ﷺ جبريل عنها، فقال: لا أدري حتى أسأل، فمضى ثم رجع، فقال: يا محمد إن ربك أمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك(٣).

---

(١) وقد خرج طائفة من تلك الجهود، منها بعض الكتب التي ألفها أو حققها، أو أشرف عليها، أو شارك فيها، شيخنا الأستاذ الدكتور حكمت بن بشير بن ياسين وفقه الله تعالى.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٣) شرح قصيدة كعب بن زهير، ص (٢٧٣، ٢٧٤) والحديث أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/٣٣٠) بسند فيه انقطاع. وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣/١٥٣). وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٣٨) عن الشعبي. وهو مرسل كما قال السيوطي في الإتقان (٢/٥٥٠)، وذكر ابن حجر في الفتح (٨/٣٠٦) أن ابن مردويه وصله من

*** مسألة: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[1] هل ما يقوله بعض الناس من أنَّ المراد بالنعيم الماء البارد، منقول مَن كتب التفسير ؟.**

الجواب: النعيم أعم من ذلك، والماء البارد من جملته، وفي الحديث «أوّل ما يُسأل العبد يوم القيامة، عن النعيم، أن يقال له: ألم أصح جسمك، وأروك من الماء البارد» رواه الترمذي في سننه[2].

المبحث الثالث:

تفسير ابن هشام القرآن بأقوال الصحابة والتابعين

الصحابة – رضي الله عنهم – هم تلاميذ محمد ﷺ، وهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وعلى هذا فتفسيرهم للقرآن، إمَّا أن يكون بناءً على ما سمعوه وفهموه من رسول الله ﷺ، أو يكون على مقتضى لسان العرب، الذي هم أعلم الناس به، فالأخذ بما ثبت عنهم في تفسير القرآن متحتم لمن أراد سلوك المنهج الصحيح في تفسيره. نعم متحتم؛ لما شاهدوه من نزول القرآن؛ ولما اختصوا به من الأحوال؛ ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح[3].

وأما التابعون، فإن غالب علمهم أخذوه عن الصحابة؛ ولذلك رجع

= حديث جابر وغيره، وحكم على سند الطبري في الكافي الشاف (٤/٦٦) بأنه منقطع.

(١) سورة التكاثر، الآية: ٨.

(٢) أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن، ص (٢٩، ٣٠) والحديث أخرجه الترمذي في سننه (٥/٤٤٨) ح (٣٣٥٨)، والحاكم في المستدرك (٤/١٥٣، ١٥٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص: صحيح. وقال الألباني – في صحيح سنن الترمذي (٣/١٣٤) -: صحيح.

(٣) انظر مقدمة في أصول التفسير، ص (٩٣).

كثير من الأئمة إلى أقوالهم[(١)]، وهذا بعد ثبوت النقل عنهم أيضاً.

والعلامة ابن هشام، لا يخفى عليه أهمية الأخذ بتفسير الصحابة والتابعين؛ ولهذا نجده يذكر أقوالهم فيما نثره من تفسير في مؤلفاته، إلاّ أنها على طريقة أكثر المتأخرين من المفسرين من تجريدها من الإسناد، وعدم التمييز بين الثابت وغيره.

وقد لاحظت عليه أنه يدافع عن أقوال الصحابة، ويجعلها حجة على غيرهم، وهذا مسلك سوي.

وأما أقوال التابعين فربما نقد بعضها، وأبدى استغرابه لما هو غريب منه، لكن ذلك بأدب جم، ومما قال في هذا المبحث:

* وويل كلمة تقال لمن يستحق الهلكة، كقوله تعالى: ﴿وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾[(٢)] وعن علي رضي الله تعالى عنه الويح باب رحمة، والويل باب عذاب[(٣)].

* قولـــه تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾[(٤)] أي تجري لينة سريعة حيث أراد. قاله ابن عباس، رضي الله عنه[(٥)].

---

(١) انظر المرجع السابق، ص (٩٧).

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٧.

(٣) شرح قصيدة كعب، ص (٤٠) وهذا الأثر لم أقف على إسناده، وأورده السيوطي في الدر (٨٢/١) ونسب إخراجه لأبي نعيم في دلائل النبوة، والكتاب مطبوع لكن لسوء فهارسه لم أهتد إلى موضعه، ويشهد لصحته ما جاء عن الرسول ﷺ أنه قال: «ويل واد في جهنم» رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي. وبما ثبت أن الرسول قال: «ويح عمار» رواه جماعة منهم البخاري. وأيضاً لغة العرب شاهدة بصحة ما ذكر. انظر مستدرك الحاكم (٦٣٩/٤)، وصحيح البخاري (٥٤١/١) برقم (٤٤٧)، ومفردات الراغب، ص (٥٣٥) (ويل).

(٤) سورة ص، الآية: ٣٦.

(٥) شرح قصيدة كعب، ص (١١٠) والأثر أخرج آخره ابن جرير في جامع البيان (٢٠٣/٢١) =

* ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[1]... قال ابن عباس وغيره: لو قالوا نعم لكفروا[2]. ووجهه أن (نعم) تصديق للمخبر بنفي أو إيجاب؛ ولذلك قال جماعة من الفقهاء، لو قال: أليس لي عليك ألف؟ فقال: بلى. لزمته، ولو قال: نعم لم تلزمه. وقال آخرون: تلزمه فيهما، وجروا في ذلك على مقتضى العرف، لا اللغة[3].

* قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾[4] أي لا تبرز للشمس. ورأى ابن عمر - رضي الله عنه - رجلاً محرماً قد استظل، فقال له: إضح لمن أحرمت له[5].

*... ولا تختص الرؤيا بمصدر الحلمية، بل تقع مصدراً للبصرية - خلافاً للحريري وابن مالك - بدليل ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾[6] قال ابن عباس: هي رؤيا عين[7].

= من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهو سند حسن انظر التفسير الصحيح (٤/٢٢٥) وأخرج ابن جرير أيضاً بعضه عن قتادة بسند حسن. جامع البيان (٢١/٢٠٢).

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٢) وهذا الأثر لم أقف عليه مسنداً، وذكره السمين في عمدة الحفاظ (١/٢٦٥)، وفي الدر المصون (٥/٥١٢) وقال فيه: هكذا ينقلونه عن ابن عباس - رضي الله عنه - وفيه نظر إن صح عنه؛ وذلك أن هذا النفي صار مقرَّراً، فكيف يكفرون بتصديق التقرير ؟.

(٣) مغني اللبيب (١/١١٣)، وانظر في هذه المسألة الفقهية المجموع شرح المهذب (٢٠/٣٠٨، ٣٠٩).

(٤) سورة طه، الآية: ١١٩.

(٥) شرح قصيدة كعب، ص (٢٤٤) والأثر أخرجه ابن أبي شيبة في الكتاب المصنف (٣/٢٨٥) برقم (١٤٢٥٣) بسند صحيح.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.

(٧) أوضح المسالك (٢/٤٦) والأثر أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨/٣٩٨) ح (٤٧١٦) عن ابن عباس.

المسألة الثالثة: ذهب علي – رضي الله عنه – ومن وافقه إلى أن المراد بـ﴿الْعَادِيَات﴾[١] الإبل التي يحج عليها، وأن المراد (بجمع) المزدلفة لاجتماع الناس بها[٢]، وذلك أن من عدا أهل مكة كانوا بعرفات، لأنها موقف الأنبياء عليهم السلام، وكان المكيون يقفون بمزدلفة، ويقولون: نحن خدام الحرم، فلا نتجاوزه إلى الحِلّ، فإذا أفاض الواقفون بعرفة، اجتمعوا معهم في مزدلفة، فأمر الله تعالى المكيين بالوقوف بعرفة بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾[٣] أي: من عرفات.

وزعم الأكثرون[٤] أن المراد بالعاديات: خيل الغزاة، واستدلوا بثلاثة أمور:

أحدها: أن الخيل هي التي تقدح النار بحوافرها إذا صادفت الحجارة، بخلاف أخفاف الإبل. والثاني: أن الضبح صوت يخرج من أجواف الخيل لا الإبل. والثالث: أن النقع غبار الحرب.

وأُجيب بأن الإبل إذا أجهدت نفسها في السير سُمع لها صوت يشبه الضبح، وثار لها غبار يشبه النقع، ودفعت الحجارة بعضها في بعض، فأورت النار، وبأن الحجاج لما كانوا يقولون: أشرق ثبير كيما نُغير، واحتجوا بأن السورة مدنية نزلت بعد وقعة بدر، ولم يكن معه في تلك الواقعة إلا فرسان، فرس للزبير، وفرس للمقداد[٥].

---

(١) من قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً﴾ سورة العاديات، الآية: ١.

(٢) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (٥٥٩/٢٤) عن علي بسند فيه أبو صخر الخراط. قال فيه ابن حجر: صدوق يهم من السادسة. انظر تقريب التهذيب الترجمة رقم (١٥٤٦) وانظر تهذيب التهذيب (٤١/٣).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٩.

(٤) قول الأكثرين أخرجه الحاكم عن ابن عباس – في المستدرك (٥٨١/٢) – بسند قال عنه الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(٥) شرح قصيدة كعب، ص (٢٣٥، ٢٣٦).

*** قولــه تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[1]... عن جعفر الصــادق - رضي الله عنه - أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق، قيل: وليس في التَّنــزيل آية أجمع لمكارم الأخلاق منها[2].**

*** قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾[3]... الضمير في ﴿أَنشَأْنَاهُنَّ﴾ قال قتادة: راجع إلى الحور العين المذكورات قبل[4]. وفيه بعد؛ لأن تلك قصة قد انقضت جملة[5].**

*** قولــه تعالى: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾[6]... قالوا[7]: الساهرة وجه الأرض... ومن الغريب قول قتادة: الساهرة جهنم؛ لأنها لا نوم فيها[8].**

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٢) شرح قصيدة كعب، ص (٢٧٤) وهذا الأثر لم أقف على إسناده، وأورده أبو حيان في البحر المحيط (٤/٤٤٥)، ويبدو أن ابن هشام أخذه من هنالك، أو من الكشاف، فإنه فيه (٢/١١١)، وقال ابن حجر في فتح الباري (٨/٣٠٦): وروي عن جعفر الصادق، قال: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها.

(٣) سورة الواقعة، الآية: ٣٥.

(٤) قول قتادة أخرجه - بمعناه - عبد الرزاق في تفسير القرآن (٢/٢٧١) بسند صحيح. وأخرجه الطبري في جامع البيان (٢٣/١١٩) وبه بدأ تفسير الآية.

(٥) شرح شذور الذهب، ص (٣٢، ٣٣) وانظر تفصيل الأقوال في الفصل الثالث، سورة الواقعة.

(٦) سورة النازعات، الآية: ١٤.

(٧) ضمير الفاعل يعود على المفسرين. وأقوالهم في جامع البيان (٢٤/١٩٧- ١٩٩).

(٨) تخليص الشواهد، ص (٤١١) وقول قتادة أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٤/١٩٩) بسند فيه تدليس سعيد بن أبي عروبة، وفيه محمد بن مروان العقيلي، قال الحافظ: صدوق له أوهام. انظر التقريب رقم (٢٣٦٥) ورقم (٦٢٨٢) والمعروف عن قتادة مثل قول الجمهور، أخرجه عنه عبد الرزاق في تفسير القرآن (٢/٣٤٦) بسند صحيح، كما قال شيخنا في التفسير الصحيح (٤/٥٨٧).

المبحث الرابع: ابن هشام يذكر أسباب النُّزول

أسباب النُّزول طريق قوي لفهم معاني القرآن الكريم، وبعض الآيات لا يمكن معرفة تفسيرها إلاَّ بالوقوف على قصتها، وبيان نزولها، مثل قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[1] فلو أُخذ بظاهر اللفظ لاقتضى أن المصلي لا يجب عليه استقبال القبلة، وهو خلاف الإجماع، فلما عُرف سبب نزولها، وأنها في نافلة السفر، أو فيمن صلى بالاجتهاد، وبان له الخطأ[2].

ومن ذلك قوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾[3] الآية، فإن ظاهرها لا يقتضي فرض السعي بين الصفا والمروة، وقد ردّت أم المؤمنين عائشة على من فهم ذلك[4].

واحتج بعضهم على حِل الخمر بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾[5] ولو علم سبب نزولها، وأنها في رفع الجناح على من مات وهو يشربها قبل أن تحرم[6]، ما قال: إنها حلال.

وبكل حال فمعرفة الأسباب لـــها أهمية كبرى، لا تنحصر فيما ذُكر، وليس هذا موضع بسطها؛ ولهذا أفردها العلماء بالتأليف من فجر الإسلام، حتى

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٥.

(٢) انظر أسباب النُّزول، ص (٣٧، ٣٨)، والعجاب في بيان الأسباب (١/٣٦٢)، والصحيح المسند من أسباب النُّزول، ص (٤).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

(٤) انظر صحيح البخاري (٨/١٧٥) حديث رقم (٤٤٩٥)، وصحيح مسلم (٢/٩٣٠) تحت رقم (١٢٧٧).

(٥) سورة المائدة، الآية: ٩٣، وانظر الدر المنثور (٢/٣٢١، ٣٢٢).

(٦) انظر صحيح البخاري (٨/٢٧٨) حديث رقم (٤٦٢٠).

زمن السيوطي، وبعده أيضاً، وأشهرها تداولاً بين الباحثين كتابان:

أحدهما: أسباب النُّزول للإمام الواحدي.

والثاني: لباب النقول في أسباب النُّزول للسيوطي.

وأحسن بعض المعاصرين بأن جمع ما صح في ذلك[1]، على أنه يمكن أن يزاد عليه عند استقصاء أسباب النُّزول الصحيحة.

وقد ذكر العلاَّمة ابن هشام بعض أسباب النُّزول – الصحيحة – وجعلها حجة له في الرد على بعض العلماء، في بعض مسائل النحو[2].

وذكر طائفة أُخرى، بعضها ليس نصاً في سبب نزول الآية، وبعضها لا يثبت، وهذا فيما وقفت عليه، ولا أدعي على ابن هشام أن هذا منهاجه في جميع ما ذكر، ومما قال ابن هشام في هذا المبحث:

* وأمية هذا[3] كان قد قرأ الكتب، فعلم منها أنه أظلَّه زمانُ نبي فترجَّى أن يكون هو، فضمَّن أشعاره المواعظ والحكم، وذكر الحشر، فلمَّا بعث الله محمداً ﷺ حسده، فكذبه، فيُقال إن فيه نزل ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا...﴾[4].

(١) أعني الشيخ مقبل بن هادي الوادعي – رحمه الله – في كتابه (الصحيح المسند من أسباب النُّزول).

(٢) انظر أول مثال في المبحث الخامس، من هذا الفصل.

(٣) يعني أمية بن أبي الصلت الشاعر.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٧٥. وتفسير ابن هشام في تخليص الشواهد، ص (٤١٢)، وهذا السبب أخرجه النسائي في التفسير (٥٠٨/١) بإسناد صحيح إلى عبد الله بن عمرو. وكذلك أخرجه الطبري في التفسير (٢٥٥/١٣، ٢٥٦)، وأخرج عبد الرزاق في التفسير (٢٤٣/٢) عن قتادة أنه قال: اختلفوا فيه يقول بعضهم: بلعم، ويقول بعضهم: أمية بن أبي الصلت. قلت: السببان أخرجهما الطبري والنسائي والواحدي موقوفان، وذكرهما =

*** قولـــه تعالى: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً فَأَثَرْنَ﴾[١]... يُقال: إنها كانت سرية لرسول الله ﷺ إلى بني كنانة، فأبطأ عليه خبرها، فجاء به الوحي إليه[٢].**

*** قولـــه تعالى: ﴿لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[٣]... قيل (أو) بمعنى الواو، ويؤيده قول المفسرين: إنها نزلت في رجل أنصاري طلّق امرأته قبل المسيس وقبل الفرض[٤].**

❋ ❋ ❋

= الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢٥) وقال رجالهما رجال الصحيح.

وذكر ابن كثير القولين – في تفسيره (٢/٢٦٥، ٢٦٦) – ثم عقب على القول الذي ذكره ابن هشام بقوله: وقد رُوي من غير وجه عنه، وهو صحيح إليه وكأنه إنما أراد أن أمية بن أبي الصلت يشبهه فإنه كان قد اتصل إليه علم كثير، ولكنه لم ينتفع بعلمه.

وأقول: لعل من قال نزلت في بلعم، أو قال نزلت في أمية أراد أن ما وقع منهما يصلح تفسيراً ومثالاً لما ذكر الله في هذه الآية. والله أعلم.

(١) سورة العاديات، الآيتان: ٣، ٤.

(٢) شرح شذور الذهب، ص (١٤٨) وانظر الكلام على هذا السبب في الفصل الثالث عند سورة العاديات.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٦.

(٤) مغني اللبيب (١/٦٦) وهذا السبب أورده البغوي في معالم التّنزيل (١/٢١٧) بدون سند ولا نسبة، وابن حجر في العجاب (١/٥٩٦) ونسبه إلى مجاهد، وذكر فيه قصة رفعها، و لم أقف على سنده إلى مجاهد، فإن ثبت إلى مجاهد فهو مرسل. وذكر ابن حجر – أيضاً – الحديث المرفوع في الكافي الشاف، ص (٢١) وقال: لم أجده.

المبحث الخامس:

يجعل ابن هشام قول السلف حجة على الخلف

كم هو جميل أن نجد نحوياً – من مدرسة الإمام ابن جني[1] التي أخذت بمجموع المنخول من آراء نحاة الكوفة ونحاة البصرة – يرجع إلى أقوال السلف من صحابة وتابعين، فيجعلها حجة على الخلف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك))[2]. وقال أيضاً: ((إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جبر فإنه كان آية في التفسير))[3].

نعم العلامة ابن هشام لـــه مواقف تذكر فيشكر، في هذا وما شابهه، فإنه لم يؤخذ عليه أنه طعن في قراءة متواترة، بل تجده – كما في الفصل الثالث – يقف جبلاً أمام من يطعن في القراءات، وله عبارة جميلة – مع أنه قد سُبق إليها – يرددها كثيراً في مؤلفاته (القراءة سنة متبعة)[4].

ويحتج كثيراً بالأحاديث على مسائل النحو، وما ذلك إلاَّ ثقة منه بنقلتها، وأنهم أدوها كما سُمعت من رسول الله ﷺ. في حين يقف طائفة كبيرة من أئمة النحو موقف الشاك من وصول الأحاديث إلينا باللفظ الذي قاله من أوتي

---

(١) انظر مقدمة ابن خلدون، ص (٥١٦).

(٢) مقدمة في أصول التفسير، ص (٩٣).

(٣) المرجع نفسه، ص (٩٧).

(٤) انظر – على سبيل المثال – شرح قطر الندى، ص (٢٤٥)، وشرح شذور الذهب، ص (٢٦٥).

جوامع الكلم ﷺ [١]، فعدلوا عن ذلك إلى كلام من يبول على رجليه من الأعراب، ونقلوا عن طائفة أُخرى منهم بأسانيد أوهى من بيت العنكبوت.

لا أقول هذا طعناً في أئمة حملت مفتاح شريعة الإسلام، وهم الحسنات العظام، التي تغطي على تلك الهنات وما يُقال، ولكن ذكرت هذا لأُبين أن أبا محمد ابن هشام قد فارقهم في الأمرين، فلم يرد القراءات المتواترة[٢]، واحتج بما ثبت من الحديث على قواعد النحو، وله في ذلك سلف من النحويين، وعلى رأسهم بدر الدين بن مالك، الذي يقول – في الاحتجاج لجواز الفصل بين المتضائفين:

وعمدتي قراءة ابن عامر   وكم لها من عاضد وناصر[٣]

وإليك أمثلة على تمسك ابن هشام بأقوال السلف، وجعلها حجة على الخلف، فهو يقول:

* قول بعضهم في ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[٤] إنَّ الوقف على ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ وإنَّ ما بعده إغراء ليفيد صريحاً مَطلوبيَّة التَطوف بالصفا والمروة، ويرده أن إغراء الغائب ضعيف... والذي فسَّرت به عائشة – رضي الله عنها – خلاف ذلك، وقصتها مع عروة بن الزبير – رضي الله تعالى عنهم – في ذلك مسطورة في صحيح البخاري[٥].

---

(١) انظر السير الحثيث إلى الاحتجاج بالحديث (١/٩١، ٩٢)، وموقف النحاة من الاحتجاج بالحديث، ص (٦، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩١، ١٩٢، ٣٦٧، ٣٦٨).

(٢) انظر دراسات لأسلوب القرآن (١/٣٤- ٤٣) (١/٤٩- ٨٥) لترى رد بعض النحاة واللغويين لبعض القراءات المتواترة، وقد شاركهم غيرهم، ولكن هم المتولون كبره.

(٣) انظر شرح الكافية الشافية (٢/٩٧٩).

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

(٥) مغني اللبيب (٢/٥٥٠) والحديث الذي أشار إليه ابن هشام تقدم تخريجه في المبحث الرابع من هذا الفصل.

* ولا تختص الرؤيا بمصدر الحلمية، بل تقع مصدراً للبصرية، خلافاً للحريري وابن مالك بدليل ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾[1] قال ابن عباس: هي رؤيا عين[2].

* قوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[3] أي مستقبلات لعدتهن. كذا فسَّره جماعة من السلف[4]. وعليه عوَّل الزمخشري[5] ورده أبو حيان توهماً منه أن الخاص لا يحذف، وقال: الصواب أن اللام للتوقيت، وأن الأصل لاستقبال عدتهن، فحذف المضاف[6]، أهـ. وقد بينَّا فساد تلك الشبهة[7].

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.

(٢) أوضح المسالك (٢/٤٦) وتقدم تخريج أثر ابن عباس في المبحث الثالث من هذا الفصل.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ١.

(٤) هذا الذي يفهم من قراءتهم الآية قراءة تفسيرية، فقد جاء عن بعضهم أنه قرأها (فطلقوهن لقبل عدتهن) ومنهم من قرأ (فطلقوهن في قبل عدتهن). انظر تفسير القرآن لعبد الرزاق (٢/٢٩٦)، وجامع البيان (٢٣/٤٣٣)، وتفسير القرآن العظيم (٤/٣٧٩)، والدر المنثور (٦/٣٣٠).

(٥) انظر الكشاف (٤/١٠٧).

(٦) انظر البحر المحيط (٨/٢٧٧).

(٧) مغني اللبيب (٢/٤٤٩).

المبحث السادس: ابن هشام ينظر إلى السياق عند تفسير القرآن

النظر إلى السياق مهم للمفسِّر، وما من مفسِّر إلاَّ وهو مضطر إليه، وهم بين مقل ومكثر، وأكثر من رأيت يحتج به الإمام ابن جرير الطبري، في جامع البيان، وتبعه – على الإكثار – ابن عطية وابن كثير، إلاَّ أهما دون ابن جرير في الترجيح بالسياق عند ورود الاختلاف. ولا ننسى الإمام الراغب فإنه ممن استعمله في كتابه (المفردات) فتصيد المعاني من السياق[١].

وقد ذكر العلاَّمة الزركشي السياق، وجعله أحد الأمور التي ترشد إلى المعنى المقصود، عند ورود الإشكال، فقال: ((الرابع: دَلالة السياق، فإنها ترشد إلى تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظراته، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[٢] كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير))[٣].

أقول: إن العلاَّمة ابن هشام أدرك أهمية هذا الجانب، فأكثر من استعماله فيما فسَّره – من خلال مؤلفاته – فتراه يصرح أن سباق اللفظ، أو الآية، أو لحاقهما يدل على المعنى المراد، وأحياناً يُجمل، فيقول: والسياق يقتضيه، وهو غالباً يلجأ إليه عند الإشكال، كما في قصة أصحاب الكهف[٤] وغيرها، ومما قال في ذلك:

* قولـــه تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً﴾[٥] أي كمن هداه الله،

(١) انظر البرهان (١/٢٩١).

(٢) سورة الدخان، الآية: ٤٩.

(٣) البرهان في علوم القرآن (٢/٢٠٠، ٢٠١).

(٤) انظر مغني اللبيب (٢/٦٥٥).

(٥) سورة فاطر، الآية: ٨، وتفسير ابن هشام في مغني اللبيب (١/١٤).

بدليل ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[1].

* وقد خرَّج عليه[2] أبو البقاء ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[3] فقال: من زائدة، وشيء في موضع المصدر، أي تفريطاً... وعلى هذا فلا حجة في الآية لمن ظنَّ أن الكتاب يحتوي على ذكر كل شيء صريحاً[4].

قلت: وكذا لا حجة فيها لو كان شيء مفعولاً به؛ لأن المراد بالكتاب اللوح المحفوظ، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[5] وهو رأي الزمخشري[6]، والسياق يقتضيه[7].

* قوله تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ. أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾[8] أي دروعاً سابغات، فحذف الموصوف، مع أن الصفة لا تختص به، ولكن تقدم ذكر الحديد أشعر به[9].

* قولــه تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾[10] أي لولا أنتم صددتمونا عن الهدى؛ بدليل أن بعده ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾[11].

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٨.

(٢) على المفعول المطلق. انظر مغني اللبيب (٣٢٢/١).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٤) التبيان في إعراب القرآن (٤٩٣/١).

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٦) انظر الكشاف (١٢/٢).

(٧) مغني اللبيب (٣٢٣/١).

(٨) سورة سبأ، الآية: ١٠، ١١.

(٩) شرح قصيدة كعب، ص (٧٢).

(١٠) سورة سبأ، الآية: ٣١.

(١١) سورة سبأ، الآية: ٣٢، وتفسير ابن هشام في شرح قطر الندى، ص (١٢٥، ١٢٦).

المبحث السابع:

ابن هشام يُفَسِّر مُشْكِلَ القرآن وينقل أقوال العلماء فيه

هناك بعض آيات من الذكر الحكيم، أشكلت، وقد انتدب لتفسير ما يظهر فيها من إشكال الراسخون في العلم، وعلى رأسهم ابن عباس – رضي الله عنه – ومن جاء بعده من العلماء.

وذكر ابن النديم من المؤلفات فيها: (ضياء القلوب في معاني القرآن وغريبه ومشكله) للفضل بن سلمة، و(معاني القرآن وتفسيره ومشكله) لعلي بن عيسى الوزير[1]. وذكر السيوطي أن لقطرب تصنيفاً في مشكل القرآن وموهم الاختلاف والتناقض[2].

ومما وصل إلينا (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة، وهو كتاب قيم، لولا أن مؤلفه أزرى ببعض القراء السبعة، ورد قراءهم المتواترة [3] ؟!. و(فوائد مشكل القرآن) لسلطان العلماء العز بن عبد السلام، و(تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء...) لشيخ الإسلام، و(وضح البرهان في مشكلات القرآن) وقد نظرت فيه كثيراً فما رأيت اسمه يطابق مسمّاه.

و(مشكلات القرآن) للكشميري[4]، وهو أحد المعاصرين.

والعلاّمة ابن هشام ألـمَّ بشيء مما يدخل تحت هذا الباب، فأجاب هو

---

(١) انظر الفهرست، ص (٣٤).

(٢) انظر الإتقان (٢/٧٥).

(٣) انظر تأويل مشكل القرآن، ص (٥٩) وما بعدها، وعجبتُ من أن يوافقه على هذا الباطل أحمد صقر.

(٤) انظر مقدمة سيد رضوان لتحقيقه فوائد في مشكل القرآن، ص (١٥).

بنفسه عن بعض الإشكالات، ونقل إجابة بعض العلماء في طائفة أُخرى، وهو في تفسير ما أشكل إعرابه من القرآن، وحل إشكال القراءات أبرع منه في حل إشكالات التفسير[1]، ومن أمثلة ما ذكر في هذا المبحث قوله:

* يُحمل ثبوت الاعتذار[2]، مع مجيء ﴿لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾[3] على اختلاف المواقف، كما جاء ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾[4] ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾[5].

* وقوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾[6] أي وليخـــش الذين إن شارفوا وقاربوا أن يتركوا، وإنما أَوَّلنا الترك بمشارفة الترك لأن الخطاب للأوصياء، وإنما يتوجه إليهم قبل الترك؛ لأنهم بعده أموات، ومثله ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾[7] أي حتى يشارفوا رؤيته ويقاربوها؛ لأن بعده ﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[8] وإذا رأوه ثم جاءهم لم يكن مجيئه لهم

---

(١) انظر الفصل الثالث.

(٢) جاء في آيات أن الكفار يعتذرون يوم القيامة، منها قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ. رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠٦، ١٠٧.

(٣) سورة التحريم، الآية: ٧.

(٤) سورة الرحمن، الآية: ٣٩.

(٥) سورة الصافات، الآية: ٢٤، وتوفيق ابن هشام في مغني اللبيب (٤٨١/٢) ومقصود بقوله: (كما جاء.. إلخ) أن الآيتين الأخيرتين تُحملان على اختلاف المواقف يوم القيامة أيضاً.

(٦) سورة النساء، الآية: ٩.

(٧) سورة الشعراء، الآية: ٢٠١.

(٨) سورة الشعراء، الآية: ٢٠٢.

بغتة وهم لا يشعرون، ويحتمل أن تحمل الرؤية على حقيقتها، وذلك على أن يكونوا يرونه فلا يظنونه عذاباً مثل ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾[١] أو يعتقدونه عذاباً، ولا يظنونه واقعاً بهم، وعليهما فيكون أخذه لهم بغتة بعد رؤيته[٢].

واختلف في ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[٣] فقال الفراء: بل يزيدون، هكذا جاء في التفسير مع صحته في العربية[٤].

وقال بعض الكوفيين: بمعنى الواو[٥].

وللبصريين فيها أقوال: قيل: للإبهام. وقيل: للتخيير، أي إذا رآهم الرائي تخير بين أن يقول: هم مئة ألف أو يقول: هم أكثر، نقله ابن الشجري عن سيبويه[٦]، وفي ثبوته عنه نظر؛ ولا يصح التخيير بين شيئين الواقع أحدهما. وقيل: هي للشك مصروفاً إلى الرائي، ذكره ابن جني[٧].

وهذه الأقوال – غير الأقوال بأنها بمعنى الواو – مقولة في ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[٨] ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[٩].

---

(١) سورة الطور، الآية: ٤٤.

(٢) مغني اللبيب (١/٢٦١، ٢٦٢).

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٤٧.

(٤) انظر معاني القرآن (٢/٣٩٣).

(٥) انظر الإنصاف في مسائل الخلاف (٢/٤٧٨).

(٦) انظر الأمالي (٣/٧٧، ٧٨).

(٧) انظر الخصائص (٢/٤٦١).

(٨) سورة النحل، الآية: ٧٧.

(٩) سورة البقرة، الآية: ٧٤، وتفسير ابن هشام في مغني اللبيب (١/٦٤، ٦٥).

المبحث الثامن: ابن هشام يذكر أحكام القرآن

أحكام القرآن ثلث علوم القرآن؛ لأن أصل علوم القرآن ثلاثة: التوحيد، والتذكير، والأحكام[1]، بل قد قال بعض العلماء: معظم آي القرآن لا تخلو عن أحكام مشتملة على آداب حسنة، وأخلاق جميلة، ثم من الآيات ما صرح فيه بالأحكام، ومنها ما يؤخذ بطريق الاستنباط، إما بلا ضم إلى آية أُخرى... وإما به[2].

وقال السيوطي: آيات القصص والأمثال وغيرها يُستنبط منها كثير من الأحكام[3].

قلت: فعلى هذا آيات الأحكام أكثر مما اشتهر أنها خمسمائة آية.

ولأهمية هذا العلم، أوسعه علماء التفسير بحثاً، فمنهم من اعتنى بذكره في تفسيره[4]. وأفرده آخرون بالتأليف، منهم علي بن حجر السعدي (ت: ٢٤٤)، وإسماعيل بن إسحاق الأزدي (ت: ٢٨٢)، وعلي بن موسى بن يزداد (ت: ٣٠٥)، والطحاوي (ت: ٣٢١– وكتابه مطبوع)، وأبو بكر الجصاص (ت: ٣٧٠)، والكيا الهراسي (ت: ٥٠٤)، والقاضي ابن العربي (ت: ٥٤٣)، وابن الفرس المالكي (ت: ٥٩٩)، وقبل هؤلاء جميعاً الإمام الشافعي، فيما جمعه عنه البيهقي، وكل هؤلاء تعرف مؤلفاتهم باسم (أحكام القرآن)، ثم القرطبي (ت: ٦٧١) في كتابه الجامع لأحكام القرآن، ثم السيوطي (ت: ٩١١) في

---

(١) انظر الإتقان (٢/٣٥٦، ٣٦٠).

(٢) المصدر السابق (٢/٣٦٠).

(٣) المصدر السابق (٢/٣٦٠).

(٤) ممن اعتنى بالأحكام القصاب في كتابه (نكت القرآن) – وسيخرج قريباً إن شاء الله – وابن عطية في المحرر الوجيز، والشنقيطي في أضواء البيان.

كتابه الإكليل في استنباط التّنـــزيل [١]، ثم تتابع العلماء على التأليف في هذا الفن وآخر ما وقفت عليه (أحكام القرآن) للعلاّمة محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – أتى فيه بما لم يُسبق إليه من الفوائد، وفاجأه الأجل قبل أن يتمه.

أما الإمام ابن هشام فعلاقته بالفقه متينة؛ فهو كان يُقرئ الحاوي الصغير – في فقه الشافعية – أحسن قراءة، وحفظ مختصر الخرقي في فقه الحنابلة[٢]، وتقلب بين ثلاثة مذاهب. ولم يتعمّد فيما ذكر من آيات الأحكام الاستنباط، ولكن صناعته التي برع فيها تقوده أحياناً إلى ذكر شيء مما قد خاض فيه العلماء، إلاّ أنه بصير بما ينقل، وبنسبة الأقوال إلى أصحابها، ذاكراً أقوال الإمام الشافعي، وربما ذكر الأحناف، فإلى بعض الأمثلة، حيث يقول:

* عطف الاسمية على الفعلية وبالعكس. فيه ثلاثة أقوال: أحدها الجواز مطلقاً. والثاني المنع مطلقاً. والثالث يجوز في الواو فقط... وأضعف الثلاثة القول الثاني، وقد لهج به الرازي في تفسيره[٣]، وذكر في كتابه في مناقب الشافعي[٤] – رضي الله عنه – أن مجلساً جمعه وجماعة من الحنفية، وأنهم زعموا أن قول الشافعي (يحل أكل متروك التسمية) مردود بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾[٥] فقال: فقلت لهم: لا دليل فيها، بل هي حجة للشافعي؛ وذلك لأن الواو ليست للعطف؛ لتخالف الجملتين بالاسمية والفعلية، ولا

---

(١) انظر الإتقان (٢/٣٦٠)، وكشف الظنون (١/٢٠)، ومباحث في علوم القرآن، ص (٣٧٧) وأكثر هذه المؤلفات وصل إلينا، وهي معروفة للباحثين.

(٢) انظر المقصد الأرشد (٢/٦٧).

(٣) صرح في مناقب الشافعي، ص (٥٣٦) أنّه لا يجوز عطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية إلاّ لضرورة، كما في آية القذف.

(٤) انظر منه (ص/٥٣٥- ٥٣٨).

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

للاستئناف؛ لأن أصل الواو أن تربط ما بعدها بما قبلها، فبقي أن تكون للحال؛ فتكون جملة الحال مقيدة للنهي، والمعنى لا تأكلوا منه في حالة كونه فسقاً، ومفهومه جواز الأكل إذا لم يكن فسقاً، والفسق قد فسَّره الله تعالى بقوله: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾[1] فالمعنى لا تأكلوا منه إذا سمي عليه غير الله، ومفهومه كُلوا منه إذا لم يُسَم عليه غير الله. انتهى ملخصاً موضحاً. ولو أبطل العطف لتخالف الجملتين بالإنشاء والخبر لكان صواباً[2].

* مسألة: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾[3] بماذا تتعلق اللام؟ وما معنى عودهم لما قالوا؟

الجواب: اختلف في متعلق اللام على قولين. أحدهما: أنّه يعودون، وعلى هذا (ما) مصدرية، مثلها في قوله تعالى: ﴿بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[4] واختلف في ذلك المصدر على قولين. أحدهما: أن يؤول بالمفعول مثله في قولهم (درهم ضرب الأمير) و(ثوب نسج اليمن) فالتقدير: ثم يعودون للنساء المقول فيهن لفظ الظهار، وهذا قول جمهور العلماء[5]. والثاني: أنه غير مؤول، وهو قول أهل الظاهر فتجب عندهم الكفارة بتكرير العبارة[6].

والقول الثاني: من قولي متعلق اللام أنه التحرير، والتقدير: والذين يظاهرون ثم يعودون فعليهم تحرير رقبة؛ لأجل ما قالوه من الظهار، نُقل ذلك

---

(١) سورة الأنعام، الآية، ١٤٥.

(٢) مغني اللبيب (٢/٤٨٥، ٤٨٦).

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٣.

(٤) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٥) انظر أحكام القرآن للجصاص (٥/٣٠٥)، وأحكام القرآن لابن العربي (٤/١٧٥٢، ١٧٥٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/٢٨٠، ٢٨١).

(٦) انظر المحلى (١٠/٤٩- ٥٢).

عن الأخفش[١]. و(ما) على هذا القول إما مصدريَّة أو موصول اسمي، ويرد هذا القول أن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها إلاَّ في باب (أمَّا) نحو ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ﴾[٢] وأن المصدر لا يعمل فيما قبله، ولو كان ظرفاً، وأن التحرير للقول والعود، لا للقول فقط[٣].



(١) نقله عنه مكي في مشكل إعراب القرآن (٢/٧٢٢) وليس نص كلامه في كتابه معاني القرآن (٢/٧٠٥، ٧٠٦) هكذا، ولكن يُفهم منه ذلك.

(٢) سورة الضحى، الآية: ٩.

(٣) أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن، ص (٢٠، ٢١).

المبحث التاسع: ابن هشام ينقل عن المفسرين، وينتصر لهم ويستدرك ويرجح

دأب المفسرون على النقل عمن تقدم؛ وذلك أن علم التفسير واسع، يحتاج من يؤلف فيه إلى الرواية، وعلوم العربية بأنواعها المختلفة، والفقه والأصول وغير ذلك.

وهناك مؤلفات في التفسير تكاد تكون أصولاً لأخرى، منها الكشف والبيان للثعلبي، والمحرر الوجيز لابن عطية، والكشاف للزمخشري. فالأول أصل لمعالم التَّنـــزيل للبغوي، وللباب التأويل للخازن، والثاني أصل للجامع لأحكام القرآن، ثم أصبح الجامع أصلاً لفتح القدير، ثم أصبح فتح القدير أصلاً لفتح البيان في مقاصد القرآن. والثالث أصل لكتب كثيرة، منها أنوار التَّنـــزيل وأسرار التأويل، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم.

والثاني والثالث أصلان للبحر المحيط، لكن أبا حيان نص على ذلك في مقدمة تفسيره.

وليس معنى هذا أن تلك المؤلفات مجرد نقل؛ فإن كل مفسر متأخر، جاء بما لم يأت به المتقدم، وله إضافات ومميزات ينفرد بها؛ وذلك أنهم جميعاً علماء لهم حظ من المنقول والمعقول.

أما استدراك المتأخر على المتقدم – من المفسرين – فهي ظاهرة واضحة، وهي دليل على أن مؤلفي التفسير، ليسو مجرد نقلة، جامدين على أقوال من سبقهم، لا يتدبرون كتاب الله، الذي أمر الله بتدبره بقولـــه: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[1].

(١) سورة ص، الآية: ٢٩.

وهذه الظاهرة الصحية الصحيحة نتيجة لسنة كونية حتمية، جعلها الله في أولي الألباب، فقال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[١].

وأذكر مثالاً لتوضيح مسألة الاستدراك، فالإمام الطبري – رحمه الله – نقل عن أبي عبيدة، وعن الفراء، وعن الأخفش، وعن غيرهم، واستدرك عليهم أشياء، وجاء ابن عطية الأندلسي الغرناطي فنقل عن الطبري نقولات كثيرة، واستدرك عليه في أكثر من مائتي موضع، حظيت بدراسة أحد الباحثين، في رسالة دكتوراه. وجاء العلامة الفقيه الشهيد ابن جُزَيّ، فجعل من أصوله – في تأليف التسهيل– المحرر الوجيز، واستدرك على ابن عطية في مواضع، دُرست ونُشرت. وأما ابن هشام فنقل عن طائفة من المفسرين، والمعربين للقرآن، والموجهين لقراءاته.

أما أشهر المفسرين الذين نقل عنهم ابن هشام، فطائفة من مفسري الصحابة والتابعين، كعلي وابن عباس وقتادة، وغيرهم من المتقدمين[٢]. ثم أشهر من نقل عنهم ابنُ هشام – ممن دوَّن تفسير هؤلاء – إمامان، هما ابن جرير الطبري والثعلبي[٣].

وأوسع ابن هشام النقل عن جماعة من المفسرين، برعوا في صناعته، منهم مكي والزمخشري وابن عطية والعكبري وأبو حيان[٤]. وغالب نقله عن هؤلاء في إعراب القرآن.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٧٦.

(٢) انظر المبحث الثالث من هذا الفصل.

(٣) انظر مغني اللبيب (٢/٣٦٤) (١/١٩٠).

(٤) انظر المرجع السابق (٢/٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٤، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٣، ٤٤٥، ٤٤٨، ٤٨٣، ٤٩٣)، (١/١٧٧، ٢٢٨، ٢٤٧، ٢٩٦، ٣٠٦).

أما نقله عن الموجهين للقراءات، فنقل عن جماعة، على رأسهم أبو علي الفارسي، وتلميذه ابن جني[1].

واستدرك على كل هؤلاء، وانتصف لبعضهم من بعض، وغالب استدراكاته عليهم، ومحاكماته بينهم، إنما هي في نحو القرآن.

ويمكن أن تنظر شيئاً من ذلك في الفصل الثالث، من هذا البحث، ومما يُذكر – هاهنا – قوله:

* وقد يمتنع كونها[2] للزجر نحو ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ. كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾[3] إذْ ليس قبلها ما يصح رده.

وقول الطبري[4] وجماعة[5] إنه لما نزل في عـــدد خزنة جهنم ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[6] قال بعضهم: اكفوني اثنين وأنا أكفيكم سبعة عشر، فنزل ﴿كَلَّا﴾ زجراً لـــه، قول متعسف؛ لأن الآية لم تتضمن ذلك[7].

* تنبيه:نيابة (أل) عن الضمير في نحو (حسن الوجه) من حيث هو الضمير، لا من حيث هو مضاف إليه، وربما توهم من كلامهم الثاني، وقد استحسن ذلك الزمخشري، حتى جوَّز نيابتها عن المضاف إليه المظهر، فقال في

---

(١) انظر المرجع السابق (١/٢٢٢).

(٢) الضمير يعود على (كلاّ).

(٣) سورة المدثر، الآيتان: ٣١، ٣٢.

(٤) في جامع البيان (٢٨/٢٤، ٢٩، ٣٢) نحو هذا، وليس نصه، نعم الطبري قال: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿كَلَّا﴾ ليس القول كما يقول من زعم أنه يكفي أصحابه المشركين في خزنة جهنم.

(٥) انظر تفسير القرآن للسمرقندي (٣/٤٢٢، ٤٢٣)، والمحرر الوجيز (١٦/١٦١، ١٦٣)، والتفسير الكبير (٣٠/١٨٣).

(٦) سورة المدثر، الآية: ٣٠.

(٧) مغني اللبيب (١/١٩٠).

قولــه تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ﴾[(١)] إن الأصل أسماء المسميات[(٢)] ولا أعلم أحداً قال بهذا قبل، والمشهور في الآية الكريمة قولان.

أحدهما: أن الأصل مسميات الأسماء، ثم حذف المضاف، وعاد الضمير من ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى﴾[(٣)] كما عاد على المضاف المحذوف في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ﴾[(٤)] الأصل: أو كذي ظلمات يغشاه.

الثاني: أن الأسماء أُريد بها المسميات، فلا حذف البتة[(٥)].

* ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[(٦)] ومعناه – فيما قاله المفسرون – أفلم يعلم[(٧)]، وهي لغة النَّخَع وهوازن، قال سحيم[(٨)]:

أقول لهم بالشعب إذْ يأسرونني   ألم تيأسوا أني ابن فارس زَهدم

أي: ألم تعلموا، ويؤيده قراءة ابن عباس (أفلم يتبين)[(٩)] وعن الفراء

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣١.

(٢) انظر الكشاف (٦٢/١).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣١.

(٤) سورة النور، الآية: ٤٠.

(٥) شرح قصيدة كعب، ص (١٢٩، ١٣٠).

(٦) سورة الرعد، الآية: ٣١.

(٧) انظر جامع البيان (٤٥٠/١٦)، ومعاني القرآن وإعرابه (١٤٩/٣)، ومعاني القرآن الكريم (٤٩٧/٣)، والنكت والعيون (١١٣/٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (٩٤/٣)، ومعالم التّنزيل (٢٠/٣)، والوسيط (١٧/٣) وثبت عن ابن عباس تفسير الآية بهذا كما في جامع البيان، ونص البغوي على أنه قول أكثر المفسرين، وقال النحاس: وأكثر أهل اللغة على هذا القول. وقال السمعاني أكثر أهل المعاني على ذلك.

(٨) البيت في مجاز القرآن (٣٣٢/١) وفي معاني القرآن وإعرابــه (١٤٩/٣)، وفي لسان العرب (٤٣٢/١٥) (يأس)، وتأويل مشكل القرآن، ص (١٩٢).

(٩) وهي قراءة شاذة. انظر مختصر في شواذ القرآن، ص (٦٧)، والمحتسب (٣٥٧/١) وقد ذكر ابن جني ومن قبله النحاس إنها مفسرة للقراءة المتواترة.

إنكار كون ييأس بمعنى يعلم[1]، وهو ضعيف[2].

* وليس من تأكيد الاسم قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا . وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[3] خلافاً لكثير من النحويين؛ لأنه جاء في التفسير أن معناه دكاً بعد دك، وأن الدك كُرِّرَ عليها حتى صارت هباء منبثاً[4]، وأن معنى ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ أنه تَنْزِل ملائكة كل سماء فيصطفون صفاً بعد صف محدقين بالجن والإنس[5]، وعلى هذا فليس الثاني فيه تأكيداً للأول، بل المراد به التكرير، كما يقال: علمته الحساب باباً باباً[6].

* أورد المفسرون البيت على الصواب عندما تكلموا على تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾[7] فقالوا: الساهرة وجه الأرض وأنشدوه[8].

* قال الطبري - في قوله تعالى -: ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ ﴾[9] معناه أهنالك، وليست ثم التي تأتي للعطف، انتهى. وهذا وهم اشتبه عليه (ثَمَّ)

(١) انظر معاني القرآن (٢/٦٤).

(٢) شرح قطر الندى، ص (٦٣، ٦٤).

(٣) سورة الفجر، الآيتان: ٢١، ٢٢.

(٤) انظر معالم التنزيل (٤/٤٨٥)، وزاد المسير (٩/١٢١)، ولباب التأويل (٤/٢٤٦).

(٥) انظر جامع البيان (٢٤/٤١٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (٦/٢٢٢) وثبت هذا التفسير عن قتادة. انظر التفسير الصحيح (٤/٦٣٠).

(٦) شرح قطر الندى، ص (٢٩٢).

(٧) سورة النازعات، الآية: ١٤.

(٨) تخليص الشواهد، ص (٤١١) والبيت هو:

وفيها لحم ساهرة وبحر   وما فاهوا به لهم مقيم

وممن ذكر هذا المعنى وأنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢/٢٨٥)، والفراء في معاني القرآن (٣/٢٣٢)، والماوردي في النكت (٦/١٩٦)، والطبري في جامع البيان (٢٤/١٩٨) مقتصراً على الشطر الأول.

(٩) سورة يونس، الآية: ٥١.

المضمومة الثاء بالمفتوحتها[١].

* وقد اجتمعت التعدية بالباء والتضعيف في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾[٢] وزعم الزمخشري أن بين التعديتين فرقاً، فقال: لما نُزِّل القرآن منجماً، والكتابان جملة واحدة، جيء بنزّل في الأول وأنزل في الثاني[٣]... ويشكل على الزمخشري قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾[٤] فقرن نزل بجملة واحدة، وقولـــه تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا﴾[٥] وذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾[٦] الآية، وهي آية واحدة[٧].

* قول الجماعة في قولـــه تعالى: ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾[٨] إن فيه حذف مضافين، والمعنى: علمت ضعفاء الجن أن لو كان رؤساؤهم. وهذا معنى حسن إلاّ أن فيه دعوى حذف مضافين لم يظهر الدليل عليهما، والأولى أنّ (تبين) بمعنى وضح، وأنْ وصلتها بدل اشتمال من الجن، أي وضح للناس أن الجن لو كانوا إلخ[٩].

---

(١) مغني اللبيب (١/١١٩).

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ٣، ٤.

(٣) انظر الكشاف (١/١٧٤).

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٦٨.

(٧) مغني اللبيب (٢/٥٢٤).

(٨) سورة سبأ، الآية: ١٤.

(٩) مغني اللبيب (٢/٥٥٤).

المبحث العاشر:

ابن هشام يرد الإعراب الذي يترتب عليه فساد المعنى

الإطلاع على إعراب الآية – إفراداً وتركيباً – أمر لا بد منه؛ لأن الإعراب يميز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين.

وقد جاء عن بعض الصحابة والتابعين ما يبين أن تعلم هذه الصناعة وإتقانها مطلوب؛ لفهم كتاب الله تعالى على الوجه الصحيح[1]؛ ولهذا انتدب له طائفة من علماء الإسلام فألفوا فيه الكتب المطولة والمتوسطة والمختصرة، الفراء والأخفش والزجاج والنحاس ومكي والمنتجب الهمداني والعكبري والسمين والسفاقسي، غير من ذكره في تفسيره فأبدى فيه وأعاد، الزمخشري وابن عطية وأبو حيان.

وأما ابن هشام فمن فحول هذا الميدان، وقد خص بعض الآيات بمؤلفات لطيفة، إلاَّ أنها صغيرة جداً[2]، وأعظم منها فائدة ونفعاً ما بثه في كبرى مؤلفاته النحوية، فقد أتى بالعجب في ذلك، ولا أبالغ إن قلت: إنها لا تمر صفحة من مؤلفاته النحوية دون إيراد آية، أو جملة منها، والاحتجاج بها على مسألة نحوية، وإعرابها إعراباً قد لا تجد طائفة كبيرة منه، عند من تقدم ذكرهم.

وحتى الآن لا أعلم أن طالباً – لا من التفسير ولا من النحو – قد انبرى لاستعراض مؤلفات ابن هشام واستخراج إعراب القرآن منها، وترتيبه على السور والآيات، والتعليق عليه بما يستحق، فيكون بذلك قد أخرج كتاباً ينتفع به المفسرون والنحويون، وأبرز جهود عالم له الفضل على الفريقين.

ولا أدل على أهمية هذه الناحية – في كتب ابن هشام – من أن السيوطي

---

(١) انظر فضائل القرآن لأبي عبيد، ص (٣٤٩، ٣٥٠)، والإتقان (٤٨٨/١).

(٢) منها أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن، ومسألة الحكمة في تذكير (قريب).

(وهو من علماء النحو) قد عول عليها في بعض أبحاثه في كتابه الإتقان في علوم القرآن[١]، مصرحاً بالنقل عن ابن هشام. وأغلب الظن أن الزركشي قد استفاد من ذلك في كتابه البرهان[٢]، إلاَّ أنه لم يصرح بالنقل عن ابن هشام.

وما أذكره في الأمثلة التالية، ما هو إلاَّ على قاعدة واحدة، من قواعد عدة، نثرها ابن هشام في مؤلفاته.

أكتفي بإيراد مقدمة ابن هشام لهذه القاعدة، فإنه قال: الجهة الأولى[٣]: أن يراعي ما يقتضيه ظاهر الصناعة، ولا يراعي المعنى، وكثيراً ما تزل الأقدام بسبب ذلك، وأوّل واجب على المعرب، أن يفهم معنى ما يعربه، مفرداً أو مركباً؛ ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور على القول بأنها من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه[٤]. ثم ذكر أمثلة كثيرة لهذه القاعدة المهمة، منها قوله:

* قال الله تعالى: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾[٥] أجمعت السبعة على رفعه، وقرئ شاذاً بالنصب[٦]، وإنما يترجح الرفع في ذلك؛ لأنه الأصل، ولا مرجح لغيره. وليس منه قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾[٧]؛ لأن تقدير تسليط الفعل على ما قبله إنما يكون على حسب المعنى المراد، وليس المعنى هنا أنهم فعلوا كل شيء في الزبر، حتى يصح تسليطه على ما قبله، وإنما المعنى وكل

---

(١) انظر منه (٤٨٩/١، ٤٩١).

(٢) انظر منه (٣٠٢/١) تجد كلام ابن هشام وأمثلته.

(٣) من الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها.

(٤) مغني اللبيب (٥٢٧/٢، ٥٢٨).

(٥) سورة الرعد، الآية: ٢٣.

(٦) لم يُذكر خلاف بين السبعة – بل العشرة – في رفع (جنات) و لم أقف على القراءة الشاذة عند ابن خالويه ولا ابن جني.

(٧) سورة القمر، الآية: ٥٢.

مفعول لهم ثابت في الزبر، وهو مخالف لذلك المعنى، فالرفع هنا واجب، لا راجح، والفعل المتأخر صفة للاسم، فلا يصح لـــه أن يعمل فيه[1].

* قولـــه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[2] فـــ(من استطاع) بدل من الناس، هَذَا هو المشهور. وقِيل: فاعل بالحج، أي: ولله على الناس أن يحج مستطيعهم. وقال الكسائي: إنها شرطية مبتدأ، والجواب محذوف، أي: من استطاع فليحج، ولا حاجة لدعوى الحذف مع إمكان تمام الكلام.

والوجه الثاني يقتضي أنه يجب على جميع الناس أن مستطيعهم يحج، وذلك باطل باتفاق، فيتعين القول الأول[3].

* قولـــه تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾[4] فإن المتبادر تعلق (من) بخفت، وهو فاسد في المعنى، والصواب تعلقه بالموالي، لما فيه من معنى الولاية، أي خفت ولايتهم من بعدي وسوء خلافتهم، أو بمحذوف هو حال من الموالي أو مضاف إليهم، أي كائنين من ورائي، أو فعْلَ الموالي من ورائي[5].

* قولـــه تعـــالى: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ﴾[6] فإن المتبادر تعلق (إلى) بـــ(تكتبوه) وهو فاسد؛ لاقتضائه استمرار الكتابة إلى أجل الدين، وإنما هو حال، أي مستقراً في الذمّة إلى أجله.

ونظيره قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾[7] فإن المتبادر انتصاب ﴿مِائَةَ﴾

(١) شرح قطر الندى، ص (١٩٦، ١٩٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٣) شرح قطر الندى، ص (٣٠٩).

(٤) سورة مريم، الآية: ٥.

(٥) مغني اللبيب (٢/٥٣٠).

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

بأماته، وذلك ممتنع مع بقائه على معناه الوضعي؛ لأن الإماتة سلب الحياة، وهي لا تمتد، والصواب أن يُضَمَّن أماته معنى ألبثه، فكأنه قيل: فألبثه الله بالموت مئة عام، وحينئذ يتعلق به الظرف بما فيه من المعنى العارض له بالتضمين، أي معنى اللبث لا معنى الإلباث؛ لأنه كالإماتة في عدم الامتداد، فلو صح ذلك لعلقناه بما فيه من معناه الوضعي، ويصير هذا التعلق بمنـــزلته في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾[1].



(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩، وإعراب ابن هشام في مغني اللبيب (٢/٥٣٠).

المبحث الحادي عشر: ابن هشام يذكر بلاغة القرآن

العرب قوم بلغوا في الفصاحة والبلاغة أعلى الدرجات، فلهم القصيد العجيب، والرجز الفاخر، والخطب الطوال البليغة، والقصار الموجزة، ولهم الأسجاع والمزدوج واللفظ المنثور[1]، وأسواقهم الأدبية التي يجتمعون فيها لسماع هذه الأشياء، والحِكَم لمن يُحْكِمُها مشهورة معروفة، حتى إذا نزل القرآن أخرصهم عن آخرهم، فلم يستطيعوا أن يحاكوه في أقصر سورة من سوره، وقد كانوا أحرص ما يكونون، على إطفاء نوره وإخفاء أمره، فلو كان في مقدرهم معارضته لفعلوا ذلك، قطعاً للحجة، ولم ينقل عن أحد منهم أنه حدث نفسه بشيء من ذلك، ولا رامه، بل عدلوا تارة إلى العناد، وأُخرى إلى الاستهزاء، فقالوا: سحر، وقالوا: شعر، ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[2]، كل ذلك من التحير والانقطاع، ثمَّ نقلهم اليأس عن معارضته إلى تحكيم السيف في أعناقهم، وسبي ذراريهم وحرمهم، واستباحة أموالهم[3]، فثبت عجز القوم الألداء بلا مراء.

ولست بصدد عد أنواع الإعجاز في القرآن، فإن من المعلوم أن إعجازه لم ينحصر في لفظه وتركيبه، وتقديمه وتأخيره، الذي سجد له الكفرة الفجرة.

بل الحديث عن إعجاز القرآن ضرب من الإعجاز[4]؛ لأن إعجازه لا يظهر منه لعلماء زمان جانب، إلاَّ ووراءه جوانب أُخرى، يظهر بعضها لمن بعدهم، بحسب العلوم التي نبغوا فيها، حتى يرث الله الأرض ومن عليها،

(١) انظر الإتقان (٢/٣٢٧).

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٥.

(٣) انظر الإتقان (٢/٣٢٦).

(٤) انظر مباحث في علوم القرآن، ص (٢٥٨).

وصدق الله القـــائل: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[١]، والقائل: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[٢].

وصدق الرسول الأمي، الذي ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه، إذ يقول: «ما من الأنبياء نبي إلاَّ أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»[٣].

وبعد: فالعلاَّمة ابن هشام – رحمه الله – تحدث عن بعض الجوانب من بلاغة القرآن اللفظية، وما رأيته – وليس كل شيء رأيته – لا يعدو أن يكون نتفاً يسيرة، ولعل بعضها استفاده من الزمخشري وغيره، وهو في ذلك معذور؛ لأنه ليس كل من أجاد صناعة النحو يجيد صناعة البلاغة، ثم ليس الكتب التي ألفها ابن هشام، المقام فيها مقام بلاغة؛ ولهذا – والله أعلم – فإنه عندما شرح قصيدة كعب بن زهير – رضي الله عنه – أولى ناحية البلاغة شيئاً من العناية؛ لأن المقام يناسب، ومن الأمثلة على هذا المبحث قول ابن هشام:

* وإنما يحســـن إعادة الظاهر في الجملة الواحدة في مقام التعظيم نحو ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾[٤] والتهويل نحو ﴿الْحَاقَّةُ. مَا الْحَاقَّةُ﴾[٥].

* ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾[٦] وإنما ذكر الليل مع اختصاص الإسراء

---

(١) سورة العنكبوت، الآيتان: ٥٠، ٥١.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/٩) برقم (٤٩٨١).

(٤) سورة الواقعة، الآية: ٢٧.

(٥) سورة الحاقة، الآيتان: ١، ٢، وتفسير ابن هشام في شرح قصيدة كعب، ص (٦١).

(٦) سورة الإسراء، الآية: ١.

به؛ ليشار بتنكيره الدالّ على التقليل والتبعيض إلى أنّه قطع به – عليه الصلاة والسلام – مسافة أربعين ليلة في بعض ليلة، ويؤيده قراءة ابن مسعود وحذيفة – رضي الله عنهما – (من الليل)[1].

* قوله تعالى: ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾[2] فإن (تركبوها) بتقدير لأن تركبوها، وهو علّة لخلق الخيل والبغال والحمير، وجيء به مقروناً باللام لاختلاف الفاعل؛ لأن فاعل الخلق هو الله سبحانه وتعالى، وفاعل الركوب بنو آدم، وجيء بقوله جل ثناؤه: ﴿وَزِينَةً﴾ منصوباً؛ لأن فاعل الخلق والتزيين هو الله تعالى[3].

* وقد اجتمعتا[4] في قوله تعالى: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾[5] ولو جيء بعند فيهما أوبلدن لصح، ولكن ترك دفعاً للتكرار، وإنما حسن تكرار (لدى) في ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾[6] لتباعد ما بينهما، ولا تصلح (لدن) هنا؛ لأنه ليس محل ابتداء[7].

❋ ❋ ❋

(١) شرح قصيدة كعب، ص (١١٢)، والقراءة شاذة، وقد ذكرها الزمخشري في الكشاف (٢/٣٥٠) وكذلك هو السابق إلى هذه النكتة البلاغية.

(٢) سورة النحل، الآية: ٨.

(٣) شرح قطر الندى، ص (٢٢٩).

(٤) (عند) و(لدن).

(٥) سورة الكهف، الآية: ٦٥.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

(٧) مغني اللبيب (١/١٥٦).

المبحث الثاني عشر: ابن هشام يحتج بالشعر العربي على ما يذكره من معانٍ وتفسير

القرآن عربي، ومن أُرسل به عربي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[١]، وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[٢]، وقال: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[٣] وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[٤].

إذاً ألفاظ القرآن عربية، ووجوه المعاني فيه توافق وجوه المعاني عند العرب[٥]، وأعظم هذه المعاني ذيوعاً وانتشاراً ما كان في أشعارهم، وكلما كان المفسر حافظاً هذه الأشعار، عالماً بمعانيها، كلّما كان فتاحاً لهذا الكتاب العظيم، وسؤالات نافع بن الأزرق – التعجيزية – لحبر الأمة ابن عباس – رضي الله عنهما – مشهورة، وجواب ابن عباس عنها، واحتجاجه على ما قال بالشعر العربي مشهور أيضاً[٦].

قال أبو بكر ابن الأنباري: ((قد جاء عن الصحابة والتابعين كثيراً

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٢.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٩٥.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٠٣.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

(٥) انظر مباحث في علوم القرآن، ص (٣٣٣).

(٦) انظرها في كتاب الوقف والابتداء لأبي بكر بن الأنباري، ص (١/٧٦- ٩٩)، وفي الإتقان للسيوطي (١/٣٢٦- ٣٥٧) وقد قال بعض العلماء إنها لا تثبت عن ابن عباس، ورأيت بعضها عند الطبراني من طريق جويبر الكذاب.

الاحتجاجُ على غريب القرآن ومشكله بالشعر، وأنكر جماعة لا علم لهم على النحويين ذلك، وقالوا: إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلاً للقرآن... وليس الأمر كما زعموه من أنا جعلنا الشعر أصلاً للقرآن، بل أردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن، لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[1] وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[2] وقال ابن عباس: الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه»[3].

وأما ابن هشام فمن أهل العربية، الذين يكثرون من الشواهد الشعرية على قواعد النحو، واحتجاجه بالشعر على معاني القرآن وتفسيره موجود في مؤلفاته، لكن لا أستطيع القول: إنه في الكثرة مثل النوع الأول، بل ولا قريب منه، والسبب في ذلك أن مؤلفاته هي في النحو، لا في التفسير ومعاني القرآن، فما جاء من هذا أعطاه بقدره، والله يقول: ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾[4].

ومن الملاحظ على ابن هشام أنه يعوّل في الاحتجاج على معاني القرآن بالشعر الجاهلي، لا بشعر المولدين، ولا حتى بشعر شعراء صدر الإسلام.

ومن الملاحظ أيضاً اعتماده على ما ذكره أصحاب المعاني والمفسرون المعروفون بعنايتهم بهذا الشأن، ومما ذكر في هذا المبحث:

* ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[5] ومعناه... أفلم يعلم وهي لغة النخع

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٩٥.

(٣) انظر كتاب الوقف والابتداء (٦١/١، ٩٩، ١٠٠، ١٠١) ونقله السيوطي في الإتقان (٣٢٦/١).

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٣٦.

(٥) سورة الرعد، الآية: ٣١.

وهوازن، قال سحيم:

أقول لهم بالشعب إذْ يأسرونني   ألم تعلموا أني ابن فارس زَهدم

أي ألم تعلموا[١].

وفيها لحم ساهرة وبحر   وما فاهوا به لهم مقيم

... أورد المفسرون البيت... عندما تكلموا على تفسير قولــه تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾[٢] فقالوا: الساهرة وجه الأرض، وأنشدوه، والمعنى: وفيها لحم بر وبحر[٣].

* قوله تعالى: ﴿لا فِيهَا غَوْلٌ﴾[٤] أي ليس فيها ما يغتال عقولهم، فيذهب بها، قاله أبو عبيدة، وأنشد:

وما زالت الكأس تغتالنا   وتذهب بالأول الأول[٥]

❋❋❋

(١) شرح قطر الندى، ص (٦٢، ٦٤) وتقدم تخريج البيت في المبحث التاسع من هذا الفصل.

(٢) سورة النازعات، الآية: ١٤.

(٣) تخليص الشواهد، ص (٤١١) وتقدم تخريج البيت في المبحث التاسع من هذا الفصل، وذُكر هنالك في الحاشية.

(٤) سورة الصافات، الآية: ٤٧.

(٥) شرح قصيدة كعب، ص (١٤٥، ١٤٦) ويأتي تخريج البيت في المبحث الثالث عشر من هذا الفصل.

المبحث الثالث عشر: ابن هشام يعتني بتفسير غريب القرآن

معرفة تفسير غريب القرآن أس من أُسس التفسير، لا يحل لأحد الإقدام على تفسير كلام الله، بغير معرفة ذلك.

قال الزركشي: قال يحيى بن نضلة المديني سمعت مالك بن أنس يقول: لا أُوتى برجل يفسر كتاب الله، غير عالم بلغة العرب، إلاّ جعلته نكالاً. وقال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله، إذا لم يكن عالماً بلغات العرب[1].

وقال السيوطي: وأولى ما يرجع إليه في ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه، فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة[2]. ثم ساق ما ثبت عن ابن عباس، من طريق علي بن أبي طلحة مرتباً على سور القرآن، في إحدى عشرة صفحة[3].

ويعتمد في هذا الباب ما ثبت في مصنفات الحديث والآثار، عن الرسول ﷺ والصحابة الأطهار، والتابعين الأخيار.

ثم ينظر في الكتب المصنفة في غريب القرآن، وهي كثيرة، ومن أشهرها مجاز القرآن لأبي عبيدة، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة، وغريب القرآن وتفسيره لليزيدي، وتفسير غريب القرآن لابن عزيز السجستاني، وياقوتة الصراط لغلام ثعلب[4]، والمفردات للراغب.

---

(١) البرهان (٢٩٢/١).

(٢) الإتقان (٣١٤/١، ٣١٥).

(٣) انظر المرجع السابق (٣١٥/١- ٣٢٥).

(٤) حققه الأستاذ الدكتور محمد بن يعقوب التركستاني، ونشرته مكتبة العلوم والحكم بالمدينة، ١٤٢٣هـ.

ولا ينسى كتب التفسير، المشهور أصحابها بالتحقيق في هذا الباب، كمعاني القرآن للفراء والزجاج والنحاس، وجامع البيان والمحرر والكشاف والبحر.

وعليه أن يقارن بين الأقوال عند الاختلاف، فيأخذ بما دل عليه الدليل، وبما ثبت عن النقلة الثقات، وما عليه الأكثر، وما لم يظهر له معناه يتوقف فيه، وقدوته في ذلك أبو بكر وعمر وابن عباس.

والعلامة ابن هشام أستاذ محقق في هذا الباب، ولو قصده بتأليف لأوسع لـــه المكان، بين كتب هذا الشأن، ولبلغ رتبة الزمخشري وأبي حيان وقد جاء في ذلك بنتف يسيرة، نثرها في مؤلفاته النحوية، وأكثر ما تجد عنده هو في كتابه (شرح قصيدة كعب بن زهير).

ومما يلحظ أن ابن هشام لا يذكر في غريب القرآن إلاّ قول واضح البيان، ويرد البعيد من الأقوال، ولو كان لتابع الأصحاب، ومما قال في هذا المبحث:

* والغَول بالفتح ما يغتال الشيء ويذهب به، ومنه قولهم الغضب غول الحلم، والحرب غول النفوس، وقوله تعالى: ﴿لا فيهَا غَوْلٌ﴾[1] أي ليس فيها ما يغتال عقولهم، فيذهب بها، قاله أبو عبيدة[2]، وأنشد[3]:

وما زالت الكأسُ تغتالُنا وتذهبُ بالأول الأولِ

وقال الجوهري[4]: المعنى أنه ليس فيها غائلة الصداع، واستدل بقوله تعالى:

---

(١) سورة الصافات، الآية: ٤٧.

(٢) انظر مجاز القرآن (١٦٩/٢).

(٣) البيت في مجاز القرآن (١٦٩/٢)، وفي جامع البيان (٣٧/٢١)، ولسان العرب (١٤٨/١٠)، والصحاح (١٤٥٥/٤) (غول).

(٤) انظر الصحاح (١٤٥٤/٤، ١٤٥٥) (غول) ولم يذكر الجوهري إلاّ آية الواقعة، حسب =

﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾[2].

وقال البخاري في صحيحه [3] – في تفسير الآية –: الغول وجع البطن، انتهى، وهو غريب[4].

* وضاحية: ما ضحيَ منه للشمس، أي برز وظهر، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾[5] أي لا تبرز للشمس[6].

***

= النسخة التي رأيتها من الصحاح.

(1) سورة الواقعة، الآية: ١٩.

(2) سورة الصافات، الآية: ٤٧.

(3) انظر صحيح البخاري – مع الفتح – (٥٤٢/٨).

(4) شرح قصيدة كعب، ص (١٤٥، ١٤٦).

(5) سورة طه، الآية: ١١٩.

(6) شرح قصيدة كعب، ص (٢٤٤).

المبحث الرابع عشر:

ابن هشام يرد على بعض المخالفين لأهل السنة في العقيدة

عناية المفسر بتوضيح الآيات التي تتحدث عن العقيدة على منهج سلف الأمة مطلوب مهم، ومن شروط المفسر صحة الاعتقاد؛ لأنه لا يؤمن إن كان ملحداً في آيات الله أن يبتغي الفتنة، ويغر الناس بليه وخداعه، كالباطنية والرافضة، وإن كان من أصحاب البدع والأهواء، لم يؤمن أن يحمله هواه وبدعته على لي أعناق النصوص، لتوافق هواه وبدعته، كالقدرية والمعتزلة والخوارج والصوفية، فإن أحدهم يصنف الكتاب في التفسير، ومقصوده إيقاع من يقرؤه أو يسمعه في حبال بدعته، ويصده عن اتباع السلف ولزوم طريق الهدى[١].

ومفسرو القرآن على المنهج السوي كثير في المتقدمين؛ لأن الصحابة وكثير من التابعين وأتباعهم أشد الناس بعداً عن مخالفة الحق – ظاهر الكتاب والسنة – ومن المتأخرين ابن جرير والقصاب[٢] والسمعاني والبغوي وابن كثير، ومن المعاصرين القاسمي والسعدي والشنقيطي.

وأما ابن هشام فعنده هذا الاتجاه السوي، فهو في أثناء إعرابه للقرآن، وتفسير بعض آياته يحمل الآيات على الوجه الصحيح، وينبه على بعض التفاسير الخاطئة، ويبيّن الحامل لمن فسرها بذلك، ويرد في إعرابه للقرآن على الزنادقة الذين يضللون الناس عن طريق ذكر بعض أوجه الإعراب الضعيفة، التي تؤدي إلى الطعن في الصحابة[٣].

---

(١) انظر مقدمة في أصول التفسير، ص (٨٦، ٨٧، ٨٨)، والإتقان (٢/٤٩٧، ٤٩٨)، ومباحث في علوم القرآن، ص (٣٢٩، ٣٣٠).

(٢) في كتابه (نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام).

(٣) انظر مغني اللبيب (١/٣١٩).

ومع هذه الحسنات وقع من ابن هشام بعض الهنات، التي لا يكاد يسلم منها نحوي، أو لغوي، وهو التأويل لصفة المجيء، ومما قال في ذاك وهذا قوله:

* مسألة: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾[1] قيل: هذا يقتضي أن الله تعالى يخلق الخير والعبد يخلق الشر ؟ فأُجيب: بأن المعنى – والله أعلم – ما أصابك أيها الإنسان من نعمة فمن الله فضلاً منه عليك، وما أصابك من أمر يسوؤك فمن نفسك، أي فمن ذنب أذنبته، فعوقبت عليه، وليس المراد خلق الخير، ولا خلق الشر[2].

* وقول الفارسي في ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ﴾[3] إنه من باب (زيداً ضربته). واعترضه ابن الشجري[4] بأن المنصوب في هذا الباب شرطه أن يكون مختصاً ليصح رفعه بالابتداء، والمشهور أنه عطف على ما قبله، وابتدعوها صفة، ولا بد من تقدير مضاف، أي وحب رهبانية وإنما لم يحمل أبو علي الآية على ذلك لاعتزاله، فقال: لأن ما يبتدعونه لا يخلقه الله عز وجل[5].

* حذف الاسم المضاف ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾[6] ﴿فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ﴾[7] أي أمره لاستحالة الحقيقي[8].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٩.

(٢) أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن، ص (٣٣).

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٧.

(٤) لم أقف على هذه الآية في الأمالي.

(٥) مغني اللبيب (٥٧٧/٢) وهو باطل؛ إذْ لازمه وجود خالق آخر مع الله، تعالى الله عن ذلك.

(٦) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

(٧) سورة النحل، الآية: ٢٦.

(٨) مغني اللبيب (٦٢٣/٢) وقول ابن هشام إن قُبِل في الآية الثانية، لم يقبل في الآية الأولى، بل المجيء فيها حقيقي، ويُحمل على ما يليق بجلال الله وعظمته، لا نؤوله ولا نكيفه، دل =

المبحث الخامس عشر: ابن هشام يذكر بعض علوم القرآن

علوم القرآن كثيرة جداً، ألف فيها العلماء إفراداً وإجمالاً، وأحسن ما جُمع فيها كتابان. أحدهما: (البرهان في علوم القرآن) للزركشي، ذكر فيه مؤلفه سبعة وأربعين نوعاً، من أنواع علوم القرآن، ثم قال: ((واعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع، إلاّ ولو أراد الإنسان استقصاءه لاستفرغ عمره، ثم لم يحكم أمره))[1]. والثاني: (الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي، ذكر فيه مؤلفه ثمانين نوعاً، من أنواع علوم القرآن، ثم قال: ((فهذه ثمانون نوعاً على سبيل الإدماج، ولو نوعت باعتبار ما أدمجته في ضمنها لزادت على الثلاثمئة، وغالب هذه الأنواع فيها تصانيف مفردة، وقفت على كثير منها))[2].

قلت: ولا يخفى عليك أن مقدمات التفاسير لعلماء التأويل حوت أبحاثاً جميلة، من أنواع علوم القرآن، ولو ندب جماعة من الباحثين أنفسهم لقراءها، وما يمكن من كتب اللغويين والنحاة والبلاغيين، المعروفين – في أبحاثهم – بالاعتماد على القرآن[3]، بالإضافة إلى ما ثبت أن القرآن أشار إليه من حقائق علمية في العلم الحديث، ثم صُنِّف ذلك تصنيفاً علمياً – مع ملاحظة

= على ذلك الكتاب والسنة وقاله سلف الأمة. انظر هذه المسألة في كتاب الرد على الجهمية للدارمي، ص (٤٢)، وكتاب الحجة في بيان المحجة (٢/١٢٤، ٤٦٨)، وشرح حديث النُّزول، ص (١٨٨)، ومختصر الصواعق المرسلة (٢/٤٠٥).

(١) البرهان (١/١٢).

(٢) الإتقان (١/٢١).

(٣) مثل الصاحبي لابن فارس فقد ذكر فيه مؤلفه أبحاثاً من علوم القرآن، ليست في البرهان، ولا في الإتقان، ولم أرها عند غيره من المفسرين.

عدم تكرار شيء مما في البرهان والإتقان، إلاّ ببرهان - لخرج لنا موسوعة في علوم القرآن، تجد مكانها في مكتبة التفسير وعلوم القرآن[1].

وقد ذكر أبو محمد ابن هشام بعضاً من أنواع علوم القرآن، لم يقصد إليه قصداً، ولكن جاء عرضاً، فرمز إليه رمزاً، إلاّ ما كان مختلفاً في وقوعه في القرآن - أعني القلب - فإنه أدلى فيه بشيء من التفصيل، وكأنّه يرى أنّه لا مانع من القول بوقوعه في القرآن[2].

وقد قلت في كتاب لي آخر: الظاهر أن القلب لا يُقال به في كتاب الله؛ لأنه جاء في لغة العرب ضرورة - كما قال أبو حيان - ولأن القائلين بوقوع القلب يجيزونه في بعض الصور والأنواع دون بعض، وفي هذا دليل على ضعف القول بوقوعه في القرآن[3].

وإليك ما وقفت عليه عند ابن هشام في هذا المبحث، فهو يقول:

[١- نزول القرآن][4]

* وإنما قال[5] هو في خطبة الكشاف: (الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظماً[6]، ونزّله بحسب المصالح منجماً)؛ لأنه أراد بالأول أنزله من

---

(١) ذكر أحد الأساتذة أن هذه المسألة دُرست في جامعة الإمام بعنوان (علوم القرآن من خلال مقدمات التفسير. وفي نظري أن ما دعوت إليه، لايزال له متسع، بالضوابط التي ذكرت.

(٢) وللتأكد من اتجاه ابن هشام في هذا انظر كلامه في مغني اللبيب (٦٩٥/٢).

(٣) انظر هذه المسألة في تأويل مشكل القرآن، ص (١٩٨، ٢٠٠)، والصاحبي، ص (٣٢٩)، والمحرر الوجيز (١٥٤/٢)، والبحر المحيط (١٤٧/٢)، والبرهان (٢٨٨/٣).

(٤) ما بين المعكوفين - في كل هذه النماذج - من عندي.

(٥) يعني الزمخشري.

(٦) ولو قال: (الحمد لله الذي أنزل كلامه مؤلفاً منظماً) لخلع ثوب الاعتزال، ولنجى من =

اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وهو الإنزال المذكور في ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[(١)]، وفي قولــه تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾[(٢)]، وأما قول القفال: إن المعنى الذي أنزل في وجوب صومه، أو الذي أنزل في شأنه[(٣)]. فتكلف لا داعي إليه. وبالثاني تنــزيله من السماء الدنيا إلى رسول الله ﷺ نجوماً، في ثلاث وعشرين سنة[(٤)].

[٢- القلب]

* من فنون كلامهم القلب، وأكثر وقوعه في الشعر[(٥)].

وقد اختلف في القلب فريقان: النحويون والبيانيون. أما النحويون فمنهم من خصه للضرورة، وزعم أنه غني عن التأويل، وهذا فاسد؛ إذْ ما من ضرورة إلا ولها وجه يحاوله المضطر، نص على ذلك سيبويه. ومنهم من خصه بالضرورة وشرط التأويل، ومنهم من أجازه في الكلام واحتج بقولــه تعالى: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾[(٦)] والمفاتح لا تنهض بالعصبة متثاقلة، بل العصبة هي التي

= وعيد من قال: ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ سورة المدثر، الآية: ٢٥.

(١) سورة القدر، الآية: ١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٣) القولان مذكوران في بعض كتب التفسير، دون نسبة إلى القفال. انظر النكت (١/ ٢٤٠)، وغرائب التفسير (١/ ١٩٨)، والكشاف (١/ ١١٤)، وزاد المسير (١/ ١٨٧)، والتفسير الكبير (٥/ ٧٣)، وروح المعاني (٢/ ٦١) وجمهور المفسرين على خلاف هذين القولين، وقد ثبت عن ابن عباس ما شرح به ابن هشام كلام الزمخشري. انظر التفسير الكبير (٥/ ٧٢)، والتفسير الصحيح (١/ ٢٨٨).

(٤) مغني اللبيب (٢/ ٥٢٤).

(٥) مغني اللبيب (٢/ ٦٩٥) وذكر للقلب في هذا الكتاب أكثر من مثال من القرآن الكريم.

(٦) سورة القصص، الآية: ٧٦.

تنهض بها متثاقلة...

وأما البيانيون: فاختلفوا في كونه مقبولاً في الكلام الفصيح، فقبله قوم مطلقاً، ورده قوم مطلقاً، وفصّل بعضهم، فقال: إن تضمن اعتباراً لطيفاً قُبل، وإلاَّ فلا[1].

[٣- المناسبة بين بعض السور]

* قوله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾[2] وتعلقها بـ(فليعبدوا) وقيل: بما قبله، أي: فجعلهم كعصف مأكولَ لإيلاف قريش، ورُجّح بأنهما في مصحف أُبي سورة واحدة. وضُعّف بأن جعلهم كعصف إنما كان لكفرهم وجرأتهم على البيت. وقيل: متعلقة بمحذوف تقديره اعجبوا[3].

[٤- الوقف]

* الثاني[4]: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[5] بعد قولـه تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾[6] فإنه ربما يتبادر إلى الذهن أنه محكي بالقول، وليس كذلك؛ لأن ذلك ليس مقولاً لهم.

الثالث: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾[7] بعد قولـه تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾[8] وهي كالتي قبلها. وفي جمال القراء للسخاوي أن الوقف على (قولهم) في الآيتين

(١) شرح قصيدة كعب، ص (٢٤١).

(٢) سورة قريش، الآية: ١.

(٣) مغني اللبيب (٢٠٩/١).

(٤) من الأمثلة للاستئناف الذي قد يخفى.

(٥) سورة يس، الآية: ٧٦.

(٦) سورة يس، الآية: ٧٦.

(٧) سورة يونس، الآية: ٦٥.

(٨) سورة يونس، الآية: ٦٥.

واجب[١]. والصواب أنه ليس في جميع القرآن وقف واجب[٢].

وفي نهاية هذا الفصل أُنبه القارئ الكريم، إلى ثلاثة أشياء:

الأول: لم يرد في هذا الفصل أهم مبحثين عرضهما ابن هشام في مؤلفاته، وأبدى فيهما وأعاد، وأبدع فيهما وأجاد، وهما مبحثا إعراب القرآن وتوجيه قراءاته؛ وذلك أنني قد خصصت الفصل الثالث لهما، فجردتهما من أعظم كتب ابن هشام عناية بهما، ورتبت ما هنالك على سور القرآن وآياته، مع التفسير أيضاً.

الثاني: أن ما ساقه العلامة ابن هشام في مؤلفاته – من هذه المباحث – يختلف قلة وكثرة، فبعض المباحث تستطيع أن تقف لها على أمثلة كثيرة جداً، وبعضها أقل – مع أنه كثير – مع ملاحظة أن عدد الأمثلة المعروضة في كل مبحث ليست – بالضرورة – منبئة عن ذلك؛ لأنني قد أذكر مثالين، أو ثلاثة، مع أن في كتب ابن هشام أكثر، نعم في بعض المباحث لم أجد الأمثلة الكثيرة، وهذا فيما اطلعت عليه من كتبه.

الثالث: أن هناك مباحث قد لا تقل أهمية عما ذُكر، يقف عليها من يتتبع التفسير في كتب العلامة ابن هشام، ومع ذلك لم أذكرها خوفاً من أن يطول البحث؛ ولأني لم أقصد في هذا البحث الحصر والإحاطة، ولكن التنبيه والإشارة.

ومن المباحث التي لم أذكرها:

أنه يحتج على المعنى المراد بقراءة أُخرى، متواترة أو شاذة[٣].

---

(١) انظر جمال القراء (٥٧١/٢).

(٢) مغني اللبيب (٣٨٤/٢) وما قاله ابن هشام صحيح، ويؤيده أن أحداً من علماء الوقف والابتداء قبل السخاوي لم يذكر في أنواع الوقف الوجوب، إذاً فالسخاوي يريد الوقف اللازم، وممن ذكر هذا النوع السجاوندي في علل الوقوف (١٠٨/١– ١١٦) وما أظن ابن هشام ينكر مثل هذا.

(٣) انظر شرح قصيدة كعب، ص (٢١٨)، وشرح قطر الندى، ص (٦٣، ٦٤).

ومنها: أنه نقض أقوالاً قد أُخذت مسلمة[١]، وذكر أُخرى لم يسبق إليها فيما أعلم[٢].

ومنها: أنه يذكر الوجوه والنظائر، فيذكر (اليوم) و(عند) و(الوعد والوعيد) و(الزعم) و (السبيل) – مثلاً – ومعانيها المختلفة[٣].

ومنها: تنظير الآية بمثلها – عندما يكون المعنى فيهما واحداً – كما في منهج ابن كثير في تفسيره[٤].

ومنها: أنه يجعل القراءة حجة على أهل العربية[٥].

ومنها: أنه يفسر بعض الظواهر الكونية تفسيراً علمياً[٦].

ومنها: أنه لا يعدل عن الاستشهاد بالقرآن إذا وجد الشاهد فيه[٧].

ومنها: أنه يجمع بين نصوص الوحيين إذا ظهر بينهما التعارض[٨].

ومنها: أنه شديد الحذر والتوقي عند تفسير القرآن[٩].

ومنها: أنه يؤيد الوجه الذي فيه تبرئة لساحة الصحابة، ورد على الزنادقة[١٠].

---

(١) انظر مغني اللبيب (٥٢٤/٢).

(٢) انظر شرح قصيدة كعب، ص (١١٩، ١٢٠).

(٣) انظر شرح قصيدة كعب، ص (٥٢، ٥٣، ٥٧، ١٤٧، ١٥٤).

(٤) انظر مغني اللبيب (٣٢٣/١)، (٣٩١/٢).

(٥) انظر تخليص الشواهد، ص (١٠٧).

(٦) انظر شرح قصيدة كعب، ص (٢٣٦، ٢٣٧).

(٧) انظر المرجع السابق، ص (١٢٣).

(٨) انظر المرجع السابق، ص (١٦٠).

(٩) انظر شرح قطر الندى، ص (١٤٧).

(١٠) انظر مغني اللبيب (٣١٩/١)، وقد أشرت إليه في المبحث الرابع عشر، ولم أذكر له مثالاً.

الفصل الثالث:

مع ابن هشام في تفسير القرآن وإعرابه وتوجيه قراءاته

من خلال كتابه شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب[١]

● سورة الفاتحة

* فبدل الكل نحو ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ ﴾[٢] فالصراط الثاني هو نفس الصراط الأول. وَبدلَ البعض نَحو ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾[٣]، فـــ(من) في موضع خفض علَى أَنها بدل من (النَّاسِ)، والمستطيع بعضَ الناس، لا كلهم[٤].

● سورة البقرة

* وأم على قسمين: متصلة، ومنقطعة ... فالمتصلة هي المسبوقة إما بهمزة

---

(١) كنت أود أن أذكر في هذا الفصل كل ما قاله ابن هشام في إعراب القرآن وتوجيه قراءاته، إلاّ أن ذلك يؤدي إلى طول هذا الفصل من بين إخوانه، ويؤدي أيضاً إلى تضخيم البحث، فاقتصرت في هذا الفصل على إيراد الإعراب وتوجيه القراءات المصحوبين بالتفسير، على أنني قد ذكرت في الفصل الأول – عند التعريف بكتاب شرح شذور الذهب – أرقام الصفحات التي فيها الإعراب وتوجيه القراءات دون تفسير. وأما التفسير فقد أتيت بكل ما قاله في هذا الكتاب، سواء ما كان مع الإعراب، أو مع توجيه القراءات، أو بدونهما.

(٢) سورة الفاتحة، الآيتان: ٦، ٧. وإذا ذكر المؤلف آيتين أو آيات من سور شتَّى في موضوع واحد، فإنَّ المعتبر في تصنيفها أوَّل آية تُذكر.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٤) شرح شذور الذهب، ص (٤٤٠)، وقد تكلم على الآية التي في سورة آل عمران، في ص (٣٨٤) أيضاً.

التسوية، وهي الداخلة على جملة يصح حلول المصدر محلها، نحو ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾[1] ألا ترى أنه يصح أن يقال: سواء عليهم الإنذار وعدمه[2].

* قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي﴾[3]، ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا﴾[4] أي بأن لهم جنات، لأن المساجد لله[5].

* قولــه تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾[6] فالتقدير أوَّلَ فريق كافر، ولولا ذلك لقيل: أوَّل كافرين، أو التقدير: ولا يكن كل منكم أول كافر، مثل: ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾[7].

* ومثال المبني منها على الفتح (الآن) وهو اسم لزمن حضر جميعه أو بعضه، فالأول نحو قوله تعالى: ﴿الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾[8] وفي هذه الآية حذف الصفة، أي بالحق الواضح، ولولا أن المعنى على هذا لكفروا، لمفهوم هذه المقالة. والثاني نحو قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ﴾[9] وقد تعرب[10].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦.

(٢) شرح شذور الذهب، ص (٤٤٦).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥.

(٤) سورة الجن، الآية: ١٨.

(٥) شرح شذور الذهب، ص (٣٢٤).

(٦) سورة البقرة، الآية: ٤١.

(٧) سورة النور، الآية: ٤، وتقدير ابن هشام في شرح شذور الذهب، ص (٤١٧).

(٨) سورة البقرة، الآية: ٧١.

(٩) سورة الجن، الآية: ٩.

(١٠) شرح شذور الذهب، ص (١٢٧).

* قال تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[(١)] أي في أن يطوف بهما[(٢)].

* ... ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾[(٣)] أي وصيامكم خير لكم[(٤)].

* قولـــه تعالى: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾[(٥)] وأصله قضى الله الأمر، فحُذف الفاعل للعلم به، ورفع المفعول به، وغُيِّر الفعل بضم أوله وكسر ما قبل آخره، فانقلبت الألف ياء[(٦)].

* قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾[(٧)]﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾[(٨)] فيتربصن، ويرضعن فعلان مضارعان في موضع رفع لخلوهما من الناصب والجازم، ولكنهما لَمّا اتصلا بنون النسوة بنيا على السكون، وهذان الفعلان خبريَّان لفظاً طلبيان معنى، ومثلهما (يرحمك الله) وفائدة العدول بهما عن صيغة الأمر للتوكيد والإشعار بأنهما جديران بأن يُتَلَقَّيا بالمسارعة، فكأنهن امتُثلن، فهما مخبر عنهما بموجودين[(٩)].

* ومثال ما يخلفه فعل مع (أن) قولـــه تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾[(١٠)] أي: ولولا أن يدفع الله الناس، أو أن دفع الله الناس.

ومثال ما يخلفه فعل مع (ما) قوله تعالى: ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

(٢) شرح شذور الذهب، ص (٣٢٤).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٤.

(٤) شرح شذور الذهب، ص (١٨٠).

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.

(٦) شرح شذور الذهب، ص (١٦٠).

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

(٨) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.

(٩) شرح شذور الذهب، ص (٦٩).

(١٠) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

أَنفُسَكُمْ﴾[1] أي: كما تخافون أنفسكم...[2].

إعراب ذلك[3] (لولا) حرف يدل على امتناع شيء لوجود غيره، تقول: لولا زيد لأكرمتك، تريد بذلك أن الإكرام امتنع لوجود زيد، و(دفع) مبتدأ مرفوع بالضمة واسم الله مضاف إليه، ولفظه مجرور بالكسرة، ومحله مرفوع؛ لأنه فاعل الدفع، و(الناس) مفعول منصوب بالفتحة، والناصب له الدفع؛ لأنه مصدر حال محل أن والفعل، وكل مصدر كان كذلك فإنه يعمل عمل الفعل، أي: ولولا أن دفع الله الناس، و(بعضهم) بدل بعض من كل، وهو منصوب بالفتحة، وخبر المبتدأ محذوف وجوباً، وكذا كل مبتدأ وقع بعد (لولا)، والتقدير: ولولا دفع الله الناس موجود، والمعنى: لولا أن يدفع الله بعض الناس ببعض لغلب المفسدون وبطلت مصالح الأرض[4].

* وفي التنزيل ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾[5] وهما من أقسط إذا عدل، ومن أقام الشهادة[6].

● سورة آل عمران

* قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[7] والمعنى – والله أعلم – إنكم تجاهدون ولا تصبرون، وتطمعون أن تدخلوا الجنة، وإنما

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢٨.

(٢) شرح شذور الذهب، ص (٣٨٢).

(٣) إعراب الآية الأولى.

(٤) شرح شذور الذهب، ص (٣٦).

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٦) شرح شذور الذهب، ص (٤١٩).

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٤٢.

ينبغي لكم الطمع في ذلك إذا اجتمع مع جهادكم الصبر على ما يصيبكم فيه، فيعلم الله حينئذ ذلك واقعاً منكم. والواو من قوله تعالى: ﴿ولمّا﴾ واو الحال، والتقدير: بل أحسبتم أن تدخلوا الجنة، وحالكم هذه الحالة[١].

● سورة النساء

* قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾[٢] أي: فإن كانت البنات؛ وذلك لأن الأولاد قد تقدم ذكرهم، وهم شاملون للذكور والإناث، فكأنه قيل: أولاً يوصيكم الله في بنيكم وبناتكم، ثم قيل: فإن كن[٣].

* وأل الجنسية قسمان؛ لأنها إما أن تكون استغراقية، أو مشاراً بها إلى نفس الحقيقة، فالأول كقوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[٤] أي كل فرد من أفراد الإنسان، ونحو ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾[٥] أي أن هذا الكتاب هو كل الكتب. إلاّ أن الاستغراق في الآية الأولى لأفراد الجنس، وفي الثانية لخصائص الجنس، كقولك (زيد الرجل) أي الذي اجتمع فيه صفات الرجال المحمودة.

والثاني: نحو ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[٦] أي من هذه الحقيقة، لا من كل شيء اسمه ماء[٧].

---

(١) شرح شذور الذهب، ص (٣١٠).

(٢) سورة النساء، الآية: ١١.

(٣) شرح شذور الذهب، ص (٢٦٠).

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٨.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

(٧) شرح شذور الذهب، ص (١٥٠).

* قال تعالى: ﴿ مَا فَعَلُوهُ إِلا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ﴾[1] قرأ السبعة إلا ابن عامر برفع (قليل)[2] على أنه بدل من الواو في (فعلوه) كأنه قيل: ما فعله إلاَّ قليل منهم. وقرأ ابن عامر وحده (إلا قليلاً) بالنصب[3].

ومثاله في النهي قوله تعالى: ﴿ وَلا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلا امْرَأَتَكَ ﴾[4] قُرِئ بالرفع والنصب[5].

ومثاله في الاستفهام قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾[6] أجمعت السبعة على الرفع[7] على الإبدال من الضمير المستتر في (يقنط) ولو قُرِئ (الضَّالِّينَ) بالنصب على الاستثناء لم يمتنع، ولكن القراءة سنة متبعة[8].

* قال تعالى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ﴾[9] أي: في أن تنكحوهن، أو عن أن تنكحوهن، على خلاف في ذلك بين أهل التفسير[10].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٦.

(٢) انظر إرشاد المبتدي، ص (٢٨٥)، والمبسوط، ص (١٨٠).

(٣) انظر المرجعين السابقين، الصفحتين نفسيهما.

(٤) سورة هود، الآية: ٨١.

(٥) القراءتان متواترتان. انظر المبسوط، ص (٢٤١)، وإرشاد المبتدي، ص (٣٧٢).

(٦) سورة الحجر، الآية: ٥٦.

(٧) لم يُذكر خلاف عن السبعة، بل عن العشرة. انظر المبسوط، ص (٢٦٠)، وإرشاد المبتدي، ص (٣٩٨).

(٨) شرح شذور الذهب، ص (٢٦٥).

(٩) سورة النساء، الآية: ١٢٧.

(١٠) شرح شذور الذهب، ص (٣٢٤)، والقول الثاني ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١١٥/٢)، وذكر القولين الطبري في جامع البيان (٢٦٢/٩- ٢٦٤) ورجح القول الذي ذكره ابن هشام ثانياً.

* فإن قلت فما تصنع في (المقيمين) من قوله تعالى – في سورة النساء –: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾[1] فإنه جاء بالياء، وقد كان مقتضى قياس ما ذكرت أن يكون بالواو؛ لأنه معطوف على المرفوع، والمعطوف على المرفوع مرفوع، وجمع المذكر السالم يرفع بالواو كما ذكرت؟ وما تصنع بـ(الصابئون) من قوله تعالى– في السورة التي تليها–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ﴾[2] فإنه جاء بالواو، وقد كان مقتضى قياس ما ذكرت أن يكون (والصابئين) بالياء؛ لأنه معطوف على المنصوب، والمعطوف على المنصوب منصوب، وجمع المذكر السالم يُنصب بالياء كما ذكرت؟

قلت: أما الآية الأولى ففيها أوجه[3]، أرجحها وجهان: أحدهما: أن (المقيمين) نَصْب على المدح، وتقديره: وأمدح المقيمين، وهو قول سيبويه[4]، والمحققين.

وإنما قُطعت هذه الصفة عن بقية الصفات لبيان فضل الصلاة على غيرها.

وثانيها: أنه مخفوض؛ لأنه معطوف على (ما) في قوله: ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾[5] أي: يؤمنون بالكتب وبالمقيمين الصلاة، وهم الأنبياء. وفي مصحف عبد الله (والمقيمون) بالواو، وهي قراءة مالك بن دينار والجحْدَري، وعيسى الثقفي[6]، ولا إشكال فيها.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٩.

(٣) انظر هذه الأوجه في المحرر الوجيز (٣٠٨/٤، ٣٠٩)، و البحر المحيط (٤١٢/٣).

(٤) انظر كتابه (٦٢/٢، ٦٣).

(٥) من الآية نفسها.

(٦) انظر مختصر في شواذ القرآن، ص (٣٠)، والمحتسب (٢٠٣/١).

وأما الآية الثانية ففيها أيضاً أوجه[1]، أرجحها وجهان. أحدهما: أن يكون (الذين هادوا) مرتفعاً بالابتداء، و(الصابئون والنصارى) عطفاً عليه، والخبر محذوف، والجملة في نية التأخير عمّا في حيِّز (إنَّ) من اسمها وخبرها، كأنه قيل: إن الذين آمنوا بألسنتهم من آمن منهم – أي بقلبه – بالله إلى آخر الآية، ثم قيل: والذين هادوا والصابئون والنصارى كذلك. والثاني: أن يكون الأمر على ما ذكرناه من ارتفاع (الذين هادوا) بالابتداء، وكون ما بعده عطفاً عليه، ولكن يكون الخبر المذكور لـه، ويكون خبر (إنَّ) محذوفاً مدلولاً عليه بخبر المبتدأ، كأنه قيل: إن الذين آمنوا من آمن منهم، ثم قيل: والذين هادوا إلخ.

والوجه الأول أجود؛ لأن الحذف من الثاني لدلالة الأول أولى من العكس. وقرأ أُبي بن كعب (والصابئين) بالياء، وهي مروية عن ابن كثير[2]. ولا إشكال فيها[3].

* وقيل – في ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾[4] –: إن الأصل لئلا تضلوا، فحُذفت اللام الجارة، ولا النافية. وقيل الأصل كراهة أن تضلوا، فحذف المضاف، وهذا أسهل[5].

● سورة المائدة

* وأما المعطوف فكقوله تعالى: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا

---

(١) انظر هذه الأوجه في معاني القرآن وإعرابه (٢/١٩٢– ١٩٤)، والمحرر الوجيز (٥/١٥٧، ١٥٨)، والكشاف (١/٣٥٣، ٣٥٤).

(٢) وهي قراءة شاذة. انظر المحتسب (١/٢١٧)، ونسبتها إلى ابن كثير في البحر (٣/٥٤١) ولا يخرجها ذلك عن الشذوذ.

(٣) شرح شذور الذهب، ص (٥٤، ٥٥).

(٤) سورة النساء، الآية ١٧٦.

(٥) شرح شذور الذهب، ص (٣٢٤).

وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[١] في قراءة من جر الأرجل لمجاورته للمخفوض – وهو الرؤوس – وإنما كان حقه النصب، كما هو في قراءة جماعة آخرين[٢]، وهو منصوب بالعطف على الوجوه والأيدي، وهذا قول جماعة من المفسرين والفقهاء[٣].

وخالفهم في ذلك المحققون، ورأوا أن الخفض على الجوار لا يحسن في المعطوف؛ لأن حرف العطف حاجز بين الاسمين ومبطل للمجاورة، نعم لا يمتنع في القياس الخفض على الجوار في عطف البيان؛ لأنه كالنعت والتوكيد في مجاورة المتبوع، وينبغي امتناعه في البدل، لأنه في التقدير من جملة أُخرى، فهو محجوز تقديراً. ورأى هؤلاء أن الخفض في الآية إنما هو بالعطف على لفظ الرؤوس. فقيل: الأرجُلُ مغسولة لا ممسوحة، فأجابوا على ذلك بوجهين.

أحدهما: أن المسح هنا الغسْل، قال أبو علي: حكى لنا من لا يُتهم أن أبا زيد قال: المسح خفيفُ الغسل، يقال: مسحت للصلاة[٤]. وخُصَّت الرجلان من بين سائر المغسولات باسم المسح ليقتصد في صب الماء عليهما؛ إذ كانتا مظنة الإسراف.

والثاني: أن المراد هنا المسح على الخفين، وجعل ذلك مسحاً للرجل مجازاً، وإنما حقيقته أنه مسحٌ للخف الذي على الرجل، والسنة بينت ذلك.

ويرجح ذلك القول ثلاثة أمور. أحدها: أن الحمل على المجاورة حمل على

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٢) القراءتان متواترتان. انظر المبسوط في القراءات العشر، ص (١٨٤)، وإرشاد المبتدي، ص (٢٩٤، ٢٩٥).

(٣) انظر معاني القرآن وإعرابه (١٥٢/٢، ١٥٣)، والمغني لابن قدامة (١٣٤/١، ١٣٥)، وغرائب التفسير (٣٢١/١).

(٤) انظر الحجة (٢١٥/٣).

شاذ، فينبغي صون القرآن عنه. والثاني: أنه إذا حمل على ذلك كان العطف – في الحقيقة – على الوجوه والأيدي، فيلزم الفصل بين المتعاطفين بجملة أجنبيَّة وهو ﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾ وإذا حمل على العطف على الرؤوس لم يلزم الفصل بالأجنبي، والأصل أنَ لا يفصل بين المتعاطفين بمفرد فضلاً عن الجملة. الثالث: أن العطف على هذا التقدير حمل على المجاور، وعلى التقدير الأول حمل على غير المجاور، والحمل على المجاور أولى.

فإن قلت: يدل للتوجيه الأول قراءة النصب. قلت: لا نسلم أنها عطف على الوجوه والأيدي، بل على الجار والمجرور، كما قال[1]:

يسلكن في نجد وغوراً غائرا[2]

* ومن شواهد الرفع قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾[3] (قال) فعل ماض، و(رجلان) فاعل، والفاعلَ مرفوع، وعلامة الرفع هنا الألف نيابة عن الضمة؛ لأنه مثنى، ومعمول (يخافون) محذوف، أي: يخافون الله، وجملة (أنعم الله عليهما) تحتمل أن تكون خبرية فتكون في موضع رفع على أنها صفة ثانية لرجلان، والمعنى: قال رجلان موصوفان بأنهما من الذين يخافون، وبأنهما أنعم الله عليهما بالإيمان. وتحتمل أن تكون دعائية مثلها في قولك: (جاءني زيد رحمه الله) فتكون معترضة بين القول والمقول، ولا موضع لها كسائر الجمل المعترضة[4].

---

(١) العجاج بن رؤبة، وهذا الرجز في ديوانه (٢/٢٨٨) وهو من شواهد سيبويه في الكتاب (١/٩٤).

ووجه الاستشهاد أنه عطف (غوراً) على الجار والمجرور (في نجد) ومع ذلك نصبها.

(٢) شرح شذور الذهب، ص (٣٣١، ٣٣٢).

(٣) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

(٤) شرح شذور الذهب، ص (٤٤، ٤٥).

* قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[(١)] أي: ألزموا شأن أنفسكم[(٢)].

* قولــه تعالى: ﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ﴾[(٣)] فــ(اثنان) مرفوع إما على أنه خبر المبتدأ، وهو شهادة، وذلك على أن الأصل شهادة بينكم شهادة اثنين، فحُذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه فارتفع ارتفاعه، وإنما قدرنا هذا المضاف؛ لأن المبتدأ لا بد أن يكون عين الخبر نحو (زيد أخوك) أو مشبهاً به نحو (زيد أسد) والشهادة ليست نفس الاثنين ولا مشبهة بهما.

وإما على أنه فاعل بالمصدر، وهو الشهادة، والتقدير: ومما فرض عليكم أن يشهد بينكم اثنان[(٤)].

* وأما قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾[(٥)] فالمعنى: إن يتبين أني كنت قلته[(٦)].

● سورة الأنعام

* وحمل عليه[(٧)] الزمخشري[(٨)] قول الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[(٩)] وذلك؛ لأنه قدر الجملة الاسمية – وهي (الذين) وما بعده – معطوفة على الجملة الفعلية – وهي (خلق)

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠٥.

(٢) شرح شذور الذهب، ص (٤٠١).

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٠٦.

(٤) شرح شذور الذهب، ص (٥٢).

(٥) سورة المائدة، الآية: ١١٦.

(٦) شرح شذور الذهب، ص (٣٣٩).

(٧) على الضمير العائد من الصلة إلى الموصول. شرح شذور الذهب، ص (١٤١).

(٨) في الكشاف (٢/٣).

(٩) سورة الأنعام، الآية: ١.

وما بعده – على معنى: أنه سبحانه خلق ما لا يقدر عليه سواه، ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء.

ولولا أن التقدير: ثم الذين كفروا به يعدلون، كما أن التقدير: سعاد التي أضناك حبها[1]، للزم فساد هذا الإعراب؛ لخلو الصلة من ضمير. وهذا في الآية الكريمة خير منه في البيت؛ لأن الاسم الظاهر النائب عن الضمير – في البيت – بلفظ الاسم الموصوف بالموصول، وهو (سعاد) فحصل التكرار، وهو في الآية بمعناه لا بلفظه.

وأجاز في الجملة وجهاً آخر، وبدأ به، وهو أن تكون معطوفة على ﴿الحمدُ لله﴾ والمعنى: أنه سبحانه حقيق بالحمد على ما خلق؛ لأنه ما خلقه إلاَّ نعمة، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، فيكفرون نعمته[2].

* قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾[3] تقديره: فافعل، والحذف في هذه الآية في غاية من الحسن؛ لأنه قد انضم لوجود الشرطين طول الكلام، وهو مما يحسن معه الحذف[4].

* وربما جاءت[5] دالة على وصف ثابت، كقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي

(١) في قول الشاعر:

سعاد التي أضناك حب سعادا ... وإعراضها عنك استمر وزادا

البيت في شرح الأشموني برقم (٨٢)، وشرح التصريح (١/١٤٠).

(٢) شرح شذور الذهب، ص (١٤٣) وانظر الكشاف (٢/٢، ٣).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٣٥.

(٤) شرح شذور الذهب، ص (٣٤٣).

(٥) يعني الحال.

أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً﴾[١] أي: مبيناً[٢].

* قولـــه تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾[٣] أي: تعالوا فإن تأتوا أتل، ولا يجوز أن يقدر فإن تتعالوا؛ لأن تعال فعل جامد لا مضارع له ولا ماضي، حتى توهم بعضهم أنه اسم فعل[٤].

● سورة الأعراف

* الثاني: أن تكون[٥] زائدة دخولها في الكلام كخروجها فلا تعمل شيئاً نحو ﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ﴾[٦] أي: أن تسجد، بدليل أنه قد جاء في مكان آخر بغيـــر (لا)، وقوله تعالى: ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾[٨].

* وهذان الفعلان[٩] أغرب أفعال الشروع، وطفق أشهرها وهي التي وقعت في التنـــزيل، وذلك في موضعين، أحدهما: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾[١٠] أي: وشرعا يخيطان ورقة على أخرى كما تُخْصَف النِّعال ليستترا بها. وقرأ أبو

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٤.

(٢) شرح شذور الذهب، ص (٢٤٩).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

(٤) شرح شذور الذهب، ص (٣٤٥).

(٥) يعني (لا).

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

(٧) سورة الحديد، الآية: ٢٩.

(٨) سورة الأنبياء، الآية: ٩٥، وتفسير ابن هشام هذا في شرح شذور الذهب، ص (٢٠٩).

(٩) هبَّ، وهلهل.

(١٠) سورة الأعراف، الآية: ٢٢.

السمال العدوي (وطَفَقًا) بالفتح[1]، وهي لغة حكاها الأخفش[2]. وفيها لغة ثالثة، طَبِقَ – بياء مكسورة مكان الفاء – والثاني ﴿فَطَفِقَ مَسْحاً﴾ أي: شرع يمسح بالسيف سوقها وأعناقها مسحاً، أي: يقطعها قطعاً[3].

* وأما قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً﴾[4] فليس (أسباطاً) تمييزاً، بل بدل من (اثنتي عشرة) والتمييز محذوف، أي: اثنتي عشرة فرقة[5].

• سورة التوبة

* قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً﴾[6]... أجاز بعضهم كون (شيئاً) مفعولاً مطلقاً، أي نقصاً ما[7].

• سورة يونس

* قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾[8] الكسرة فيه كسرة إعراب لوجود (أل). وفي الآية إيجاز ومجاز، وتقديرهما: فجعلنا زرعها في استئصاله كالزرع المحصود فكأن زرعها لم يلبث بالأمس، فَحُذف مضافان، واسم كأن، وموصوف اسم المفعول، وأقيم فعيل مقام مفعول؛ لأنه أبلغ منه؛

(١) انظر مختصر في شواذ القرآن، ص (٤٢).

(٢) انظر معاني القرآن (٢/٥١٤).

(٣) شرح شذور الذهب، ص (١٩٢).

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٦٠.

(٥) شرح شذور الذهب، ص (٤٥٩).

(٦) سورة التوبة، الآية: ٤.

(٧) شرح شذور الذهب، ص (٣٥٦).

(٨) سورة يونس، الآية: ٢٤.

ولهذا لا يقال من جُرح في أنملته (جريح)، ويقال له: مجروح[١].

* قول الله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾[٢] أي: فأجمعوا أمركم مع شركائكم، فـ(شركاءكم) مفعول معه، لاستيفائه الشروط الثلاثة، ولا يجوز على ظاهر اللفظ أن يكون معطوفاً على (أمركم)؛ لأنه حينئذ شريك له في معناه، فيكون التقدير: أجمعوا أمركم وأجمعوا شركاءكم، وذلك لا يجوز؛ لأن (أجمع) إنما يتعلق بالمعاني دون الذوات، تقول: أجمعت رأيي، ولا تقول: أجمعت شركائي. وإنما قلت: (على ظاهر اللفظ)؛ لأنه يجوز أن يكون معطوفاً على حذف مضاف: أي وأمر شركائكم، ويجوز أن يكون مفعولاً لفعل ثلاثي محذوف، أي: واجمعوا شركاءكم، بوصل الألف. ومن قرأ (فاجمعوا) بوصل الألف[٣] صحَّ العطف على قراءته من غير إضمار؛ لأنه من (جمع) وهو مشترك بين المعاني والذوات، تقول: جمعت أمري، وجمعت شركائي، قال الله تعالى: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾[٤] ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾[٥]. ويجوز على هذه القراءة أن يكون مفعولاً معه، ولكن إذا أمكن العطف فهو أولى؛ لأنه الأصل[٦].

● سورة هود

* قال أبو بكر ابن مجاهد المقرئ رحمه الله: قُرئ ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِيَ﴾[٧]

(١) شرح شذور الذهب، ص (١٠٢).

(٢) سورة يونس، الآية: ٧١.

(٣) قراءة شاذة. انظر المحتسب (١/٣١٤).

(٤) سورة طه، الآية: ٦٠.

(٥) سورة الهمزة، الآية: ٢.

(٦) شرح شذور الذهب، ص (٢٣٧، ٢٣٨).

(٧) سورة هود، الآية: ٨٠.

بنصب (آويَ)[1] ولا وجه له.

ورد عليه ابن جني في محتسبه[2] وغيره، وقالوا: وجهــها كوجه قراءة أكثر السبعة ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾[3] بالنصب وذلك لتقدم الاسم الصريح، وهو (قوة) فكأنه قيل: لو أن لي بكم قوة أو إيواء إلى ركن شديد[4].

• سورة يوسف

* ومثال ما بني منها[5] على الضم (هَيْتُ) بمعنى هَيَّأت، قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ هَيْتُ لَكَ﴾[6]. وقيل المعنى: هَلُمَّ لك، فـ(لك) تبيينٌ، مثل سَقْياً لك. وقرئ (هَيْتَ) مثلثة التاء[7]، فالكسر على أصل التقاء الساكنين، والفتح للتخفيف، كما في أَيْنَ وكيفَ، والضم تشبيهاً بحَيْثُ. وقرئ (هِئْتُ) بكسر الهاء وبالهمزة ساكنة وبضم التاء[8]، وهو على هذا فعل ماضٍ وفاعل، من هاء يَهاء، كشاء يشاء، أو من هاء يهيء، كجاء يجيء[9].

---

(١) وهي قراءة شاذة. انظر مختصر في شواذ القرآن، ص (٦٠، ٦١) ولم أقف على قول ابن مجاهد بعد البحث.

(٢) (٣٢٦/١) وينظر المحرر (١٩٨/٩)، والبحر (٢٤٧/٥، ٢٤٨).

(٣) سورة الشورى، الآية: ٥١.

(٤) شرح شذور الذهب، ص (٣١٤) وتقدير ابن جني هكذا: لو أن لي بكم قوة أو أُوِيًّا إلى ركن شديد.

(٥) الضمير في (منها) يعود على أسماء الأفعال، انظر ص (١١٦) من شرح شذور الذهب.

(٦) سورة يوسف، الآية: ٢٣.

(٧) قراءة فتح التاء وضمها متواترتان، وقراءة كسر التاء شاذة. انظر المبسوط، ص (٢٤٥) والمحتسب (٣٣٧/١).

(٨) القراءة والتوجيه في المحتسب (٣٣٧/١). وانظر مختصر في شواذ القرآن، ص (٦٣).

(٩) شرح شذور الذهب، ص (١٢٠، ١٢١).

* الحكم الثالث[١]: أنهما لا يكونان جملة، هذا هو المذهب الصحيح. وزعم قوم أن ذلك جائز، واستدلوا بقولــه تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ﴾[٢]، ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾[٣]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾[٤] فجعلوا جملة (ليسجننه) فاعلاً لــ(بدا) وجملة (كيف فعلنا بهم) فاعلاً لــ(تبين) وجملة (لا تفسدوا في الأرض) قائمة مقام فاعل (قيل). ولا حجة لهم في ذلك، أما الآية الأولى فالفاعل فيها ضمير مستتر عائد إما على مصدر الفعل، والتقدير: ثم بدا لهم بداءٌ، كما تقول: بدا لي رأي، ويؤيد ذلك أن إسناد (بدا) إلى البداءِ قد جاء مصرَّحاً به في قول الشاعر[٥]:

بدا لكَ في تلكَ القَلُوصِ بداءُ لعلكَ والموعُودُ حَــقٌّ لقاؤُهُ

وإما على السجن – بفتح السين – المفهوم من قوله تعالى: ﴿ليسجُنُنَّهُ﴾ ويدل عليه قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾[٦] وكذلك القول في الآية الثانية: أي وتبيَّن هو، أي التبين، وجملة الاستفهام مفسِّرة، وأما الآية الثالثة فليس الإسناد فيها من الإسناد المعنوي الذي هو محل الخلاف، وإنما هو من الإسناد اللفظي، أي: وإذا قيل لهم هذا اللفظ، والإسناد اللفظي جائز في جميع الألفاظ، كقول العرب: (زعموا مطية الكذب) وفي الحديث «لا حول

(١) من الأحكام التي يشترك فيها الفاعل والنائب عنه.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٣٥.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٤٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١١.

(٥) نسبه في اللسان (٣٤٧/١) (بدا) إلى الشماخ، وانظر خزانة الأدب (٢١٥/٩)، والمعجم المفصل في شواهد النحو (١٤/١).

(٦) سورة يوسف، الآية: ٣٣.

ولا قوة إلاَّ بالله كنـــز من كنُوز الجنة»[1].

• سورة الرعد

*** قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾[2] أي: بل هل تستوي؛ وذلك لأن (أم) اقترنت بـــ(هل)، فلا حاجة إلى تقديرها بالهمزة[3].**

• سورة الحجر

*** قولـــه عز وجل: ﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[4]... لولا التأكيد لجوَّز السامع كون الساجد أكثرهم...**

مسألة: قال بعض العلماء[5] في قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[6] فائدةُ ذكر (كل) رفع وهم من يتوهم أن الساجد البعض، وفائدة ذكر (أجمعون) رفع وهم من يتوهم أنهم لم يسجدوا في وقت واحد، بل سجدوا في وقتين مختلفين. والأول صحيح، والثاني باطل؛ بدليل قوله تعالى: ﴿لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[7]؛ لأن إغواء الشيطان لهم ليس في وقت واحد، فدل على أن

---

(١) شرح شذور الذهب، ص (١٦٧، ١٦٨) والحديث أخرجه البخاري في صحيحه (٢١٣/١١، ٢١٤) برقم (٦٤٠٩) ومسلم في صحيحه (٢٠٧٦/٤، ٢٠٧٧) تحت رقم (٢٧٠٤).

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٦.

(٣) شرح شذور الذهب، ص (٤٤٧).

(٤) سورة الحجر، الآية: ٣٠.

(٥) نسبه الزجاج – في معاني القرآن (١٧٩/٣) – إلى المبرد، ونسب إلى الخليل وسيبويه أنهما قالا: (أجمعون) توكيد بعد توكيد.

(٦) الآية السابقة.

(٧) سورة الحجر، الآية: ٣٩.

(أجمعين) لا تَعَرُّض فيه لاتحاد الوقت، وإنما معناه كمعنى (كل) سواء، وهو قول جمهور النحويين، وإنما ذكر في الآية تأكيداً على تأكيد، كما قال تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾[١].

* قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾[٢] فعضين مفعول ثان لجعل منصوب بالياء، وهي جمعُ (عِضة)، واختلفَ فيها. فقيل: أصلها (عِضْوٌ)، من قولهم: عضَّيْتُه تعضيةً إذا فرَّقْته، قال رؤبة[٣]:

وليس دينُ الله بالمُعَضَّا

يعني بالمفرق. أي جعلوا القرآن أعضاء، فقال بعضهم: سحر. وقال بعضهم: كهانة. وقال بعضهم: أساطير الأولين. وقيل: أصلها عضهة من العَضَه، وهو الكذب والبهتان، وفي الحديث «لا يعضه بعضكم بعضاً»[٤].

● سورة النحل

* وكونه[٥] مذكوراً هو الأصل... وقد يضمر جوازاً إذا دل عليه دليل مقالي أو حالي، فالأول نحو ﴿قَالُوا خَيْراً﴾[٦] أي أنزل ربُّنا خيراً، بدليل ﴿مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾[٧] والثاني نحو قولك لمن تأهَّب لسفر: (مكةَ)

---

(١) سورة الطارق، الآية: ١٧، وتفسير ابن هشام هذا في شرح شذور الذهب، ص (٤٢٩، ٤٣١، ٤٣٢).

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩١.

(٣) البيت في مجموع أشعار العرب، ص (٨١)، وفي لسان العرب (٩/٢٦٤) (عضه).

(٤) شرح شذور الذهب، ص (٥٩- ٦١) والحديث أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، ص (٧٩) وقال الشيخ الألباني – في صحيح الجامع الصغير (٢/١٢٧٨) –: صحيح.

(٥) يعني الفعل الذي ينصب المفعول.

(٦) سورة النحل، الآية: ٣٠.

(٧) سورة النحل، الآية: ٣٠.

بإضمار تريد[1].

* وأما اللام فلها أربعة أقسام. أحدها: اللام التعليلية، نحو ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾[2]، ومنه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً . لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[3] فإن قلت: ليس فتح مكة علة للمغفرة. قلت: هو كما ذكرت، ولكنه لم يُجعل علة لها، وإنما جعل علة لاجتماع الأمور الأربعة للنبي ﷺ. وهي المغفرة، وإتمام النعمة، والهداية إلى الصراط المستقيم، وحصول النصر العزيز، ولا شك في أن اجتماعها له – عليه السلام – حصل حين فتح الله تعالى مكة عليه. وإنما مثلت بهذه الآيـــة، لأنها قد يخفى التعليل فيها على من لم يتأملها.

الثانية: لام العاقبة، وتسمى أيضاً لام الصيرورة، ولام المآل، وهي التي يكون ما بعدها نقيضاً لمقتضى ما قبلها نحو ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً﴾[4] فإن التقاطهم له إنما كان لرأفتهم عليه، ولما ألقى الله تعالى عليه من المحبة، فلا يراه أحدٌ إلاّ أحبه، فقصدوا أن يصيروه قُرَّة عين لهم، فآل بهم الأمر إلى أن صار عدواً لهم وحزناً[5].

* علم بمعنى عرف، نحو ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾[6].

---

(١) شرح شذور الذهب، ص (٢١٤) وقد ذكر نحو هذا التفسير أيضاً في ص (١٤٥) عند الآية

(٣٤) من سورة النحل.

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٣) سورة الفتح، الآية: ١، ٢.

(٤) سورة القصص، الآية: ٨.

(٥) شرح شذور الذهب، ص (٢٩٦، ٢٩٧).

(٦) سورة النحل، الآية: ٧٨، وتفسير ابن هشام في شرح شذور الذهب، ص (٣٦٤).

● سورة الإسراء

* قال الله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا﴾[١] فـ(أحدهما) فاعل، و(كلاهما) معطوف عليه، والألف علامة لرفعه؛ لأنه مضاف إلى الضمير. ويُقرأ ﴿إما يَبْلُغَانِّ﴾ بالألف[٢]، فالألف فاعل، و(أحدهما) فاعل بفعل محذوف، وتقديره: إن يبلغه أحدهما أو كلاهما، وفائدة إعادة ذلك التوكيد. وقيل: إن (أحدهما) بدل من الألف، أو فاعل (يبلغان) على أن الألف علامة، وليس بشيء، فتأمل ذلك[٣].

* قال الله تعالى...: ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً﴾[٤]... انتصاب (مرحاً) على الحال، أي ذا مرح. وقُرئ ﴿مَرِحاً﴾ بكسر الراء[٥].

● سورة الكهف

* وتأتي للتعليل[٦] نحو ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾[٧] أي: ولأجل اعتزالكم إياهم، والاستثناء في الآية متصل إن كان هؤلاء القوم يعبدون الله وغيره، ومنقطع إن كانوا يخصون غير الله سبحانه بالعبادة[٨].

* ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٢) قراءة متواترة. انظر المبسوط، ص (٢٦٨)، وإرشاد المبتدي، ص (٤٠٨).

(٣) شرح شذور الذهب، ص (٥٣).

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٧.

(٥) شرح شذور الذهب، ص (٦٧) وقراءة كسر الراء شاذة. انظر مختصر في شواذ القرآن، ص (٧٦).

(٦) يعني (إذْ).

(٧) سورة الكهف، الآية: ١٦.

(٨) شرح شذور الذهب، ص (١٢٦).

الشِّمَالِ ﴾[١] وأصل (تزّاور) تتزاور، أي تتمايل، مشتق من الزَّوَر – بفتح الواو – وهو الميل، ومنه زاره، أي مال إليه. ومعنى (تقرضهم) تقطعـــهم، ومنه القطيعة، وأصله من القطع، والمعنى: تعرض عنهم إلى الجهة المسماة بالشمال، وحاصل المعنى: أنها لا تصيبهم في طلوعها، ولا في غروبها[٢].

* قال الله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾[٣] أي: هم ثلاثة، أو هؤلاء ثلاثة[٤].

* قال الله تعالى: ﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا ﴾[٥] أي كل واحدة من الجنتين أعطت ثمرها ولم تنقص منه شيئاً، فـ(كلتا) مبتدأ، و(آتت أُكلها) فعل ماض، والتاء علامة التأنيث، وفاعله مستتر، ومفعول ومضاف إليه، والجملة خبر، وعلامة الرفع في (كلتا) ضمة مقدرة على الألف؛ فإنه مضاف للظاهر[٦].

● سورة مريم

* أحـــدها[٧]: أن يكون محوَّلاً عن الفـــاعل، كقـــول الله عـــز وجل: ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً ﴾[٨] أصله: واشتعل شيب الرأس، وقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً ﴾[٩] أصله: فإن طابت أنفسهن لكم عن شيء منه، فحُوِّل

(١) سورة الكهف، الآية: ١٧.

(٢) شرح شذور الذهب، ص (٢٣٢).

(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٢.

(٤) شرح شذور الذهب، ص (٤٥٧).

(٥) سورة الكهف، الآية: ٣٣.

(٦) شرح شذور الذهب، ص (٥٣، ٥٤).

(٧) أحد أقسام التمييز.

(٨) سورة مريم، الآية: ٤.

(٩) سورة النساء، الآية: ٤.

الإسناد فيهما عن المضاف، وهو الشيب في الآية الأولى، والأنفس في الآية الثانية إلى المضاف إليه – وهو الرأس، وضمير النسوة – فارتفعت الرأس، وجيء بدل الهاء والنون بنون النسوة، ثم جيء بذلك المضاف الذي حُوِّل عنه الإسناد فضلةً وتمييزاً، وأفردت النفس بعد أن كانت مجموعة؛ لأن التمييز إنّما يطلب فيه بيان الجنس، وذلك يتأدَّى بالمفرد[1].

* قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً﴾[2] أي مدة دوامي حيًّا[3].

قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾[4] واللام لام التوكيد التي يُتَلقَّى بها القسم... والمعنى: أُقسم بربك لنجمعن المنكرين للبعث وقرناءهم من الشياطين الذين أضلوهم مقرنين في السلاسل، كل كافر معه شيطانه في سلسلة، ثم لنحضرنهم حول جهنم جاثين على الركب، ثم لننْزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيّاً، أي: جراءة. وقيل: فجوراً وكذباً. وقيل: كفراً. أي لننْزعنَّ رؤساءهم في الشر، فنبدأ بالأكبر فالأكبر جُرْماً، والأكثر جراءة، ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيّاً﴾[5] أي أحق بدخول النار، يقال: صَلِيَ يَصْلَى صُلِيّا[6].

---

(١) شرح شذور الذهب، ص (٢٥٧).

(٢) سورة مريم، الآية: ٣١.

(٣) شرح شذور الذهب، ص (١٨٥).

(٤) سورة مريم، الآية: ٦٨.

(٥) سورة مريم، الآية: ٧٠.

(٦) شرح شذور الذهب، ص (١٠٨– ١١٠).

● سورة طه

* قولـــه عز وجل: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾[1]... والفاء في الآية الكريمة عاطفة لـــ(قولا) على (اذهبا) من قولـــه تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾[2]، وكل منهما فعل أمر وفاعل، وهما مبنيان على حذف النون، وله جار ومجرور متعلق بـــ(قولا)... و(قولاً) مفعول مطلق، و(ليناً) صفة لـــه، أي قولاً متلطفاً فيه، ولا تُغلظا عليه، والقول اللين قد جاء مُفَسَّراً في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى. وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾[3].

* وقد اجتمع النصب بالياء، والرفع بالألف في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ﴾[4] وفي هذا الموضع قراءات. إحداها: هذه وهي تشديد النون من (إنَّ) و(هذين) بالياء، وهي قراءة أبي عمرو[5]، وهي جارية على سَنَن العربية؛ فإن (إنَّ) تنصب الاسم وترفع الخبر، و(هذين) اسمها، فيجب نصبه بالياء؛ لأنه مثنى، و(ساحران) خبرها فرفعه بالألف. والثانية: (إنْ) بالتخفيف (هذان) بالألف[6] وتوجيهها أن الأصل (إنَّ هذين) فخففت (إن) بحذف النون الثانية، وأُهملت كما هو الأكثر فيها إذا خُفِّفت، وارتفع ما بعدها بالابتداء والخبر فجيء بالألف، ونظيره أنك تقول: إن زيداً قائم، فإذا خففت فالأفصح أن

---

(١) سورة طه، الآية: ٤٤.

(٢) سورة طه، الآية: ٤٣.

(٣) سورة النازعات، الآيتان: ١٨، ١٩. وتفسير ابن هشام هذا في شرح شذور الذهب، ص (٧٠).

(٤) سورة طه، الآية: ٦٣.

(٥) انظر النشر في القراءات العشر (٢/٣٢١).

(٦) وهي قراءة متواترة. انظر المبسوط في القراءات العشر، ص (٢٩٦)، وإتحاف فضلاء البشر، ص (٣٠٤).

تقول: إن زيد لقائم، على الابتداء والخبر، قال الله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[(١)].

والثالثة: (إنَّ) بالتشديد، (هذان) بالألف[(٢)]، وهي مشكلة؛ لأن إن المشدَّدة يجب إعمالها، فكان الظاهر الإتيان بالياء كما في القراءة الأولى، وقد أُجيب عليها بأوجه. أحدها: أن لغة بلحارث بن كعب، وخثعم، وزَبيد، وكنانة، وآرين استعمال المثنى بالألف دائماً، تقول: جاء الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان، قال[(٣)]:

تزوَّد منَّا بين أُذناه طعنة

وقال الآخر[(٤)]:

إنَّ أباهـــا وأبا أباهـــا قد بلغا في المجد غايتاها

فهذا مثال مجيء المنصوب بالألف، وذاك مثال مجيء المجرور بالألف.

والثاني: أن (إنَّ) بمعنى نعم، مثلها فيما حُكي أن رجلاً سأل ابن الزبير شيئاً فلم يعطه، فقال: لعن الله ناقة حملتني إليك. فقال: إنَّ وراكِبَهَا[(٥)]، أي: نعم، ولعن الله راكبها، و(إنَّ) التي بمعنى نعم لا تعمل شيئاً، كما أن نعم كذلك، فـ(هذان) مبتدأ مرفوع بالألف، و(ساحران) خبر المبتدأ محذوف، أي هما

---

(١) سورة الطارق، الآية: ٤.

(٢) وهي قراءة متواترة. انظر النشر في القراءات العشر (٣٢١/٢).

(٣) هذا صدر بيت نسبه صاحب اللسان إلى هوبر الحارثي، اللسان (٢٣/١٥) (هـ ب ا) وهو في همع الهوامع (١٣٤/١).

(٤) البيت منسوب لأبي النجم، انظر الدر المصون (٦٨/٨)، وهو في شرح المفصل (٥٣/١)، وفي همع الهوامع (١٢٨/١).

(٥) الخبر أخرجه الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق الكبير (١٩٨/٣٠) بسند إلى أبي عبيدة، فذكر قصة فيها هذا، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (٨٠/٩، ٨١).

ساحران، والجملة خبر (هذان) ولا يكون (لساحران) خبر (هذان)؛ لأن لام الابتداء لا تدخل على خبر المبتدأ.

والثالث: أن الأصل (إنه هذان لهما ساحران) فالهاء ضمير الشأن، وما بعدها مبتدأ وخبر، والجملة في موضع رفع على أنها خبر (إنَّ) ثم حُذفَ المبتدأ وهو كثير، وحذف ضمير الشأن كما حُذف من قوله ﷺ: «إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون»[1]، ومن قول بعض العرب: (إنَّ بك زيد مأخوذ).

والرابع: أنه لما ثُنِّي (هذا) اجتمع ألفان، ألف هذا، وألف التثنية فوجب حذف واحدة منهما لالتقاء الساكنين، فمن قدّر المحذوفة ألف (هذا)، والباقية ألف التثنية قلبها في الجر والنصب ياء، ومن قدَّر العكس لم يغير الألف عن لفظها.

والخامس: أنه لما كان الإعراب لا يظهر في الواحد - وهو (هذا) - جُعل كذلك في التثنية، ليكون المثنى كالمفرد؛ لأنه فرع عليه. واختار هذا القول الإمام العلامة تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية رحمه الله[2]. وزعم أن بناء المثنى إذا كان مفرده مبنيّاً أفصح من إعرابه، قال: وقد تفطن لذلك غير واحد من حذّاق النحاة.

ثم اعترض على نفسه بأمرين. أحدهما: أن السبعة أجمعوا على الياء في قولــه تعالى: ﴿إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ﴾[3] مع أن (هاتين) تثنية (هاتا) وهو مبني. والثاني: أن (الذي) مبني وقد قالوا في تثنيته (اللَّذَين) في الجر والنصب، وهي لغة القرآن كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾[4].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٨٢/١٠) برقم (٥٩٥٠)، ومسلم في صحيحه (١٦٧٠/٣) تحت رقم (٢١٠٩) من رواية ابن مسعود.

(٢) كلام شيخ الإسلام على هذه المسألة في مجموع الفتاوى (٢٤٨/١٥- ٢٦٤).

(٣) سورة القصص، الآية: ٢٧.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٢٩.

وأجاب عن الأول بأنه إنما جاء (هاتين) بالياء على لغة الإعراب لمناسبة (ابنتي) قال: فالإعراب هنا أفصح من البناء؛ لأجل المناسبة، كما أن البناء في ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ أفصح من الإعراب لمناسبة الألف في (هذان) للألف في (ساحران). وأجاب عن الثاني بالفرق بين (اللذان) و(هذان) بأن (اللذان) تثنية اسم ثلاثي، فهو شبيه بالزيدان، و(هذان) تثنية اسم على حرفين، فهو عريق في البناء لشبهه بالحروف.

قال رحمه الله تعالى: وقد زعم قوم أن قراءة من قرأ (إِنَّ هَذَان) لحنٌ، وأن عثمان رضي الله عنه قال: إن في المصحف لحناً وستقيمه العرب بألسنتها، وهذا خبر باطل لا يصح من وجوه. أحدها: أن الصحابة – رضي الله عنهم – كانوا يتسارعون إلى إنكار أدنى المنكرات، فكيف يقرون اللحن في القرآن مع أنهم لا كلفة عليهم في إزالته؟ والثاني: أن العرب كانت تستقبح اللحن غاية الاستقباح في الكلام، فكيف لا يستقبحون بقاءه في المصحف ؟. والثالث: أن الاحتجاج بأن العرب ستقيمه بألسنتها غير مستقيم؛ لأن المصحف الكريم يقف عليه العربي والعجمي. والرابع: أنه قد ثبت في الصحيح أن زيد بن ثابت أراد أن يكتب (التابوت) بالهاء على لغة الأنصار فمنعوه من ذلك، ورفعوه إلى عثمان – رضي الله عنهم – وأمرهم أن يكتبوه بالتاء على لغة قريش[١]، ولما بلغ عمر – رضي الله عنه – أن ابن مسعود رضي الله عنه قرأ (عتَّى حين)[٢] على لغة هذيل أنكر

(١) صحيح البخاري (٥٣٧/٦) رقم (٣٥٠٦) (٨/٩، ٩– ١١) رقم (٤٩٨٤، ٤٩٨٧) ولم أجد في هذه المواطن ذكر التابوت بعينه.

وأخرجه الترمذي في السنن (٢٨٤/٥، ٢٨٥) من قول الزهري، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٣٥. والقراءة المتواترة بالحاء (حتى حين) وقد نسب ابن خالويه هذه القراءة الشاذة إلى ابن مسعود. انظر مختصر في شوذا القرآن، ص (٦٣).

ذلك عليه وقال: أقري الناس بلغة قريش، فإن الله تعالى إنما أنزله بلغتهم، ولم ينـــزله بلغة هذيل، انتهى كلامه ملخصاً.

وقال المهدوي في شرح الهداية: وما روي عن عائشة – رضي الله عنها – من قولها: «إن في القرآن لحناً ستقيمه العرب بألسنتها» لم يصح، ولم يوجد في القرآن العظيم حرف واحد إلاّ وله وجه صحيح في العربية، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1] والقرآن محفوظ من اللحن والزيادة والنقصان[2]، انتهى.

وهذا الأثر إنما هو مشهور عن عثمان – رضي الله عنه – كما تقدم من كلام ابن تيمية رحمه الله، لا عن عائشة رضي الله عنها كما ذكره المهدوي، وإنما المروي عن عائشة ما رواه الفراء عن أبي معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه أنها رضي الله عنها سُئلت عن قـــوله تعالى في سورة النساء ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾[3] بعد قوله: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ﴾ وعن قوله تعالى في المائدة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ﴾[4]، وعن قوله تعالى في سورة طه: ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾[5] فقالت: يا ابن أخي هذا خطأ من الكاتب[6].

روى هذه القصة الثعلبي[7]، وغيره من المفسرين[8]. وهذا أيضاً بعيد

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٢) انظر من الكتاب المذكور (٤١٩/٢) في سورة طه، عند الآية محل الإشكال.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٢.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٩.

(٥) سورة طه، الآية: ٦٣.

(٦) معاني القرآن (١٨٣/٢) ذكر هذا في سورة طه.

(٧) انظر الكشف والبيان (٢٥٠/٦، ٢٥١).

(٨) انظر معاني القرآن وإعرابه (٣٦٢/٣)، والوسيط (٢١١/٣)، ومعالم التنـــزيل (٢٢٢/٣).

الثبوت عن عائشة رضي الله عنها؛ فإن هذه القراءات كلها موجهة، كما مر في هذه الآية، وكما سيأتي إن شاء الله تعالى في الآيتين الأخيرتين عند الكلام على الجمع، وهي قراءة جميع السبعة في (المقيمين) و(الصابئون) وقراءة الأكثر في (إنّ هذان) فلا يتجه القول بأنها خطأ؛ لصحتها في العربية وثبوتها في النقل[1].

● سورة الحج

* وفي التّنـــزيل ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾[2] الآية، أي على طرف وجانب من الدين، أي لا يدخل فيه على ثبات وتمكن، فهو إن أصابه خير – من صحة وكثرة مال ونحوهما – اطمأن به، وإصابته فتنة – أي شر من مرض أو فقر أو نحوهما – انقلب على وجهه عنه. والواو عاطفة، و(من) جارة، معناه التبعيض، و(الناس) مجرور بها، واللام فيه لتعريف الجنس، و(من) مبتدأ تقدم خبره في الجار والمجرور، و(يعبد) فعل مضارع مرفوع لخلوه من الناصب والجازم، والفاعل مستتر عائد على (مَنْ) باعتبار لفظها، و(الله) نَصْبٌ بالفعل، والجملة صلة لـــ(من) إن قُدِّرت (من) معرفة بمعنى (الذي)، وصفة إن قُدِّرت نكرة بمعنى (ناسٍ)، وعلى الأول فلا موضع لها، وكذا كل جملة وقعت صلة، وعلى الثاني موضعها رفع، وكذا كل صفة، فإنها تتبع موصوفها، و(على حرف) جار ومجرور في موضع نصب على الحال، أي متطرفاً مستوفزاً، (فإن) الفاء عاطفة، و(إن) حرف شرط، (أصابه) فعل ماضٍ في موضع جزم؛ لأنه فعل الشرط، والهاء مفعول، و(خير) فاعل، و(اطمأنَّ) فعل ماض، والفاعل مستتر، و(به) جار ومجرور متعلق باطمأن، وقس على هذا بقية الآية.

---

(١) شرح شذور الذهب، ص (٤٦– ٥١)، وانظر الإتقان (١/٤٩٦– ٥٠٢).

(٢) سورة الحج، الآية: ١١.

وفيها قراءة غريبة، وهي ﴿ خَسِرَ الدنيا والآخرةِ ﴾ بخفض (الآخرة)[1] وتوجيهها أن (خسر) ليس فعلاً مبنياً على الفتح، بل هو وصف معرب بمنزلة فَهِمٍ وفَطِنٍ، وهو منصوب على الحال، ونظيره قراءة الأعرج ﴿خاسر الدنيا والآخرةِ﴾[2] إلا أن هذا اسم فاعل فلا يلتبس بالفعل، وذلك صفة مشبهة على وزن الفعل فيلتبس به[3].

* فإن قلت: فما بال الفعل لم يُنصب في جواب الاستفهام في قول الله عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾[4] ؟. قلت: لوجهين. أحدهما: أن الاستفهام هنا معناه الإثبات، والمعنى: قد رأيت أن الله أنزل من السماء ماء. والثاني: إن إصباح الأرض مخضرة لا يتسبب عما دخل عليه الاستفهام، وهو رؤية المطر، وإنما يتسبب ذلك عن نزول المطر نفسه، فلو كانت العبارة أنزل الله من السماء ماءً فتصبح الأرض مخضرة، ثم دخل الاستفهام صح النصب. فإن قلت: يرد هذا الوجه قوله تعالى: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ﴾[5] فإن مواراة السوأة لا يتسبب عما دخل عليه حرف الاستفهام؛ لأن العجز عن الشيء لا يكون سبباً في حصوله. قلت: ليس (أواري) منصوباً في جواب الاستفهام، وإنما هو منصوب بالعطف على الفعل المنصوب، وهو (أكون). فإن قلت: فقد جعله الزمخشري منصوباً في

---

(١) لم تذكر في العشر، فهي شاذة، و لم يذكرها ابن خالويه ولا ابن جني.

(٢) قراءة متواترة. انظر المبسوط، ص (٣٠٥)، والنشر (٢/٣٢٥)، ونسبها في البحر (٦/٣٣٠) إلى الأعرج وغيره.

(٣) شرح شذور الذهب، ص (١٤، ١٥).

(٤) سورة الحج، الآية: ٦٣.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٣١.

جواب الاستفهام[١]. قلت: هو غالط في ذلك[٢].

● سورة المؤمنون

* واحترزت بالمزيدة من الموصولة، نحو: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾[٣] أي أن الذي، بدليل عود الضمير من (به) إليها، ومن[٤] المصدرية نحو (أعجبني أنما قمت) أي قيامك، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾[٥] يحتملهما، أي إن الذي صنعوه، أو إن صُنْعهم، وعلى التأويلين جميعاً، فإنَّ عاملة، واسمها في الوجه الأول (ما) دون صلتها، وفي الوجه الثاني الاسم المنسبك من (ما) وصلتها[٦].

* قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾[٧] إشارة إلى قول القائل ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾[٨].

و(كلا) في العربية على ثلاثة أوجه. حرف ردع وزجر، وبمعنى حقاً، وبمعنى إي. فالأول كما في هذه الآية، أي انته عن هذه المقالة، فلا سبيل إلى الرجوع، والثاني نحو ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى﴾[٩] أي حقاً؛ إذ لم يتقدم على ذلك

---

(١) انظر الكشاف (١/٣٣٤).

(٢) شرح شذور الذهب، ص (٣٠٧، ٣٠٨).

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٥٥.

(٤) (ومن) هكذا في النسخة المنقول عنها – وفي غيرها أيضاً – والصواب (وما) بدليل المثال الذي ذكره بعد، وكذا قال أستاذي الذي درست عليه الكتاب إن الصواب (وما).

(٥) سورة طه، الآية: ٦٩.

(٦) شرح شذور الذهب، ص (٢٨٠).

(٧) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠.

(٨) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩، ١٠٠.

(٩) سورة العلق، الآية: ٦.

ما يزجر عنه، كذا قال قوم[1]، وقد اعتُرِض على ذلك بأن حقاً تفتح (أنَّ) بعدها، وكذلك ألا التي بمعناها، فكذا ينبغي في (كلاَّ).

والأولى أن تُفسَّر (كلاّ) في الآية بمعنى (ألا) التي يستفتح بها الكلام، وتلك تكسر بعدها (إنَّ) نحو ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾[2]. والثالث: قبل القسم نحو ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾[3] معناه إيَ والقَمر، كذا قال النضر بن شميل[4]... ولها معنى رابع، تكون بمعنى (ألا)[5].

● سورة النور

* قال الله تعالى:... ﴿وَالْخَامِسَةُ[6] أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾[7] أي والشهادة الخامسة[8].

* قولـــه تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ﴾[9] (لا) ناهية (يأتل) فعل مضارع مجزوم بلا الناهيَة، وعلامةَ جزمه حذف الياء، وأصله

---

(١) منهم الواحدي في الوسيط (٥٢٨/٤) لكن لم يذكر تعليلاً.

(٢) سورة يونس، الآية: ٦٢.

(٣) سورة المدثر، الآية: ٣٢.

(٤) لم أقف على قول النضر، منسوباً إليه، وقد ذكر هذا القول – عند هذه الآية – أبو منصور الأزهري. والذي قال ابن عطية والزمخشري إنما هنا للردع والإنكار. انظر تهذيب اللغة (٣٦٤/١٠) (كلا) والمحرر الوجيز (١٦٣/١٦) والكشاف (١٦٠/٤).

(٥) شرح شذور الذهب، ص (١٢، ١٣).

(٦) في الكتاب المطبوع ضبطها المحقق بالفتح، وتقدير المؤلف يدل على أنه قصد القراءة المرفوعة في (والخامسةُ) وهي قراءة متواترة. انظر النشر (٣٣١/٢).

(٧) سورة النور، الآية: ٩.

(٨) شرح شذور الذهب، ص (٤٥٧).

(٩) سورة النور، الآية: ٢٢.

يأتلي، ومعناه يحلف، وهو يفتعل من الألِيَّة، وهي اليمين، أو من قولهم: ما ألَوْت جهداً، أي ما قصرت، وعلى الأول فأصل (أن يؤتوا) على أن لا يؤتوا، فحذفت على ولا، كما قال الله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾[1] أي لأن لا تضلوا، وعلى الثاني فأصله في أن يؤتوا فحذفت (في) خاصة. وقرئ ﴿ولا يتألَّ﴾[2] وأصله يتألّى، وهو يتفعَّل من الألِيَّة، و(أولو) فاعل يأتل، وعلامة رفعه الواو، و(أولي) مفعول بيؤتوا، وعلامة نصبه الياء[3].

* قوله تعالى: ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ﴾[4] الآية، فإن (أل) في المصباح، وفي الزجاجة للعهد، في مصباح وزجاجة المتقدم ذكرهما[5].

● سورة الفرقان

* معنى ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً﴾[6] قالوا: يا ثبوراه، أي يا هلاكاه[7].

● سورة الشعراء

* قال العلماء في قوله تعالى: ﴿آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾[8] إنه بيان؛ لأن فرعون كان قد ادعى الربوبية، فلو اقتصروا على قولهم: ﴿بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لم يكن ذلك صريحاً في الإيمان بالرب الحق سبحانه وتعالى[9].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٧٦.

(٢) هي قراءة أبي جعفر، وهي متواترة. انظر النشر (٣٣١/٢).

(٣) شرح شذور الذهب، ص (٥٥، ٥٦).

(٤) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٥) شرح شذور الذهب، ص (١٥٠).

(٦) سورة الفرقان، الآية: ١٣.

(٧) شرح شذور الذهب، ص (٧٠).

(٨) سورة الشعراء، الآيتان: ٤٧، ٤٨.

(٩) شرح شذور الذهب، ص (٤٣٩)، وما نسبه للعلماء هو في الكشاف (١١٤/٣)، وفي =

* ثَمَّ... إشارة إلى المكان البعيد، قال الله تعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ﴾[(١)] أي وأزلفنا الآخرين هنالك، أي قربناهم[(٢)].

* ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[(٣)] فـ(أي) منصوب على المصدر بما بعده، وتقديره: ينقلبون أيَّ انقلابٍ، وليس منصوباً بما قبله؛ لأن الاستفهام له الصدر فلا يعمل فيه ما قبله[(٤)].

● سورة القصص

* قولـــه تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً﴾[(٥)]... (خائفاً) حال من الضمير المستتر في (خرج) العائد على موسى عليه السلام[(٦)].

* قولـــه تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[(٧)] أي تزعمونهم شركاء، كذا قدروا[(٨)]، والأحسن عندي أن يقدر: أنهم شركاء، وتكون أنَّ وصلتها سادة مسدهما، بدليل ذكر ذلك في قولـــه تعالى: ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾[(٩)].

= التفسير الكبير (٢٤/١١٧).

(١) سورة الشعراء، الآية: ٦٤.

(٢) شرح شذور الذهب، ص (١٢٢).

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

(٤) شرح شذور الذهب، ص (٣٦٦).

(٥) سورة القصص، الآية: ٢١.

(٦) شرح شذور الذهب، ص (٢٤٨).

(٧) سورة القصص، الآيتان: ٦٢، ٧٤.

(٨) هذا التقدير قاله الزمخشري في الكشاف (٣/١٧٦)، وأبو حيان في البحر (٧/١٢٣).

(٩) سورة الأنعام، الآية: ٩٤، وإعراب المؤلف في شرح شذور الذهب، ص (٣٧٧).

• سورة العنكبوت

* ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا﴾[١] أي: إنزالنا[٢].

• سورة الروم

* ما قُطع عن الإضافة لفظاً لا معنى، من الظروف المبهمة كقبل وبعد... كقولـــه تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾[٣] في قراءة السبعة بالضم[٤]. وقدره ابن يعيش على أن الأصل: من قبلَ كل شيء ومن بعده، انتهى[٥]. وهذا المعنى حق، إلاَّ أن الأنسب للمقام أن يقدر من قبل الغلب ومن بعده، فحُذفَ المضاف إليه لفـــظاً ونوي معناه، فاستحق البناء على الضم[٦].

* قوله تعالى: ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[٧] أي كما تخافون أنفسكم[٨].

• سورة سبأ

* ويكثر حذف الخبر إذا عُلم، كقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ﴾[٩] أي فـــلا فـــوت لهم. وقولـــه تعالى: ﴿لَا ضَيْرَ﴾[١٠] أي: لا

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٥١.

(٢) شرح شذور الذهب، ص (٢٠٦).

(٣) سورة الروم، الآية: ٤.

(٤) انظر المبسوط في القراءات العشر، ص (٣٤٨)، والنشر (٣٤٤/٢) تجد أنهما لم يذكرا خلافاً لا بين السبعة ولا العشرة من القراء.

(٥) شرح المفصل (٨٧/٤) ونص كلامه: من قبل كل شيء ومن بعد كل شيء.

(٦) شرح شذور الذهب، ص (١٠٣).

(٧) سورة الروم، الآية: ٢٨.

(٨) شرح شذور الذهب، ص (٣٨٢).

(٩) سورة سبأ، الآية: ٥١.

(١٠) سورة الشعراء، الآية: ٥٠.

ضير علينا[1].

● سورة فاطر

* ومثلت لما أُسند إليه شبه الفعل بقولـــه تعالى: ﴿ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾[2] فألوانه فاعل لمختلف؛ لأنه اسم فاعل، فهو في معنى الفعل، والتقدير: وصنف مختلف ألوانه، أي يختلف ألوانه، فحذف الموصوف وأُنيب الوصف عن الفعل، وقـــولـــه تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي اختلافاً كالاختلاف المذكور في قولـــه تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾[3].

● سورة يس

* ومن شواهد النصب قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ ﴾[4] ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾[5] فـــ(اثنين) مفعول به، و(اثنتين) مفعول مطلق، أي إماتتين[6].

* قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[7]... قدَّر[8] (كم) خبرية منصوبة بأهلكنا، والجملة سَدَّت مسد مفعولَي (يروا)، و(أنهم) بتقدير بأنهم، وكأنه قيل: أهلكناهم بالاستئصال. وهذا الإعراب والمعنى صحيحان، لكن لا يتعين خبرية (كم) بل يجوز أن تكون

---

(١) شرح شذور الذهب، ص (٢١١).

(٢) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٧، وإعراب ابن هشام وتفسيره في شرح شذور الذهب، ص (١٥٩).

(٤) سورة يس، الآية: ١٤.

(٥) سورة غافر، الآية: ١١.

(٦) شرح شذور الذهب، ص (٥٢، ٥٣).

(٧) سورة يس، الآية: ٣١.

(٨) قدَّر هذا المعرب.

استفهامية، ويؤيده قراءة ابن مسعود (من أهلكنا)[١]. وجوَّز الفراء انتصاب (كم) بيروا[٢]، وهو سهو، وسواء قُدِّرت خبرية أو استفهامية[٣].

* ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾[٤] والمعنى قدرنا له منازل، فحذف الخافض، أو التقدير ذا منازل فحذف المضاف، وانتصاب (ذا) إما على الحال، أو على أنه مفعول ثان لتضمين (قدرناه) معنى صيَّرناه[٥].

* قال الله تعالى: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾[٦] أي انفصلوا من المؤمنين[٧].

● سورة ص

* والثاني[٨]: أن اسمها وخبرها لا يجتمعان، والغالب أن يكون المحذوف اسمها والمذكور خبرها، وقد يعكس. فالأول كقوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[٩] الواو للحال، (لا) نافية بمعنى ليس، والتاء زائدة لتوكيد النفي والمبالغة فيه، كالتاء في (راوية) أو لتأنيث الحرف، واسمها محذوف،

---

(١) (ألم يروا من أهلكنا) وهي قراءة شاذة. ذكرها الفراء في معاني القرآن (٣٧٦/٢) منسوبة إلى ابن مسعود.

(٢) انظر معاني القرآن (٣٧٦/٢).

(٣) شرح شذور الذهب، ص (٣٦٧، ٣٦٨) وعلق محمد محي الدين بقوله: لأن كم تستوجب الصدارة فلا يعمل فيها ما قبلها، خبرية كانت أو استفهامية.

(٤) سورة يس، الآية: ٣٩.

(٥) شرح شذور الذهب، ص (١٣٦).

(٦) سورة يس، الآية: ٥٩.

(٧) شرح شذور الذهب، ص (٢٥٤).

(٨) من أحوال (لات).

(٩) سورة ص، الآية: ٣.

و(حين مناص) خبرها، ومضاف إليه، أي: فنادوا والحال أنه ليس الحين حين مناص، أي فرار وتأخير. والثاني كقراءة بعضهم: ﴿ولاتَ حينُ﴾ بالرفع[١]، أي: وليس حينُ مناص حيناً موجوداً لهم، عند تناديهم، ونزول ما نزل بهم من العذاب[٢].

* قوله تعالى... ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا﴾[٣] أي انطلقت ألسنتهم بهذا الكلام[٤].

● سورة الزمر

* في التنزيل ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٥] أي يا فاطر السموات، ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾[٦] أي يا عباد الله، ويجوز أن يكون (عباد الله) مفعولاً بأدوا، كقوله تعالى: ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[٧]، ويجوز أن يكون (فاطر) صفة لاسم الله تعالى، خلافاً لسيبويه[٨].

● سورة فصلت

* وقال الله تعالى: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[٩] فزعم قوم من العلماء أنهما

---

(١) قراءة الرفع شاذة. انظر مختصر في شواذ القرآن، ص (١٢٩).

(٢) شرح شذور الذهب، ص (٢٠٠).

(٣) سورة ص، الآية: ٦.

(٤) شرح شذور الذهب، ص (٢٩٣).

(٥) سورة الزمر، الآية: ٤٦.

(٦) سورة الدخان، الآية: ١٨.

(٧) سورة الشعراء، الآية: ١٧، وقدَّم الزمخشري – في الكشاف (٤٣١/٣) – ما جعله ابن هشام مؤخراً، هاهنا.

(٨) شرح شذور الذهب، ص (١١١) وكلام سيبويه في كتابه (١٩٤/٢- ١٩٦) تحت باب ما ينتصب على المدح والتعظيم أو الشتم؛ لأنه لا يكون وصفاً للأول ولا عطفاً عليه.

(٩) سورة فصلت، الآية: ١١.

تكلمتا حقيقــة. وقال آخرون: إنهما لما انقــادتا لأمر الله عز وجل نُزِّل ذلك منــزلة القول[١].

*** ومثال النصب قولــه تعالى: ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾[٢] (ربَّنا) منادى مضاف، حذف قبله حرف النداء، والتقدير، يا ربَّنا، و(أرِ) فعل دعاء، ولا تقل فعل أمر تأدباً، والفاعل مستتر، و(نا) مفعول أول، و(اللذين) مفعول ثان، وعلامة نصبه الياء، وما بعده صلة[٣].**

● سورة الزخرف

*** قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾[٤] أي: اعتقدوهم[٥].**

(١) شرح شذور الذهب، ص (٣١) والقولان ذكرهما كثير من المفسرين منهم الماوردي في النكت (١٧٢/٥، ١٧٣)، والكرماني في غرائب التفسير (١٠٤٠/٢)، وابن عطية في المحرر (١٦٨/١٤، ١٦٩)، والرازي في التفسير الكبير (٩٣/٢٧، ٩٤)، والبيضاوي في أنوار التّنــزيل (٣٤٥/٢)، والقرطبي في الجامع (٣٤٤/١٥)، وأبو حيان في البحر (٤٦٦/٧)، والقاسمي في محاسن التأويل (١٤٧/٦) ونسب القرطبي القول بالحقيقة إلى أكثر أهل العلم، وهو ظاهر القرآن، وقد رجحه الرازي بأكثر من وجه، وقال ابن عطية: إنه أحسن القولين؛ لأنه لا شيء يدفعه وإنما العبرة به أتم والقدرة فيه أظهر. ولعل ابن هشام لا يقصد من تصديره بلفظ (زعم) التقليل من قيمته بدليل أنه بدأ بذكره أولاً؛ ولأن لفظ (زعم) لا يقصد بها في كل حال عدم الصحة، فكثيراً ما يقول سيبويه: زعم يونس، وهو لا يعني أن كلام شيخه مردود.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٢٩.

(٣) شرح شذور الذهب، ص (٤٦).

(٤) سورة الزخرف، الآية: ١٩.

(٥) شرح شذور الذهب، ص (٣٥٧).

● سورة الجاثية

* ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾[1] أي: ما الحياة إلا حياتنا الدنيا[2].

● سورة محمد ﷺ

* قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾[3] أي علاماها، والأشراط في الآية جمع شَرَط – بفتحتين – لا جمع شرْط (بسكون الراء)؛ لأن فعلاً لا يجمع على أفعال قياساً إلاَّ في معتل الوسط، كأثواب وأبيات[4].

● سورة الفتح

* قال الله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[5] وقال الله تعالى: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي﴾[6] وقال الله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾[7].

فأما الآية الأولى: فـ(يد) فيها مبتدأ مرفوع بالضمة، و(الله) مضاف إليه مخفوض بالكسرة، و(فوق) ظرف مكان منصوب بالفتحة، وهو متعلق بمحذوف هو الخبر: أي كائنة فوق أيديهم، و(أيديهم) مضاف ومضاف إليه، ورجعت الياء التي كانت في المفرد محذوفة؛ لأن التكسير يرد الأشياء إلى أصولها.

وأما الآية الثانية: فاللام دالة على قسم مقدر، أي والله لئن، وتُسمى اللام المؤذنة والموطئة؛ لأنها آذنت بالقسم ووطأت الجواب لـه، و(إن) حرف

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٤.

(٢) شرح شذور الذهب، ص (١٣٦).

(٣) سورة محمد، الآية: ١٨.

(٤) شرح شذور الذهب، ص (٣٣٨).

(٥) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٢٨.

(٧) سورة ص، الآية: ٤٤.

شرط، و(بسطت) فعل ماض وفاعل، و(إليَّ) جار ومجرور متعلق ببسطت، و(يدك) مفعول به ومضاف إليه، واللام من (لتقتلني) لام التعليل، وهي حرف جر، والفعل منصوب بأن مضمرة بعدها جوازاً لا بها نفسها، خلافاً للكوفيين، وأن المضمرة والفعل في تأويل مصدر مخفوض باللام، أي للقتل، و(ما) نافية، و(أنا) اسمها إن قُدِّرت حجازية – وهو الظاهر – ومبتدأ إن قُدّرت تميمية، والباء زائدة فلا تتعلق بشيء، وكذا جميع حروف الجر الزائدة، و(باسط) خبر (ما) فيكون في موضع نصب، أو خبر المبتدأ فيكون في موضع رفع، والجملة جواب القسم، فلا محل لها من الإعراب، وهي دالة على جواب الشرط المحذوف، والتقدير: والله ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إن بسطت إليَّ يدك لتقتلني فما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك.

وأما الآية الثالثة: فواضحة، والضغث قبضة من حشيش مختلطة الرَّطْب باليابس[1].

- سورة ق

* قول الله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾[2] وذلك لأن الإزلاف هو التقريب؛ فكل مُزْلَف قريب، وكل قريب غير بعيدٍ[3].

- سورة الواقعة

* قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾[4] أي أوجدناهن إيجاداً. (إنَّا) إنَّ واسمها، والأصل إننا فحذفت النون الثانية تخفيفاً، (أنشأناهن) فعل ماضي وفاعل

---

(١) شرح شذور الذهب، ص (٤٣، ٤٤).

(٢) سورة ق، الآية: ٣١.

(٣) شرح شذور الذهب، ص (٢٤٧).

(٤) سورة الواقعة، الآية: ٣٥.

ومفعول، والجملة في موضع رفع على أنها خبر إنَّ، (إنشاء) مصدر مؤكد، والضمير في (أنشأناهن) قال قتادة: راجع إلى الحور العين المذكورات قبل[1]، وفيه بعد؛ لأن تلك قصة قد انقضت جملة. وقال أبو عبيدة: عائد على غير مذكور[2]، مثل ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾[3]، والذي حسَّن ذلك دلالة قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾[4] على المعنى المراد. وقيل: عائد على الفــرش، وأن المراد الأزواج، وهن مرفــوعات على الأرائك؛ بدليل ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾[5]، أو مرفوعات بالفضل والجمال على نساء الدنيا[6].

● سورة المجادلة

* وللمفرد المؤنث (التي) وتستعمل للعاقلة وغيرها، فالأول نحو ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾[7] و(قد) هنا للتوقع؛ لأنها كانت تتوقع سماع شكواها، وإنزال الوحي في شأنها، و(في) للسببية أو الظرفية، على حذف مضاف،

---

(١) أخرجه ابن جرير (في جامع البيان ١١٩/٢٣، ١٢٠) عن قتادة بمعناه، بأسانيد بعضها ثابت.

(٢) الذي رأيته في نسخة مجاز القرآن - المحققة (٢٥١/٢) - أنه قال: (أعاد إلى النساء إلى حور العين) فهو يعيده إلى مذكور كما ترى. والذي قال: إنه راجع إلى غير مذكور هو الأخفش في معاني القرآن (٧٠٢/٢) وقول أبي عبيدة إنه يرجع إلى مذكور نقله غير واحد من المفسرين منهم الطبري في جامع البيان (١١٨/٢٣)، وابن كثير في تفسيره (٢٩٢/٤).

(٣) سورة ص، الآية: ٣٢.

(٤) سورة الواقعة، الآية: ٣٤.

(٥) سورة يس، الآية: ٥٦، ونحو هذا القول والاستدلال في كشاف الزمخشري (٥٨/٤).

(٦) شرح شذور الذهب، ص (٣٢، ٣٣).

(٧) سورة المجادلة، الآية: ١.

أي في شأنه. والثاني نحو ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾[(١)] أي سيقول اليهود ما صرف المسلمين عن التوجه إلى بيت المقدس[(٢)].

● سورة الممتحنة

* قال الله تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾[(٣)] أي لأن تؤمنوا[(٤)].

* وأما قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ﴾[(٥)] فإنما جاز لأجل الفصل بالمفعول، أو لأن الفاعل في الحقيقة (أل) الموصولة، وهي اسم جمع فكأنه قيل: اللاتي آمنَّ، أو لأن الفاعل اسم جمع محذوف موصوف بالمؤمنات، أي النسوة التي آمَنَّ[(٦)].

● سورة الجمعة

* وهذه العلامة[(٧)] هي أنفع علامات الاسم، وبها تعرف اسـمية (ما) في قولـه تعالى: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾[(٨)] ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾[(٩)] ألا ترى أنها قد أسند إليها الأخيريَّةُ في الآية الأولى، والنفاد في

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٢.

(٢) شرح شذور الذهب، ص (١٤٤).

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ١.

(٤) شرح شذور الذهب، ص (٣٢٤).

(٥) سورة الممتحنة، الآية: ١٢.

(٦) شرح شذور الذهب، ص (١٧١).

(٧) علامة الإسناد إلى الاسم.

(٨) سورة الجمعة، الآية: ١١.

(٩) سورة النحل، الآية: ٩٦.

الآية الثانية، والبقاء في الآية الثالثة[1]، فلهذا حكم بأنها فيهن اسم موصول بمعنى الذي، وكذلك (ما) في قولــه تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾[2] هي موصولة بمعنى الذي، و(صنعوا) صلة، والعائد محذوف أي: إن الذي صنعوه، و(كيدُ) خبر، ويجوز أن تقدرها موصولاً حرفياً، فتكون هي وصلتها في تأويل المصدر، ولا تحتاج حينئذ إلى تقدير عائد، وليس لك أن تقدرها حرفاً كافاً[3].

● سورة المنافقون

* وقولي: (العهدية أو الجنسية) خرج به المحلى بالألف واللام الزائدتين فإنها ليست لعهد ولا جنس، وذلك كقراءة بعضهم ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾[4] وضم رائه[5]؛ وذلك لأن الأذلَ على هذه القراءة حالٌ، والحالُ واجبة التنكير، فلهذا قلنا: إن (أل) زائدة، لا معرفة، والتقدير: ليخرجن الأعز منها ذليلاً، ولك أن تقدر أن الأصل خروج الأذل، ثم حذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه فانتصب على المصدر على سبيل النيابة، وحينئذ فلا يحتاج لدعوى الزيادة[6].

● سورة الملك

* قال الله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾[7] أي ينفصل بعضها من بعض[8].

---

(١) ليست آية برأسها، وإنما هي بعض آية من الآية السابقة.

(٢) سورة طه، الآية: ٦٩.

(٣) شرح شذور الذهب، ص (١٩، ٢٠).

(٤) سورة المنافقون، من الآية: ٨.

(٥) ضم الراء قراءة شاذة. انظر القراءة والتوجيه في مختصر في شواذ القرآن، ص (١٥٧).

(٦) شرح شذور الذهب، ص (١٥٠).

(٧) سورة الملك، الآية: ٨.

(٨) شرح شذور الذهب، ص (٢٥٤).

● سورة القلم

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ. بِأَيِّكُمُ﴾[١]... أي في هذه الآية مخفوضة لفظاً مرفوعة محلاً؛ لأنها مبتدأ، والباء زائدة، والأصل أيكم المفتون، والجملة نصب بتبصر أو يبصرون؛ لأنهما تنازعاها، وهما معلقان عن العمل بالاستفهام[٢].

● سورة الحاقة

* فالمصدر كقولـه تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾[٣] وقولـه تعالى ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾[٤]، وكون (نفخة) مصدراً واضح، وأما (شيء) فلأنه كناية عن المصدر وهو العفو، والتقدير – والله أعلم – فأي شخص من القاتل عُفي لـه عفوٌ ما من جهة أخيه، والأخ هنا محتمل لوجهين. أحدهما أن يكون المراد به المقتول فـ(من) للسببية، أي بسببه وإنما جعل أخاً تعطيفاً عليه وتنفيراً عن قتله؛ لأن الخلق كلهم مشتركون في أنهم عبيد الله، فهم كالإخوة في ذلك، ولأنهم أولاد أب واحد وأم واحدة. والثاني: أن المراد به ولي الدم، وسمي أخاً ترغيباً لـه في العفو، و(من) على هذا لابتداء الغاية، وهذا الوجه أ حسن؛ لوجهين. أحدهما: أن كون (من) لابتداء الغاية أشهر من كونها للسببية، والثاني: أن الضمير في قولـه تعالى: ﴿وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ﴾ راجع إلى المذكور في هذا الوجه، دون الأول[٥].

---

(١) سورة القلم، الآيتان: ٥، ٦.

(٢) شرح شذور الذهب، ص (١٢٥).

(٣) سورة الحاقة، الآية: ١٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧٨.

(٥) شرح شذور الذهب، ص (١٦٠، ١٦١).

● سورة المعارج

* قال الله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾[1] أي فرقاً شتى، لأن كل فرقة تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الفرقة الأخرى، وانتصابها على أنها صفة لمهطعين بمعنى مسرعين، وانتصاب (مهطعين) على الحال[2].

● سورة الجن

* ومثال الطلب قولـــه تعالى... ﴿فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾[3] فيمن قرأ ﴿فلا يخف بخساً﴾ بالجزم[4] على أن لا ناهية، وأما من قرأ (فلا يخاف) بالرفع[5]، فلا نافية، ولا النافية تقترن بفعل الشرط كما بينا، فكان مقتضى الظاهر أن لا تدخل الفاء، ولكن هذا الفعل مبني على مبتدأ محذوف، والتقدير: فهو لا يخاف، فالجملة اسمية... وكذا يجب هذا التقدير في نحو ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾[6] أي فهو ينتقم الله منه[7].

● سورة المزمل

* قولـــه تعـــالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾[8] ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾[9]... والتقـــدير: علم أنه سَيـــكون، أفلا يرون أنه لا يرجع

(١) سورة المعارج، الآية: ٣٧.

(٢) شرح شذور الذهب، ص (٥٩).

(٣) سورة الجن، الآية: ١٣.

(٤) قراءة الجزم شاذة. انظر مختصر في شواذ القرآن، ص (١٦٣).

(٥) قراءة الرفع متواترة؛ لم يذكروا خلافاً بين العشرة فيها.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٩٥.

(٧) شرح شذور الذهب، ص (٣٤١).

(٨) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(٩) سورة طه، الآية: ٨٩.

إليهم قولاً[١].

● سورة المدثر

* قال الله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[٢] أي: ملكاً، أو خازناً[٣]، يحفظون أمرها، وقيل: صنفاً، وقيل: صفاً من الملائكة.

وقُرئ (تسعةُ أعشرٍ)[٤] جمع عشير، مثل أيمن في جمع يمين، وعلى هذا فتسعة مرفوع، وأعشر مخفوض بالإضافة منون[٥].

● سورة القيامة

* قال الله تعالى... ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾[٦] والتراقي جمع تَرقوة – بفتح التاء – وهي العظم الذي بين ثغرة النحرَ والعَاتق[٧].

● سورة الإنسان

* قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾[٨] أي: ثم كان بعد ذلك[٩].

● سورة المرسلات

* قولـــه تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ. وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[١٠] فالفاء هنا

---

(١) شرح شذور الذهب، ص (٢٩٣).

(٢) سورة المدثر، الآية: ٣٠.

(٣) شرح شذور الذهب، ص (٤٥٨).

(٤) وهي قراءة شاذة. انظر مختصر في شواذ القرآن، ص (١٦٥).

(٥) من (يحفظون) إلى (منون) في ص (٧٨) من شرح شذور الذهب.

(٦) سورة القيامة، الآية: ٢٦.

(٧) شرح شذور الذهب، ص (٦٦).

(٨) سورة الإنسان، الآية: ١.

(٩) شرح شذور الذهب، ص (٢٦).

(١٠) سورة المرسلات، الآيتان: ٣٥، ٣٦.

عاطفة كما ذكرنا، والفعل الذي بعدها داخل في سلك النفي السابق، فكأنه قيل: لا يؤذن لهم فلا يعتذرون[1].

● سورة النازعات

* ونظيره في الإضافة قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾[2] فأضيف الضحى إلى ضمير العشية، وقيل: الأصل أو ضحى يومها، ثم حُذِف المضاف، ولا حاجة إلى هذا[3].

● سورة عبس

* قوله تعالى: ﴿ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ. ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾[4] فعطف الإقبار على الإماتة بالفاء، والإنشار على الإقبار بثم، لأن الإقبار يعقب الإماتة، والإنشار يتراخى عن ذلك[5].

* قال الله تعالى: ﴿ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾[6] (لما) حرف جزم لنفي المضارع وقلبه ماضياً، كما أن (لم) كذلك، والمعنى: أن الإنسان لم يقض بعد ما أمره الله تعالى به حتى يخرج من جميع أوامره[7].

● سورة التكوير

* قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ ﴾[8] أي ما هو بمتهم على

(١) شرح شذور الذهب، ص (٣٠٢).

(٢) سورة النازعات، الآية: ٤٦.

(٣) شرح شذور الذهب، ص (٧٣).

(٤) سورة عبس، الآيتان: ٢١، ٢٢.

(٥) شرح شذور الذهب، ص (٤٤٦).

(٦) سورة عبس، الآية: ٢٣.

(٧) شرح شذور الذهب، ص (٦٣).

(٨) سورة التكوير، الآية: ٢٤.

الغيب، وأما من قرأ بالضاد[١]، فمعناه: ما هو ببخيل[٢].

● سورة التين

* قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٣] اللام جواب القسم السابق في قوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾[٤] وما بعدهما. و(قد) لها أربعة معان؛ وذلك أنها تكون حرف تحقيق، وتقريب، وتقليل، وتوقع، فالتي للتحقيق تدخل على الفعل المضارع نحو ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾[٥] أي يعلم ما أنتم عليه حقاً ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾[٦] وعلى الماضي نحو ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ﴾[٧] الآية، وكذا حيث جاءت (قد) بعد اللام فهي للتحقيق، والتي للتقريب تختص بالماضي نحو قول المؤذن (قد قامت الصلاة) أي قد حان وقتها... والتي للتقليل تختص بالمضارع، كقولهم (قد يصدق الكذوب)... والتي للتوقع تختص بالماضي[٨].

● سورة العلق

* قال الله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾[٩] اللام لام الأمر، و(يدع) فعل مضارع مجزوم، وعلامة جزمه حذف الواو، و(ناديه) مفعول ومضاف إليه، وظهرت

---

(١) قراءة الضاد والظاء متواترتان. انظر النشر (٢/٣٩٨، ٣٩٩).

(٢) شرح شذور الذهب، ص (٣٦٤).

(٣) سورة التين، الآية: ٤.

(٤) سورة التين، الآية: ١.

(٥) سورة النور، الآية: ٦٤.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٤٤.

(٧) سورة التين، الآية: ٤.

(٨) شرح شذور الذهب، ص (٣٨).

(٩) سورة العلق، الآية: ١٧.

الفتحة على المنقوص لخفتها، والتقدير: فليدع أهل ناديه، أي أهل مجلسه[1].

● سورة القدر

*** لا بد للضمير من مفسِّر يبين ما يراد به، فإن كان لمتكلم أو مخاطب فمفسره حضور من هوله، وإن كان لغائب فمفسره نوعان. لفظ وغيره، والثاني: نحو ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾[2] أي القرآن، وفي ذلك شهادة له بالنَّباهة، وأنه غني عن التفسير[3].**

● سورة العاديات

*** قولـــه تعالى: ﴿ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً. فَأَثَرْنَ ﴾[4] فعطف (أثرن) على المغيرات؛ لأن التقدير: فاللاتي أَغرنَ فأثرن، و(المغيرات) مفعلات من الغارة، و(صبحاً) ظرف زمان، كانوا يغيرون على أعدائهم في الصباح؛ لأنهم حينئذ يصيبوهم وهم غافلون، لا يعلمون، ويقال: إنها كانت سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني كنانة، فأبطأ عليه خبرها، فجاء به الوحي إليه[5]، والنقع الغبار، أو الصوت، من قولـــه صلى الله عليه وسلم: «ما لم يكن نقع أو**

---

(١) شرح شذور الذهب، ص (٦٢، ٦٣).

(٢) سورة القدر، الآية: ١.

(٣) شرح شذور الذهب، ص (١٣٥).

(٤) سورة العاديات، الآيتان: ٣، ٤.

(٥) ذكر هذا السبب الواحدي في أسباب النُزول – ص (٤٦٣) عن مقاتل يرفعه. ومثل هذا لا يحتج به، نعم أخرج البزار – في كشف الأستار (٨٢/٣) – ما يؤيده، وكذا الواحدي أخرجه في أسباب النُزول، ص (٤٦٣)، لكن قال الهيثمي – في مجمع الزائد (١٤٢/٧) عن رواية البزار –: فيها حفص بن جميع وهو ضعيف.

قلت: وحفص هذا هو في سند الواحدي.

لقلقة»[١] أي: فهيجن بالمغار عليهم صياحاً وجلبة[٢].

● سورة المسد

* قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ﴾[٣] يقرأ في السبع ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ بالنصب بإضمار أذم، وبالرفع[٤] إما على الإتباع، أو بإضمار هي[٥].

❋ ❋ ❋

(١) ذكره البخاري – في صحيحه (١٦٠/٣) – تعليقاً بصيغة الجزم عن عمر رضي الله عنه. ولم يذكر الحافظ في شرح الأثر أن أحداً رفعه. انظر فتح الباري (١٦١/٣)، وانظر شرح النقع واللقلقة في غريب الحديث (٤٠/٢، ٤١) وفي النهاية (٢٦٥/٤).

(٢) شرح شذور الذهب، ص (١٤٨).

(٣) سورة المسد، الآية: ٤.

(٤) قراءة الرفع والنصب متواترتان. انظر النشر (٤٠٤/٢).

(٥) شرح شذور الذهب، ص (٤٣٤).

الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات

الحمد لله، المستحق للحمد الكامل وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد: فقد تبين لي من خلال هذا البحث – المتواضع – ما يلي:

١– أنَّ العلامة ابن هشام من العلماء الذين علموا كتاب الله، حفظاً ومعنى؛ لأنك تجده عندما يذكر دليلاً من القرآن على قاعدة أو مسألة يصب الأدلة من كتاب الله صباً، من سور شتى، وآيات تترى، وإذا أراد أن يفسر انقادت له المعاني، وانتصبت أمام عينيه أقوال السلف والخلف فاختار منها ما يشاء.

٢– العلاَّمة ابن هشام جعل كتاب الله وسنة رسوله أساس دراسته النحوية، فلا تجده يذكر قاعدة في النحو، ولا قولاً، ولا مسألة، ولا لطيفة، إلاَّ ويذكر الحجة لها من كتاب الله المبين، ومن كلام أفصح العرب صلى الله عليه وسلم، فكسا – بهذا المنهج – النحو ثوب إجلال وإعظام، وأعان الطلاب ومتعاطي علم العربية على تذكر القواعد بيسر وسهولة، فكأنه يقول: من حفظ القرآن انقاد له علم النحو والبيان، وكأنه يقول: إنني أُخالف أولئك النحاة، الذين جفوا ألفاظ السنة، عندما أبعدوها عن الاحتجاج على قواعد النحو[١].

٣– العلاَّمة ابن هشام عالم بالقراءات، دافع عنها وبين توجيهها، واحتج بها على قواعد النحو وتفسير القرآن وإعرابه، فسلم من مزالق كبار النحاة، وبعض القراء[٢].

---

(١) انظر المبحث الخامس من الفصل الثاني.

(٢) انظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ص (٤٦– ٤٨).

٤- العلاّمة ابن هشام لم يقصد إلى تفسير القرآن بمؤلف[1]، ولكنه أفنى عمره في إكمال وتحسين أعظم ركن يستند إليه المفسر – بعد كتاب الله وسنة رسوله – ونثر في غضونه من التفسير والإعراب والتوجيه ما جعلني أقول: ليت العلاّمة ابن هشام أتحفنا بتفسير لكتاب الله، أو بكتاب جامع في إعرابه.

٥- يا صاحب القرآن والعربية إن (ليت) لست منها وليست منك، فتعال فالتقط تلك الدرر وانظمها في سلك واحد، لا بل في سلكين، وأجزم أن صاحب العربية لن يتردد عن الإقدام، نعم وصاحب القرآن أولى ألاّ يتردد، إن ترك له صاحبه توجيه القراءات، فإن لم، فعليه بإخراج مختصر الانتصاف والإنصاف – إن ثبت أنه من تأليف ابن هشام – فعسانا بإخراجه، مع هذا البحث المتواضع قد جارينا أخينا، الذي شمخ بأنفه، وقال: أنا أولى بالعلاّمة ابن هشام منكما.

٦- ما ثبت من مؤلفات ابن هشام – في علوم القرآن – لا يكفي في إعطاء القارئ فكرة كاملة عمّا قدمه العلاّمة ابن هشام في تفسير القرآن وإعرابه وتوجيه قراءاته، إذاً فلا بد من الاطلاع على مؤلفاته الأُخرى، فهي الزعيمة بإعطاء الفكرة كاملة.

وصلى الله عليه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر ما ذكرته في الفصل الأول، المبحث الثاني، عند التعريف بمغني اللبيب.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، للبناء، تعليق: الضبّاع. دار الندوة الجديدة.

٢. الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق: محمد شريف ومصطفى القصاص. دار إحياء العلوم ببيروت، مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٣. آثار الحنابلة في علوم القرآن، لسعود بن عبد الله الفنيسان. الطبعة الأولى.

٤. أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية، لعبد القادر السعدي. مطبعة الخلود ببغداد، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٥. أحكام القرآن، لابن العربي، تحقيق: علي البجاوي. دار الفكر، ١٣٩٤هـ.

٦. أحكام القرآن، للجصاص، تحقيق: قمحاوي. دار إحياء التراث العربي ببيروت، ١٤٠٥هـ.

٧. إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر، للقلانسي، تحقيق: الكبيسي. المكتبة الفيصلية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٨. أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن، لابن هشام، تحقيق: محمد نغش. نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٩. أسباب النُزول، للواحدي، تحقيق: عصام بن عبد المحسن. دار الإصلاح، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

١٠. الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي، تحقيق: عبد الرؤوف سعيد. الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٥هـ.

١١. الأعلام، للزركلي. دار العلم للملايين ببيروت، الطبعة السابعة، ١٩٨٦م.

١٢. أعيان العصر وأعوان النصر، لخليل بن أيبك الصفدي، تحقيق علي أبي زيد وجماعة. دار الفكر المعاصر ببيروت، ودار الفكر دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٣. أمالي ابن الشجري، لابن الشجري، تحقيق: الطناحي. الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.

١٤. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات الأنباري. المكتبة العصرية ببيروت، ١٤١٨هـ.

١٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي. مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ.

١٦. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام. المكتبة العصرية ببيروت، ١٤٢٣هـ.

١٧. إيضاح الوقف والابتدا في كتاب الله عز وجل، لابن الأنباري، تحقيق: محي الدين رمضان. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٠هـ.
١٨. اعتراض الشرط على الشرط، لابن هشام، تحقيق: عبد الفتاح الحموز. دار عمّار بالأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
١٩. البحر المحيط، لأبي حيان، تحقيق: عادل أحمد وعلي محمد وزكريا عبد المجيد وأحمد النجولي. دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
٢٠. البداية والنهاية، لابن كثير. مكتبة المعارف ببيروت، الطبعة الثالثة.
٢١. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني. منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٢٢. البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق: محمد أبي الفضل. دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠.
٢٣. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق: محمد أبي الفضل. المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت.
٢٤. تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر. دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ.
٢٥. تاريخ دمشق الكبير، لابن عساكر، تحقيق: علي بن عاشور الجنوبي. دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
٢٦. التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، تحقيق: محمد البجاوي. طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٢٧. تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد، لابن هشام، تحقيق: عباس الصالحي. الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
٢٨. التفسير الصحيح، لحكمت بشير. دار المآثر بالمدينة النبوية، ١٤٢٠هـ.
٢٩. تفسير القرآن، لعبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: مصطفى مسلم. مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
٣٠. تفسير القرآن، للسمرقندي، تحقيق: علي محمد وعادل أحمد وزكريا عبد المجيد. دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
٣١. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير. دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.
٣٢. تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب. نشر مكتبة الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى،

١٤١٧هـ.

٣٣. تفسير القرآن للسمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم. دار الوطن للنشر الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨.

٣٤. التفسير الكبير، للرازي. دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٣٥. تفسير النسائي، للنسائي، تحقيق: صبري بن عبد الخالق وسيد بن عباس. مكتبة السنة، الطبعة الأول ى، ١٤١٠هـ.

٣٦. تقريب التهذيب، لابن حجر، تحقيق: محمد عوّامة. دار البشائر الإسلامية، ودار الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٣٧. تلخيص المستدرك على الصحيحين، للذهبي، بحاشية المستدرك. دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٣٨. تهذيب التهذيب، لابن حجر. تصوير دار الكتاب الإسلامي عن الطبعة الهندية.

٣٩. تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرون. الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٤٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير، تحقيق: أحمد ومحمود شاكر. دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، وما نقلت بعد الصفحات التي وقف عندها التحقيق فهو من الطبعة التي وزعتها دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

٤١. الجامع الصغير في النحو، لابن هشام، تحقيق: أحمد الهرميل. الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤٠٠.

٤٢. الجامع الصغير وزيادته، للألباني. المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

٤٣. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: إبراهيم أطفيش. دار الكتب المصرية.

٤٤. جمال القراء وكمال الإقراء، للسخاوي، تحقيق: علي حسين البواب. مكتبة التراث مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٤٥. الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد، ليوسف بن عبد الهادي. مطبعة المدني، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٤٦. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، للأصبهاني، تحقيق: محمد بن محمود. دار الراية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٤٧. الحجة للقراء السبعة، للفارسي، تحقيق: قهوجي وجويجاتي. دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٤٨. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب

العربية، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ.

٤٩. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، للبغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون. الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.

٥٠. الخصائص، لابن جني، تحقيق: النجار. الناشر دار الكتاب العربي ببيروت.

٥١. دائرة المعارف الإسلامية. طبع دار الفكر.

٥٢. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق: الخراط. دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٥٣. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي. تصوير دار المعرفة.

٥٤. دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لمحمد عضيمة. المركز الإسلامي للطباعة، دار الحديث.

٥٥. ديوان العَجَّاج (رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه) تحقيق: عبد الحفيظ السلطي. توزيع مكتبة أطلس، دمشق.

٥٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي. دار الفكر، ١٤٠٨هـ.

٥٧. زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي. المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٥٨. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، لابن حَميد، تحقيق أبي زيد والعثيمين. مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٥٩. سنن أبي داود، لأبي داود، تحقيق: محمد محي الدين. دار الفكر.

٦٠. سنن الترمذي، للترمذي، تحقيق: إبراهيم عطوة. دار إحياء التراث العربي ببيروت.

٦١. سنن الدارمي، للدارمي، تحقيق: فواز أحمد وخالد السبع. نشر دار الريان بالقاهرة، ودار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٦٢. السير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث في النحو العربي، لمحمود فجال. أضواء السلف بالرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

٦٣. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي. نشر مكتبة القدسي.

٦٤. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، قدم له حسن حمد. دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٦٥. شرح التصريح على التوضيح، لخالد الأزهري. الناشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

٦٦. شرح الكافية الشافية، لابن مالك، تحقيق: عبد المنعم أحمد. دار المأمون للتراث. نشر مركز البحث العلمي وإحياء التراث بجامعة أم القرى.

٦٧. شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية، لابن هشام، تحقيق: هادي نهر. طبع بمطبعة الجامعة ببغداد.

٦٨. شرح المفصل، لابن يعيش. عالم الكتب ببيروت، ومكتبة المتنبي القاهرة.

٦٩. شرح الهداية، للمهدوي. تحقيق: حازم سعيد. الناشر: مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٧٠. شرح حديث النزول، لابن تيمية. نشر المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٣٨٩هـ.

٧١. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام، تحقيق: محمد محي الدين. نسخة كانت توزعها جامعة الإمام على طلابها، لم يُذكر عليها معلومات عن الطبع.

٧٢. شرح قصيدة كعب بن زهير – رضي الله عنه – في مدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لابن هشام، تحقيق: أبي ناجي. مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

٧٣. شرح قطر الندى وبل الصدى، لابن هشام، تعليق: محمد محي الدين. مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الحادية عشرة، ١٣٨٣هـ.

٧٤. الصاحبي، لابن فارس، تحقيق: أحمد صقر. مكتبة ومطبعة دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م.

٧٥. الصحاح، للجوهري. دار إحياء التراث العربي ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٧٦. صحيح البخاري – مع فتح الباري – للإمام البخاري. الناشر: دار المعرفة.

٧٧. الصحيح المسند من أسباب النزول، للوادعي. مكتبة المعارف الرياض، ١٤٠٠هـ.

٧٨. صحيح سنن الترمذي، للألباني. نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٧٩. صحيح مسلم، للإمام مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي.

٨٠. العجاب في بيان الأسباب، لابن حجر، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس. دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٨١. علل الوقوف، للسجاوندي، تحقيق: العبدي. الناشر: مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٨٢. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي، تحقيق: محمد التونجي. عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٨٣. غرائب التفسير وعجائب التأويل، للكرماني، تحقيق: شمران سركال. دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٨٤. غريب الحديث، للقاسم بن سلّام. دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٨٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر. الناشر: دار المعرفة للطباعة.

٨٦. فضائل القرآن، لأبي عبيد، تحقيق: مروان العطية ومحسن خرابة ووفاء تقي الدين. دار ابن

كثير دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٨٧. الفهرست، لابن النديم. مكتبة خياط ببيروت.
٨٨. فوائد في مشكل القرآن، للعز ابن عبد السلام، تحقيق: سيد رضوان. دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢.
٨٩. الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، لابن حجر. ملحق بآخر الكشاف، دار المعرفة.
٩٠. كتاب الرد على الجهمية، للدارمي، تحقيق: زهير الشاويش، تخريج الألباني. المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ.
٩١. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر ابن أبي شيبة، تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت. دار التاج ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
٩٢. كتاب سيبويه، لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي بالقاهرة.
٩٣. الكشاف عن حقائق التنْزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنْزيل، للزمخشري. دار المعرفة ببيروت.
٩٤. كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، للهيثمي، تحقيق: عبد الرحمن الأعظمي. مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
٩٥. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة. منشورات مكتبة المتنبي ببغداد.
٩٦. الكشف والبيان، للثعلبي، تحقيق: ابن عاشور. دار إحياء التراث العربي ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٩٧. لباب التأويل في معاني التنْزيل، للخازن. دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
٩٨. لسان العرب، لابن منظور، تعليق: علي شيري. دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨.
٩٩. مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان. مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
١٠٠. المبسوط في القراءات العشر، للأصبهاني، تحقيق: سبيع حمزة. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
١٠١. مجاز القرآن، لأبي عبيدة، تحقيق: سزكين. الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة.
١٠٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي. منشورات دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.
١٠٣. مجموع أشعار العرب، اعتنى بتصحيحه وترتيبه وليم بن الورد البروسي. منشورات دار الآفاق الجديدة، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.
١٠٤. المجموع شرح المهذب، تكملة الشيخ المطيعي. دار الفكر.

١٠٥. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، لابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. الطبعة المطبوعة على نفقة الملك خالد.

١٠٦. محاسن التأويل، للقاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١٠٧. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني، تحقيق: علي النجدي وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح إسماعيل. نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٣٨٦هـ.

١٠٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، تحقيق: المجلس العلمي بفأس. الطبعة المغربية.

١٠٩. المحلى، لابن حزم، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي. دار الآفاق الجديدة ببيروت.

١١٠. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لمحمد بن الموصَلّي. دار الندوة الجديدة، ١٤٠٥هـ.

١١١. مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه، عني بنشره برجستراسر. المطبعة الرحمانية بمصر، ١٩٣٤م.

١١٢. مسألة الحكمة في تذكر قريب في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ لابن هشام، تحقيق: عبد الفتاح الحموز، دار عمّار بالأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

١١٣. المستدرك على الصحيحين، للحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر. دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

١١٤. المسند، للإمام أحمد، الطبعة التي أشرف على تحقيقها شعيب الأرنؤوط وعبد الله التركي. مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بدأ طبعها ١٤١٣هـ.

١١٥. مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب، تحقيق: حاتم الضامن. مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ.

١١٦. معالم التنْزيل، للبغوي، تحقيق: خالد العك ومروان سوار. دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١١٧. معاني القرآن، للأخفش، تحقيق: عبد الأمير محمد. عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

١١٨. معاني القرآن، للفراء. عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.

١١٩. معاني القرآن الكريم، للنحاس، تحقيق: الصابوني، نشر: إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى.

١٢٠. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق: عبد الجليل شلبي. عالم الكتب، الطبعة الأولى،

١٤٠٨هـ.

١٢١. المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق: حمدي السلفي. مطبعة الزهراء الحديثة، الطبعة الثانية.

١٢٢. معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة. يُطلب من مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي.

١٢٣. المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، لإميل بديع. دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

١٢٤. المغني، لابن قدامة. مكتبة الرياض الحديثة.

١٢٥. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام، تحقيق: محمد محي الدين. المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٧.

١٢٦. مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، لطاش كبرى زاده. دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٢٧. المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد كيلاني. دار المعرفة ببيروت.

١٢٨. مقدمة ابن خلدون، لابن خلدون. طبعة دار الشعب.

١٢٩. مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية. دار الصحابة للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٣٠. المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لابن مفلح، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٣١. مناقب الإمام الشافعي، للرازي، تحقيق: أحمد حجازي. الطبعة الأولى بمصر ١٤٠٦هـ، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية.

١٣٢. موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث، لخديجة الحديثي. دار الطليعة للطباعة والنشر، ببيروت.

١٣٣. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي. طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب.

١٣٤. النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، تحقيق: الضبّاع. دار الكتب العلمية.

١٣٥. النكت والعيون، للماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود. دار الكتب العلمية، ومؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٣٦. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي. المكتبة العلمية ببيروت.

١٣٧. هدية العارفين، لإسماعيل البغدادي. طبع بعناية وكالة المعارف، استانبول، ١٩٥١م.

١٣٨. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي، تحقيق: عبد السلام هارون وعبد العال

سالم. دار البحوث العلمية بالكويت، ١٣٩٤هـ.

١٣٩. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي، تحقيق: عادل أحمد وعلي محمد وأحمد محمد وأحمد عبد الغني وأحمد عويس. دار الكتب العملية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١٤٠. الوفايات، لمحمد بن رافع السَّلامي، تحقيق: صالح مهدي عباس. مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

١٤١. الوفيات، لابن قنفذ القسنطيني، تحقيق: عادل نويهض. منشورات دار الآفاق الجديدة، ببيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ.



فهرس المحتويات

حَقُّ الطِّفْلِ الْمُسْلِمِ الْعَقَدِيُّ عَلَىٰ أَبَوَيْهِ

(دِرَاسَةٌ مَّيْدَانِيَّةٌ)

إِعْدادُ :

د. طَارِقِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ حَجَّار

الأُسْتَاذِ فِي كُلِّيَّةِ الدَّعْوَةِ وَأُصُولِ الدِّينِ فِي الْجَامِعَةِ – سَابِقاً



مُقدّمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢]، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١]، قال تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١] .

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمدﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار(١).

إن موضوع حق الطفل المسلم العـقدي على والديه من الأصول الدينية في الإسلام التي جاء التأكيد عليها في القرآن الكريم في قوله جل من قائل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا..الآية﴾ [التحريم:٦]. ويقول الرسول النبي العربي ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، الرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته، المرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها .. الحديث» (٢). وللأبناء على الآباء حقوق شرعية منها:

---

(١) مسلم، ١٩٧٢م، ٢/٥٩٢

(٢) البخاري، ٢/٦.

حق اختيار الأم الصالحة والأب المتدين ذي الخُلق،وأن يختار له الاسم الحسن، وأن يعق عنه وأن يختنه إن كان ذكراً، وله أيضاً حق الرضاعة والاستفتاح بعد ولادته بالأذان الذي يتضمن كلمة التوحيد، وغرس حب الله تعالى وحب رسوله ﷺ، وحب القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وتعليمه الخلق الحسن والآداب العامة الاجتماعية، والقيم الإسلامية المختلفة في حياته العامة.ثم إذا بلغ سن السابعة يعلمه الصلاة ونحو ذلك حسب نموه في مراحله المختلفة .

ولبعد كثير من الآباء والأمهات عن إعطاء هذا الحق لأبنائهم نبعت فكرة البحث عن موضوع حق الطفل المسلم العقدي على أبويه، فمعظم الآباء والأمهات يقدمون بحكم الفطرة كل ما لديهم لأبنائهم حتى يكونوا سعيدين في حياتهم الدنيوية . ولكن قصوراً غالباً ما يكون في الجانب العقدي الذي يعتبر – في منهج التربية الإسلامية – القاعدة والأصل الأول . فما مدى اهتمام الأسرة المسلمة بغرس الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وغرس الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، وباقي عقيدة أهل السنة والجماعة في نفوس أطفالهم ؟ قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [البقرة:٢٨٥] . جاء في حديث جبريل عليه السلام حين سأل الرسول ﷺ ما الإيمان، «قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله، وتؤمن بالبعث» الحديث[١] ومن أجل ذلك جاء موضوع البحث الحالي في حق الطفل المسلم العقدي على والديه .

- **أهميـــة البحث:**

يكتسب البحث الحالي أهميته من واقع بُعد كثير من الآباء والأمهات

---

(١) البخاري، ١/٢٠ – ٢١.

عن التنبه لأهمية تنمية الإيمان المقصود في أطفالهم، وكذلك واقع التيارات المعاصرة من الوسائل الإعلامية المرئية والمسموعة، وأماكن الملاهي وقصص الأطفال وبعض وسائل الترويح . والبحوث في هذا المجال كثيرة، ومنها ثقافة الطفل المسلم، أحمد عبدالعزيز الحليبي، ١٤١٩هـ، أثر وسائل الإعلام على الطفل . إبراهيم ياسين الخطيب وآخرون، ٢٠٠١م . وما موضوع مؤتمرات حق المرأة والطفل في العالم الإسلامي إلاّ جزء من هذه الجهود المبذولة للوقوف أمام هذه التيارات التي خصصت كثيراً من أموالها وأفكارها للقضاء على علاقة الطفل بربه وخالقه، وربطه بالأمور المادية فقط، ومنها مؤتمر حقوق المرأة والطفل بين التشريعات الوصفية والدولية والسماوية المنعقدة في جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ١٦ – ١٧ يوليو ٢٠٠١م . ولضعف مفهوم المسؤولية الشرعية عند كثير من أولياء أمور المسلمين من الآباء والأمهات والمعلمين والمفكرين والكتاب والأدباء تظهر أهمية توضيح الجانب العقدي الذي هو المحرك الأساس في النفوس إذا غرس في بداية حياة الإنسان . ومن المتوقع أن يخدم هذا البحث الأبوين في غرس العقيدة في نفوس أبنائهم من خلال النتائج التي توصل إليها البحث بمشيئة الله تعالى، وكما يكتسب البحث أهمية من كونه مساهمة في تعريف الأبوين بحقوق الطفل .

- أهداف البحث:

١- إظهار حق الطفل في التربية العقدية على والديه من منظور منهج التربية الإسلامية .

٢- إلى أي مدى يتأثر تطبيق الوالدين حق الطفل في التربية العقدية الإسلامية وفقاً لمتغيرات: القرابة، العمر، المؤهل التعليمي، عدد الأطفال، نوع السكن .

٣- الخروج ببعض التوصيات المساندة لتطبيق مقتضيات حق الطفل في التربية العقدية الإسلامية .

● تساؤلات الدراسة:

تعمد الدراسة الحالية الى محاولة الاجابة على التساؤلات التالية:

س١/ ما حق الطفل على والديه من منظور التربية الإسلامية ؟

س٢/ ما الأساليب التي يستعملها الوالدين في تطبيقهم لمقتضيات حق الطفل في التربية العقدية من منظور منهج التربية الإسلامية ؟

س٣/ إلى أي مدى يطبق الآباء مقتضيات حق الطفل في التربية العقدية في الحياة العملية ؟

س٤/ إلى أي مدى يتأثر تطبيق الآباء لمقتضيات حق الطفل في التربية العقدية في الحياة العملية بمتغيرات (القرابة، العمر، المؤهل التعليمي، عدد الأطفال نوع السكن) ؟

● منهج البحث:

اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي لمدلولات الآيات والأحاديث ذات العلاقة، وإستجابات الآباء على مفردات الأداة المستخدمة وذلك لوصف وتحليل إجابات عينة الدراسة من أجل الوصول إلى معرفة إلى أي مدى يتأثر تطبيق الوالدين لمقتضيات حق الطفل العقدي في التربية الإسلامية؟ واعتبر المنهج الوصفي التحليلي هو أنسب مناهج البحث لموضوع الدراسة الحالية [١].

● تعريفات لغوية واصطلاحية:

العقيدة في اللغة: (عَقَدَ) الحبل والبيع والعهد (فانْعَقَدَ)، (اعْتَقَدَ) كذا بقلبه [٢].

العقيدة في الاصطلاح: مجموعة من قضايا الحق البديهية المسلمة بالعقل

(١) العساف / ١٤١٦هـ/ ٢٣٥.

(٢) الرازي، ٤٤٤ – ٤٤٥.

والسمع والفطرة يَعقدُ عليها الإنسان قلبه، ويثنى عليها صدره جازماً بصحتها قاطعاً بوجودها وثبوتها، لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبداً [(١)].

التربية في اللغة: مصدر ربَّ يرُب: ويكون الرَّبُّ المصلح . رَبَّ الشيءَ إذا أصلحه . ورَبَّ ولده والصّبيّ يَرُبه ربّاً، وربّبه تَرْبيبا وتَربّه بمعنى ربّاه . وفي الحديث: لك نعمة تربُّها، أي تحفظها وتراعيها وتُربّيها، كما يُربّي الرجل ولده[(٢)].

التربية الإسلامية: مجموعة المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد يستند إلى المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام أو التي ترسم عدداً من الإجراءات والطرائق العملية التي تؤدي تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سلوكاً يتفق مع عقيدة الإسلام .[(٣)]

- التعريف الإجرائي للحق العقدي:

الواجب الذي ينبغي أن يقوم به الوالدان في تنمية الاتجاه العقدي نحو الطفل.

- الطفـــل:

ويقصد به من مرحلة الرضاعة وحتى نهاية الحضانة (١ – ٦) .

- الجانب النظري:

ويتناول هذا الجزء من البحث خصائص العقيدة الإسلامية وقواعد تثبيتها في نفس الطفل؛ ومراحل النمو والواجبات القائمة في تربية النشء .

- أهم خصائص العقيدة الإسلاميـــة:

أولاً – العقيدة الإسلامية توقيفية:

---

(١) الجزائري / ٢١.

(٢) ابن منظور، ١/١ ٤٠.

(٣) سعيد / ١٩٧٣م/١٦٩.

تعريف التوقيفية: هو الحبس والمنع[1]

والمراد به شرعاً عند الاطلاق أمران:

الأول: أن الرسول ﷺ قد أوقف أمته على حقائق العقيدة الإسلامية بحيث لم يترك من تفاصيلها شيئاً إلاّ بينه.

الثاني: حبس اللسان عن الكلام في العقائد الإسلامية إلاّ بدليل من القرآن الكريم والسنة النبوية[2].

ومن موجبات كونها توقيفية ما يلي:

- أن مصدر العقيدة الإسلامية القرآن الكريم والسنة النبوية .

- ضرورة الالتزام بألفاظ القرآن الكريم والسنة النبوية المعبرة بها عن العقدية .

- استعمال ألفاظ القرآن الكريم والسنة النبوية فيما سيقت له .

- ألاّ تحمل ألفاظ القرآن الكريم والسنة النبوية ما لا تحمله من المعاني .

- ألاّ يستعمل في التعبير عن العقيدة غير الألفاظ المعبر بها عنها .

- السكوت عما سكت عنه القرآن الكريم والسنة النبوية، ذلك بتفويضه إلى علم الله .

- ألاّ تثبت ولا تنفي إلاّ ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية نفيه أو إثباته.

- التزام ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية من العقائد .

- أن تقدم دلالة القرآن الكريم والسنة النبوية على ما سواها من عقل أو

---

(١) ابن منظور، ٩/٣٥٩.

(٢) البريكان، ١٤١٨هـ، ٦٢

ذوق أو حس ونحوه [١].

ثانياً – العقيدة الإسلامية غيبية:

من خصائص العقيدة الإسلامية أنها غيبية ولا يعني هذا بالضرورة أن قضايا العقيدة كلها غيبية لا تدرك بالحواس . ولكن من أساسيات الإيمان أن يؤمن الإنسان بالغيب، لقول الله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾ [البقرة: ١–٣] .

والغيب معناه ما غاب عن الحس بحيث لا يرى ولا يشم ولا يلمس ولا يسمع إذ الحواس هي نوافذ العقل وطرقه في الحصول على المعلومات [٢].

ثالثاً – شمولية العقيدة الإسلامية:

فهي شاملة لجميع القضايا الكبرى التي ضل في تصورها كثير من الناس، كما أنها متصفة بالكمال الذي لا نقص في جميع أوجهه لأنها تشمل عمل القلب والجوارح [٣].

رابعاً – العقيدة الإسلامية منهجية:

أي أنها ليست مرتجلة وإنما لها منهجها وشرعتها التي أمرها الله في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ (المائدة: ٤٨).

● أهم قواعد تثبيت العقيدة عند الأطفال:

أركان العقيدة الإسلامية تتمثل في الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه،

---

(١) البريكان، ١٤١٨هـ، ٦٤.

(٢) البريكان، ١٤١٨٨هـ، ٦٥.

(٣) البريكان، ١٤١٨هـ، ٦٨ – ٧٢.

ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وربما يقف القائمون على تربية الأطفال من الآباء والأمهات والمعلمين وغيرهم ممن يهتم بأمر التربية الإسلامية الصحيحة على المنهج القويم فيتساءلون كيف يربون الأطفال على العقيدة السليمة وكيف يقدمون لهم أمور العقيدة وهم صغار لا يدركون معناها . ونحو ذلك . ولهؤلاء المتسائلين في تعامل النبي ﷺ مع أطفال المسلمين من أبناء المهاجرين والأنصار القدوة والمثل الأعظم . ويمكن القول إن من القواعد النبوية في تثبيت العقيدة الإسلامية عند الأطفال ما يلي:

- القاعدة الأولى: تلقين الطفل كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله):

يقول الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل:٧٨] .

روى الإمام احمد في مسنده «أن رسول الله ﷺ بعث سرية يوم حنين، فقاتلوا المشركين، فأفضى بهم القتل إلى الذرية فلما جاءوا، قال رسول الله ﷺ: ما حملكم على قتل الذرية ؟ قالوا: يا رسول الله، إنما كانوا أولاد المشركين، قال: وهل خياركم إلا أولاد المشركين، والذي نفس محمد بيده ما من نسمة تولد إلا على الفطرة يُعرب عنها لسانها» .

الآية الكريمة قررت أن المولود يولد وقد مكنه خالقه تعالى بوسيلة السمع والبصر والعقل، لذا فهو يسمع ويبصر غير أنه لا يفصح، والحديث النبوي كذلك يؤكد على وجود الفطرة النقية السليمة على قبول الدين الإسلامي الموافق لها . والإنسان يتعلم ما يتلقاه ويكتسبه من والديه كما جاء في الحديث «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» [(١)].

---

(١) سنن أبي داود، ١٣٩٤هـ، ٥/٨٦.

وجاء في حديث أبي رافع قال: «رأيت رسول الله ﷺ أذّن في أُذن الحسن ابن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة» [١]. ومفهوم الحديث السابق كما يوضح ابن القيم في تحفته «فإذا كان وقت نطقهم فليلقنوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله سبحانه وتعالى وتوحيده» [٢].

ومما جاء عن أفعاله ﷺ مع الأطفال ما ذكره ابن كثير في تفسيره «أن النبي ﷺ كان يعلّم أهله هذه الآية: ﴿الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ..﴾ الآية، الصغير من أهله والكبير، وسمى النبي ﷺ هذه الآية آية العز» [٣]. وقد روى عبدالرزاق أن النبي ﷺ كان يعلّم الغلام من بني هاشم إذا أفصح سبع مرات وذكر آية الإسراء (١١١) السابقة الذكر [٤].

فهذه الأحاديث والآيات تؤكد أن على الوالدين القيام بتلقين معنى التوحيد للطفل من بداية حياته حتى ينمو وهو يسمعها ويعيش فيها قولاً وعملاً.

- القاعدة الثانية: تنمية الاتجاه نحو حب الله تعالى والاستعانة به، ومراقبته تعالى، والإيمان بالقضاء والقدر:

في هذه القاعدة أحاديث عديدة منها ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ترفع العصا على أهلك، وأخفهم في الله عز وجل» رواه الطبراني وإسناده جيد كما ذكر [٥].

ومن الأحاديث ما أخرجه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

---

(١) الترمذي، ٩٧/٤، حسن لغيره، الزهراني، ١٤١٣هـ، ١٤٤.

(٢) ابن القيم، ١٥٥.

(٣) ابن كثير ٧١/٣.

(٤) الصنعاني ١٤٠٣، ٣٣٤.

(٥) الهيثمي، ١٠٦/٨.

«كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف»[1]. وفيه زيادة: تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وأعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً [2].

ومن توجيهات الأحاديث السابقة أن الله يحفظ العبد بحفظ حدود الله . وأن الحاجات لا يقضيها إلا الله تعالى فالواجب على العبد أن لا يسأل إلا الله . وأن القضاء والقدر كله بيد الله تعالى في الخير والشر . وكذلك أن التعرف على الله في الرخاء سبباً لعون الله للعبد في الشدة إذا دعاه .

ويُلاحظ أن معظم كلمات الحديث السابق قوية وغيبية . ومع ذلك فإن المربي الأول محمد بن عبدالله ﷺ يوجهها للغلام وهو حدث صغير السن . فما علينا نحن المسلمين إلاّ أن نفعل ونقول كما قال وفعل ﷺ . فالخير كله في اتباعه ﷺ في تربية أطفالنا منذ الصغر على الجانب العقدي في حب الله تعالى والاستعانة به ومراقبته والإيمان بالقضاء والقدر .

● القاعدة الثالثة: تنمية الاتجاه نحو حب النبي ﷺ:

إن غرس وترسيخ حب النبيﷺ هو الشطر الثاني من تحقيق كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله). وترسيخ حب النبي ﷺ في نفوس الأطفال يحرك

(١) الترمذي، ٤/٦٦٧.

(٢) أحمد بن حنبل، ١/٢٩٣.

مشاعرهم وتقوي إيمانهم ويزيد من قوة الشعور والوعي الإسلامي في نفس المرء.

كما أنه من الملاحظ أن النفس البشرية تميل الى المحاكاة والتقليد وأخذ القدوة أو الأسوة . لذا نرى أن كل الأمم تحاول أن تجعل من بعض أفرادها ذكوراً أو إناثاً قادة في مكان التأسي بهم . وأكّد القرآن الكريم على هذه الحقيقة في قوله جل من قائل: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١] .

وفي الحديث الذي رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه: «أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ متى الساعة ؟ فقال رسول الله ﷺ : وما أعددت لها ؟ فقال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله فقال ﷺ أنت مع من أحببت . قال أنس: فأنا احب النبي ﷺ وأبابكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم»[1]. إن هذا الحديث يبين ضرورة تنشئة الصغير على حب رسول الله ﷺ وحب صحابته الكرام رضي الله عنهم .

وجاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وهو من صغار الصحابة قال: قلنا يا رسول الله هذا التسليم، فكيف نُصلي عليك ؟ قال: قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم .

وهكذا فمن طريقة تربيته ﷺ للصغار أنه كان يجالسهم ويعلمهم ويوجههم إلى خير الدنيا والآخرة .

فإذا تمكن حب النبي ﷺ من قلب الطفل تأسى به وهو مطيع له أيضاً لأن من أحب إنساناً أحب قوله وفعله وأخلاقه . وهكذا نرى أن صغار الصحابة حينما غُرس في نفوسهم حبه ﷺ جاءت الاستجابات لندائه وتنفيذ أوامره. فهذا

---

(١) مسلم ٤/٢٠٣٢.

ابن عباس رضي الله عنهما يروي لنا أن النبي ﷺ دخل الخلاء قال: «فوضعت له وضوءاً فقال من وضع هذا؟ فأخبرته فقال ﷺ: اللهم فقهه في الدين»[1].

ومن ثمرات محبة النبي ﷺ في نفوس صغار الصحابة قصة عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه مع الغلامين الأنصاريين يوم بدر حينما عرفا أن أبا جهل كان يكره الرسول ﷺ وعاداه في مكة فكانا أول من أسهما في قتله[2] .

من ثمرات حب النبي ﷺ في صغار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، حبهم ما يحبه هو ﷺ . ومن ذلك ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: «دخلت مع النبي ﷺ على غلام خياط، فقدم إليه قصعة فيها ثريد، وعليه دبّاء، وأقبل على عمله قال: فجعل النبي ﷺ يتتبع الدبّاء (القرع) قال أنس: فجعلت أتتبعه وأضعه بين يديه، قال: وما زلت بعد أحب الدبّاء[3]». أحب أنس الأكل الذي أحبه النبي ﷺ .

ومن ثمرات محبته ﷺ حفظ صغار الصحابة لأحاديثه ﷺ . ومن ذلك ما أخرجه الترمذي عن أبي الحوراء السعدي بن شيبان قال: قلت للحسن بن علي رضي الله عنهما ما حفظت من رسول الله ﷺ ؟ قال: حفظت منه: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة[4].

ما تقدم جزء من الثمرات لمحبته ﷺ من قبل أصحابه الصغار رضي الله عنهم أجمعين [5].

---

(١) البخاري ١/٤٨.

(٢) ابن كثير، ١٤٠٣هـ، ٢/٤٤٢.

(٣) البخاري، ٧/٩٨.

(٤) الترمذي، ٤/٦٦٨.

(٥) انظر السويد، ١٤١٩هـ، ١٠٥ – ١٨١.

● القاعدة الرابعة: حفظ الأطفال القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو المصدر الأساس للعقيدة الإسلامية. وكتب العقيدة بحثت في أمور العقيدة حسب المشاكل التي تثار في كل عصر. ولهذا فإن ربط قلب الأطفال بالقرآن الكريم يعني ربطه بالكلام المعجز مما يزيده قوة عقدية وفكرية أيضاً . فالقرآن الكريم كتاب هداية فيه الجانب العقدي من المغيبات والتشريع في العبادات والمعاملات وأمور الحياة الأخرى .

ومن الأحاديث في هذه القاعدة ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: «توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم»(1). وعنه أيضاً قال: «كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن»(2). وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة (مراهقون) فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً»(3).

ومن ثمرات تعلم الأطفال القرآن الكريم وهم في المرحلة المبكرة من عمرهم أنه يؤهلهم لأن يكونوا مبدعين في سن مبكرة في التأليف والتصنيف والابتكار، ونفع الأمة بعلومه . فهذا الإمام الجزري يقول عن نفسه لتأليف كتاب (التمهيد) ((مما ألفناه حال اشتغالنا بهذا العلم في سن البلوغ))(4). فتعليم القرآن الكريم للأطفال قاعدة إيمانية أسس عليها النبي ﷺ أطفال الصحابة رضوان الله عليهم . وتابعه بعد ذلك أصحابه والتابعون ومن بعدهم وعلينا

---

(١) البخاري، ٨٣/٩.

(٢) مسلم، ٣٠٣/١.

(٣) ابن ماجه، ٢٣/١.

(٤) ابن الجزري، ٢٠٩/١.

العودة نحن كذلك إلى تعليم أطفالنا القرآن الكريم وتطبيق تعاليمه منذ سن الطفولة المبكرة .

عرفت فيما تقدم بعض قواعد ترسيخ العقيدة في نفوس وعقول أطفال المسلمين على منهج المربي الأول محمد بن عبدالله ﷺ . ويليه موجز عن النمو العقلي لدى الأطفال .

• النمو العقلي لدى الأطفال:

حدد القرآن الاستعداد الفطري للتعلّم عند بني آدم في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٣١-٣٣] . والآيات الكريمة تشير إلى أن العلم يأتي بالاكتساب والخبرة والتدرج مع سنوات عمر الإنسان، فالطفل لا يعلم شيئاً عند ولادته لكن يدرك بحواسه ويعبر عن رغباته وحاجاته بأساليب معينة كالبكاء والحركة إلى أن ينمو لديه الجهاز الصوتي بشكل متدرج، غير أنه لا يعبر إلاّ عند نمو جهازه الصوتي . وقد علق ابن عاشور على هذه الآيات قائلاً: ((ويمكن أن يكون تعليم الله تعالى آدم الأسماء بطريقتين: التلقين بعرض المسمى عليه فإذا أراه لقن اسمه؛ أو أن يكون التعليم بإلقاء علم ضروري في نفس آدم بحيث يخطر في ذهنه اسم شيء عندما يعرض عليه فيضع له اسماً))[1].

ويقول جل من قائل: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا

(١) ابن عاشور، ١٩٨٤م، ١/ ٤١٠.

تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل:٧٨] . يقول الطبري في هذا المعنى: ((والله تعالى أعلمكم مالم تكونوا تعلمون من بعدما أخرجكم من بطون أمهاتكم، لا تعقلون شيئاً ولا تعلمون، فرزقكم عقولاً تفقهون بها، وتميزون بها الخير من الشر ... ويقول: والقلوب هي التي تعرفون بها الأشياء فتحفظونها، وتفكرون فتفقهون بها)) [١]. ولعله ما قاله سيد قطب في إضافة لمعنى كلمة (الأفئدة) قال: ((والقرآن يعبر بالقلب ويعبر بالفؤاد عن مجموع مدارك الإنسان الواعية؛ وهي تشمل ما اصطلح على أنه العقل)) [٢].

إن عقل الطفل قدرة مخلوق معه منذ البداية، فهي قدرة تختلف من فرد إلى آخر . ومن خلال نوافذه الخمسة المعروفة وخصوصاً السمع والبصر فإن صفحات عقل الطفل تبدأ في حفظ وتخزين المعلومات الواردة.ويقوم العقل بالعمليات المختلفة بعد ذلك من تفكير وتذكر وانتباه وغيرها، وينمو ذلك ويتطور مع ازدياد الخبرات والتلقي .

فإن كان في نظر الراشد أن الطفل لا يدرك ما يُقال له وخصوصاً المعاني المجردة أو المغيبة أو الحلال والحرام أو الجوانب الإيمانية أوغيرها فهذا لا يعني ألاّ يقوم الكبار بتلقينه إياها . فالعقيدة تنمو مع الطفل مثل الشجرة التي تنمو وفيها أصل ثمارها . وعند اكتمال نموها – بإذن الله – تؤدي أكلها وثمراتها .

كما بينت الدراسات المعاصرة، وبعد مرور زمن طويل على بعثة النبي محمد ﷺ ((أن السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل تعتبر أسرع فترة نمو وخاصة في الجانب العقلي والمعرفي، مما يجعل أثرها باقياً على مر السنين . وعليه فإن للخبرات التي يمر بها الطفل في مرحلتي المهد وما قبل المدرسة أهمية خاصة .

(١) الطبري، ١٤٠٨هـ، ٨/١٥٢.

(٢) سيد، ١٣٩٩هـ، المجلد ٤ / ٢١٨٦.

وينبغي أن توجه هذه المرحلة نحو تحقيق أقصى قدر من النمو للطفل في شتى المجالات)) .[١]

وقد قسم أصحاب الاختصاص النمو العقلي للطفل إلى مرحلتين:

● أولاً: النمو العقلي في مرحلة الرضاعة:

مما يساعد على نمو القدرات العقلية لطفل مرحلة الرضاعة النمو العضلي، إلاّ أنه ليس كافياً بمفرده بل يضاف إليه عامل التكيف والتفاعل الاجتماعي الذي يساعد الطفل على اكتساب الخبرة بالاحتكاك والتعامل مع الآخرين ومع الأشياء التي تحيط به ((إذ ينتج من هذا التعامل معرفة صفات هذه الأشياء وخصائصها)) [٢].

والذكاء في مرحلة الرضاعة يوصف بأنه حسي حركي كما وصفه بياجيه ومن خصائص الذكاء في هذه المرحلة أنه سريع في نموه، حيث يتعلم الرضيع من الخبرات اليسيرة في الممارسة والتدريب، وتقليده للكبار، وعلى الأخص الأم والإخوة الذين يعيشون معه، ويساعد هذا الالتحام مع من هم أكبر منه أن يكتسب اللغة والقيم والعادات وغير ذلك، ومن ذلك الجوانب العقدية وحركات الصلاة وحفظ بعض آي القرآن الكريم والأدعية المأثورة وأسماء الأشياء كما هو ملاحظ، لذا ينبغي على الأبوين والإخوة الكبار الراشدين أن يقدموا النموذج الصالح في جميع أعمالهم القولية والعقلية والآداب والأخلاق الحميدة، ((حيث تسمى هذه المرحلة في الغالب بالمرحلة الإيحائية لسهولة استهواء الطفل من جانب الكبار)) [٣].

---

(١) الناشف، ١٤١٧هـ، ٤٣ – ٤٤.

(٢) أسماء، ١٤٠٢هـ، ٤٩٢.

(٣) الجسيماني، ٢٩.

وبخصوص المدة الزمنية لمرحلة الرضاعة فقد حددت من فوق سبع سماوات قال الله تعالى في محكم التزيل: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة:٢٣٣]، ويقـــول أيضاً: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان:١٤]. زالفصال في الآية يعني الفطام.

● ثانياً: النمو العقلي في مرحلة الحضانة:

الطفل في هذه المرحلة في حاجة ماسة إلى أبويه، أمه على الأخص،فهو محتاج إليها لما عندها من الحب والحنان والعطف والخوف على هلاكه، فلها دور ومسؤولية في رعايته وتنشئته وبنائه على منهج التربية الإسلامية المنبثق من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، لذا حرص منهج التربية الإسلامية أن تكون هي الحضانة له إذا طلقت ولم تتزوج أو أن تكون فاسقة فهي أحق برعاية وحضانة طفلها من غيرها. روى عبدالله بن عمرو بن العاص: أن امرأة قالت يا رسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وثديي له شفاء، وحجري له حواء، وإن أباه طلقني، وأراد أن يترعه مني، فقال رسول الله ﷺ: «أنت أحق له ما لم تُنكحي»[١].

حدد الفقهاء مدة الحضانة إلى بلوغ الطفل سن التمييز، قال ابن قدامة: «الغلام إذا بلغ سبعاً..وقيل بالسبع؛ لأنها أول حال أمره الشرع بالصلاة..»[٢].

ومن علامات النمو العقلي حب الاستطلاع لما رآه أو يسمعه وهذا ملاحظ في الأطفال ومما يدل عليه كثرة الأسئلة محاولاً الاستزادة المعرفية عن كل ما يثير انتباهه، ومن خلال كثر أسئلته عن نفسه أو ما يحيط به، تقوم الأم

---

(١) أبو داود، ١٣٩٤هـ، ٢ / ٢٨٣.

(٢) ابن قدامة، ٧ / ٦١٤.

أو الأب أو الإخوة الكبار بتوجه نظره إلى خالقه تبارك وتعالى وشكره ودعائه، فمثلاً عند سؤاله من أين ولد ؟ يكون الجواب: الله أراد أن تكون في بطني تسعة أشهر، وكيف أكبر؟ الله جعل العظام والعضلات تنمو عن طريق الأكل والشرب. وهكذا نلفت نظر الأطفال عند أسئلتهم المختلفة، وشاهد ذلك في قوله تعالى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة:١٨٩] .

في هذه المرحلة يلاحظ على الطفل تكوين مفاهيم الأشياء «مثل مفهوم الزمان، المكان، العدد، الأشكال، المأكولات، الملبوسات ... وغير ذلك، كما تزداد قدرة الطفل على الفهم، فهو يستطيع أن يفهم الكثير من المعلومات البسيطة، كما تزداد مقدرة الطفل على التعلم من الخبرة والمحاولة والخطأ .

أما عن العمليات العقلية مثل التذكر فيلاحظ زيادة في تذكر العبارات المفهومة، وعن التخيل ملاحظ عليه من خلال اللعب الإيهامي أو الخيالي من خلال اللعب بالدمى أو العرائس وغيرها، أما عن التفكير ففي هذه المرحلة يدور حول نفسه، كما يبرز التفكير الرمزي»(١).

بعد ما عرفنا كيف ينمو عقل الأطفال ينبغي أن نتعرف على الوقت المناسب لترسيخ العقيدة في نفوسهم .

● بدء بناء الجانب العقدي لدى الأطفال:

يؤكد القرآن الكريم الذي أنزل على خير مرب محمدﷺ، أن المؤمن خير من الكافر والمشرك . قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة: ٦ – ٧]

(١) زهران، ١٤٢٢هـ، ٢٠٣ – ٢٠٤

فالتربية الإسلامية في منهجها تختلف عن غيرها في بناء الجانب العقدي للطفل اختلافاً جذرياً . والعقائد الجاهلية الوضعية أو المنحرفة ترى أن موضوع العقيدة ما هو إلاّ أحكام عقلية مجردة مكتسبة من المحيط الذي يعيش فيه الإنسان . أما التربية الإسلامية فإنها تؤكد على أن بذرة العقيدة فطرية . والبيت والمجتمع المسلم يقوم برعاية ومتابعة هذه البذرة . يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] .

والنبي ﷺ يؤكد على ذلك فيما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرت بين يديه ثم كلمهم قبلاً قال: ألست بربكم ؟ قالوا: بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين ..»[(١)]..

ودليل ذلك أيضاً قوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة (الملة الإسلامية)، فأبواه يهودانه أو ينصرانه ..»[(٢)]، ذكر ابن كثير في مراجعة أقوال السلف والخلف ما نصه: إن المراد بهذا الاشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد [(٣)].

والإمام الغزالي يقول: ((أعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوئه، ليحفظه حفظاً، ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئاً فشيئاً))[(٤)]..

(١) مسند الإمام أحمد، ٢٧٢/١.

(٢) سنن أبي داود، ١٣٩٤هـ، ٨٦/٥.

(٣) ابن كثير، ٢٦٥/٢.

(٤) الغزالي، ١٤٠٣هـ، ٩٤/١.

إذن بناء الجانب العقدي في الطفل يجب أن يبدأ منذ بداية خروجه إلى الدنيا . وقول عبيدالله بن أبي رافع، عن أبيه يؤكده، قال: «رأيت رسول الله ﷺ أذّن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة[1]».

ويقول ابن قيم الجوزية إتماماً لما سبق: «وأن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام، فكان ذلك كتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها» [2]..

أوضحت بعض الدراسات أن السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل أسرع فترة نمو وخاصة في المجال العقلي المعرفي، مما يجعل أثرها باقياً على مر السنين؛ إذ أثبتت الدراسات النفسية التي قام بها جان بياجيه، وماكفيكر هنت، وبنجامين بلوم وغيرهم كثيرون أن التعلّم في السنوات الأولى يشكل الأساس الذي يقوم عليه التعلم في المراحل اللاحقة [3]..

ويرى الباحث أن من ضمن أسباب طول مرحلة الطفولة عند الإنسان عن غيره من المخلوقات الحية الأخرى هو أن الإنسان مخلوق عاقل، والعقل مناط التكليف . وينبغي على الوالدين والقائمين على تربية الأطفال وتعليمهم في المؤسسات التعليمية التربوية أن يراعوا غرس الجانب العقدي في الطفل . ويرى الباحث أن غرس العقيدة في نفس الطفل ربما ينبغي أن تمر بست مراحل هي كما يلي:

١ - مرحلة التلقين . ٢ - مرحلة الترغيب . ٣ - مرحلة التعويد ٤ - مرحلة الملاحظة . ٥ - مرحلة التفكير . ٦ - مرحلة الممارسة .

(١) الترمذي، ٤/٩٧.

(٢) ابن قيم الجوزية، ٢٤.

(٣) الناشف، ١٤١٧هـ، ٤٣-٤٤.

بعدما تقدم متى يتم ترسيخ العقيدة الإسلامية في نفوس الأطفال لا بد أن نتعرف على حق الطفل على والديه بعامة في منهج التربية الإسلامية .

- **حق الطفل على والديه من منظور منهج التربية الإسلامية:**

إن موضوع حق الطفل المسلم العقدي على والديه ينطلق من قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا .. الآية ﴾ [التحريم:٦] كما تقدم . والحديث المشهور الذي رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا كلكم راع ومسؤول عن رعيته ... الرجل راع في أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وهي مسؤولة عنه ...(١)». والرعاية في الحديث إعطاء الحقوق الشرعية لأصحابها، ومن أهمها الجانب العقدي .

فالأبناء مسؤولية كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه(٢)». وعلى الآباء إعطاؤهم حقوقهم الشرعية كاملة بقدر مستطاع كل أب وأم .

ومن أهم الواجبات المنوطة على الآباء تجاه أبنائهم ما يلي:(٣)

١- اختيار الأم الصالحة ذات الدين، واختيار الأب ذي الدين وحسن الخلق .

٢- اختيار البيئة الصالحة لإقامة الأبوين .

٣- المعاشرة بين الأبوين بتطبيق السنة في جميع أمور حياتهم .

٤- اتباع السنة في استقبال الطفل مثل: اختيار الاسم الحسن، الختان إن

---

(١) الترمذي، ٤/٢٠٨.

(٢) الترمذي، ٤ / ٢٠٨ – رجاله ثقات، الألباني، ٤/١٧٩.

(٣) الشنتوت، ١٤١٧هـ، ١٠٧.

كان ذكراً، العقيقة، التحنيك (وضع التمر بعد ترطيبه في فم الطفل) .

٥- إشباع بداية حياتهم بالحنان والعطف والرحمة واللعب (الترويح) المباح .

٦- انتقاء ما يشبع احتياجات الطفل ورغباته وميوله .

٧- تعليمهم القرآن الكريم والآداب العامة .

٨- تعويدهم على الصلاة في البيت من سن السابعة، وفي المسجد أيضاً.

٩- تدريبهم على الصيام والتعامل مع الآخرين .

١٠- الاهتمام بتربية ورعاية الجانب العاطفي والجسمي والصحي فيهم .

١١- إطعامهم وإكساؤهم بالحلال .

١٢- اختيار أصدقائهم .

١٣- العدل بين الأبناء .

١٤- تعليمهم شكر الله تعالى ودعائه في جميع أحوالهم .

١٥- تعويدهم الآداب العامة في جميع أمور حياتهم .

بعد إجمال الحقوق العامة للطفل المسلم في منهج التربية الإسلامية على أبويه لا بد أن نعرف شيئاً عن أهم الأساليب المتبعة في تكوين العقيدة الإسلامية عنده .

● أهم أساليب تكوين الجانب العقدي للأطفال:

أولاً: أسلوب التدرج:

اقتضت مشيئة الله تعالى في النمو البشري وغيره من المخلوقات أن تأخذ أسلوب التدرج والبناء وما ذلك إلاّ لبلوغ الهدف والغاية من النماء .

وما النمو الإنساني إلاّ من الأشياء التي أخضعها الله تبارك وتعالى لهذا الأسلوب، فالطفل قبل أن يكون طفلاً كان ماء مهيناً، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة: ٨] . ويؤكد على نفس الأسلوب

في قوله جل من قائل: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ [النحل:٧٨] .

فمبدأ النمو سنة إلهية فالإنسان ينمو شيئاً فشيئاً، وتتنبه قواه الحاسية والعقلية بالتدرج بعضها قبل بعض، حسب أولوية حاجة الإنسان إليها، منها خصائص منفردة لا بد من مسايرتها ومراعاتها أثناء عملية البناء الثقافي (المعرفي) لتفادي ما ينشأ عن إهمالها من أضرار على حياة الإنسان . فالنمو العقلي مثلاً، لا تكون قدرته على الإدراك في بداية نموه مثل قدرته التي يصل إليها في نهايته[1].. وكذلك النمو الإيماني مثل غيره من المكتسبها المعرفية لذا لا يمكن أن يصل الطفل فيه إلى اليقين والتصديق وهو في سن مبكرة، غير أنه يتدرج معه من خلال جميع الأساليب حتى يصل إلى درجة اليقين وقد يكون ذلك عند بلوغه سن التكليف .

فأسلوب التدرج في الجوانب المعرفية حددها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان:٣٢]، وما ذلك إلاّ لبيان بعض الحكم في تنـــزيله تدريجاً[2] .

لذا فإن مراعاة أسلوب التدرج في بناء الجانب العقدي للطفل من قبل أبويه ضرورة نفسية وعقلية، فالسجية البشرية بطبيعتها وفطرتها لا تقبل الانتقال المفاجئ من حال إلى حال بل لا بد من استعمال أسلوب التدرج باتزان وحكمة وروية، حسب الفطرة الإنسانية .

ويؤكد الكحالة ذلك بقوله «إنشاء القاعدة الإيمانية في مرحلة الطفولة

---

(١) القاضي، ١٤٠١هـ، ٨٦.

(٢) الألوسي، ج١٩، ١٤.

ذات الأطوار المختلفة والاستعدادات المتغايرة في حاجة إلى التدرج حسب تطور مراحلها بدءاً بالأهم والأولى وإلى مراعاة سهولة العرض لقضايا العقيدة، وعدم تكليف الطفل ما لا يطيق من المسائل الدقيقة التي تتعب عقل الطفل ... وتكون غامرة في عمر الرضيع، كامنة تتم لتهب واحدة واحدة، ولا تزال كذلك حتى تبرز جميعاً في سن الرشد» (1). وهذا يؤكد أيضاً أن البناء العقدي للطفل يتم عن طريق أسلوب التدرج منذ بداية حياته .

ثانياً: أسلوب الأسوة الحسنة:

تعد الأسوة الحسنة من أهم الأساليب في غرس العقيدة الإسلامية في نفوس الأطفال وغيرهم، ومن المؤكد أن لها أكثر الأثر في نفوس الآخرين، فقد جعل الله تبارك وتعالى الأسوة الحسنة مرتبطة في أقوال وأفعال وأخلاق النبي المعلم محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١] . ويقول مؤكداً على عظمة الأسوة الحسنة في شخصية رسول الله ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

وفي القرآن الكريم لفتات بديعة يتوجه بها الخالق إلى رسوله ﷺ وهي تفصح عن مدى عنايته به، وتربيته له، وتعليمه بما يلقنه أو يقص عليه.(2) قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤].

وفي موضع آخر وبعد ذكر ثلة من الأنبياء حدد جل وعلا القدوة

---

(١) الكحالة، ١٤٠٠هـ، ٢ / ١١٥.

(٢) التهامي، ١٩٧٦م، ٥٥.

الحسنة فيهم، قال تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ ﴾ [الأنعام: ٨٩-٩٠].

والقدوة من أنجح الوسائل في إرساء قواعد الإيمان في مرحلة الطفولة، إذ يكون الطفل مندفعاً برغبة خفية إلى المحاكاة والاقتداء بمن يعجب به في لهجة الحديث، وأسلوب الحركة، والمعاملة والكتابة، ومعظم عادات السلوك دون أن يقصد.[١]

كما يؤكد محمد قطب «أن التلقين يأتي تالياً للقدوة في الترتيب والأهمية وأنه يعتمد اعتماداً كاملاً عليها، حتى أنه بغير القدوة الصالحة لا يثمر»[٢].

والذي يراه الباحث أن الأسوة الحسنة من أقوى الأساليب في غرس العقيدة الإسلامية في سلوك الطفل القولي والفعلي والأخلاقي، تصبح أصلاً في قلبه ناطقاً بها لسانه متحركاً بها جوارحه مع مرور الزمن.

ثالثاً: أسلوب إشباع العواطف:

من الاستعدادات النفسية التي فطر الله تعالى بني آدم عليها العواطف، وقد عُرِّفت على أنها «استعداد نفسي كامن ثابت نسبياً مركب من عدة انفعالات تدور حول موضوع معين ينشأ نتيجة تكراره على الفرد»[٣].

ومن أهم العواطف التي تساعد الأسرة على غرس العقيدة الإسلامية هي عاطفة الحب فالمؤكد أن النفوس جبلت على حب من أحبها أو أحسن

---

(١) النحلاوي، ١٤٠٣هـ، ٢٥٨.

(٢) قطب، ١٤٠١هـ، ١٢٢.

(٣) راجح، ١٩٧٩م، ١٢٢.

عليها . فالأبوين بتكرار جملة الحمد لله، وبسم الله، ولك الحمد يا الله، ويا رب، والأدعية المؤثورة عنه ﷺ في أحوال العبد المختلفة التي تؤكد حب الله تعالى في قلب الأبوين، ثم بسماع الطفل لها وتكرارها قولاً وفعلاً، كل ذلك مما يساعد على تكوين حب الله تعالى في نفس الطفل .

كما يمكن غرس حب الله تعالى في نفس الطفل من خلال الإجابة على أسئلتهم الموجهة للأبوين مثل: من خلق السماوات ؟ والأرض ؟ الطعام ؟ من أين المطر ؟ وهكذا فإن الأبوين من خلالها يغرسون حب الله تعالى له .

فالطفل إذا عرف نعم الله تعالى في نفسه والكون، توجهت عواطفه إلى محبة الله تعالى وطاعته بعد ذلك له . ويرى الإمام الغزالي – رحمه الله – أن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها [(١)].. فالحب يزيد بالإحسان وينقص بالإساءة، فإذا امتلأ قلب الطفل بمعرفته بالله تعالى، فاض بعاطفة الحب نحو الله تعالى، ونمت في نفسه مشاعر كريمة تسمو به إلى الآفاق وتذيقه ألواناً من الأمن والاطمئنان والثقة واليقين وتدفعه إلى حسن العمل عن رضا وطواعية ورغبة، حتى يذوق حلاوة الإيمان [(٢)]. قال ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلاّ لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار»[(٣)]

وكما أن عاطفة الحب لها أثرها الفعال في غرس العقيدة الإسلامية في نفسية الطفل فإن عاطفة الخوف لها أثر كبير كذلك ، فعلى الوالدين أن يقوما بغرس الخوف من الله تعالى بالتدرج مع طفلهما وبالقدرة منهما، فحين تكون عاطفة الخوف ظاهرة في الأبوين فانتقالها إلى الأطفال أمر أكثر يسراً، لأن كل

---

(١) الغزالي، ١٤٠٣هـ، ٤/٢٩٨.

(٢) مصطفى، ١٣٩٥هـ، ٨٩.

(٣) البخاري، ١ / ١٠.

ما يفعله الوالدان له أثره في غرس العقيدة الإسلامية في الطفل .

والدين الإسلامي يستثير في النفس الخوف من الله تعالى ليحمله على الإقدام في فعل الخيرات وترك المنكرات وكذلك البعد عن السيئات فالله تبارك وتعالى يخوف عباده بالنار يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٣١] . وبمثل هذا الأسلوب يتحقق النفع من وراء عاطفة الخوف، في ذلك من قبل والديه، ومع نمو عقله تراه يُقبل على الله في مستقبل حياته طائعاً محسناً يرجو الله تعالى واليوم الآخر . كما أنه يخاف عذابه ويمتنع عن فعل المعاصي وما يغضب ربه تعالى . يقول الإمام الغزالي ((الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل لينالوا رتبة القرب من الله تعالى))(١)

رابعـــاً: أسلوب التفكر والمشاهدة:

يميل الطفل بفطرته إلى الاستزادة في المعرفة وحب الاستطلاع، وما قصة موسى بن عمران عليه السلام مع الخضر في سورة الكهف إلاّ شاهد على ذلك قال تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴾ [الكهف:٧٥] فالله تبارك وتعالى أودعه آيات باهرات في الكون مثل السماوات، والكواكب، والنجوم، والجبال، والمحيطات، والأشجار والحيوان الغريبة والمتنوعة وكل ما يحيط بالطفل، فالوالدان إن قاما بتعظيم خالق هذه المخلوقات أمام الطفل فإن الطفل يقوم بتعظيم خالقها أيضاً، فالنظر إليها بالتفكر الذي نهايته زيادة الإيمان بالله تبارك وتعالى .

فالطفل إذا تكرر أمامه سماع التسبيح والتقديس لله تعالى من والديه حين يشاهد بعض آياته تبارك وتعالى فإنه يقوم بهذا الفعل بفطرة التقليد حتى تصبح

(١) الغزالي، ٤/ ١٥٧ .

معلومة لديه بعدما كانت مجهولة، فبناء إيمان الطفل بالله تعالى بأسلوب التفكير والمشاهدة تحرك عنده التفكير في الكون وما حوى، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١] .

يقول محمد المبارك: «دليل المشاهدة من أقرب الطرق المؤدية إلى الإيمان بالله تعالى رباً ومعبوداً، وأجداها دليلاً على اتصافه بالكمال وتنزهه عن النقص ومن أسهل الوسائل الموصلة إلى معرفة الله تعالى، وقد استعمله القرآن الكريم في الدلالة على الإيمان، وساق ألفاظ الرؤية والنظر والبصر والألفاظ الدالة على الاقتناع بالمشاهدة، مثل الدعوة إلى التفكير والتعقل والتعلم والتدبر والتيقن والتفقه، وهي كلها تدفع الإنسان إلى مشاهدة الكون، وتفتح بصدته على ما حوله من مشاهد وآفاق، وتدعوه إلى التأمل فيها والنظر إليها والتفكير فيها» [(١)].

فالكون من أخصب الأدلة التي تعين على الإيمان بالله تعالى دون مشقة أو كبير عمل، كما أنه أيضاً من أنفع الأدلة والبراهين الواضحة على وجود الله تبارك وتعالى وكمال ربوبيته وألوهيته، فعلى الوالدين استعمال هذا الأسلوب في غرس العقيدة الإسلامية في نفوس أطفالهم وذلك عن طريق الرحلات الخلوية للأودية والجبال والمزارع والبحار وغيرها من آيات الله . قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾ [العنكبوت: ٢٠] .

وأسلوب التفكر والمشاهدة يعين الطفل على الربط والاستنتاج ومعظم العمليات العقلية التي تساعد على الحياة في مستقبل حياته .

---

(١) المبارك، ١٩٨٠م، ٦٠.

• خامساً – تعظيم الشعائر والحرمات:

من أمور الفطرة في الإنسان التي فطره الله تعالى عليها التعظيم . ومعناه: «التفخيم أو التبجيل أو الكبرياء»[١].

فالطفل إن رأى والديه يُعظمان شعائر وحرمات الله تعالى في أمور العبادات المفروضة المختلفة والمعاملات والآداب والأخلاق الحسنة، فإن ذلك من الأمور التي تعين على غرسها في نفس الطفل، « فالمعظم لهما، يبرهن على تقواه، وصحة إيمانه، لأن تعظيمهما تابع لتعظيم الله وإجلاله»[٢]. يقول تبارك وتعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ﴾ [الحج:٣٠]. وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج:٣٢]. وقوله «فإنها من تقوى القلوب»: جواب الشرط والربط بين الشرط وجوابه هو العموم في قوله (القلوب) فإن من جملة القلوب قلوب الذين يعظمون شعائر الله . فالتقدير: فقد حلّت التقوى قلبه بتعظيم الشعائر لأنها من تقوى القلوب، أي لأن تعظيمها من تقوى القلوب، وإضافة (تقوى) إلى (القلوب) لأن تعظيم الشعائر اعتقاد قلبي ينشأ عنه العمل»[٣]. فالطفل ينشأ على ما عوده أبواه عليه، فغرس تعظيم العبادات وأدائها والأخلاق الفاضلة في قلب الطفل من تعظيم شعائر الله. لأن الطفل أمانة ومسئولية فإن عظّمها الوالدان فإنه من تقوى القلوب، وينشأ الطفل بعد ذلك وهو معظم لما عظمه أبواه .

وبعد عرض أهم أساليب تكوين العقيدة الإسلامية في الطفل ينبغي أن نتعرف على بعض الجهود الفكرية والبحثية السابقة، ومن الدراسات السابقة:

---

(١) الرازي، مختار الصحاح، ص٤٤١.

(٢) ابن سعدي، تيسير الكريم الرحمن، ج٥، ص ٢٦٣.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٧، ص ٢٥٧.

١- دراسة عبدالرحمن الهاشمي محمد، عناية الإسلام بالطفولة ١٤٠٢هـ.

اتبع الباحث المنهج الاستنباطي وذلك باستخراج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال بعض العلماء ثم الاستدلال بها على ما يريد الباحث.

وقُسم البحث إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، فهي على الترتيب الجانب الخلقي، الجسمي، العقلي، النفسي، الاجتماعي .

وكان من أهم نتائجه:

- شمولية الإسلام لجميع جوانب الإنسان الروحي والعقلي والنفسي والجسمي.
- الإسلام هو أول من رفع مستوى الأطفال والعناية بهم .
- العبادة والتدين فطرة في الإنسان .

٢- دراسة خيرية حسين طه صابر، دور الأم في تربية الطفل المسلم، ١٤٠٢هـ .

قسمت الباحثة دراستها إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة .

دراسة نظرية ركزت الباحثة فيها دور الأم في تربية الطفل، ونظرة الدين الإسلامي إلى حقوق الطفل الجسمية والروحية والعقلية، وتناولت الدراسة أيضاً النمو الإنساني الوسائل الترويحية المباحة . كل ذلك بهدف تحديد ملامح منهج تربوي مشتق من القرآن الكريم والسنة النبوية لرعاية الأطفال، ولإعداد الأم الصالحة أيضاً . واتبعت الدراسة المنهج الوصفي . ومن أهم نتائجها وتوصياتها:

اختيار الزوجين على أسس إسلامية مما يؤدي إلى رعاية الطفل وإعطاء حقوقه.

الاهتمام بتربية الطفل المسلم تربية روحية وجسمية وعقلية ونفسية ودينية.

- التعرف على خصائص مرحلة الطفولة من منظور منهج التربية الإسلامية يؤدي إلى تربية الأم المسلمة الصالحة .

- الأم قدوة لأطفالها .
- التوسع في برامج التوعية الأسرية في تربية الطفل المسلم على منهج التربية الإسلامية .

٣- دراسة عائشة عبدالرحمن سعيد جلال، المؤثرات السلبية في تربية الطفل المسلم، ١٤٠٤هـ .

تتصف هذه الدراسة بأنها نظرية اعتمدت على المنهج التاريخي والوصفي، وهدفت إلى التعرف على العوامل والأمور التي لها آثار سلبية على تربية أبناء المسلمين بتحليل وبيان مضارها ومعالجتها إسلامياً، وقسمت البحث إلى تمهيد وثمانية فصول وخاتمة .

وتوصلت إلى أن الطفل لا يجد الرعاية التامة داخل الأسرة المسلمة المعاصرة، وأن هناك ضعفاً في برامج رياض الأطفال في المجتمع المسلم، وخطورة في كثير من البرامج المعروضة في وسائل الإعلام على مستقبل الطفل المسلم .

٤- دراسة عبدالحميد عبدالمجيد حكيم، العقيدة في السور المكية وتوجيهاتها التربوية، ١٤٠٩هـ .

قسم الباحث دراسته إلى مقدمة وخمسة فصول، بهدف التعرف على جوانب العقيدة ومدى تكاملها والتعرف على بعض أساليب تربية العقيدة . أما المنهج الذي سار عليه فهو المنهج الاستدلالي الذي يقوم على عمليات الاستقراء والتحليل والاستنباط .

وأهم ما توصلت إليه الدراسة أن العقيدة حاجة فطرية في الإنسان، وتفرد الفطرة الإسلامية عن غيرها من العقائد . وأن تربية العقيدة تعتبر الأساس الأول لكل بناء تربوي .

٥- دراسة عدنان حسن با حارث، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، ١٤١٠هـ .

هدفت الدراسة إلى توضيح نظرة الإسلام إلى دور الأب في الأسرة وإظهار دور الأب التربوي تجاه أبنائه الذكور في مرحلة الطفولة في ضوء الكتاب والسنة، ومنها أيضاً وضع نموذج للممارسات العملية لدور الأب في تربية أبنائه الذكور تربية خلقية وفكرية وجسمية .

أما المنهج الذي سار عليه الباحث هو المنهج الاستنباطي لاستخراج وإبراز المبادئ التربوية الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية .

وقد جاءت الدراسة في مقدمة وخمسة فصول، وكان من أهم النتائج التي توصلت إليها ما يلي:

- إن عدم تفهم الأب طبيعة الولد في مرحلة الطفولة كان العائق نحو نموهم خلقياً وفكرياً وجسمياً .

- إن القدوة والحب والرحمة والعطف والحكمة والعدل بين الأولاد، كل ذلك يعد من أعظم دعائم تربية الأولاد في مرحلة الطفولة .

٦- دراسة نعمت حنفي محمد علام، مدى التطابق بين برامج رياض الأطفال وبرامج التلفزيون في تربية طفل ما قبل المدرسة في مصر، في ضوء السياسة التعليمية، ١٤١٠هـ .

هدفت الدراسة إلى الكشف عن مدى تطابق نتائج برامج الأطفال في التلفزيون المصري مع سياسة التعليم ومدى تطابقهما مع نتائج البرامج التي تقدم في رياض الأطفال، وكذلك الكشف عن درجة التعاون بين رياض الأطفال والتلفزيون من أجل تربية طفل ما قبل الدراسة، والدرجة التي يمكن بها التنسيق والتكامل لإعداد أطفال صالحين .

أما المنهج الذي سارت عليه الباحثة هو المنهج الوصفي التحليلي حيث قامت الباحثة بتجميع بيانات عن سياسة التعليم وأهداف رياض الأطفال وأهداف الإعلام في التلفزيون المصري .

وقسمت الباحثة دراستها إلى مقدمة وسبعة فصول، ومن أهم النتائج

التي توصلت إليها:

– لا يوجد تنسيق بين البرامج التلفزيونية وبرامج رياض الأطفال .

– تتطابق البرامج التلفزيونية مع سياسة التعليم بدرجة متوسطة في الجانب الاجتماعي، أما الجانب العقلي والمعرفي والمهني فالتطابق فيها بدرجة ضعيفة .

– تتطابق برامج رياض الأطفال والمناشط المصاحبة لها مع الأهداف العامة التي تحددها سياسة التعليم بدرجة مرتفعة جداً .

٧– دراسة منى عبدالله حسن داود، جوانب من الواقع التربوي المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، ١٤١٢هـ .

تناولت الباحثة منى دراسة تحليلية لجوانب من الواقع التربوي المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، مع التركيز على أهمية توضيح المفاهيم ضمن إطار العقيدة، واعتمادها في دراسة الجوانب التربوية المنتقاة . وقد تم اختيار ثمانية جوانب هي: تحديد الهدف التربوي، محتوى التعليم، ازدواجية التعليم، ضعف طلبة كليات العلوم الشرعية، الاقتباس في الفكر التربوي المعاصر وخطره العقدي على المسلمين، طبيعة التعامل مع التراث، انفصال السلوك عن العقيدة، ضعف الوعي بأهمية الزمن.

وقد اعتمدت الباحثة على جانب التأصيل في هذه الدراسة على ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال علماء المسلمين .

● تعليق على الدراسات السابقة:

– المنهج الغالب على الدراسات السابقة هو المنهج التحليلي والاستنباطي والوصف التحليلي كما هو الحال في هذه الدراسة التي اعتمدت على المنهج الوصف التحليلي .

– اتفاق جميع الباحثين في دراستهم على أهمية الطفل حيث خصص عبدالرحمن الهاشمي في دراسته دراسة الجانب الجسمي والخلقي والعقلي والنفسي والاجتماعي للطفل من منظور إسلامي، وكذلك خيرية حسين أكدت على حقوق

الطفل الجسمية والروحية والعقلية والنفسية، وكذلك دراسة عدنان با حارث وضع نماذج للممارسات العملية لدور الأب في تربية أبنائه تربية خلقية وفكرية وجسمية . أما الدراسة الحالية فقد ركزت على حق الطفل العقدي على أبويه .

- وفق النتائج التي توصلت إليها الدراسات السابقة، عبدالرحمن الهاشمي: الإسلام هو أول من رفع مستوى الأطفال والعناية بهم، خيرية حسين: اختيار الزوجين على منهج التربية الإسلامية، عائشة عبدالرحمن جلال: توصلت إلى عدم وجود الرعاية التامة للطفل المسلم داخل الأسرة المسلمة المعاصرة، أما عبدالحميد حكيم: التربية العقدية تعتبر الأساس الأول لكل بناء تربوي، وهذا ما أخذه الباحث في هذه الدراسة الحالية في التأكيد على حق الطفل المسلم العقدي على أبويه .

كما ظهر أيضاً أنها تؤكد على أهمية التبكير في تنمية الاتجاه الإسلامي عند الأطفال، كما ركزت على وجوب الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية في بناء الأبناء، غير أن مما ميز هذه الدراسة على سابقتها باستخدام الجانب الميداني؛ وفيه درس الباحث مدى تطبيق الآباء بمقتضيات غرس العقيدة الإسلامية في نفوس أطفالهم . ومدى تباين ذلك التطبيق باختلاف عدد من المتغيرات المحددة .

- الدراسة الميدانيـــة

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي وذلك لمعرفة مدى التزام الأبوين بالتربية العقدية كحق للطفل المسلم . واستخدمت الاستبانة كأداة لجمع بيانات الدراسة .

- العينـــة:

تكونت عينة الدراسة من مجموعة من الآباء والأمهات في كل من المدينة المنورة، ومكة المكرمة وجدة، وينبع . ونظراً لتعذر الحصول على قائمة بهذا المجتمع، لجأ الباحث إلى اختيارهم بطريقة غير عشوائية (العينة القصدية) والتي تعني «أن يقوم الباحث باختيار هذه العينة اختياراً حراً على أساس أنها تحقق

أغراض الدراسة التي يقوم بها)) [(١)].

وتضمنت العينة (١٨٨) أباً و (١٢٩) أماً، موزعين على النحو التالي:

١- المدينة المنورة: (١٠٢) أب، (٧٦) أم . المجموع (١٧٨)، النسبة المئوية = ٥٦,٢ % .

٢- مكة المكرمة: (٣٦) أب، (١٥) أم . المجموع (٥١)، النسبة المئوية = ١٦,١ % .

٣- جـــدة: (٢٢) أب، (٢٤) أم . المجموع (٤٦)، النسبة المئوية = ١٤,٥ % .

٤- ينـــبع: (٢٨) أب، (١٤) أم . المجموع (٤٢)، النسبة المئوية = ١٣,٢ % .

أي أن نسبة الآباء = ٥٩ %، ونسبة الأمهات = ٤١ % .

ويوضح الجدول رقم (١) توزيع أفراد العينة حسب متغيرات الدراسة :

جدول رقم (١)

توزيع عينة البحث حسب متغيرات الدراسة (القرابة، العمر، المؤهل التعليمي، عدد الأطفال، نوع السكن)

م	المتغير	الفئة	العدد	النسبة المئوية (%)
١	القرابة	أب	١٨٨	٥٩
		أم	١٢٩	٤١
		المجموع	٣١٧	١٠٠
٢	العمر	٢٠-٣٠	٧٦	٢٤
		٣١ أكثر	٢٤١	٧٦
		المجموع	٣١٧	١٠٠

(١) عبيدات وآخرون، ١٩٩٧م، ١١٦.

م	المتغيرات	الفئة	العدد	النسبة المئوية (٪)
٣	المؤهل التعليمي	جامعي فأعلي	١٨٠	٥٧
		أقل من جامعي	١٣٧	٤٣
المجموع			٣١٧	١٠٠
٤	عدد الأطفال	١ – ٣	١٣٦	٤٣
		٤ فأكثر	١٨١	٧٥
المجموع			٣١٧	١٠٠
٥	نوع السكن	خاص	١٦٨	٥٣
		إيجار	١٤٩	٤٧
المجموع			٣١٧	١٠٠

وبنظرة تحليلية إلى الجدول (١) يتضح أن نسبة الآباء من أفراد العينة كانت هي الأكبر مقارنة بالأمهات، الذين أعمارهم من أفراد العينة تزيد عن (٣١) سنة أكبر ممن هم (ما بين ٢٠– ٣٠ سنة)، وكذلك الذين يحملون مؤهلاً تعليمياً جامعياً أكثر ممن هم دون الجامعي، والذين لديهم أربعة من الأطفال فأكثر كانوا الأكثر والذين يسكنون في منازل مملوكة شكلوا أكبر نسبة ممن يسكنون في منازل مستأجرة .

- أداة الدراسة وتطبيقها:

قام الباحث ببناء الاستبانة بعد مراجعة بعض الدراسات ذات الصلة بموضوع الدراسة وتضمنت الاستبانة جزءاً للمعلومات الأولية، وجزءاً للمفردات المتصلة بمجال الدراسة . إضافة إلى مقدمة لتوضيح الهدف منها .

كان عدد فقرات الاستبانة (١٢) فقرة واختير للاستجابة عليها التدريج الخماسي كما هو موضح في الملحق (دائماً (٥)، غالباً (٤)، أحياناً (٣)، نادراً (٢)، لا (١)، كما استمدت الاستبانة صدقها من عرضها على أحد عشر من المتخصصين في مجالات التربية والتعليم في كل من كلية التربية، فرع جامعة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، وكلية المعلمين بالمدينة المنورة وقسمي

التربية والعقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وبعد التحكيم قام الباحث بتعديل بعض الفقرات، كما حذف وأضاف بعض الفقرات الأخرى حسب رأي المحكمين، وأصبحت الاستبانة تضم في صورتها النهائية (١٦) فقرة .

وحسب ثبات أداة البحث بإعادة التطبيق . وكان التطبيق الأول للاستبانة على مجموعة عددها (١٦) فرداً ليسوا ضمن عينة الدراسة . وبعد مرور أسبوعين أعيد التطبيق مرة أخرى على نفس المجموعة وبمعرفة تامة لكل أفراد العينة وذلك بإعطاء كل فرد رقماً خاصاً .

قام الباحث بعد ذلك باستخدام معامل ارتباط بيرسون كمؤشر لمعامل الارتباط . وكان معامل ثبات الاستبانة (٠,٩٠) وهي قيمة مرتفعة . وعليه توفق الباحث من موضوعية أداة البحث .

وطبقت الاستبانة على أفراد العينة في كل من المدينة المنورة، ومكة المكرمة، وجدة، وينبع، بالاتصال المباشر من قبل الباحث وكذلك من قبل بعض أصدقائه وأقاربه الذين تعاونوا معه في المدن المذكورة، خلال الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي ١٤٢١ – ١٤٢٢هـ .

بعد جمع الاستبانات، قام الباحث بتفريغ بياناتها، ومن ثم تحليلها باستخدام الأساليب الإحصائية التالية:

١- النسبة المئوية لتوصيف عينة الدراسة من الآباء والأمهات .

٢- المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات الاستبانة حتى يتمكن القارئ من معرفة أكثر الفقرات تطبيقاً من قبل أفراد العينة لأطفالهم .

٣- اختبار (ت) لمعرفة دلالة الفروق بين وجهة نظر أفراد العينة نحو الأطفال وفقاً: للقرابة، العمر، المؤهل التعليمي، عدد الأطفال، نوع السكن .

- نتائج الدراسة ومنـــاقشتها:

أولاً: صيغ السؤال الثالث للبحث كما يلي: إلى أي مدى يطبق الآباء مقتضيات حق الطفل في التربية العقدية في الحياة العملية ؟

جدول رقم (٢)

حقوق الأطفال العقدية مرتبة تنازلياً حسب قيام الوالدين بأدائهما إليهم

الفقـــــرات	المتوسط الحسابي	الترتيب	الانحراف المعياري
أعود طفلي شكر الله تعالى بعد تناول الطعام والشراب	٤,٦	١	٠,٦٦
أحبب إلى طفلي الجنة ونعيمها	٤,٣	٢	١,١٥
أغرس في طفلي مراقبة الله في أفعاله وأقواله	٤,٢	٣	٠,٩٤
أغرس محبة الرسول لطفلي من خلال كثرة الصلاة عليه	٤,١	٤	١,٠٤
أغرس في طفلي الاستعانة بالله في كل أفعاله	٤,١	٥	١,٠٢
ألقن طفلي كلمة لا إله إلاّ الله محمد رسول الله	٤,١	٦	١,٠٢
أوجه طفلي إلى اتباع سنن الرسول والالتزام بها	٤,١	٧	١
أعتني بتحفيظ القرآن الكريم لطفلي	٤	٨	١,٠٢
أغرس في طفلي التوكل على الله عند القيام بكل عمل	٤	٩	١,٠١
أعلم طفلي بعض الأدعية والأذكار اليومية الواردة في السنة	٣,٩	١٠	١,٢
أغرس في طفلي طاعة الله ورسوله من خلال القصص	٣,٩	١١	١,٠٨
أكره إلى طفلي عذاب القبر وعذاب جهنم	٣,٨	١٢	١,١١
أغرس محبة الرسول في طفلي من خلال ذكر سيرته حسب المواقف المختلفة	٣,٧	١٣	١,١
أغرس في طفلي الإيمان بالقضاء والقدر من خلال المواقف التي تحدث له	٣,٦	١٤	١,٠٢
أبين لطفلي المخالفات العقدية في القصص والرسوم المتحركة وأفلام الأطفال	٣,٤	١٥	١,١٨
أعلم طفلي معنى كلمة لا إله إلاّ الله محمد رسول الله	٣,٣	١٦	١,٢٣

* أخذت فقرات الاستبانة من موضوعات التربية العقدية من بعض كتب العقيدة الإسلامية.

جدول رقم (٢) يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لقيم استجابات أفراد العينة على كل فقرة من فقرات أداة البحث . ورتبت في الجدول تنازلياً . وتمثل كل فقرة حقاً من الحقوق العقدية للطفل المسلم على أبويه . كما أن استجابة المرء على أية فقرة تشير إلى درجة مارسته وتطبيقه لذلك الحق تجاه طفله؛ أي مدى أدائه لذلك الحق له .

ويتضح من الجدول أن حق الطفل في تعويد أبويه على شكر الله بعد تناول الطعام والشراب جاء في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي قدره (٤,٦) وانحراف معياري قدره (٠,٦٦) . وتلى ذلك تحبيب الجنة ونعيمها للطفل، ثم مراقبة الله في الأفعال والأقوال، يليها غرس محبة النبي ﷺ في نفس الطفل . واحتل غرس الإيمان بالقضاء والقدر في الطفل، وإيضاح المخالفات الشرعية في القصص والرسوم والأفلام وتعليم الطفل معنى كلمة التوحيد، احتلت هذه المراتب الثلاثة الأخيرة في القائمة .

ويلاحظ على الجدول أن مدلولات المتوسطات المحسوبة تراوحت ما بين دائماً إلى أحياناً بمتوسط حسابي (٣,٣) وبانحراف معياري (١,٢٣) .

إن المجتمع السعودي مجتمع مسلم وصاحب رسالة ومناهج الدراسة فيه مبنية على العقيدة الإسلامية، فالأسر والأفراد متأثرون بالمنهج ويتمثلون في حياهم . كما أن كثرة المواعظ المحاضرات اليومية في وسائل الإعلام والمساجد والمدارس، والندوات المترلية، وكثرة المسموعات من الأشرطة التي توزع بين أفراد المجتمع السعودي بأرخص الأثمان أو بالمجان قد تكون السبب في إثراء الجانب العقدي والاهتمام بتلك الحقوق تجاه الأبناء .

وعليه فإن من أهم حقوق الأطفال التي يقصّر فيها الآباء، ويجدر تنبيههم إلى أهميتها وأهمية أدائها لأولادهم ما يلي: الإيمان بالقضاء والقدر، وإيضاح

المخالفات العقدية الظاهرة في الصور والرسوم والأفلام، وتعليم معنى كلمة التوحيد . ومن أهم أبواب العقيدة باب القضاء والقدر خيره وشره وأنه من الله تعالى . فأسئلة الطفل عنه كثيرة وليس من السهولة تقريب المعنى للأطفال في نظر كثير من أولياء الأمور . وربما عاد السبب إلى كثرة معايشة الحياة وحبها، وربما إلى ارجاع أسباب النجاح في بعض أمور الحياة إلى الذكاء أو بسبب القدرات . إذن لا بد من التأكيد على أمر القضاء والقدر والطاعة المطلقة لله سبحانه وتعالى. وأما فيما يتعلق بإيضاح المخالفات العقدية في القصص والرسوم المتحركة وأفلام الأطفال فربما عاد السبب في تدني قيمة المتوسط الحسابي إلى الغفلة وقلة الاطلاع أو عدم معرفة الأبوين لما يعمله أعداء الإسلام في عولمة أبناء المسلمين من خلال ما يميلون إليه ويحبون مشاهدته أو قراءته . وبخصوص تعليم الطفل معنى كلمة لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، فربما كان التقصير فيه بسبب ابتعاد الآباء المسلمين عن جوهر وحقيقة الدين في حياتهم مما جعلهم لا يكترثون لتوضيح معانيها بالقول والتمثيل والفعل للأجيال الناشئة .

ثانياً: صيغ السؤال الرابع للبحث كما يلي: إلى أي مدى يتأثر تطبيق الآباء لمقتضيات حق الطفل في التربية العقدية في الحياة العملية لمتغيرات: القرابة، العمر، المؤهل التعليمي، عدد الأطفال، نوع السكن ؟

وصيغ للإجابة على هذا السؤال الفرض الصفري التالي: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) في متوسط أداء الآباء لحقوق أبنائهم بين فئات العمر والمؤهل التعليمي، وعدد الأطفال، ونوع السكن من أفراد عينة البحث . ولاختبار الفرض حسب قيم " ت " للمتغيرات المستقلة لكل متغير من المتغيرات الأربعة .

جدول رقم (٣)

اختبار (ت) لدلالة الفروق بين متوسطات استجابات المجموعات المختلفة وفقاً للقرابة والعمر والمؤهل التعليمي وعدد الأطفال ونوع السكن .

المتغير	البيانات	الأب	الأم	قيمة ت	الدلالة عند مستوى ٠,٠٥
القرابة	المتوسط الحسابي	٣,٩٢	٣,٩٦	– ٠,٧	غير دال
	الانحراف المعياري	٠,٦٦	٠,٥٤		
	العـــدد	١٩٥	١٢٢		
المتغير	البيانات	٢٠ – ٣٠	٣١ فأكثر	قيمة ت	الدلالة عند مستوى ٠,٠٥
العمر (السن)	المتوسط الحسابي	٣,٨٧	٣,٩٦	– ١,١٢	غير دال
	الانحراف المعياري	٠,٦٤	٠,٦١		
	العـــدد	٧٦	٢٤١		
المتغير	البيانات	جامعي فأعلي	أقل من جامعي	قيمة ت	الدلالة عند مستوى ٠,٠٥
المؤهل التعليمي	المتوسط الحسابي	٣,٩١	٣,٩٨	– ٠,٩٨	غير دال
	الانحراف المعياري	٠,٦٤	٠,٥٨		
	العـــدد	١٨٩	١٢٨		
المتغير	البيانات	١ – ٣	٤ فأكثر	قيمة ت	الدلالة عند مستوى ٠,٠٥
عدد الأطفال	المتوسط الحسابي	٣,٨٦	٣,٩٩	– ١,٨٩	غير دال
	الانحراف المعياري	٠,٦٥	٠,٥٩		
	العـــدد	١٣٦	١٨٠		
المتغير	البيانات	خاص	إيجار	قيمة ت	الدلالة عند مستوى ٠,٠٥
نوع السكن	المتوسط الحسابي	٤,٠	٣,٨٦	٢,١٢	دال
	الانحراف المعياري	٠,٥٥	٠,٦٨		
	العـــدد	١٧٣	١٤٤		

يوضح الجدول رقم (٣) المتوسطات الحسابية وانحرافاتها المعيارية وقيمة (ت) ودلالتها الإحصائية لكل من الفئتين في كل متغير . ويظهر من الجدول عدم دلالة الفروق لمستوى أداء الآباء لحقوق أبنائهم العقدية بالنسبة للقرابة (أباً أو أماً) وللسن (فوق الثلاثين أو دونها) ولعدد الأطفال في الأسرة (أقل من أربعة أو أكثر من ذلك) . وظهر فرق دال إحصائياً عند مستوى ٠,٠٥ في متوسط استجابات فئتي نوع السكن وكان الفرق لصالح ساكني الدور المملوكة . وقد يعزى ذلك إلى ارتفاع نسبي في المستوى الثقافي والاقتصادي لدى الأسر التي تملك دورها السكنية . ويزيد ذلك من وعي الأبوين بحقوق أبنائهما وبالاهتمام بأداء هذه الحقوق إليهما وخاصة الحقوق العقدية .

وعليه لا يعتبر اختلاف جنس الوالدين (ذكراً أو أنثى) أو اختلاف العمر أو المؤهل التعليمي للوالدين، لا يعتبر أي منها عاملاً مؤثراً في مدى اهتمام الأبوين بأداء حقوق أبنائهما العقدية .

إن هذه النتيجة تزيد في احتمالية صدق صحة الترتيب الذي توصلنا إليه في الإجابة على السؤال السابق، إذ قد يعني أن ذلك الترتيب يتأثر بهذه المتغيرات المذكورة .

وعليه يمكن تلخيص أهم نتائج الدراسة الحاليـــة:

١ – أن تعويد الأطفال على شكر الله تعالى بعد تناول الطعام والشراب، وتحبيب الجنة ونعيمها إليهم، والتعويد على مراقبة الله في القول والفعل وغرس محبة المصطفى ﷺ في نفوس الأطفال هي الأكثر في إعطاء الطفل الحق العقدي .

٢ – لم يتنبه الأبوين إلى أهمية ووجوب غرس الإيمان بالقضاء والقدر في الطفل من خلال المواقف التي تحدث له؛ وإلى تنبيه الطفل للمخالفات الشرعية في الجانب العقدي التي قد تظهر في القصص والرسوم المتحركة وأفلام الأطفال، وإلى تعليمهم المعاني الحقيقية لكلمة التوحيد .

٣ – عدم تأثير كل من جنس الوالدين أو فئة العمر أو المؤهل التعليمي في مدى قيامهما بأداء واجباتهما العقدية .

٤ – قد تعتبر الأسر القاطنة في دور تملكها أكثر وعياً وقياماً بواجبات أطفالها العقدية .

التوصيات:

من خلال نتائج الدراسة يوصي الباحث بما يلي:

١– الإكثار من المحاضرات والندوات المسموعة والمشاهدة والمقروءة عن موضوع القضاء والقدر ومعنى كلمة التوحيد .

٢– ينبغي على أولياء الأمور التعرف على الشبهات الوافدة عبر برامج الأطفال المشاهدة والمسموعة والمقروءة حتى يجتنبوا الأطفال من الوقوع فيها .

٣– مراقبة أفلام الأطفال الأجنبية أو المعربة لأن فيها أموراً تبعد الأطفال عن تطبيق كثير من جوانب العقيدة الإسلامية .

٤– كما يوصي الباحث المسئولين على البرامج التعليمية في التعليم بعامة بالإكثار مما يثري جوانب العقيدة الاسلامية .

بحوث مقترحة:

– إجراء دراسة مماثلة للأطفال في المرحلة الابتدائية، وأخرى لمرحلة المراهقة

– إجراء دراسة مسحية على المقررات الدراسية لمرحلة التعليم العامة للتحقق مدى اهتمامها ببناء جوانب العقيدة الإسلامية في الطلاب .

– إجراء دراسة بين سكان المدن وسكان القرى .

– إجراء دراسة بين الدول العربية فيما بينها وبين الدول الإسلامية .

المراجع

القرآن الكريم .

١. إبراهيم محمد البريكان، المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، دار ابن عفان، القاهرة، ١٤١٨هـ .

٢. إبراهيم ياسين الخطيب، محمد عودة، أحمد الزبادي، أثر وسائل الإعلام على الطفل، الدار العلمية الدولية، عمان، ٢٠٠١م .

٣. ابن الجرزي، جامع الأصول، تحقيق الأرناؤوط، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ .

٤. ابن الجرزي، النشر في القراءات العشر، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، د . ت .

٥. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د – ت .

٦. أحمد بن حنبل، المسند، دار صادر، بيروت، د – ت .

٧. أحمد بن عبدالعزيز الحليبي، ثقافة الطفل المسلم، دار الفضيلة، الرياض، ١٤١٩هـ .

٨. أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.

٩. أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير، مكتبة الندى، بيروت، ١٩٨٧م

١٠. أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، ج١، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر ١٣٩٧هـ .

١١. أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٣هـ

١٢. أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، دار الحديث، حمص، ١٣٩٤هـ .

١٣. أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د – ت .

١٤. أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، تفسير ابن كثير، دار عالم الكتب، الرياض د – ت .

١٥. أبو الفداء اسماعيل ابن كثير، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٣ هـ .

١٦. أسماء محمد عبدالوهاب، الطفل السعودي بين الواقع والمنشوء، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٦، ١٤٠٢هـ

١٧. الألوسي البغدادي، روح المعاني، دار إحياء التراث، بيروت، د – ت.

١٨. التهامي نقرة، في ضوء القرآن والسنة، بحوث في العقيدة والأخلاق والتشريع والمعاملات في الثقافة الإسلامية، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٦م .

١٩. حامد زهران، علم نفس النمو – الطفولة والمراهقة –، علم الكتب، العبيكان، الرياض،

١٤٢٢هـ .
٢٠. خالد أحمد الشنتوت، تربية الأطفال في الحديث الشريف، مطابع الرشيد المدينة المنورة، ١٤١٧هـ .
٢١. خيرية حسين طه صابر، دور الأم في تربية الطفل المسلم، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ .
٢٢. ذوقان عبيدات، عبدالرحمن عدس، كايد عبدالحق، البحث العلمي، دار أسامة، الرياض، ١٩٩٧م .
٢٣. سعيد إسماعيل، مصادر التربية الإسلامية، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٣م .
٢٤. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ١٣٩٩هـ .
٢٥. الشريف علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ .
٢٦. عائشة عبدالرحمن سعيد جلال، المؤثرات السلبية في تربية الطفل المسلم وطرق علاجها، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٤هـ .
٢٧. عبدالله بن مساعد الزهراني، المرويات الواردة في أحكام الصبيان، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الاسلامية، ١٤١٣ هـ .
٢٨. عبدالحميد عبدالمجيد حكيم، العقيدة في السور المكية وتوجيهاتها التربوية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ .
٢٩. عبدالرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٣هـ .
٣٠. عبدالرحمن الهاشمي محمد، عناية الإسلام بالطفولة، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ .
٣١. عبدالرزاق الصنعاني، المصنف،، تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٤٠٣ هـ .
٣٢. عبدالعلي الجسيماني، سيكولوجية الطفولة والمراهقة حقائقها الأساسية، مطبوعات جامعة الرياض، ١٣٩٣هـ .
٣٣. عدنان باحارث، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، دار المجتمع، جدة، ١٤١٠ هـ .
٣٤. عمر رضا الكحالة، النسل والعناية به، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ .
٣٥. محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، تصحيح وتخريج محمد رمضان الأثري، مكتبة الدعوة الإسلامية، فيصل أباد باكستان، د – ت .

٣٦. محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار الحديث، مصر، د - ت .

٣٧. محمد البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٠هـ .

٣٨. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ

٣٩. محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م .

٤٠. محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ج٢، دار الشروق، بيروت، ١٤٠١هـ .

٤١. محمد المبارك، نظام الإسلام - العقيدة والعبادة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٠م .

٤٢. محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٨هـ .

٤٣. محمد نور سويد، منهج التربية النبوية للطفل، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٩هـ .

٤٤. مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محممد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية بيروت، ١٩٧٢م .

٤٥. مصطفى عبدالواحد، شخصية المسلم كما يصورها القرآن، دار نشر الثقافة، بيروت، ١٣٩٥هـ .

٤٦. منى عبدالله حسن داود، جوانب من الواقع التربوي المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، رسالة ماجستير، كاية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن، ١٤١٢هـ .

٤٧. نعمت حنفي محمد علام، مدى التطابق بين برامج رياض الاطفال وبرامج التلفزيون في تربية طفل ما قبل المدرسة في مصر في ضوء السياسة التعليمية رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٠ هـ .

٤٨. هدى محمود الناشف، رياض الأطفال، دار الفكر التربوي، القاهرة، ١٤١٧هـ .

٤٩. يوسف القاضي، مقداد يلجن، علم النفس التربوي في الإسلام، دار المريخ، الرياض، ١٤٠١هـ .

الملحق

بسم الله الرحمن الرحيم

المجيب على الاستبانة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

هذه الاستبانة خصصت لموضوع: حق الطفل المسلم العقدي على والديه، المطلوب منك الإجابة على جميع العبارات التالية حسب الواقع، وقبل الإجابة عليها تفضل بذكر المعلومات التالية:

القرابـــة: ( ) أم ( ) أب .

الســـن: ( ) ٢٠ – ٣٠ ( ) ٣١ فأعلى .

المؤهل التعليمي: ( ) جامعي فأعلى ( ) أدنى من جامعي .

عدد الأطفال: ( ) ١ – ٣ ( ) ٤ فأكثر .

نوع السكن ( ) خـــاص ( ) أجـــار

م	العبـــــــارات	دائمـــاً	غالبـــاً	أحيانـــاً	نـــادراً	لا أفعل
١	ألقن طفلي كلمة لا إله إلاّ الله محمد رسول الله					
٢	أعلم طفلي معنى كلمة لا إله إلاّ الله محمد رسول الله					
٣	أعوّد طفلي على شكر الله تعالى بعد تناول الطعام والشراب					
٤	أغرس في طفلي الاستعانة بالله في كل أفعاله					
٥	أغرس في طفلي مراقبة الله في أفعاله وأقواله					
٦	أغرس في طفلي التوكل على الله عند القيام بكل عمل					

م	العبـــــارات	دائماً	غالباً	أحياناً	نادراً	لا أطبق
٧	أغرس في طفلي طاعة الله ورسوله ﷺ من خلال القصص					
٨	أغرس محبة الرسول ﷺ لطفلي من خلال كثرة الصلاة عليه					
٩	أغرس محبة الرسول ﷺ في طفلي من خلال ذكر سيرته حسب المواقف المختلفة					
١٠	أوجه طفلي إلى اتباع سنن الرسول ﷺ والالتزام بها					
١١	أحبب إلى طفلي الجنة ونعيمها					
١٢	أكرّه إلى طفلي عذاب القبر وعذاب جهنم					
١٣	أغرس في طفلي الإيمان بالقضاء والقدر من خلال المواقف التي تحدث له					
١٤	أعتني بتحفيظ القرآن الكريم لطفلي					
١٥	أعلم طفلي بعض الأدعية والأذكار اليومية الواردة في السنة					
١٦	أبين لطفلي المخالفات العقدية في القصص والرسوم المتحركة وأفلام الأطفال					

قائمـــة بأسماء ومراتب المحكمين وأماكن عملهم

أولاً – قسم التربية بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية:

١ – د. عبدالله عبدالحميد محمود — أستاذ مشارك

٢ – د. علي بن إبراهيم الزهراني — أستاذ مشارك

٣ – د. خالد الحازمي — أستاذ

٤ – عبدالرحمن الأنصاري — أستاذ مشارك

ثانياً – قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية:

٥ – د. محمود قدح — أستاذ مشارك

٦ – د. سعود الدعجان — أستاذ مشارك

ثالثاً – كلية التربية جامعة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة:

٧ – أ . د . منصور أحمد غوني — أســتاذ

٨ – د. عبدالله إبراهيم حافظ — أستاذ مشارك

٩ – د. محروس غبـــان — أستاذ

رابعاً – كليـــة المعلمين بالمدينة المنورة:

١٠ – د. علي حمزة هجان — أستاذ مشارك

١١ – د. فهيم عبدالعزيز فهمي — أستاذ مساعد

فهرس المحتويات

التَّعْلِيمُ الْمُتَوَسِّطُ التَّابِعُ لِلْجَامِعَةِ الإِسْلامِيَّةِ خِلالَ عِشْرِينَ عَاماً

(دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ وَصْفِيَّةٌ)

إِعْدادُ :

د. عِبيدِ بْنِ حُجَيِّجِ الجُهَنِيِّ

الأُسْتَاذِ الْمُسَاعِدِ فِي كُلِّيَّةِ الدَّعْوَةِ وَأُصُولِ الدِّينِ فِي الْجَامِعَةِ



الفصل الأول: موضوع الدراسة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

لقد اعتنى الإسلام بالعلم عناية فائقة، وتميزت الأمة الإسلامية بين سائر الأمم بأنها أمة علم ومعرفة قال الله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[١] في هذه الآية الكريمة دليل على أن الأمة الإسلامية خير الأمم على الإطلاق، وأن هذه الخيرية مشتركة ما بين أول هذه الأمم وآخرها بالنسبة إلى غيرها من الأمم [٢] والأمر بالمعروف هو (دعاء إلى ما فيه صلاح ديني أو دنيوي) [٣] .

وأدرك المسلمون على مر العصور عظم مسئولية ما فيه صلاح الدين والدنيا وأولوا اهتمامهم بالقرآن الكريم والسنة النبوية ومن هذا ما ورد في خطاب جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله لفضيلة الشيخ عبد الظاهر أبو السمح بشأن فتح مدرسة دار الحديث المكية : (لا شك أن المرجع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكل أمر يخرج عنه باطل، فإذا وجد الدليل من كتاب الله وسنة رسوله وما عليه السلف الصالح فهو البرهان والدليل، فإذا ما وجد المرجع من المذاهب الأربعة أولى من الجهل أو الاجتهاد الذي ما تحمد عقباه، لأنه ثابت عند الأمة – إلى أن قال جلالته رحمه الله تعالى – فإذا كانت المدرسة التي تريدون فتحها أنه يعلم فيها الحديث والفقه وبالأخص فقه الإمام أحمد، وعدم الإعابة

---

(١) سورة آل عمران، آية ١١٠

(٢) محمد سليمان عبد الله الأشقر، زبدة التفسير من فتح القدير ص ٨

(٣) عبد الله البيضاوي / تفسير البيضاوي ١/١٧٤

على أحد من الأئمة، فهذا نحن ممنونون فيه، ونوافق عليه، فإن كان تخشى أن يصير اعتراض أو كلام يشوش الأمة كلها فهذا لا فائدة فيه، فأنت يجب عليك تتراجع مع الشيخ عبد الله بن حسن في ذلك وتنظرون في الأصلح وتقـررون قراراً أعتمد عليه فبهذا نفتح المدرسة ونحن نساعد في كل شيء نسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه الخير والسداد في الأقوال والأفعال)[1] .

وتم فعلاً فتح مدرسة دار الحديث المكية بمكة المكرمة وقبلها تم فتح مدرسة دار الحديث المدنية بالمدينة المنورة وعند تأسيس دار الحديث المدنية ودار الحديث المكية كانت الدراسة فيهما دراسة علمية تخصصية جامعية حيث درس الطلاب كتبًا علمية[2] تخصصية في الشريعة الإسلامية تدرّس الآن في المرحلة الجامعية .

ومع نمو واتساع التعليم بجميع أنواعه في المملكة العربية السعودية وظهور الجامعات السعودية وصدور اللوائح المنظمة للتعليم بالمملكة العربية السعودية، أصبحت كل من مدرسة دار الحديث المدنية ومدرسة دار الحديث المكية تمثلان مرحلة التعليم المتوسط بالجامعة الإسلامية. والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أنشئت بالمرسوم الملكي رقم ١١ في ١٣٨١/٣/٢٥هـ وبدأت الدراسة بها في كلية الشريعة[3] وهي (مؤسسة دينية علمية سعودية تتمتع بالشخصية الاعتبارية العامة، الغرض منها تثقيف من يلتحق بها من طلاب العلم في المملكة العربية السعودية ومن البلاد الإسلامية ليتفقهوا في الدين، ويفقهوا العلوم الشرعية والعربية)[4] .

وتتكون الجامعة من (الكليات ومعاهد التعليم الديني القائمة في المملكة

---

(١) الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية، ص ٣٦٩

(٢) انظر ص ٩

(٣) الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية، ص ٣٨

(٤) المرجع السابق، ص ٥٢

المتخصصة في دراسة علوم الشريعة الإسلامية وعلوم اللغة العربية) [١] .

وبعد افتتاح الجامعة الإسلامية بعام دراسي واحد فقط تم قبول (١٩) طالباً للمرحلة المتوسطة [٢] يدرسون بمدرسة دار الحديث المدنية قبل ضمها للجامعة الإسلامية .

ويمثل التعليم المتوسط بالجامعة الإسلامية ثلاث جهات تعليمية هي : مدرسة دار الحديث المدنية، والمعهد المتوسط، ومدرسة دار الحديث المكية .

ولا شك أن التعليم المتوسط منذ بداياته بالجامعة الإسلامية وحتى اليوم شهد تغيرات وتطورات قطعت فيها الجامعة الإسلامية مراحل طيبة للوصول إلى الأهداف المنشودة من إنشاء هذه الجامعة المباركة بالمدينة المنورة والتي توليها حكومة خادم الحرمين الشريفين العناية والرعاية .

وعلاقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بدأت منذ أن كان وزيراً للمعارف حيث ظهرت مقالات بجريدة المدينة المنورة موجهة إلى وزير المعارف تدعو إلى نشأة الجامعة الإسلامية . حيث قال أحد الكتاب: «وأخيراً أوجه ندائي هذا لسمو وزير المعارف لعله يستجيب لهذه النداءات المتعددة التي طالبت بإنشاء جامعة إسلامية» [٣]

وفي عهد جلالة الملك خالد بن عبد العزيز رحمه الله تعالى صدر أمر ملكي (برقم ١٨٩/١ وتاريخ ١٣٩٥/٨/٢٥هـ يقضي بتعيين صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد والنائب الأول لرئيس مجلس الوزراء رئيساً

---

(١) وزارة المعارف، سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية ص ٢٧

(٢) مجلة الجامعة الإسلامية العدد الأول، السنة الأولى ص ٤٦ وكذلك دليل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٩٨/٩٧هـ، ص ١٩٣

(٣) الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية، ص ٢٨

أعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة)[1]

ثم صدر أمر ملكي آخر برقم ١/٥٠٥ وتاريخ ١٤٠٢/١١/١٧هـ ورد فيه (يعتبر رئيس مجلس الوزراء رئيساً أعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة)[2]

وصدرت بعد ذلك أنظمة مختلفة عن الجامعة الإسلامية واستفادت هذه الدراسة من إصدارات الجامعة الإسلامية لرصد تغيرات وتطورات التعليم المتوسط ومن هذه الإصدارات التي تم الإطلاع عليها والاستفادة منها، ما يلي:

١- مجلة الجامعة الإسلامية والتي صدر العدد الأول منها في ربيع الأول لعام ١٣٨٨هـحيث حوت الصفحات الأخيرة من المجلة باباً ثابتاً تحت عنوان : من أخبار الجامعة، ولكن هذا الباب توقف بعد توجه المجلة إلى الأبحاث العلمية المحكمة .

٢- دليل الجامعة، تم الإطلاع على دليل الجامعة الإسلامية للعام الدراسي ١٣٩٥/١٣٩٤هـ ودليل الجامعة الإسلامية للعام الدراسي ١٣٩٧/ ١٣٩٨هـ وكذلك دليل الجامعة الإسلامية للعام الدراسي ١٣٩٩/١٣٩٨هـ. ويحتوي كل دليل على معلومات متفرقة عن أهداف وأنظمة الجامعة التي صدرت وعن الكليات والمعاهد وشروط القبول وكذلك إحصائيات متنوعة ووصف دقيق لنتائج الامتحانات بالجامعة، وعن الخدمات التي تقدمها الجامعة للطلاب .

٣- كتاب نظام الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ولوائحها التنفيذية صدر عام ١٤٠٥هـ وهو يحوي كل الأنظمة واللوائح الخاصة بالجامعة حتى تاريخ ١٤٠٥/٤/١٥هـ والهدف منه هو الاستيعاب الوافي للاختصاصات والصلاحيات، وإدراك المسئوليات المختلفة، والسلامة في تنفيذ الإجراءات وإصدار القرارات[3] .

---

(١) المرجع السابق، ص ١٣٤

(٢) المرجع السابق ١٢٤

(٣) نظام الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص ٢

٤- التقرير الموجز: وهو تقرير مختصر من إصدار إدارة التطوير، يصدر بمناسبة حفل التخرج السنوي ويعد مصدراً أساسياً عن كل المعلومات الإحصائية السنوية ويلاحظ أنه لا يسير على أسلوب واحد في تدوين وتبويب وتفصيل المعلومات .

٥- التقرير السنوي: وتصدره إدارة التطوير وهو أكثر شمولاً من التقرير الموجز ولكنه لا يستوعب كل المعلومات والإحصائيات السنوية عن الجامعة الإسلامية ولا يتبع نهجاً واحداً في عرض الإحصائيات .

٦- الكتاب الوثائقي : صدر هذا الكتاب بمناسبة الاحتفاء بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، واحتوى معلومات وافية وتتبعية عن الجامعة الإسلامية قبل وبعد التأسيس، وبصفة عامة يعد أشمل كتاب عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة حتى العام الدراسي ١٤١٩هـ .

٧- نشرات مختلفة : عن مدرسة دار الحديث المدنية ومدرسة دار الحديث المكية وكذلك نشرات أخرى عن المناهج الدراسية للتعليم المتوسط، ولكن لم يجد – الباحث – في حدود علمه دراسات سابقة اتخذت التعليم المتوسط التابع للجامعة الإسلامية ميداناً لها.

أهداف الدراسة :

١) بيان اهتمام حكومة خادم الحرمين الشريفين بالتعليم الشرعي .

٢) تحديد التغيرات التي حدثت في التعليم المتوسط التابع للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة خلال عشرين عاماً .

٣) إيضاح أهمية ومكانة مرحلة التعليم المتوسط كمرحلة أساسية من مراحل التعليم .

٤) تقديم توصيات ومقترحات تؤدي – بإذن الله تعالى – إلى زيادة فاعلية التعليم المتوسط .

أهمية الدراسة :

تتضح أهمية الدراسة من مكانة التعليم المتوسط والأهداف المنوطة بهذا النوع من التعليم ومدى فعاليته ودوره في إمداد المرحلة الثانوية بالطلاب المؤهلين علمياً والقادرين بإذن الله تعالى على مواصلة الدراسة بالمرحلة الجامعية.

وكذلك تتضح أهمية الدراسة من خلال تتبع ودراسة الإحصائيات المتوفرة عن التعليم المتوسط بالجامعة الإسلامية دراسة وصفية تحليلية بين الجهات التعليمية القائمة بالتعليم المتوسط لإيضاح الدور الذي قام به المسؤولون في المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين حفظه الله تعالى، ومما يزيد في أهمية هذه الدراسة قلة الدراسات التربوية المتعلقة بمرحلة التعليم المتوسط التابع للجامعة الإسلامية، وإبراز التطور الذي شمل مرحلة تعليمية تابعة للجامعة الإسلامية خلال عشرين عاماً .

أسئلة الدراسة :

تتضح أسئلة الدراسة من خلال الإجابة على السؤال الرئيسي التالي : -

س / ما التغيرات التي حدثت في التعليم المتوسط التابع للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة خلال عشرين عاماً ؟

ويتفرع من هذا السؤال الأسئلة الفرعية التالية :-

١- كيف نشأ التعليم المتوسط بالجامعة الإسلامية ؟

٢- ما أهداف التعليم المتوسط بالجامعة الإسلامية ؟

٣- ما منهج التعليم المتوسط بالجامعة الإسلامية ؟

٤- ما التطور الكمي للمعلمين والطلاب بالتعليم المتوسط بالجامعة الإسلامية؟

٥- ما التوصيات أو المقترحات التي تساعد - بإذن الله تعالى - على رفع مستوى التعليم المتوسط بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ؟

حدود الدراسة :

تتحدد هذه الدراسة بالحدود التالية :

١- حد مكاني: حيث تقتصر على جهات التعليم المتوسط التابعة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهي كالتالي حسب أقدمية النشأة أو الانضمام إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة :-

أ- مدرسة دار الحديث المدنية ب- المعهد المتوسط . ج – مدرسة دار الحديث المكية .

٢- حد زماني: تقتصر الدراسة على المعلومات المتوفرة المحصورة ما بين بداية التأسيس أو الانضمام للجامعة الإسلامية مع التركيز على فترة العشرين سنة والمحصورة بين عامي: ١٤٠٢هـ – ١٤٢٢هـ .

٣- حد موضوعي: يقتصر على بعض جوانب العملية التعليمية والتي منها: النشأة والأهداف، المعلمون، الطلاب، المقررات الدراسية، المباني الدراسية، التجهيزات المتوفرة .

مصطلحات الدراسة :

التعليم المتوسط : هو مرحلة من مراحل التعليم العام والذي يعنى عناية خاصة بالدراسات الإسلامية واللغة العربية [١] ويؤهل الطلاب تأهيلاً علمياً وتربوياً للالتحاق بالمرحلة الثانوية بالجامعة الإسلامية [٢].

منهج الدراسة :

تحقيقاً لأهداف الدراسة تم استخدام أكثر من منهج حيث أُستُخدِم المنهج التاريخي وذلك للتحقق من بدايات التعليم المتوسط التابع للجامعة الإسلامية

---

(١) سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية، ص ٢٨

(٢) الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية، ص ٣٥٣

والتأكد من مراحل تطوره .

وكذلك استخدم المنهج الوصفي والذي يعد أكثر بلاغة للدراسات التربوية [1]، ولكن لم يتم الاتفاق إلى تحديد مفهوم المنهج الوصفي وذلك لعدم الاتفاق على الهدف الذي يحققه هذا المنهج[2]، ولكن المنهج الوصفي يقوم (بوصف ما هو كائن، وتفسيره)[3] و (تحديد طبيعة الظروف والممارسات والاتجاهات السائدة)[4] .



(١) عبد الرحمن عدس، أساسيات البحث التربوي، ص ١٠١

(٢) صالح بن حمد العساف، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، ص ١٨٩

(٣) فان دالين، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ص ٣١٢

(٤) محمد لبيب النجيحي ومحمد منير مرسي، البحث التربوي، ص ١٩٩

الفصل الثاني : النشأة والأهداف للتعليم المتوسط

في هذا الفصل يتم تناول نشأة الجهات التعليمية الثلاث حسب الترتيب الآتي :

أولاً : مدرسة دار الحديث المدنية لأنها ضمت للجامعة الإسلامية رسمياً بتاريخ ١٣٨٤/٧/١هـ وكان طلاب المرحلة المتوسطة بالجامعة يدرسون بها قبل افتتاح المعهد المتوسط .

ثانياً : المعهد المتوسط لأنه أفتتح في العام الدراسي ١٣٨٧/١٣٨٦هـ[١].

ثالثاً : مدرسة دار الحديث المكية والتي ضمت للجامعة الإسلامية رسمياً في العام الدراسي ١٣٩٢/٩١هـ[٢].

أولاً : مدرسة دار الحديث المدنية

وافق جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله تعالى على افتتاح دار الحديث المدنية كمدرسة أهلية بناء على طلب من الشيخ أحمد بن محمد الدهلوي [٣] وذلك عام ١٣٥٠هـ [٤] .

ثم صدرت الموافقة الملكية على ضم مدرسة دار الحديث المدنية إلى

(١) دليل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، للعام الدراسي ١٣٩٥/١٣٩٤هـص ١١١

(٢) المرجع السابق، ص ١٤٤ ١٣٩٥/١٣٩٤هـ

(٣) هو الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الدهلوي نشأ في بلدة دهلي بالهند، على عقيدة السلف الصالح وعرف بأنه من جماعة أهل الحديث وكان متمسكاً بالتوحيد الخالص، وعالماً بالكتاب والسنة واعتبر أحد علماء أهل الحديث بالهند، وقدم إلى المدينة المنورة عام ١٣٤٥هـ، ودرس بالمسجد النبوي الشريف بموافقة من جلالة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله تعالى، وقد توفي رحمه الله تعالى عام ١٣٧٥هـ- الكتاب الوثائقي ص ٣٦١

(٤) دليل الجامعة الإسلامية عام ١٣٩٩/٩٨هـ، ص ٢٤٥

الجامعة الإسلامية بالمدينة وذلك بالخطاب رقم ٥٧١٢ في ١٣٨٤/٧/١هـ[١].

والفترة التي بدأت منذ افتتاح مدرسة دار الحديث المدنية عام ١٣٥٠هـ إلى ضمها للجامعة الإسلامية عام ١٣٨٤هـ مرت بها تغيرات وتطورات وهي على النحو التالي :

١- إدارة الشيخ أحمد بن محمد الدهلوي رحمه الله تعالى .

١٣٥٠هـ- ١٣٧٥هـ.

يعتبر الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الدهلوي رحمه الله تعالى المؤسس الحقيقي لمدرسة دار الحديث المدنية، و ذلك لتدريس علوم القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف وتخريج متخصصين لنشر عقيدة أهل السنة والجماعة [٢]

ومدة الدراسة فيها عشر سنوات على ثلاث مراحل : أ- المرحلة الابتدائية ومدة الدارسة بها أربع سنوات حيث يدرس الطالب الكتب التالية (تيسير الوصول إلى الثلاثة الأصول – القواعد الأربعة – الواسطة – تطهير الاعتقاد – رياض الصالحين – الترغيب بالعمل) [٣]

ب- المرحلة المتوسطة ومدة الدراسة فيها أربع سنوات حيث يدرس الطالب كتب منها (معاني ألفاظ القرآن الكريم، الثلاثة الأصول، لمعة الاعتقاد، كشف الشبهات، الواسطة لشيخ الإسلام، تطهير الاعتقاد، صيانة الإنسان، فتح المجيد، بلوغ المرام، المحرر في الحديث، سبل السلام، الترغيب والترهيب، تفسير جامع البيان) [٤]

ج- المرحلة العالية ومدة الدراسة فيها: سنتان ويدرس الطالب: التوحيد،

---

(١) دليل الجامعة الإسلامية عام ١٣٩٥/٩٤هـ، ص ١٣٠

(٢) الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية، ص ٣٦١

(٣) دخيل الله عبد الله الحيدري، التعليم الأهلي في المدينة المنورة ص ١٢٢

(٤) المرجع السابق، ص ١٢٢

مصطلح الحديث، أسماء الرجال، التفسير، الفقه وأصوله، الفرائض، المناظرة، البحث والاجتهاد والتقليد، التاريخ، البلاغة، النحو والصرف [١].

واستمر هذا النظام في الدراسة مدة عشر سنوات إلى أن قامت الحرب العالمية الثانية حيث تقلصت الموارد المالية وأغلقت المرحلتين الابتدائية والمتوسطة وبقيت المرحلة العالية [٢]

ثم أعيد فتح المرحلتين الابتدائية والمتوسطة عام ١٣٦٤هـ، و قد اشترك طلاب الصف السادس في اختبارات الشهادة الابتدائية لمديرية المعارف –آنذاك – في عام ١٣٧١/٧٠هـ لمدة ثلاث سنوات [٣].

ولكن توقفت الدراسة في المرحلة الإبتدائية نتيجة لزيادة عدد المدارس الحكومية [٤] وبقيت شعبة لتدريس السنة النبوية .

ثم أنشأ فضيلة الشيخ أحمد بن محمد الدهلوي مكتبة أهل الحديث عام ١٣٦٤هـ[٥]، وقد أوقف المكتبة بموجب الصك الشرعي رقم ٦٣ في ١٣٦٥/١/٢١هـ باسم مكتبة أهل الحديث[٦]

و قام الحاج محمد رفيع الدهلوي من أهل الهند بإيقاف مبنى بالقرب من المسجد النبوي الشريف وذلك بموجب الصك الشرعي رقم ٤٦١ في ١٣٦٨/١١/٨هـ باسم (وقف مكتبة أهل الحديث ومدرسة دار الحديث بالمدينة)[٧]

---

(١) المرجع السابق، ١٢٣

(٢) دليل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٩٥/٩٤هـص ١٣٠

(٣) المرجع السابق ص ١٣٠

(٤) المرجع السابق، ص ١٣٠

(٥) نشرة مطبوعة عن دار الحديث بعنوان (أضواء على مدرسة دار الحديث) ص ٢

(٦) المرجع السابق، ص ٢

(٧) المرجع السابق، ص ٣

وأصبح ذلك المبنى مقراً للمدرسة والمكتبة . ولاشك أن الوقف له أصل في الشريعة الإسلامية وهو من (القربات التي يتقرب بها إلى الله عز وجل لنفعه المتنوع والمتعدد والمتعدي فخير خلق الله أكثرهم نفعاً لعباده)[(١)] .

٢- إدارة الشيخ عبد الرحمن بن يوسف الأفريقي رحمه الله تعالى[(٢)] ١٣٧٥هـ- ١٣٧٧هـ.

وآلت إدارة الدار ونظارة الوقف إلى الشيخ عبد الرحمن بن يوسف الأفريقي بعد وفاة مؤسس المدرسة أحمد الدهلوي .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن يوسف بعد أن تولى هذه المهمة: ((إنني قد تحملت القيام بأعباء الإدارة بعد وفاة المؤسس المذكور معتمداً على الله ومتشرفاً بهذا الإكرام من المولى جل وعلا ومؤمناً بواجب خدمتي لها لأنها المدرسة التي

---

(١) عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان، الوقف مفهومه ومقاصده ص ٢

(٢) هو الشيخ عبد الرحمن بن يوسف الأفريقي: ولد رحمه الله تعالى عام ١٣٢٦هـفي مالي، وقد درس في قرية (ففا) ثم وصل إلى مكة لأداء فريضة الحج وذلك عام ١٣٤٥هـ ومنها إلى المدينة المنورة، وحضر واستفاد من دروس المسجد النبوي واتصل بالشيخ سعيد بن صديق الذي كان يدرس في المسجد النبوي في ذلك الوقت. واستفاد الشيخ عبد الرحمن من ملازمته للشيخ سعيد وعندما افتتحت دار الحديث المدنية عام ١٣٥٠هـ عين الشيخ سعيد بن صديق مدرساً فيها، فالتحق الشيخ عبد الرحمن بمدرسة دار الحديث تحقيقاً لرغبة شيخه الشيخ سعيد بن صديق، حيث استفاد كثيراً من دراسته في دار الحديث وحضوره دروس كثير من العلماء في ذلك الوقت . ثم قام بالتدريس في المسجد النبوي في مدرسة دار الحديث المدنية من عام ١٣٦٠هـ إلى عام ١٣٦٤هـ، ثم عمل داعية في قرى ينبع مدة ثمانية أشهر، ودرس في المعهد العلمي بالرياض عام ١٣٧٠هـوفي مسجد سماحة الشيخ محمد ابن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى وفي كلية الشريعة بالرياض وتوفي عام ١٣٧٧هـ مجلة الجامعة الإسلامية رمضان ١٣٩٨هـ ص ١٦٣ (ترجمة الشيخ عبد الرحمن الأفريقي لفضيلة الشيخ عمر بن محمد فلاتة)

تلقيت العلم فيها والمدرسة الوحيدة في هذه البلاد على ما أعتقد التي تقوم بنشر السنة النبوية وإتاحة الفرصة لكل طالب كبر أو صغر ومن أي جنس كان ما دام قاصداً للخير راغباً فيه بعيداً عن الشبهه أو قصد السوء»[١]

وقد بذل الشيخ عبد الرحمن الأفريقي جهداً كبيراً في تحسين مدرسة دار الحديث من الناحية النظامية والمالية وتمكن من إصدار أمر من جلالة الملك سعود رحمه الله تعالى بتعمير مبنى لدار الحديث المدنية في شارع السحيمي شمال غرب المسجد النبوي[٢]، وفي عام ١٣٧٦هـ وضع الشيخ الأفريقي نظاماً للمدرسة يتكون من ٢١ مادة [٣] .

وفي عام ١٣٧٧هـ صدر أمر ملكي كريم (بتخصيص إعانة مالية سنوية للدار بإشراف سماحة المفتي الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله، بناء على طلب فضيلة مديرها الشيخ عبد الرحمن بن يوسف الأفريقي رحمه الله تعالى)[٤].

وقد توفي فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن يوسف الأفريقي رحمه الله تعالى في ليلة الثلاثاء الموافق ١٣٧٧/٣/٢٨هـ[٥]، وتميزت فترة الشيخ الأفريقي بثلاثة مظاهر رئيسية :

أ- صدور نظام للمدرسة .

ب- إنشاء مبنى للمدرسة في شارع السحيمي .

ج - صدور إعانة مالية سنوية للمدرسة .

---

(١) نشرة بخط اليد ومختومة باسم الشيخ الأفريقي وهي بعنوان : نظام أعمال ومدرسة دار الحديث، ص ١

(٢) الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية، ص ٣٦١

(٣) الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية، ص ٣٦١ - ٣٦٣

(٤) دليل الجامعة الإسلامية، ١٣٩٤/١٣٩٥هـص ١٣٠

(٥) مجلة الجامعة الإسلامية ، ترجمة الشيخ عبد الرحمن الأفريقي ص ٨٢

٣- إدارة الشيخ عمر بن محمد فلاتة رحمه الله تعالى[١] ٧٧- ١٣٨٤هـ.

في عام ١٣٧٧هـ آلت إدارة مدرسة دار الحديث إلى الشيخ عمر بن محمد فلاتة رحمه الله بعد وفاة الشيخ عبد الرحمن الأفريقي الذي قال (القائم بأعمال الإدارة الآن حال غيابي تلميذي الخاص وابني الروحي الأستاذ عمر بن محمد)[٢]، وتم تعديل مراحل الدراسة كما يلي :

أ- مرحلة التوطئة ومدة الدراسة : عامان وتعادل الصفين الثالث والرابع الابتدائي .

ب- مرحلة التمهيدي ومدة الدراسة عامان وتعادل الصفين الخامس والسادس الابتدائي .

ج – المرحلة العالية والدراسة فيها ثلاثة أعوام وهي تعادل المرحلة المتوسطة في نظام وزارة المعارف[٣].

وكانت الدراسة تحت إشراف إدارة الإفتاء من عام ١٣٧٨هـ إلى عام

(١) هو فضيلة المربي الفاضل الشيخ عمر بن محمد بن بكر فلاتة ولد بالقرب من مكة المكرمة عام ١٣٤٥هونشأ وتربى بالمدينة المنورة ودرس بالكُتاب ثم في مدرسة دار العلوم الشرعية ثم في مدرسة دار الحديث المدنية التي عمل فيها مدرساً ثم تولى إدارتها بعد وفاة شيخه الشيخ عبد الرحمن الأفريقي ودرس في الحرم النبوي مدة ٤٩ عاماً . تقلد مناصب إدارية عديدة بالجامعة الإسلامية حيث عمل أميناً عاماً مساعداً ثم أميناً عاماً ثم صنف عضو هيئة تدريس على درجة أستاذ مساعد وقد كلف برئاسة مجلس شئون الدعوة ثم مديراً لمركز خدمة السنة والسيرة النبوية وتوفي رحمه الله في يوم ١٤١٩/١١/٢٩هـ- (أنظر ترجمة له لفضيلة الشيخ عبد المحسن العباد بعنوان الشيخ عمر بن محمد فلاتة كما عرفته، وترجمة لفضيلة الدكتور عاصم بن عبد الله القريوتي بعنوان كوكبة من أئمة الهدي)

(٢) نشرة بخط اليد ومختومة باسم الشيخ الأفريقي وهي بعنوان نظام أعمال مدرسة دار الحديث، ص ٤

(٣) دخيل الله عبد الله الحيدري، التعليم الأهلي في المدينة المنورة ص ١٢٩

١٣٨٤هـ[١]

وقد صدرت الموافقة الملكية السامية على ضم الدار إلى الجامعة الإسلامية بخطاب رقم ٥٧١٢ في ١٣٨٤/٧/١هـ[٢]

وتميزت هذه الفترة بالآتي :

١) صدور ميزانية للمدرسة بخطاب وزير المالية برقم ١٢٣٤٣ في ١٣٧٧/٧/٧هـ[٣]

٢) تعديل مراحل الدراسة .

٣) إشراف إدارة الإفتاء على الدراسة .

٤) ضم المدرسة إلى الجامعة الإسلامية ودمج ميزانية المدرسة مع ميزانية الجامعة الإسلامية بعد اقتراح وزير المالية وموافقة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى. [٤]

ثانياً : المعهد المتوسط

(ورد في نص المادة السابعة من النظام الأساسي الأول للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة والذي صدر بالأمر الملكي رقم ١٧ في ١٣٨١/٤/٩هـ (تتكون الجامعة الإسلامية من قسمين قسم عال ومدة الدراسة به أربع سنوات، وقسم ثانوي ومدة الدراسة به ثلاث سنوات ويجوز عند الحاجة زيادة مدة الدراسة في القسم الثانوي) [٥].

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٩

(٢) دليل الجامعة الإسلامي بالمدينة المنورة ١٣٩٤هـ/ ١٣٩٥هـص ١٣٠

(٣) دخيل الله عبد الله الحيدري، التعليم الأهلي في المدينة المنورة ص ١٢٩

(٤) الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية، ص ٣٦٤

(٥) الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية، ص ٥٣

وعبارة يجوز عند الحاجة زيادة مدة الدراسة في القسم الثانوي فيه إشارة إلى المرحلة المتوسطة [الإعدادية] والتي تشكل رافداً تعليمياً للمرحلة الثانوية.

وقد أكد ذلك نظام الجامعة الإسلامية الثاني والذي صدر في تاريخ ١٣٨٦/٥/١٨هـ(١)

وفيه إشارة إلى المرحلة المتوسطة حيث ورد في المادة الثالثة من النظام الثاني (تضم الجامعة كلية الشريعة وكلية الدعوة وأصول الدين وغير ذلك من الكليات والمعاهد التي تنشأ أو تضم مستقبلاً) .

أما نظام الجامعة الثالث والذي صدر بالأمر الملكي رقم م/٧٠ في ١٣٩٥/٨/٧هـ. ورد في المادة السابعة (يتبع الجامعة معهد ثانوي لإعداد الطلاب من خارج المملكة وداخلها للالتحاق بكليات الجامعة أو معاهدها، ويتبعها معهد متوسط، ودار الحديث بمكة المكرمة، ودار الحديث بالمدينة المنورة لإعداد الطلاب للمرحلة الثانوية)(٢)

وفي هذا النظام نص صريح للهدف من إنشاء المرحلة المتوسطة وهو إعداد الطلاب للمرحلة الثانوية .

ويلاحظ أن الدراسة بالمرحلة المتوسطة بدأت في وقت مبكر، حيث تم في العام الدراسي ١٣٨٣/١٣٨٢هـ قبول عدد من طلاب المرحلة المتوسطة للدراسة بالجامعة حيث كانوا يدرسون (٣) في دار الحديث المدنية قبل ضمها رسمياً للجامعة الإسلامية وبلغ عددهم ١٩ طالباً وفي عام ١٣٨٤/٨٣هـ ٣٠ طالباً وفي عام ١٣٨٥/٨٤هـ ٤١ طالباً (٤) .

---

(١) المرجع السابق، ص ٢

(٢) نظام الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ولوائحها التنفيذية، ص ١٥

(٣) دليل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لعام ١٣٩٨/٩٧هـص ١٩٣

(٤) مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الأول، ص ٤٦

وقد وافق المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية في يوم ١٣٨٣/٧/٢٨هـ على إنشاء قسم إعدادي ذي شعبتين، شعبة لدراسة اللغة العربية لغير الناطقين بها، وشعبة أخرى مدتها ثلاث سنوات للتعليم الإعدادي المتوسط، وذلك لتزويد الطالب بالمعلومات الإسلامية والعربية التي تؤهله للالتحاق بالمعهد الثانوي، ويتم إلحاق الطالب بالسنة المناسبة لمستواه، وبدأت الدراسة في المعهد المتوسط سنة ١٣٨٦هـ[١]

وكانت إدارة المعهد الثانوي في البداية تشرف على ثلاث جهات تعليمية هي: المعهد الثانوي وعدد فصوله خمسة فصول وخمسة فصول أخرى بين المعهد المتوسط وشعبة تعليم اللغة العربية . [٢]

والهدف من إنشاء المعهد المتوسط كان واضحاً منذ البداية وهو (إفساح المجال لطلبة البلاد الإسلامية التي لا يوجد فيها المتمكنون من الدراسة في المرحلة الإعدادية) [٣]

ويتمكن الطالب المتخرج من الالتحاق بالصف الأول من المعهد الثانوي التابع للجامعة وبالتالي لا يشكل مستوى الطالب العلمي مانعاً دون تحقيق رغبته في الالتحاق بالجامعة [٤] فإذا كان حاصلاً على الشهادة الابتدائية التحق بالمعهد المتوسط وإذا كان حاصلاً على الشهادة المتوسطة التحق بالمعهد الثانوي .

ويمكن تلخيص أهداف الدراسة في المعهد المتوسط بالآتي :

١) العمل على غرس العقيدة الصحيحة .

٢) تزويد الطالب بقدر كاف من العلوم الإسلامية والعربية .

---

(١) الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية، ص ٣٥٣

(٢) مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الأول ص ٤٢

(٣) مجلة الجامعة – العدد الأول ص ٤٢

(٤) دليل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٤٥ / ١٣٩٥هـص ١١١

٣) تأهيل الطالب للالتحاق بالمعهد الثانوي[١] .

ثالثاً : مدرسة دار الحديث المكية

صدرت موافقة جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى على افتتاح دار الحديث المكية بالخطاب رقم ٦٥ في ١٣٥٢/٢/٣هـ، وبدأت الدراسة بها في يوم ١٣٥٢/٣/١٢هـ[٢] وقد وضح جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله في خطاب إلى الشيخ عبد الظاهر أبو السمح الهدف من فتح هذه المدرسة حيث قال جلالته (فإذا كانت المدرسة التي تريدون فتحها أنه يعلم فيها الحديث والفقه وبالأخص فقه الإمام أحمد وعدم الإعابه على أحد من الأئمة فهذا نحن ممنونون فيه ونوافق عليه، فإن كان تخشى أن يصير اعتراض أو كلام يشوش الأمة كلها فهذا لا فائدة فيه، فأنت يجب عليك تتراجع مع الشيخ عبد الله بن حسن في ذلك وتنظرون في الأصلح وتقررون قراراً أعتمد عليه فبهذا نفتح المدرسة ونحن نساعد في كل شيء) [٣]

والفترة منذ افتتاح مدرسة دار الحديث المكية عام ١٣٥٢هإلى ضمها للجامعة الإسلامية عام ١٣٩١همرت عليها تطورات وتغيرات يمكن استعراضها على النحو التالي :

١-إدارة الشيخ عبد الظاهر أبو السمح [٤] رحمه الله تعالى ١٣٥٢هـ–

---

(١) الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية، ص ٣٥٣

(٢) دليل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٤/١٣٩٥هص ١٤٣

(٣) الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية، ص ٣٦٩

(٤) هو (عبد الظاهر – أبو محمد عبد الظاهر – ابن محمد، نور الدين التليني، أبو السمح : خطيب الحرم المكي وإمامه، من وعاظ الفقهاء الأزهريين . من بلدة التلين في الشرقية بمصر . تفقه في الأزهر وقام بإمامة مسجد أبي هاشم بالإسكندرية، واستقدمه الملك عبد العزيز رحمه الله إلى مكة وولاه دار الحديث وتوفي بمستشفى في جيزة القاهرة) خير الدين =

١٣٧٠هـ .

تولى الشيخ عبد الظاهر أبو السمح إدارة دار الحديث المكية بموافقة من جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله تعالى [(١)]

وقد بدأت الدراسة بفصلين وعدد الطلاب ٢٣ طالباً [(٢)] وكانت الدراسة على مرحلتين الصف الأول التمهيدي : ويدرس الطالب مبادئ العلوم في الحديث والفقه والتفسير والتوحيد والعلوم العربية ومبادئ العلوم الرياضية والاجتماعية وغيرها .

الصف الثاني العالي ويدرس الطالب علوم الحديث من الأمهات الست وأصول الحديث والتفسير واللغة العربية[(٣)] وكل فصل سنة دراسية واحدة[(٤)].

وتميزت فترة إدارة الشيخ عبد الظاهر أبو السمح رحمه الله تعالى بالآتي:

١) وجود منهج للدراسة مدة الدراسة سنتان موضحاً فيه المواد الدراسية.

٢) وجود علماء أفاضل للتدريس في الدار مثل الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة والشيخ محمد عبد العزيز المانع – مدير المعارف سابقاً – والشيخ محمود شويل والشيخ عبد اللطيف أبو السمح والشيخ محمد سلطان معصوم [(٥)].

٣) وجود مقر للمدرسة وهو دار الأرقم بن أبي الأرقم بمكة المكرمة إلى عام ١٣٧٥هـ[(٦)]

= الزركلي، الاعلام ٤/ ١١

(١) خير الدين الزركلي، الاعلام ٤/ ١١

(٢) الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية، ص ٣٧٠

(٣) دليل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٤/ ١٣٩٥هص ١٤٣

(٤) الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية، ص ٣٧٠

(٥) دليل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٤/ ١٣٩٥هص ١٤٣

(٦) المرجع السابق ص ١٤٤

٢- إدارة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة [١] رحمه الله تعالى ١٣٧٠هـ-١٣٩٠هـ.

كان الشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة مدرساً في دار الحديث المكية وكذلك في الحرم المكي خلال فترة إدارة الشيخ عبد الظاهر أبو السمح و تميزت فترة إدارة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة بالآتي :

١) انتقال مدرسة دار الحديث المكية إلى مبنى جديد، لأن المبنى الأول هدم في مشروع توسعة الحرم المكي .

٢) زاد عدد الفصول والطلاب وعدل المنهج وزيدت مواد أخرى ليشمل أربعة صفوف دراسية [٢]

٣) في عام ١٣٧٤هـتم إشراف إدارة التعليم بوزارة المعارف على مدرسة دار الحديث المكية[٣]

٤) تم تقديم إعانة مالية من وزارة المعارف بمبلغ خمسة آلاف ريال سنوياً ثم زيدت إلى عشرين ألف سنوياً مع إعارتها اثنين من المدرسين [٤]

٥) في عام ١٣٨٩هـ اجتمع مجلس إدارة مدرسة دار الحديث المكية برئاسة فضيلة الشيخ عبدالله خياط رحمه الله تعالى وقرر المجلس تطبيق المنهج الدراسي الذي تسير عليه مدرسة دار الحديث المدنية اعتباراً من العام الدراسي

---

(١) هو محمد بن عبد الرزاق حمزة – ١٣١١هـ، ١٣٩٢هـ (مدرس في الحرم المكي . مولده في قرية كفر عامر بالقليوبية بمصر تعلم بها وبالأزهر وسافر إلى مكة عام ١٣٤٤هفتولى خطابة الحرم النبوي وإمامته ونقل بعد سنتين إلى الحرم المكي مدرساً للحديث والتفسير وتوفي بمكة) خير الدين الزركلي، الاعلام ٢٠٣/٦

(٢) دليل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٤/١٣٩٥هـ، ص ١٤٤

(٣) الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية، ص ٣٧٠

(٤) دليل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٤/١٣٩٥هـ، ص ١٤٤

١٣٩٠/٨٩هـ وعودلت شهادة القسم المتوسط من وزارة المعارف .[١]

٦) في عام ١٣٩٠هـ اجتمع مجلس إدارة مدرسة دار الحديث المكية برئاسة فضيلة الشيخ عبدالله خياط إمام وخطيب المسجد الحرام وعضوية كل من :

١- عبد الله بن عبد الرحمن البسام

٢- أحمد علي أسد الله المستشار بوزارة المعارف

٣- عبد الله محمد العوهلي المدرس بالمعهد العلمي بمكة المكرمة

٤- سعيد بن عبد الله (الدعجاني)[٢] واعظ بمدينة جدة

٥- محمد حسن نصيف

٦- محمد عبد الرزاق حمزة – مدير مدرسة دار الحديث المكية

٧- محمد عمر عبد الهادي – وكيل مدير مدرسة دار الحديث المكية

فقرر المجلس رفع طلب إلى جلالة الملك فيصل رحمه الله لضم الدار إلى الجامعة الإسلامية وصدرت الموافقة الملكية السامية بالخطاب رقم ٣/٢٨٩٨ في ١٣٩١/٢/١٠هـ بضم مدرسة دار الحديث المكية إلى الجامعة الإسلامية على أن يكون ذلك اعتباراً من العام الدراسي ١٣٩٢/٩١هـ[٣]

❋ ❋ ❋

---

(١) دليل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٥/١٣٩٤هـ ص ١٤٥

(٢) ورد في دليل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٤ / ١٣٩٥هـ، ص ١٤٤ أن اسمه (عجاني) وقد تم الإتصال تليفونياً بفضيلة مدير دار الحديث المكية الشيخ / صالح الزهراني وأفاد أن الاسم الصحيح هو الشيخ : سعيد بن محمد الدعجاني الغامدي .

(٣) دليل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٥/٩٤هـ ص ١٤٤

الفصل الثالث: المعلمون بالتعليم المتوسط

المعلم أساس من أسس العملية التعليمية وعليه أمانة ومسؤولية كبيرة لأنه (العامل المهم جداً في عملية التربية) [1] والذي يوكل إليه في النهاية تنفيذ تطوير المناهج لاتصاله المباشر مع المتعلم [2].

لذلك فإن (قضية اختيار المعلمين ليست بسيطة سهلة، كما يظن كثير من رجال المعارف، ليس أساسه العلم وحده، والمقدرة التعليمية، والمؤهلات العلمية فحسب، بل يجب أن تكون للسيرة والخلق، والمبدأ والغاية، والإيمان والعقيدة، المكانة الأولى والأهمية الكبرى في اختيار المعلم) [3]

ويعامل المعلم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة طبقاً لنظام الخدمة المدنية الذي تشرف عليه وزارة الخدمة المدنية، حيث صدرت لائحة الوظائف التعليمية للسعوديين وفق ستة مستويات، ولائحة توظيف غير السعوديين بالنسبة للمتعاقدين . وبالجامعة الإسلامية لائحة خاصة باسم: اللائحة التنفيذية للمعاهد والدور التابعة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، و تمت الموافقة عليها بقرار المجلس الأعلى رقم ٤٥ في دورته الخامسة المنعقدة في الفترة من ٢٣-٢٦/١/١٣٩٨هـ [4]، وهي توضح العلاقة بين الإدارة المدرسية والمعلم والطالب .

وفيما يلي مقارنة في أعداد المعلمين في الجهات التعليمية التي تمثل التعليم المتوسط خلال فترتين زمنيتين مختلفتين :

---

(١) صالح عبد العزيز، التربية الحديثة، ٤٢٧٣

(٢) الدمرداش سرحان، المناهج المعاصرة، ص ٢٢٨

(٣) أبو الحسن الندوى، التربية الإسلامية الحرة، ص ٢٢

(٤) نظام الجامعة الإسلامية، ص ١٧٣

الفترة الأولى: لثلاثة أعوام دراسية هي العام الدراسي ١٣٩٥/٩٤هـ والعام الدراسي ١٣٩٨/٩٧هـ والعام الدراسي ١٣٩٩/٩٨هـ

الفترة الثانية: من العام الدراسي ١٤١٦/١٤١٥هـ إلى العام الدراسي ١٤١٨/١٤١٧هـ[١] ؛ ويوضح ذلك الجداول التالية :

جدول رقم (١)

عدد المدرسين في التعليم المتوسط خلال ثلاثة أعوام

دراسية متقاربة (تمثل الفترة الأولى من المقارنة)

الجهة التعليمية / العام الدراسي	مدرسة دار الحديث المدنية			المعهد المتوسط			مدرسة دار الحديث المكية			نسبة السعوديين
	سعودي	غير سعودي	المجموع	سعودي	غير سعودي	المجموع	سعودي	غير سعودي	المجموع	
١٣٩٥/٩٤هـ[٢]	١٣	٧	٢٠	١٠	٥	١٥	٦	١٢	١٨	%٥٤,٧
١٣٩٨/٩٧هـ[٣]	٨	١٢	٢٠	٤	٣٠	٣٤	٤	٢٥	٢٩	%١٩,٢٧
١٣٩٩/٩٨هـ[٤]	٩	١٨	٢٧	٧	٢٨	٣٥	٤	٢٣	٢٧	%٢٢,٤٧

---

(١) تم الاكتفاء بهذه الفترة الزمنية لأن المراجع الإحصائية بعد عام ١٤١٨/١٧هـتذكر المجموع الإجمالي للمدرسين.

(٢) دليل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للعام الدراسي ١٣٩٥/٩٤هـ، ص ١١١- ص ١٤١

(٣) دليل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للعام الدراسي ١٣٩٨/٩٧هـ، ص ١٩٦- ص ٢٣٩

(٤) دليل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للعام الدراسي ١٣٩٩/٩٨هـ، ص ٢١٤- ص ٢٦٥

جدول رقم (٢) :

عدد المدرسين في التعليم المتوسط خلال ثلاثة أعوام

دراسية متتالية (تمثل الفترة الزمنية الثانية للمقارنة)

الجهة التعليمية / العام الدراسي	مدرسة دار الحديث المدنية			المعهد المتوسط			مدرسة دار الحديث المكية			
	سعودي	غير سعودي	المجموع	سعودي	غير سعودي	المجموع	سعودي	غير سعودي	المجموع	نسبة السعوديين
١٥/١٤١٦هـ[١]	١٦	—	١٦	٢٥	—	٢٥	٢٨	—	٢٨	١٠٠٪
١٦/١٤١٧هـ[٢]	١١	—	١١	١٧	—	١٧	٢٧	—	٢٧	١٠٠٪
١٧/١٤١٨هـ[٣]	١١	—	١١	١٧	—	١٧	٢٧	—	٢٧	١٠٠٪

وقد تم الاكتفاء بثلاث سنوات دراسية من العام الدراسي ١٤١٥هـ/ ١٤١٦هـ إلى العام الدراسي ١٤١٧هـ/١٤١٨هـ، وذلك لعدم إشارة التقارير الصادرة بعد تلك السنوات إلى أرقام إحصائية تفصيلية عن عدد المعلمين في المرحلة المتوسطة، وإنما اكتفت تلك التقارير بالإشارة إلى العدد الإجمالي للمعلمين في الجامعة الإسلامية مثلاً :

أ) الكتاب الوثائقي أشار إلى وجود ٤٧ معلماً من السعوديين خلال العام الدراسي ١٤١٨هـ/ ١٤١٩هـ[٤] في المعهد المتوسط فقط .

ب) التقرير الموجز للعام الدراسي ١٤١٩هـ/١٤٢٠هـ أشار إلى العدد

---

(١) التقرير السنوي للعام الدراسي ١٤١٦هـ/١٤١٧هـص ٩١

(٢) المرجع السابق ص ٩١

(٣) التقرير السنوي للعام الدراسي ١٤١٧هـ/١٤١٨هـص ١١٨

(٤) الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية، ص ٣٥٣

الإجمالي للمعلمين في المعاهد والدور[١] خلال العام الدراسي١٤١٨هـ/ ١٤١٩هـ (٢٣٣) معلماً منهم مدرس واحد غير سعودي [٢].

ج) التقرير الموجز للعام الدراسي ١٤٢٠/١٤٢١هـ أشار إلى وجود ٢٣٢ معلماً في جميع المعاهد والدور (منهم اثنان غير سعوديين)[٣].

د) التقرير الموجز للعام الدراسي ١٤٢١هـ/١٤٢٢هـ أشار إلى وجود (٢٩٩) معلماً في جميع المعاهد والدور منهم اثنان غير سعوديين [٤].

ومن خلال المقارنة بين الجدولين (١، ٢) يلاحظ الآتي :

١- الفارق الزمني بين الفترة الأولى والفترة الثانية هو عشرون عاماً .

٢- نسبة المدرسين السعوديين بلغت في الفترة الأولى (٥٤,٧%) في العام الدراسي ١٣٩٤هـ/١٣٩٥هـ و(١٩,٢٧%) في العام الدراسي ١٣٩٧هـ/ ١٣٩٨هـ وكذلك (٢٢,٤٧%) خلال العام الدراسي ١٣٩٨هـ/١٣٩٩هـ في الجهات التعليمية الثلاث .

٣- نسبة المدرسين السعوديين في الفترة الثانية بلغت (١٠٠%) في الجهات التعليمية الثلاث والتي تمثل التعليم المتوسط .

٤- بلغت نسبة المعلمين السعوديين في التعليم المتوسط خلال العام الدراسي ١٤١٥هـ/١٤١٦هـ ١٠٠% بينما كانت (٢٢,٤٧%) خلال العام

---

(١) تمثل المعاهد والدور خمس جهات تعليمية وهي : المعهد الثانوي، والمعهد المتوسط، ومدرسة دار الحديث المدنية ومدرسة دار الحديث المكية، ومعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها كما ورد ذلك في لائحة المعاهد والدور .

(٢) التقرير الموجز للعام الدراسي ١٤١٩هـ/ ١٤٢٠هـ ص ٥٢

(٣) التقرير الموجز للعام الدراسي ١٤٢٠هـ/ ١٤٢١هـ ص ٥٨

(٤) التقرير الموجز للعام الدراسي ١٤٢١هـ/ ١٤٢٢هـ ص ٥٧

الدراسي ١٣٩٨هـ/١٣٩٩هـ.

٥- بلغ مجموع المدرسين السعوديين في الجهات التعليمية الثلاث للتعليم المتوسط (٦٩) مدرساً خلال العام الدراسي ١٤١٦/١٤١٥هو (٥٥) مدرساً خلال العام الدراسي ١٤١٧/١٤١٦هـ وأيضاً (٥٥) مدرساً خلال العام الدراسي ١٤١٨/١٤١٧هـ

ولا شك أن هذا من توفيق الله عز وجل لولاة الأمر الذين أولوا التعليم الجامعي عنايتهم ورعايتهم ونتج عن ذلك تخرج أعداد من المعلمين مؤهلة تأهيلاً علمياً وتربوياً تمكنوا من القيام بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم .



الفصل الرابع : الطلاب بالتعليم المتوسط

تستقبل المرحلة المتوسطة (أبناء المسلمين من أنحاء العالم، لتزويدهم بقدر كاف من العلوم الإسلامية والعربية والمواد الثقافية) [١] وطالب العلم في هذه المرحلة التعليمية يستفيد بحمد الله من الجهود التي تبذل لتحقيق الأهداف المرجوة من التحاقه بهذه المرحلة التعليمية، والملاحظ أن الدراسة بالمرحلة المتوسطة بدأت بعد افتتاح الجامعة الإسلامية بعام دراسي واحد فقط، حيث كان الطلاب الملتحقون بهذه المرحلة يدرسون في مدرسة دار الحديث المدنية قبل انضمامها للجامعة الإسلامية، ويستلمون المكافأة من الجامعة الإسلامية[٢] وعددهم موضح بالجدول التالي:

جدول رقم (٣)

عدد طلاب المرحلة المتوسطة قبل ضم مدرسة دار الحديث المدنية[٣]

العام الدراسي	مجموع الطلاب
١٣٨٣/٨٢هـ	١٩
١٣٨٤/٨٣هـ	٣٠

وحيث أن الجهات التعليمية الثلاث للمرحلة المتوسطة لم تبدأ الدراسة في عام دراسي واحد فإنه يتم استعراض أعداد الطلاب على النحو التالي :

١) طلاب دار الحديث المدنية :

فيما يلي جدول يوضح عدد طلاب مدرسة دار الحديث المدنية في السنوات الخمس الأولى لضمها للجامعة الإسلامية

(١) نظام الجامعة الإسلامية ص ١٧٥

(٢) دليل الجامعة الإسلامية عام ١٣٩٥/١٣٩٤ ص ١١٥

(٣) المرجع السابق، ص ١١٥

جدول رقم (٤)

عدد طلاب مدرسة دار الحديث المدنية خلال خمس سنوات الأولى لضمها

العام الدراسي	مجموع الطلاب	الخريجون		المجموع
		سعودي	غير سعودي	
١٣٨٥/٨٤هـ	٣٠٧	١	٨	٩
١٣٨٦/٨٥هـ	٤٠١	١	٢٥	٢٦
١٣٨٧/٨٦هـ	٤٢٥	١	٢٨	٢٩
١٣٨٨/٨٧هـ	٢٧٧	٣	٣١	٣٤
١٣٨٩/٨٨هـ	٢١٨	٤	١٥	١٩
المجموع	١٦٢٨	١٠	١٠٧	١١٧

من الجدول السابق يتضح أن عدد الحاصلين على الشهادة المتوسطة خلال الخمس سنوات الأولى لضمها للجامعة الإسلامية بلغ (١١٧) منهم (١٠) طلاب سعوديين فقط بنسبة (٨,٥%) وباقي الطلاب من جنسيات أخرى .

عدد الطلاب الحاصلين على الشهادة المتوسطة منذ ضم مدرسة دار الحديث المدنية للجامعة عام ١٣٨٥/١٣٨٤ هـحتى الدور الأول من عام ١٤٢٢/١٤٢١هـفقد بلغ [١٣٤٨] طالباً [١] .

أما عدد الطلاب الحاصلين على الشهادة المتوسطة من العام الدراسي ١٤٠٣/١٤٠٢هـحتى الدور الأول من العام الدراسي ١٤٢٢/١٤٢١هـفقد بلغ (٦٧٣) طالباً ويمثلون نسبة (٤٩,٢%) من عدد خريجي دار الحديث المدنية . منذ ضمها للجامعة الإسلامية وحتى نتيجة الدور الأول من العام الدراسي ١٤٢٢/١٤٢١هـ

٢– طلاب المعهد المتوسط :

---

(١) التقرير الموجز عن العام الجامعي ١٤٢٢/١٤٢١هـ، ص ٥٤

جدول رقم (٥)

عدد طلاب المعهد المتوسط في الخمس سنوات الأولى [1]

العام الدراسي	عدد الطلاب	الخريجون		المجموع
		سعودي	غير سعودي	
١٣٨٧/٨٦هـ	٤٩	–	–	–
١٣٨٨/٨٧هـ	٦٢	–	١٠	١٠
١٣٨٩/٨٨هـ	١٣٥	٦	٢٨	٣٤
١٣٩٠/٨٩هـ	١٦٣	٤	٢٦	٣٠
١٣٩٢/٩١هـ	٢١١	٢٤	٤٣	٦٧
المجموع	٦٢٠	٣٤	١٠٧	١٤١

ومن هذا الجدول يتضح أن عدد الطلاب الإجمالي خلال الخمس سنوات الأولى (٦٢٠) طالباً أما الخريجون خلال الخمس سنوات الأولى عددهم (١٤١) منهم [٣٤] سعودياً فقط بنسبة (٢٤,١%) .

وقد بلغ عدد الطلاب الحاصلين على الشهادة المتوسطة من المعهد المتوسط منذ افتتاحه وحتى الدور الأول من العام الدراسي ١٤٢٢/١٤٢١هـ[٢٩٦٥] طالباً [2] . أما عدد الطلاب الحاصلين على الشهادة المتوسطة من المعهد المتوسط من العام الدراسي ١٤٠٣/١٤٠٢هـ حتى نتيجة الدور الأول من العام ١٤٢١/ ١٤٢٢هـ فقد بلغ (١٥٢٢) طالباً ويمثلون نسبة (٥٢,٥ %) من عدد خريجي المعهد المتوسط منذ افتتاحه وحتى نتيجة الدور الأول من العام الدراسي ١٤٢٢/١٤٢١هـوالذي يمثله جدول رقم (٨) .

٣– طلاب مدرسة دار الحديث المكية (المرحلة المتوسطة) :

---

(١) دليل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص ١١٥

(٢) التقرير الموجز عن العام الدراسي ١٤٢٢/١٤٢١هـ، ص ٥٣

جدول رقم (٦)

عدد طلاب مدرسة دار الحديث المكية خلال الخمس سنوات الأولى لضمها للجامعة الإسلامية :

العام الدراسي	مجموع الطلاب	الخريجون [١]		
		سعودي	غير سعودي	المجموع
١٣٩٢/٩١هـ	٢٦٣	٢	٢٠	٢٢
١٣٩٣/٩٢هـ	٣٦٧	١	١٨	١٩
١٣٩٤/٩٣هـ	٤١٨	٤	٢٣	٢٧
١٣٩٥/٩٤هـ	٤٣٢	٤	٥٢	٥٦
١٣٩٦/٩٥هـ	٤٥٠	٤	٤٦	٥٠
المجموع	١٩٣٠	١٥	١٥٩	١٧٤

ومن هذا الجدول يتضح أن عدد الطلاب الإجمالي خلال الخمس سنوات الأولى (١٩٣٠) طالباً أما الخريجون فعددهم الإجمالي (١٧٤) طالباً منهم [١٥] سعودياً فقط، بنسبة (٨،٦%) .

جدول رقم (٧)

عدد الطلاب خلال ثلاثة أعوام دراسية من العام الدراسي ١٤١٥/ ١٤١٦هـ إلى ١٤١٨/١٤١٧هـ

العام الدراسي	دار الحديث المدنية			المعهد المتوسط			دار الحديث المكية			المجموع الكلي
	سعودي	غير سعودي	النسبة	سعودي	غير سعودي	النسبة	سعودي	غير سعودي	النسبة	
١٤١٥/ ١٤١٦هـ[٢]	٨٢	٨	٩١,١	٨٥	٢٨	٧٢,٠	٤٧	٢٧٩	١٤,٤	٥٣٤

(١) دليل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عام ١٣٩٨/٩٧هـص ٢٤٧

(٢) التقرير السنوي للعام الدراسي ١٤١٦/١٤١٧هـ، ص ٩٦-١٠٢

العام الدراسي	دار الحديث المدينة			المعهد المتوسط			دار الحديث المكية			المجموع الكلي
	سعودي	غير سعودي	النسبة	سعودي	غير سعودي	النسبة	سعودي	غير سعودي	النسبة	
١٤١٦/ ١٤١٧هـ[١]	٨١	٦	٩٣,١	٩٤	٢١	٨١,٧	٥٤	٢٥٢	١٧,٦	٥٠٨
١٤١٧/ ١٤١٨هـ[٢]	٨٧	٨	٩١,٥	١٣٨	١٧	٨٩,٦	٥٧	٢٠٥	٢٧,٨	٤٥٦
١٤١٩/ ١٤٢٠هـ[٣]	١٠٦	٢٢	٨٢,٨	١٩٦	٧	٩٦,٥	٨٤	٢٢٠	٣٨,١	٦٣٥

وقد بلغ عدد الحاصلين على الشهادة المتوسطة منذ ضم مدرسة دار الحديث المكية للجامعة عام ١٣٩٢/٩١هـ وحتى الدور الأول من العام الدراسي ١٤٢٢/١٤٢١هـ(١٣١٥) طالباً [٤].

أما عدد الطلاب الحاصلين على الشهادة المتوسطة من مدرسة دار الحديث المكية من العام الدراسي ١٤٠٣/١٤٠٢هـ وحتى نتيجة الدور الأول من العام الدراسي ١٤٢٢/١٤٢١هـ فقد بلغ (٨٤٣) طالباً ويمثلون نسبة (٦١,٨%) من عدد خريجي مدرسة دار الحديث المكية منذ ضمها للجامعة الإسلامية وحتى نتيجة الدور الأول من العام الدراسي ١٤٢٢/١٤٢١هـ.

ويعود تدني نسبة الطلاب السعوديين في دار الحديث المكية كما أفاد فضيلة مدير دار الحديث المكية [٥] لعدم توفر شروط القبول في بعض الطلاب السعوديين المتقدمين للدراسة في دار الحديث المكية، ومن بين هذه الشروط، اشتراط نسبة

---

(١) التقرير السنوي للعام الدراسي ١٤١٧/١٤١٦هـ، ص ٩٦-١٠٢

(٢) التقرير السنوي للعام الدراسي ١٤١٨/١٤١٧هـ، ص ١٢٤-١٢٩

(٣) التقرير السنوي للعام الدراسي ١٤٢٠/١٤١٩هـ، ص ٥٢-٥٦

(٤) التقرير الموجز عن العام الجامعي ١٤٢٢/١٤٢١هـ، ص ٥٤، ٥٥

(٥) مكالمة تليفونية مع فضيلة الشيخ صالح الزهراني، الأربعاء ١٤٢٢/١٢/٢٩هـ

٨٠% فما فوق وهذه النسبة لا تتوفر عند كثير من الطلاب السعوديين . وبذلك يبلغ عدد خريجي الجهات التعليمية الثلاث من العام الدراسي ١٤٠٢/١٤٠٣هإلى العام الدراسي ١٤٢١/١٤٢٢هـ(٣٠٣٨) طالباً بنسبة (٥٣,٩%) من المجموع الكلي للخريجين وعددهم (٥٦٢٨) طالباً حتى نتيجة الدور الأول من العام الدراسي ١٤٢١/١٤٢٢هويتضح ذلك من جدول رقم (٨) .

جدول رقم (٨)

عدد الطلاب الخريجين الحاصلين على الشهادة المتوسطة من عام ١٤٠٢/١٤٠٣هـ إلى عام ١٤٢١/١٤٢٢هـ

العام الدراسي	مدرسة دار الحديث المدنية	المعهد المتوسط	مدرسة دار الحديث المكية
١٤٠٢/١٤٠٣هـ	٦٩	٢٤١	٦٥
١٤٠٣/١٤٠٤هـ	٨٩	٢١٣	٦٣
١٤٠٤/١٤٠٥هـ	٤٩	١٣١	٤٧
١٤٠٦هـ	٣١	٧٠	٢٤
١٤٠٧/١٤٠٨هـ	١٩	٥٢	١٧
١٤٠٨/١٤٠٩هـ	١١	٤١	١٥
١٤٠٩/١٤١٠هـ	٢١	٣٨	٣٣
١٤١٠/١٤١١هـ	١٧	٩٠	٤٠
١٤١١/١٤١٢هـ	٤٢	٦٤	٥٢
١٤١٢/١٤١٣هـ	٢٦	٨٩	٣٢
١٤١٣/١٤١٤هـ	٦٢	٧٦	٦٤
١٤١٤/١٤١٥هـ	٣٢	٦٤	٥٦
١٤١٥/١٤١٦هـ	٣٣	٥١	٥٦

العام الدراسي	مدرسة دار الحديث المدنية	المعهد المتوسط	مدرسة دار الحديث المكية
١٤١٧/١٤١٦هـ[١]	٢٣	٣٤	٦٨
١٤١٨/١٤١٧هـ[٢]	٣١	٣٢	٣٢
١٤١٩/١٤١٨هـ[٣]	٢٧	٥٢	٣٥
١٤٢٠/١٤١٩هـ	٢٩	٥٤	٣٣
١٤٢١/١٤٢٠هـ	٢٥	٦٢	٣١
١٤٢٢/١٤٢١هـ	٣٧	٦٨	٨٠ [٤]
المجموع	٦٧٣	١٥٢٢	٨٤٣

ويلاحظ من الجدول السابق زيادة أعداد الخريجين في الأعوام الأولى ثم ثبات نسبي في أعداد الخريجين بعد ذلك، ولعل ذلك يعود إلى وجود فارق كبير في أعداد الطلاب الملتحقين بالمرحلة المتوسطة في السنوات الماضية وما هو عليه الآن لأن الجامعة اعتمدت على قبول الشهادة المعادلة بعد انتشار التعليم في البلدان الإسلامية وأصبح منظماً تنظيماً مقبولاً، ولا توجد حاجة إلى قبول أعداد كبيرة من الطلاب غير السعوديين في هذه المرحلة [٥] .

وفيما يلي جدول يوضح المقارنة في أعداد الطلاب للتعليم المتوسط بين عامي ١٤٠٢ و ١٤٢٢هـ:

(١) التقرير السنوي ١٤١٧/١٤١٦هـ، ص ٩٠ (وذلك للمعلومات الإحصائية من عام ١٤٠٤- ١٤١٧هـ)

(٢) التقرير السنوي ١٤١٨/١٤١٧هـ، ص ١١٧

(٣) الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية، ص ٣٥٦

(٤) نشرة إحصائية بعدد الطلاب الحاصلين على الشهادة المتوسطة من دار الحديث المكية صادرة برقم ٥٤٩ في ١٤٢٢/١٠/٢٤هـ

(٥) الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية، ص ٣٥٥

جدول رقم (٩)

عدد الطلاب الإجمالي للعام الدراسي ١٤٠٢/١٤٠٣هـ وكذلك العام الدراسي ١٤٢١/١٤٢٢هـ

العام الدراسي / الجهة التعليمية	١٤٠٢ / ١٤٠٣هـ[١]	١٤٢١ / ١٤٢٢ هـ[٢]	الفارق بينهما
دار الحديث المدنية	٣٠٥	٢٦٩	– ٣٦
المعهد المتوسط	٦٩٣	١٧٥	– ٥١٨
دار الحديث المكية	٤٤٦	٢٨٠[٣]	– ١٦٦
المجموع	١٤٤٤	٧٢٤	– ٧٢٠

ويتضح من جدول رقم (٩) وجود فارق كبير بين أعداد الطلاب بين العام الدراسي ١٤٠٢/١٤٠٣هـوالعام الدراسي ١٤٢١/١٤٢٢هـحيث بلغ الفارق بينهما (–٧٢٠) وتمت الإشارة إلى أسباب هذا الفرق بعد جدول رقم (٨) .

الخدمات التي تقدم لطالب المرحلة المتوسطة :

يحظى طالب المرحلة المتوسطة على عناية واهتمام الجامعة الإسلامية حيث يستفيد من الخدمات المقدمة والتي منها :

١– العناية الصحية : والتي تقدمها عيادات الجامعة الطبية بتخصصات مختلفة في مستوصف تم تجديده وتجهيزه مؤخراً .

٢– النشاط المدرسي : حيث يتم وضع خطط للنشاط بالتعاون بين عمادة شؤون الطلاب والجهات التعليمية تشمل :

مسابقات ثقافية – جمعيات للنشاط – رحلات (رحلة عمرة) (رحلة إلى

---

(١) التقرير السنوي لعام ١٤١٧/١٤١٨هـ، ص ١١٦

(٢) التقرير الموجز للعام الجامعي ١٤٢١/١٤٢٢هـ، ص ٥٣–٥٤

(٣) مكالمة تليفونية مع فضيلة مدير دار الحديث المكية في يوم الأحد ١٤٢٣/١/١٧هـ

معالم المدينة)

زيارات – نشاط رياضي – الندوات والدروس والحلقات .

٣- المكتبات المدرسية : تتوفر في كل من :

مدرسة دار الحديث المدنية والمعهد المتوسط ومدرسة دار الحديث المكية مكتبات علمية تحوي آلاف من الكتب في مختلف الفنون العلمية يستفيد منها المعلم والطالب والزائر .

٤- يحصل طالب المرحلة المتوسطة على مكافأة شهرية مبلغ وقدره (٣٠٠) ريال [١].



(١) الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية، ص ٤٠٥ – ٤٠٧

الفصل الخامس: المقررات الدراسية للتعليم المتوسط

المقرر الدراسي جزء من المنهج الدراسي، والمنهج الدراسي قديماً كان مرادفاً للمقررات الدراسية[1] ويتم تناول المقررات الدراسية في هذا الفصل على النحو التالي :-

١- خطة الدراسة :

لم تكن الخطة الدراسية في الجهات التعليمية الثلاث للتعليم المتوسط موحدة، حيث كان المعهد المتوسط يطبق منهج المعاهد العلمية ودار التوحيد بالمملكة [2]، أما مدرسة دار الحديث المدنية، ومدرسة دار الحديث المكية فكانت هناك خطة دراسية موحدة للمرحلتين الابتدائية والمتوسطة حيث قرر مجلس دار الحديث المكية في عام ١٣٨٩هـ تطبيق المنهج الدراسي الذي كانت تسير عليه مدرسة دار الحديث المدنية اعتباراً من العام الدراسي ١٣٩٠/٨٩هـ[3].

وقد قرر مجلس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بالقرار رقم ١٧٨/٩ في ١٣٩٨/٢/١٢هـ إقرار خطة دراسية موحدة للمرحلة المتوسطة [4]

ويتضح من الخطة الدراسية المنفذة حالياً [5] ما يلي :-

---

(١) دمرداش عبد المجيد سرحان، المناهج المعاصرة، ص ١٤

(٢) دليل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٤ / ١٣٩٥، ص ١١١، وأنظر للخطة الدراسية التي كانت مطبقة في ملحق رقم (١)

(٣) المرجع السابق ص ١٤٥ وانظر للخطة الدراسية التي تم تطبيقها في ذلك الوقت - ملحق رقم (٢)

(٤) نشرة مناهج المرحلة المتوسطة بالجامعة ص ٣، وانظر إلى ملحق رقم (٣) للخطة التي تم إقرارها .

(٥) انظر الملحق رقم (٤) للخطة المنفذة حالياً والتعديلات التي أجريت عليها .

١) مواد العلوم الدينية :–

يدرس الطالب مواد العلوم الدينية في السنوات الثلاث بمجموع (٤٨) حصة وبنسبة (٤٥,٧%) ويوضح هذه المواد الجدول التالي :–

جدول رقم (١٠)

مواد العلوم الدينية

الصف الدراسي	المواد	الحصة	النسبة
الأول	حفظ القرآن، القراءة المجودة، لتجويد، التفسير، الحديث، التوحيد، الفقه	١٦	٤٥,٧%
الثاني	(نفس المواد)	١٦	٤٥,٧%
الثالث	نفس المواد السابقة ما عدا التجويد	١٦	٤٥,٧%
مجموع حصص مواد العلوم الدينية للسنوات الثلاث		٤٨	٤٥,٧%

٢) مواد اللغة العربية :–

يدرس الطالب مواد اللغة العربية قي السنوات الثلاث بمجموع (٣٣) حصة وبنسبة (٣١,٤%)

ويوضح هذه المواد الجدول التالي :

جدول رقم (١١)

مواد اللغة العربية

الصف الدراسي	المواد	الحصة	النسبة
الأول	النحو والصرف، التعبير، النصوص الأدبية، المطالعة، الخط، الإملاء	١١	٣١,٤%
الثاني	نفس المواد السابقة	١١	٣١,٤%
الثالث	نفس المواد السابقة	١١	٣١,٤%
مجموع حصص مواد اللغة العربية للسنوات الثلاث		٣٣	٣١,٤%

٣) المواد الثقافية

والتي تضم مواد السيرة النبوية والتاريخ والجغرافيا ويدرس الطالب في السنوات الثلاث ما مجموعه (٢٤) حصة وبنسبة (٢٢,٨%) من المجموع الكلي للمواد .

ويوضح ذلك الجدول التالي :

جدول رقم (١٢)

المواد الثقافية

الصف الدراسي	المواد	الحصة	النسبة
الأول	السيرة النبوية، الجغرافيا، الصحة، الحساب، اللغة الإنجليزية	٨	٢٢,٨%
الثاني	نفس المواد السابقة	٨	٢٢,٨%
الثالث	التاريخ الإسلامي، الجغرافيا، الصحة، الحساب، اللغة الإنجليزية	٨	٢٢,٨%
مجموع حصص المواد الثقافية للسنوات الثلاث		٢٤	٢٢,٨%

٤) تعديل الخطة :

أجرى على خطة الدراسة للتعليم المتوسط خلال عشرين عاماً تعديل جزئي حيث كانت مادة التجويد حصة واحدة في الأسبوع وذلك في السنة الأولى متوسط فقط. ونظراً لأهمية التلاوة المجودة في القرآن الكريم ومالها من أهداف علمية خاصة فقد عدلت خطة الدراسة بقرار مجلس الجامعة رقم ١٤١٤/٢٤ في ١٤١٤/٥/١٠هـ لتكون مادة التجويد حصة واحدة في الأسبوع في السنتين الأولى والثانية فقط [1].

وتسعى الجامعة حالياً من خلال لجنة علمية مشكلة لدراسة خطة الدراسة،

(١) مذكرة المناهج بالمرحلة المتوسطة ص ٢٢

دراسة شاملة تحقق بإذن الله تعالى الأهداف المنشودة من التعليم المتوسط .

٥) الكتب الدراسية

تتنوع الكتب الدراسية بالتعليم المتوسط بتنوع مصادر هذه الكتب حيث يوجد الآتي :-

أ- كتب علمية منها :- كتاب الرائد في أحكام التجويد لفضيلة الدكتور سالم محيسن، وكتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لفضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى، وكتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، وكتاب عمدة الأحكام وشرح تيسير العلام لفضيلة الشيخ عبد الله البسام [(١)].

ب- مقررات المعاهد العلمية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية منها : -

كتاب النحو للدكتور عبد الرحمن الباشا وكتاب النحو للشيخ أشهب عبد السلام وكتاب النصوص الأدبية [(٢)].

ج – مقررات وزارة المعارف :-

يتم دراسة بعض المقررات والتي منها :-

كتاب النصوص الأدبية من تأليف صالح المالك وكتاب المطالعة العربية وكتاب أسس الجغرافيا الطبيعية وكتاب الحساب .

د- المذكرات الدراسية :-

في مادة السيرة النبوية والصحة .

---

(١) مذكرة المناهج للمرحلة المتوسطة ص ١٤-٢٦

(٢) المرجع السابق ص ٣٠-٤٣

الفصل السادس : المباني المدرسية

تعد المباني المدرسية من مكونات المنهج بمفهومه الواسع (١) لأن لها دورًا أساسيًا في المناخ التربوي المناسب حيث أن المبنى المدرسي الذي يحتوي على فصول واسعة ومناسبة ويتوفر فيه جميع الخدمات اللازمة يحبب الطالب في الجو الدراسي ويشده إليه، ويسهل بعون الله تعالى على حسن أداء العمل .

والمباني المدرسية للتعليم المتوسط، وجدت ولله الحمد العناية والاهتمام . مثلها مثل مراحل التعليم المختلفة بالجامعة الإسلامية .

وفيما يلي استعراض للمباني المدرسية في الجهات التعليمية الثلاث :

أولاً : مبنى مدرسة دار الحديث المدنية :

تأسست مدرسة دار الحديث المدنية عام ١٣٥٠هـ وكانت في مبنى مستأجر مقابل باب المجيدي للحرم النبوي ثم انتقلت إلى مبنى مستأجر آخر شمال شرق المسجد النبوي (٢) .

ووفق الله رجلاً من الهند يدعى الحاج محمد رفيع دهلوي فأوقف على مدرستها ومكتبتها مبنى بقرب المسجد النبوي في شارع السحيمي وذلك بموجب الصك رقم ٤٦١ في ١٣٦٨/١١/٨هـ سمي وقف مكتبة أهل الحديث ومدرسة دار الحديث بالمدينة المنورة (٣) .

وقال الشيخ عبد الرحمن الأفريقي رحمه الله تعالى: «وأنني بعد أن عُينت مدرساً بالمعهد العلمي الذي يشرف عليه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رأيت أن أغتنم فرصة وجودي بجوار هذا الرجل المبارك وغيره من أمثال أهل

---

(١) دمرداش عبد المجيد سرحان، المناهج المعاصرة، ص ١٨

(٢) دخيل الله عبد الله الحيدري، التعليم الأهلي في المدينة المنورة ص ١٣٢

(٣) نشرة مطبوعة عن دار الحديث المدنية، ص ٣

الفضل والخير أمثال أخيه الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ والشيخ عبد الله بن إبراهيم آل الشيخ والشيخ عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ والشيخ عبد العزيز بن باز المحدث السلفي، ومن أهل الرغبة إلى الخير من الأمراء أمثال الأمير عبد الله بن عبد الرحمن آل سعود وغيره من الأمراء والفضلاء فتقدمتُ بطلب إلى جلالة الملك سعود أيده الله بتوفيقه بعد الاستشارات الكثيرة واستقراراً لرأي فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم وغيره على وجاهة الطلب وضرورته لتطوير المدرسة والنهوض بها شريطة أن تبقى حرة في وضعها ونظامها الذي أسست لأجله فتقدمت بطلب تعميرها ومساعدها من جلالة الملك سعود بالبرقية المرقمة بنمرة ٢٩٠٨ في ٢٠/١٠/١٣٧٦هـ من الرياض» [١].

وقد أمر جلالة الملك سعود رحمه الله تعالى بتقديم مبلغ من المال بنيت به الدار من جديد و استمرت الدراسة في هذا المبنى إلى عام ١٤٠٧هـ، حيث أدخل في توسعة خادم الحرمين الشريفين للمسجد النبوي الشريف [٢].

ثم قامت الجامعة الإسلامية باستئجار مبنى بمبلغ مائة وثمانين ألف ريال يقع غرب مسجد أبي ذر يتكون من أربعة أدوار ثم انتقلت منه إلى مبنى مستأجر آخر يقع بالقرب من طريق سيد الشهداء بجوار مبنى الرعاية الإجتماعية به فناء واسع ويتكون من خمسة أدوار واستمرت الدراسة في هذا المبنى إلى أن تم الانتقال إلى المبنى الحالي .

عندما وفق الله عز وجل خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود للقيام بمشروع توسعة المسجد النبوي، تم هدم مبنى دار الحديث المدنية الذي يقع في شارع السحيمي لدخوله في التوسعة و تم تعويض

(١) نشرة بخط يد الشيخ عبد الرحمن الأفريقي رحمه الله بعنوان نظام أعمال مدرسة دار الحديث، ص ١

(٢) دخيل الله عبد الله الحيدري، التعليم الأهلي في المدينة المنورة، ص ١٣٢

الوقف بمبلغ مالي لشراء أو بناء مبنى جديد .

وقد تم شراء أرض مساحتها (٨٦٩٠م) تقع على شارع المطار شمال شرق المسجد النبوي وتبعد عن الحرم النبوي ٧٠٠م وبدء بالمشروع في يوم ١٤١٣/٧/٩هـ[1] ثم انتقلت مدرسة دار الحديث المدنية إلى المبنى الجديد بتاريخ ١٤١٨/٥/٥هـ[2]

ويتكون المبنى الجديد من العناصر التالية [3]:

١- مبنى مدرسة دار الحديث المدنية ويتكون من ثلاثة أدوار يتسع لـ ٦٠٠ طالب .

٢- مبنى المسجد وشعبة الحديث والمكتبة : يتكون من خمسة أدوار خصص الدور الأرضي للمسجد الذي يتسع لثلاثمائة مصلى . أما الدور الأول والثاني للفصول الدراسية الخاصة بشعبة الحديث، وخصص الدوران الثالث والرابع للمكتبة .

٣- مبنى قاعة المحاضرات ويتكون من دورين .

٤- مبنى سكن الطلاب ويتكون من ستة أدوار .

٥- مبنى المركز التجاري ويتكون من ستة أدوار منها الدور الأرضي للمحلات التجارية التي بلغت ١١ محلاً تجارياً، أما الأدوار الخمسة العلوية فهي عبارة عن مكاتب تجارية .

٦- مبنى الفندق : يتكون من ستة أدوار ولا شك أن عناصر مشروع مدرسة دار الحديث المدنية فريدة، ونادراً ما تجد مدرسة تضم جميع هذه العناصر في نفس الوقت .

---

(١) نشرة بعنوان بعض منجزات دار الحديث ص ٤

(٢) مكالمة هاتفية مع فضيلة الشيخ أحمد الدهلوي بتاريخ ١٤٢٢/١٠/٢٧هـ

(٣) نشرة بعنوان أضواء على مدرسة دار الحديث، ص ٤

و تنوع هذه العناصر من أجل (استخدام أجزاء من المدرسة : المكتبة، المسجد، قاعة المحاضرات، المباني الاستثمارية من قبل المجاورين للمدرسة يؤكد على هذا التفاعل ويحقق الترابط المنشود في العلاقة بين المدرسة ومحيطها، كما يؤدي إلى الاستغلال الأقصى لفراغات المدرسة في كل الأوقات)[1]، وقد فاز تصميم هذا المبنى بجائزة المدينة المنورة.

ثانياً : مبنى المعهد المتوسط :

ينفرد المعهد المتوسط منذ تأسيسه بتخصيص مباني مدرسية له داخل الجامعة الإسلامية، حيث كان في البداية في المبنى الجنوبي من المعهد الثانوي ثم انتقل إلى المبنى المجاور للمعهد الثانوي عام ١٤٠١هوهو المقر الحالي لكلية الحديث .

وفي عام ١٤٠٧هـ انتقل إلى مقره الحالي الذي كانت تشغله كلية الحديث.

وقد تمت توسعة مبنى المعهد المتوسط التي تميزت بالآتي [2]:

١- بدء العمل في مشروع التوسعة يوم ١٤١٢/٥/٢١هوانتهى العمل يوم ١٤١٣/٣/٢٠هـ.

٢- شمل المشروع تنفيذ المسجد بمساحة ٢٣١متراً مربعاً والمكتبة بمساحة ١١٢ متراً مربعاً وستة فصول دراسية كل فصل بمساحة ٤٣م متراً مربعاً . والمساحة الإجمالية لمشروع التوسعة ٤٣٩,٧٨ متراً مربعاً .

١- تم ترسية المشروع على مؤسسة وطنية بتكلفة إجمالية قدرها مليون ومائة وتسعة وسبعون الف ومائة وعشرون ريالاً .

٢- يتكون المبنى الحالي من ثلاثة أدوار والمساحة الإجمالية مع التوسعة أكثر من ١٨٣٠ متراً مربعاً .

---

(١) تقرير أسس التصميم لمشروع دار الحديث المدنية ص ٢

(٢) مقابلة شخصية مع سعادة المهندس عبد الله الحارثي في يوم الأربعاء الموافق ١٤٢٢/١٠/٢٥هـ

ثالثاً : مبنى مدرسة دار الحديث المكية :

وهب الملك عبد العزيز رحمه الله تعالى مبنى دار الأرقم بن أبي الأرقم إلى مدرسة دار الحديث المكية والذي يتألف من أربعة أدوار ويقع بجوار المسعى، حيث استمرت الدراسة فيه إلى عام ١٣٧٥هـ عندما هدم لصالح مشروع توسعة الحرم المكي [١].

وانتقلت المدرسة إلى مبنى وقف دار الحديث الخيرية والذي يقع في إجياد واستمرت الدراسة فيه إلى عام ١٣٩٧هـ، حيث انتقلت المدرسة إلى مبنى مستأجر يتكون من أربعة أدوار ويقع في حي الروضة، واستأجر مبنى قريب منه ليكون سكناً للطلاب .

وخلال العام الدراسي ١٤٠١/١٤٠٠هـ انتقلت المدرسة إلى مبنى آخر في شارع الملك فيصل.

أما في عام ١٤٠٧هفقد انتقلت المدرسة إلى المبنى الحالي والذي يقع في حي الرصيفة أول طريق جدة السريع [٢].

وقد تم تنفيذ مشروع المبنى الجديد على مرحلتين [٣]:

المرحلة الأولى : بدأت بشراء أرض مساحتها ٣٥٧٧م بمبلغ وقدره مليونيناريال تقع في حي الرصيفة حيث استخرج تصريح للإنشاء عام ١٤٠٤هـ ثم قامت مؤسسة وطنية بإنشاء المبنى بمبلغ وقدره عشرة ملايين ريال وتكون المبنى في مرحلته الأولى من :

أ- المبنى الدراسي وفيه دور أرضي وثلاثة أدوار متكررة .

---

(١) دليل الجامعة الإسلامية، للعام الدراسي ١٣٩٥/١٣٩٤هـ، ص ١٤٣-١٤٤

(٢) مكالمة هاتفية يوم السبت الموافق ٢٨/١٠/١٤٢٢هـ، مع فضيلة الشيخ صالح الزهراني مدير دار الحديث المكية

(٣) نشرة بعنوان : نبذة تعريفية عن مشروع دار الحديث المكية، ص ١

الدور الأرضي : وفيه مسجد يتسع (٥٠٠) مصل .

الدور الأول : ستة فصول دراسية وثمان مكاتب إدارية .

الدور الثاني : فيه ستة فصول دراسية وسبعة مكاتب إدارية الدور الثالث فيه أربعة فصول دراسية وخمس غرف سكن .

ب- مبنى سكن الطلاب وفيه دور أرضي وثلاثة أدوار متكررة، ففي الدور الأرضي مطعم للطلاب، أما بقية الأدوار فكل دور يتكون من ست عشرة غرفة كل غرفة مجهزة لأربعة طلاب .

المرحلة الثانية : حيث تم شراء الأرض المجاورة لمدرسة دار الحديث المكية من جهة الشرق بمبلغ وقدره ثلاثة ملايين ومائة وتسعة وثلاثون ألفاً وخمسمائة وستة وسبعون ريالاً وبذلك تكون مساحة المدرسة في المرحلتين الأولى والثانية (٦٤٧٧) متراً مربعاً، وقد تكون المشروع في المرحلة الثانية من الآتي :-

أ- قاعة محاضرات مجهزة بالوسائل الحديثة .

ب- مكتبة عامة .

ج- ملعب للألعاب الرياضية المختلفة .

وبذلك يكون مجموع تكلفة مشروع مدرسة دار الحديث المكية في المرحلتين الأولى والثانية تسعة عشر مليون ريال .

❋ ❋ ❋

الفصل السابع : ملخص الدراسة والنتائج والتوصيات

أولاً : الملخص :

احتوت الدارسة على سبعة فصول : الفصل الأول: وتم فيه إيضاح موضوع الدراسة في التعليم المتوسط التابع للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة خلال عشرين عاماً . وتم إيضاح الأهداف والأهمية وأسئلة وحدود الدراسة ثم منهج الدراسة .

الفصل الثاني: النشأة والأهداف للتعليم المتوسط حيث تم تناول نشأة الجهات التعليمية التي تمثل المرحلة المتوسطة بالجامعة الإسلامية حسب الترتيب الآتي :

١- مدرسة دار الحديث المدنية لأنها ضمت رسمياً للجامعة الإسلامية في ١٣٨٤/٧/١هـ.

٢- المعهد المتوسط لأنه فتح في العام الدراسي ١٣٨٧/١٣٨٦هـ.

٣- مدرسة دار الحديث المكية لأنها ضمت رسمياً للجامعة الإسلامية خلال العام الدراسي ١٣٩٢/١٣٩١هـ.

الفصل الثالث: المعلمون بالتعليم المتوسط؛ حيث تمت مقارنة في أعداد المعلمين في الجهات التعليمية التي تمثل التعليم المتوسط خلال فترتين زمنيتين مختلفتين .

الفترة الأولى: لثلاثة أعوام دراسية ١٣٩٥/٩٤هـ، والعام الدراسي ١٣٩٨/٩٧هـ، والعام الدراسي ١٣٩٩/٩٨هـ وذلك لتوفر المعلومات الإحصائية لهذه السنوات الثلاث حتى تتم المقارنة .

أما الفترة الثانية : من العام الدراسي ١٤١٦/١٤١٥هـ إلى العام الدراسي ١٤١٨/١٤١٧هـ

وقد اتضح أن عدد المعلمين خلال العام الدراسي ١٣٩٥/٩٤هـ بلغ ٥٣ مدرساً ونسبة المعلمين السعوديين (٥٤,٧%) بينما وصلت نسبة المعلمين السعوديين خلال العام الدراسي ١٤١٦/١٥هـ(١٠٠%) وعددهم في الجهات التعليمية الثلاث (٦٩) مدرساً .

الفصل الرابع: الطلاب بالتعليم المتوسط؛ في هذا الفصل تم استعراض مجموع الطلاب في كل جهة تعليمية وعدد الطلاب الحاصلين على الشهادة المتوسطة كل الخمسة سنوات الأولى ثم تم بعد ذلك إيضاح عدد خريجي التعليم المتوسط خلال عشرين عاماً والذي بلغ (٣٠٣٨) طالباً ومجموع طلاب المرحلة المتوسطة خلال عام ١٤٠٣/١٤٠٢هـ هو (١٤٤٤) طالباً أما عدد مجموع عدد طلاب المرحلة المتوسطة خلال العام الدراسي ١٤٢٢/١٤٢١هـ هو (٧٢٤) طالباً .

الفصل الخامس: المقررات الدراسية؛ وتضمن استعراضاً لخطة الدراسة في التعليم المتوسط ونسبة مواد العلوم الدينية ومواد اللغة العربية والمواد الثقافية في الخطة . وكذلك التعديلات التي طرأت على خطة الدراسة، ومصادر الكتب الدراسية المقررة حالياً .

وتمت الإشارة إلى أن الجامعة شكلت لجنة علمية لدراسة الخطة والمقررات الدراسية دراسة شاملة بإذن الله تعالى .

الفصل السادس: المباني المدرسية؛ وتم استعراض مشاريع المباني المدرسية في كل من مدرسة دار الحديث المدنية والمعهد المتوسط ومدرسة دار الحديث المكية .

ثانياً : النتائج :

هدفت هذه الدراسة إلى بيان اهتمام حكومة خادم الحرمين الشريفين بالتعليم الشرعي، وتحديد التغيرات التي حدثت في التعليم المتوسط التابع

للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة خلال عشرين عاماً وقد تحققت – ولله الحمد – الأهداف المنشودة من هذه الدراسة من خلال استعراض النتائج التالية :

١) يمثل التعليم المتوسط التابع للجامعة الإسلامية ثلاث جهات تعليمية هي: أ- مدرسة دار الحديث المدنية . ب- المعهد المتوسط ج- مدرسة دار الحديث المكية .

وقد كان تأسيس كل من مدرسة دار الحديث المدنية و مدرسة دار الحديث المكية في عهد جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى، وكان منهج المدرسين منهجاً علمياً تخصصياً في الدراسات الإسلامية يماثل التعليم الجامعي حالياً .

٢) ظهرت الحاجة للتعليم المتوسط بعد تأسيس الجامعة الإسلامية بعام دراسي واحد فقط حيث كان طلاب هذه المرحلة يدرسون في دار الحديث المدنية قبل ضمها للجامعة ويستلمون امتيازاهم من الجامعة الإسلامية .

٣) في الفترة من ١٤٠٢هـ إلى ١٤٢٢هـ حدثت فيها تغيرات وتطورات مهمة تمثلت في :

أ- زيادة نسبة المعلمين السعوديين في مرحلة التعليم المتوسط حيث وصلت إلى نسبة ١٠٠٪ وثبات نسبي في أعدادهم .

ب- زيادة نسبة الطلاب السعوديين الملتحقين في مرحلة التعليم المتوسط.

في العام الدراسي (١٤١٥/١٤١٦هـ) بلغت نسبة الطلاب السعوديين في دار الحديث المدنية (٩١,١٪) وفي المعهد المتوسط (٧٢٪) بينما في دار الحديث المكية (١٤٪) . وفي العام الدراسي (١٤١٦/١٤١٧هـ) بلغت نسبة الطلاب السعوديين في دار الحديث المدنية (٩٣,١ ٪) وفي المعهد المتوسط (٨١,٧ ٪) بينما في دار الحديث المكية (١٧,٦٪) .

ج- بلغ عدد طلاب الجهات التعليمية الثلاث خلال العام الدراسي

١٤٢٢/١٤٢١هـ (٧٢٤)طالباً ويلاحظ ثبات نسبي في أعداد الطلاب الملتحقين، وقد يكون سبب ذلك وضع خطة استيعابية لكل جهة تعليمية مع عمادة القبول والتسجيل قبل بدء العام الدراسي، ووضع ضوابط لقبول الطلاب في المرحلة المتوسطة من داخل وخارج المملكة العربية السعودية.

د- ثبات في خطة الدراسة للمرحلة المتوسطة وعدم وجود تغيير جذري لها، مع ملاحظة وجود خطوات جادة لدراسة الخطة.

هـ- تنوع مصادر المقررات الدراسية للمرحلة المتوسطة والتي تمثلت في:

١- كتب علمية . ٢- بعض مقررات المعاهد العلمية . ٣- بعض مقررات المرحلة المتوسطة للتعليم العام التابع لوزارة المعارف . ٤- مذكرات دراسية قام بإعدداها بعض المدرسين .

و- تم تنفيذ مشاريع مهمة للمباني المدرسية تمثلت في :

١- الانتهاء من مشروع مبنى وقف دار الحديث المدنية، حيث وفق الله خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود وأمر بتوسعة المسجد النبوي الشريف توسعة شاملة كان لها الأثر الكبير في تحويل منطقة الحرم إلى منطقة مدنية جديدة . وترتب على ذلك هدم وقف دار الحديث المدنية وتعويض الوقف بمبلغ مالي تم فيه بفضل الله عز وجل تنفيذ المشروع الجديد لمدرسة دار الحديث المدنية .

٢- تم الانتهاء من توسعة مبنى المعهد المتوسط .

٣- تم الانتهاء من مشروع مبنى مدرسة دار الحديث المكية والذي أصبح معلماً علمياً حديثاً في مكة المكرمة

التوصيات :

١) العناية التامة بالمعلومات الإحصائية التفصيلية التتبعية عن كل جهة

تعليمية منذ بداية الدراسة وحتى الزمن الحاضر، حتى يتسنى للدارسين الاستفادة من المعلومات الإحصائية .

٢) تعديل مسمى مدرسة دار الحديث المدنية ومدرسة دار الحديث المكية إلى معهد دار الحديث المدنية ومعهد دار الحديث المكية .

٣) ضرورة طباعة مقررات دراسية خاصة بالتعليم المتوسط التابع للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أو اعتماد كامل المقررات الدراسية الخاصة بالمرحلة المتوسطة في المعاهد العلمية لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

المقترحات :

١) دراسة تقويمية لمناهج التعليم المتوسط التابع للجامعة الإسلامية .

٢) دراسة مقارنة بين التعليم المتوسط التابع للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، والتعليم المتوسط التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .



بسم الله الرحمن الرحيم

ملحق رقم (١)

خطة الدراسة: في المعهد المتوسط للعام الدراسي ١٣٩٤/١٣٩٥هـ

المجموعة	م	المـــــادة	عدد الحصص الأسبوعي في كل صف دراسي			
			الأول	الثاني	الثالث	المجموع
العلوم الدينية	١	القــرآن الكريم	٢	٢	٢	٦
	٢	التفســير	٢	٢	٢	٦
	٣	الحـــديث	٢	٢	٢	٦
	٤	التـــوحيـــد	٢	٢	٢	٦
	٥	الفقـــه	٤	٤	٤	١٢
			١٢	١٢	١٢	٣٦
العلوم العربية	٦	النـــحو	٤	٤	٤	١٢
	٧	الأدب والنصوص	١	٢	٢	٥
	٨	المطـــالعـــة	١	١	١	٣
	٩	التعبير والخطابة	١	١	١	٣
	١٠	الخط والإملاء	١	–	–	١
			٨	٨	٨	٢٤
العلوم الاجتماعية	١١	التاريخ	٢	٢	٢	٦
	١٢	الجغرافيا	١	١	١	٣
			٣	٣	٣	٩
العلوم العامة	١٣	الريـــاضيـــات	٥	٥	٥	١٥
	١٤	العلوم والصحة	٣	٣	٣	٩
	١٥	اللغة الإنجليزية	٥	٥	٥	١٥
			١٣	١٣	١٣	٣٩
المـــجـــموع الــــــكلـــي			٣٦	٣٦	٣٦	١٠٨

ملحق رقم (٢)

خطة الدراسة في دار الحديث في المدينة المنورة للعام الدراسي ١٣٩٥/٩٤هـ :

المجموعة	م	المـــادة	القسم التمهيدي						القسم الاعدادي			
			الصف الدراسي					المجموع	الصف الدراسي			المجموع
			الأول	الثاني	الثالث	الرابع	الخامس		الأول	الثاني	الثالث	
العلوم الدينية	١	القرآن الكريم	٦	٦	٦	٤	٣	٢٥	–	–	–	–
	٢	التجويد	–	–	–	١	–	١	–	–	–	–
	٣	التفسير	–	–	–	–	٣	٣	٤	٤	٤	١٢
	٤	أصول التفسير	–	–	–	–	–	–	٢	–	–	٢
	٥	التوحيد	٣	٣	٣	٣	٣	١٥	٣	٣	٣	٩
	٦	الحديث	٣	٣	٤	٣	٤	١٧	٦	٤	٤	١٤
	٧	أصول الحديث	–	–	–	–	–	–	٢	٢	٢	٦
	٨	مصطلح الحديث	–	–	–	٢	٢	٤	–	–	–	–
	٩	الفقه	٣	٣	٣	٤	٣	١٦	٢	٢	٣	٧
	١٠	أصول الفقه	–	–	–	–	–	–	٢	–	–	٢
	١١	الفرائض	–	–	–	–	٢	٢	٢	٢	٢	٦
		المجموع	١٥	١٥	١٦	١٧	٢٠	٨٣	٢٣	١٧	١٨	٥٨

المجموعة	م	المـــادة	القسم التمهيدي						القسم الاعدادي			
			الصف الدراسي						الصف الدراسي			
			الأول	الثاني	الثالث	الرابع	الخامس	المجموع	الأول	الثاني	الثالث	المجموع
العلوم العربية		قواعد اللغة العربية	–	–	٤	٣	٣	١٠	٣	٣	٤	١٠
		المحفوظات	١	١	١	–	–	٣	–	–	–	–
		الصرف	–	–	–	–	–	–	٢	٢	–	٤
		البلاغة	–	–	–	–	–	–	٢	٢	٢	٦
		الأدب	–	–	–	–	–	–	١	٢	٢	٥
		المطالعة	٤	٤	٣	٣	٢	١٦	–	–	–	–
		الإملاء	٤	٤	٤	٢	٢	١٦	–	–	–	–
		المطالعة والإملاء	–	–	–	–	–	–	–	٢	٢	٤
		الإنشاء	–	–	–	١	٢	٣	١	٢	٢	٥
		الخط	٤	٤	٣	٢	١	١٤				
		المجموع	١٣	١٣	١٥	١١	١٠	٦٢	٩	١٣	١٢	٣٤
العلوم الاجتماعية		التاريخ	–	–	–	٤	٢	٦	٢	٢	٢	٦
العلوم الرياضية		الحساب	٤	٤	٣	٢	٢	١٥	–	٢	٢	٤
		المجموع الكلي	٣٢	٣٢	٣٤	٣٤	٣٤	١٦٦	٣٤	٣٤	٣٤	١٠٢

ملحق رقم (٣)

خطة الدراسة في المرحلة المتوسطة في المعهد المتوسط وداري الحديث المكية والمدنية عام ١٣٩٨/٩٧هـ

مسلسل	المادة	الأولى	الثاني	الثالث
١	حفظ القرآن	١	١	١
٢	القراءة المجودة	٢	٣	٣
٣	التجويد	١		
٤	التفسير	٣	٣	٣
٥	الحديث	٣	٣	٣
٦	التوحيد	٣	٣	٣
٧	الفقه	٣	٣	٣
٨	النحو والصرف	٤	٤	٤
٩	التعبير	٢	٢	٢
١٠	النصوص الأدبية	٢	٢	٢
١١	المطالعة	١	١	١
١٢	الخط	١	١	١
١٣	الإملاء	١	١	١
١٤	السيرة النبوية	٢	٢	
١٥	التاريخ الإسلامي			٢
١٦	الجغرافيا	١	١	١
١٧	الصحة	١	١	١
١٨	الحساب	٢	٢	٢
١٩	اللغة الإنجليزية	٢	٢	٢
	المجموع	٣٥	٣٥	٣٥

ملحق رقم (٤):

خطة الدراسة في المرحلة المتوسطة المقرة من مجلس الجامعة الإسلامية عام ١٣٩٨هـ

م	المادة	الأولى	الثانية	الثالثة
١	حفظ القرآن	١	١	١
٢	القراءة المجودة	٢	٢	٣
٣	التجويد [1]	١	١	–
٤	التفسير	٣	٣	٣
٥	الحديث	٣	٣	٣
٦	التوحيد	٣	٣	٣
٧	الفقه	٣	٣	٣
٨	النحو والصرف	٤	٤	٤
٩	التعبير	٢	٢	٢
١٠	النصوص الأدبية	٢	٢	٢
١١	المطالعة	١	١	١
١٢	الخط	١	١	١
١٣	الإملاء	١	١	١
١٤	السيرة النبوية	٢	٢	–
١٥	التاريخ الإسلامي	–	–	٢
١٦	الجغرافيا	١	١	١
١٧	الصحة	١	١	١
١٨	الحساب	٢	٢	٢
١٩	اللغة الإنجليزية	٢	٢	٢
	المجموع	٣٥	٣٥	٣٥

(١) عدلت بقرار مجلس الجامعة في ١٠/٥/١٤١٤هـ

المراجـــع

القرآن الكريم

١. أبو سليمان، عبد الوهاب بن إبراهيم " الوقف مفهومه ومقاصده "، ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة : مكتبة الملك عبد العزيز، ١٤٢٠هـ

٢. الأشقر، محمد سليمان عبـــد الله، زبدة التفسير من فتح القـــدير للإمام الشوكاني، الرياض: الحرس الوطني، الإرشاد والتوجيه، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ.

٣. البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد، تفسير البيضاوي، بيروت : دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٤. تقرير، بعنوان : أسس التصميم لمشروع دار الحديث المدنية – غير منشور – ١٩٩٢م

٥. الجامعة الإسلامية، التقرير السنوي للجامعة الإسلامية، للعام الدراسي ١٤١٧/١٤١٦هـ إدارة التطوير، المدينة المنورة، مطابع الجامعة الإسلامية، د . ت

٦. الجامعة الإسلامية، التقرير السنوي للجامعة الإسلامية للعام الدراسي ١٤١٨/١٤١٧هـ إدارة التطوير، المدينة المنورة، مطابع الجامعة الإسلامية، ١٤١٨هـ

٧. الجامعة الإسلامية، التقرير السنوي للعام الجامعي ١٤٢٠/١٤١٩هـ، إدارة التطوير، المدينة المنورة، مطابع الجامعة الإسلامية، ١٤٢٠هـ

٨. الجامعة الإسلامية، التقرير الموجز للعام الجامعي ١٤٢٠/١٤١٩هـ، إدارة التطوير، المدينة المنورة، مطابع الجامعة الإسلامية، د.ت

٩. الجامعة الإسلامية، التقرير الموجز للعام الجامعي ١٤٢١/١٤٢٠هـ، إدارة التطوير، المدينة المنورة، مطابع الجامعة الإسلامية، د.ت

١٠. الجامعة الإسلامية، التقرير الموجز للعام الجامعي ١٤٢٢/١٤٢١هـ، إدارة التطوير، المدينة المنورة، مطابع الجامعة الإسلامية، د.ت

١١. الجامعة الإسلامية، دليل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للعام الدراسي ١٣٩٥/١٣٩٤هـ مكة المكرمة، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، د . ت .

١٢. الجامعة الإسلامية، دليل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للعام الدراسي ١٣٩٨/٩٧هـمكة المكرمة، شركة مكة للطباعة، د . ت

١٣. الجامعة الإسلامية، دليل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للعام الدراسي ١٣٩٩/٩٨هـالمدينة

المنورة، مطابع الجامعة الإسلامية، د . ت .

١٤. الجامعة الإسلامية، الكتاب الوثائقي – كتاب صدر بمناسبة الاحتفاء بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، جدة، مطابع مؤسسة المدينة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ

١٥. الجامعة الإسلامية، مجلة الجامعة الإسلامية – العدد الأول – السنة الأولى ربيع الأول عام ١٣٨٨هـمقال بعنوان (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة) بدون مؤلف ص ٤١– ٥١ .

١٦. الجامعة الإسلامية، نظام الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ولوائحها التنفيذية، المدينة المنورة، مطابع الجامعة الإسلامية ١٤٠٥هـ

١٧. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دليل الجامعة ١٤١١هـإدارة الدراسات والمعلومات – الرياض ١٤١١هـ

١٨. الحيدري، دخيل الله عبد الله، التعليم الأهلي في المدينة المنورة، المدينة المنورة، النادي الأدبي، ١٤١٢هـ

١٩. الزركلي، خير الدين، الاعلام، بيروت، إدارة العلم للملايين، الطبعة السادسة ١٩٨٤م

٢٠. الزيد، عبد الله بن أحمد بن علي، مختصر تفسير البغوي – معالم التنزيل – الرياض : الحرس الوطني، الإرشاد والتوجيه ١٤٢١هـ

٢١. سرحان، دمرداش عبد المجيد، المناهج المعاصرة، الكويت، مكتبة الفلاح، الطبعة الثامنة ١٤٠١هـ

٢٢. صالح عبد العزيز، التربية الحديثة، ١٤٥ القاهرة : دار المعارف بمصر، الطبعة السابعة ١٩٧٦م .

٢٣. فلاتة، محمد عمر (ترجمة الشيخ عبد الرحمن الأفريقي) مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الأول السنة الحادية عشرة، رمضان ١٣٩٨هـ، ص ١٦٣ – ١٨٢

٢٤. مذكرة : مناهج المرحلة المتوسطة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، إدارة المناهج – عمادة البحث العلمي – غير منشورة – عام ١٤٢٢هـ

٢٥. النجيحي، محمد لبيب، ومحمد منير مرسي، البحث التربوي أصوله ومناهجه، القاهرة، عالم الكتب ١٩٨٣م .

٢٦. نشرة إحصائية بعدد الطلاب الحاصلين على الشهادة المتوسطة، صادرة من دار الحديث المكية برقم ٥٤٩ في ٢٤/١٠/١٤٢٢هـ

٢٧. نشرة، بعنوان : أضواء على مدرسة دار الحديث ومكتبة أهل الحديث بالمدينة المنورة، المدينة

المنورة، مطابع الفانوس، د . ت .

٢٨. نشرة، بعنـــوان: بعض منجـــزات دار الحديث بالمدينة المنـــورة، المدينة المنـــورة، مطابع الفانوس، د. ت

٢٩. نشرة، بعنوان : نبذة عن مشروع دار الحديث المكية - غير منشورة - د.ت

٣٠. نشرة، بعنوان : نظام أعمال مدرسة دار الحديث المدنية، بخط اليد، غير منشورة - بتاريخ ١٣٧٦هـ

٣١. وزارة المعارف، سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية، الرياض، مطابع البيان، الطبعة الرابعة ١٤١٦هـ



فهرس المحتويات